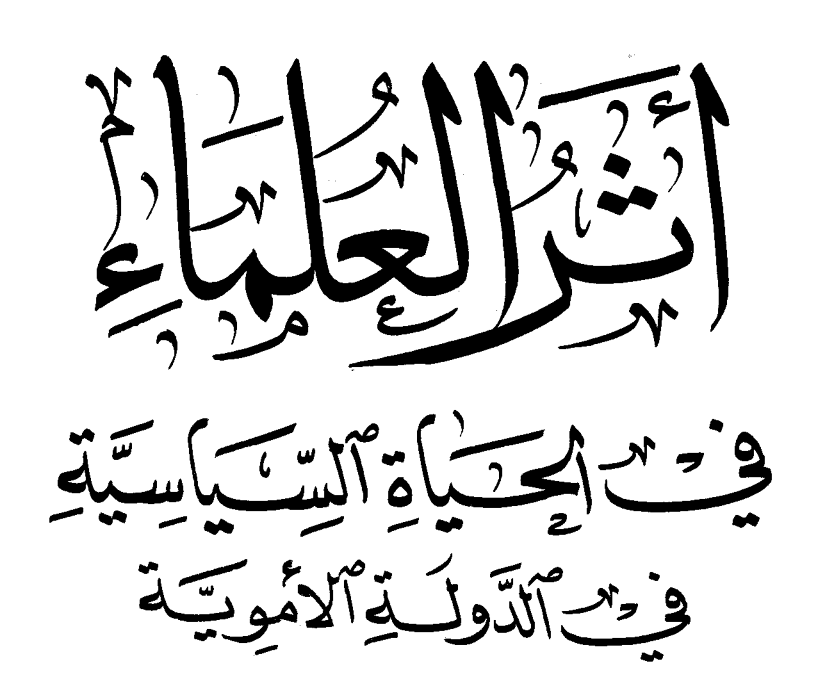


دراسة "أكاديمية" تبين أنواع العلاقة بين العلماء والولاة، وموقف العلماء من الحركات السياسية المعارضة للدولة في صدر الإسلام.

تأليف

د. عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد الخرعان

١٤٢٣هـ

مكتبة الرشد
ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب في الأصل أطروحـــة (دكتوراه) في التاريخ الإسلامي، مقدمة إلى كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وتمت مناقشـــتها في ١٤٢١/٨/٤هـــ، وحصـــل صاحبـــها بتوفيق الله على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى.


أثر العلماء
في الحياة السياسية
في الدولة الأموية

ح عبد الله بن الرحمن زين الخرعان، ١٤٢٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخرعان، عبد الله بن عبد الرحمن
اثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية/ عبد الله بن عبد الرحمن الخرعان، الرياض، ١٤٢٤هـ
ص ٢٤ سم

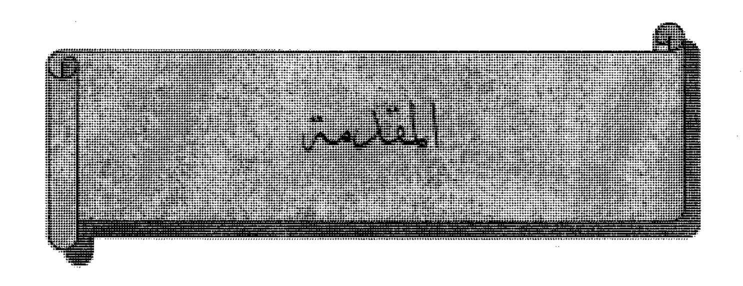
ردمك: ٥-٣٧٦-١٠-٩٩٦٠
١- العلماء المسلمون، الدولة الأموية أ.العنوان
ديوي ٩٥٣،٠٣ ١٤٢٤/٢٩٦٠

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٩٦٠
ردمك: ٥-٣٧٦-١٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

مكتبة الرشد ناشرون

* المملكة العربية السعودية . الرياض . طريق الحجاز
ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ فاكس ٤٥٧٣٣٨١
Email: alrushd@alrushdryh.com
Website : www. rushd.com



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد:

فإن لتاريخ الأمم صناعا يتقنون صنعته، وبناة يشيدون صرحه، وإن من الواجب على الأمة ـ أي أمة ـ أن تقدر لهؤلاء البناة جهودهم، وأن تهتم لحفظ تاريخهم، ودراسته دراسة واعية تفيد الأمة في حاضرها ومستقبلها.

وإن تاريخ الأمة الإسلامية حافل بأولئك العظماء الذين صاغوا حضارة فريدة، وشادوا صروحا للمجد شامخة وطيدة، ولقد تعددت ميادين هؤلاء البناة، وتنوعت آلاتهم في صناعة هذا التاريخ في جوانبه المختلفة، والتاريخ السياسي من أبرز تلكم الجوانب.

وإن المتتبع للكتابات التاريخية ـ قديما وحديثا ـ يرى بوضوح جهود الولاة والقادة العسكريين في بناء هذا الجانب المهم من جوانب التاريخ الإسلامي، غير أن هناك فئة مهمة من فئات المجتمع الإسلامي وهم

العلماء، لم تركز معظم تلك الكتابات على إبراز ماهم من جهود كبيرة في هذا المجال، مكتفية تلك المصادر بالإشارة إلى ذكر وفاة هذا العالم أو ذلك في حوادث السنة التي توفي فيها ، وربما أوردت بعضها ترجمة موجزة لحياته، يكون التركيز فيها عن جوانب حياته الشخصية وجهوده العلمية فحسب.

والحق أنه كان للعلماء بجانب الخلفاء والولاة والقادة أثر فعال في صياغة التاريخ السياسي للأمة الإسلامية في معظم حقب عصوره الزاهية ، إما بقربهم من الخلفاء والولاة عن كثب ، ليصبحوا بعضا من أعوانهم ومن خاصة بطانتهم التي تقدم لهم الرأي السديد والمشورة الناصحة التي تسهم في توجيه الحكم والإدارة إلى مافيه صلاح الأمة، أو بتولي بعض الأعمال والمناصب ، وما يقدمونه من صورة صادقة في حسن التعامل مع الناس من خلال تلك الأعمال ، أو بإعطائهم المثل العليا في كيفية التعامل مع الولاة في حالة الخلاف معهم بما يسلكونه من آداب جمة وأساليب ناجعة لإصلاح الأخطاء وتوجيه الإنحراف، وبما يتحلون به ـ خلال الأزمات والفتن السياسية ـ من مواقف متعقلة، وآراء ناضجة ، منطلقة من هدي الشريعة فتكون نبراسا لعامة الناس يهتدون بها .

لذا فإننا بحاجة ماسة إلى تلك الكتابات التي تكشف عن هذا الجانب المهم من تاريخ العلماء وما له من أثر في التاريخ السياسي للأمة .

وقد كنت أميل لهذا النوع من الدراسة في التاريخ الإسلامي، لذا حرصت أن يكون موضوع بحث رسالة الدكتوراه في هذا المجال، وبعون من الله وتعالى وفقت لتسجيل موضوع هذا البحث بعنوان « أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ».

أهمية الموضوع وقيمته العلمية:

وتتجلى أهمية هذا الموضوع في جوانب عدة من أهمها:

أولا: ينحصر الإطار الزمني لموضوع البحث في عصر الدولة الأموية، ولهذا العصر أهمية كبيرة من بين عصور الدولة الإسلامية، حيث يحتل مساحة كبيرة من القرن الأول وهو خير القرون، كما يتميز هذا العصر باجتماع علماء الصحابة وعلماء التابعين فيه. ولأن عصر الدولة الأموية شهد عددا من التغيرات في مسيرة الدولة الإسلامية والتي صاحبت النقلة من عهد الخلافة الراشدة إلى عهد الملك.

ثانيا: تركز الدراسة في هذا الموضوع على أثر عنصر مهم من عناصر المجتمع المسلم وهم العلماء، حيث ميزهم الله من بين العالمين بميزة العلم به وفهم أحكام دينه، وحملهم أمانة نشر الدين وبيانه للناس، ومن هنا تكمن أهمية دراسة أثر العلماء ومواقفهم، حيث ينطلقون في ذلك من تلك المسؤولية الملقاة على عاتقهم، لا بحسب ما تمليه عليهم رغباتهم الذاتية ومصالحهم الشخصية.

ثالثا: تركز الدراسة في هذا الموضوع على أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، والسياسة في اللغة: مأخوذة من (السوس) أي الرياسة، وساس الأمر سياسة أي قام به، والسياسة: القيام بما يصلحه، من سست الرعية، أي أمرتها ونهيتها. [١]

وقال ابن عقيل في الفنون معرفا السياسة: (ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد) [٢] بمعنى أنها كل أمر يتخذه من ولاه الله أمر الرعية فيما يصلح شأنهم في هذه الحياة، ويقوي جانبهم على عدوهم، والدراسة في هذا الجانب جد مهمة.

رابعا: تبين الدراسة في هذا الموضوع بجلاء مظاهر التعاون بين العلماء والخلفاء وولاتهم في عَصر الدولة الأموية وما لهذا النوع من العلاقة من أثر حسن في مسيرة الدولة الأموية، كما توضح ما كان عليه كثير من خلفاء بني أمية من تقدير للعلماء، وسعيهم لتقريبهم والاستماع إلى نصحهم والأخذ بمشورتهم في كثير من الأحيان. وفي هذا كشف لتحيز

---

(١) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مادة سوس الفيروزآبادي: القاموس المحيط: مادة سوس . الزبيدي: محمد مرتضى: تاج العروس جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت: لبنان: مادة سيس .

(٢) ابن القيم: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الوطن، الرياض: ١٣.

كثير من الروايات والكتابات التاريخية التي تصور العلاقة بين العلماء وخلفاء بني أمية وولاتهم على أنها ذات جانب واحد سلبي يظهر فيها التنافر، وتتسع فيها الفجوة بين الطرفين. كما أنها محاولة للتقليل من النظرة القاتمة التي ترسخها مثل تلك الكتابات عن خلفاء الدولة الأموية وولاتهم من وصفهم بالظلم والطغيان.

خامسا: إن في بيان أدب بعض العلماء مع الخلفاء والولاة في الدولة الأموية، وأساليبهم في بذل النصح والمشورة، وفي بيان مواقفهم من الفتن والخلافات بعامة ومواقفهم من الحركات المعارضة للدولة الأموية بخاصة، إن في بيان ذلك كله درسا لأجيال الأمة في معرفة مناهج العلماء في هذا الجانب المهم في حياة الأمة، وفيه إغناء لهم من أن يتلقفوا مناهج الشرق أو الغرب، أو الانجراف في مزالق الفرق المنحرفة في هذا الأمر الخطير في حياة الأمة.

سادسا: يثير بعض الباحثين أن هناك غموضا في النظام السياسي في الإسلام لا سيما التطبيقي منه، ودراسة هذا الموضوع تسهم في بيان نوع من الجوانب التطبيقية في التاريخ السياسي الإسلامي، فيما يتعلق بالعلاقة بين العلماء والولاة من جهة، وموقف العلماء من الحركات المعارضة للدولة الأموية.

سابعا: تسهم دراسة هذا الموضوع في إيضاح بعض مسائل العقيدة عند أهل السنة والجماعة فيما يتصل بالعلاقة مع ولاة الأمر، والتعامل مع الفرق المنحرفة، من خلال بيان بعض تطبيقاته في موقف كثير من علماء أهل السنة والجماعة، كما توضح ظروف ظهور بعض الفرق المنحرفة، وبعض المسائل العقدية التي نبتت في جو بعض الفتن والأحداث السياسية في الدولة الأموية، أو كانت أثرا من آثارها.

ثامنا: وتبدو أهمية الموضوع وقيمته في ندرته وكونه لم يبحث من قبل بهذه الصورة والتفصيل، وقد قمت خلال مدة التسجيل بالاطلاع على فهارس الرسائل العلمية المسجلة في المملكة العربية السعودية التي أعدتها تلك الجامعات، أو دليل مركز الملك فيصل - رحمه الله - للبحوث والدراسات الإسلامية، فلم أقف على أنه تم تسجيل هذا الموضوع أو ما يشابهه، وتأكد ذلك من خلال مراسلة أقسام التاريخ والحضارة بجامعات المملكة. وكذلك من خلال زيارة عدد من المكتبات العامة أو التجارية لم أقف على كتاب في هذا الموضوع، غير أني اطلعت في الأشهر الأخيرة من كتابة البحث على كتاب له صلة بهذا الموضوع، عنوانه (الفقهاء والخلافة الأموية) لمؤلفه حسين عطوان، وطبع في الأردن سنة ١٤١١هـ وهو أقرب ما اطلعت عليه من المؤلفات صلة بموضوع الرسالة إلا أن البون شاسع من عدة نواحي بينهما، فمن حيث الحجم فمادة هذا الكتاب تقع في حدود

ستين صفحة فقط، ومن حيث دراسة الموضوع وتقسيماته فمؤلف الكتاب بذل جهدا يذكر في جمع عدد من مواقف الفقهاء ثم قسمها إلى عدد من النقاط هي: حق قريش في الخلافة، إقرار الفقهاء بخلافة بني أمية، دعوة الفقهاء بالصبر على بني أمية، عمل الفقهاء مع بني أمية، مآخذ الفقهاء على بني أمية، ثورة الفقهاء على بني أمية. واكتفى بذكر عدد من الأمثلة لمواقف بعض العلماء وأقوالهم في كل نقطة. ولن أطيل في ذكر الفروق الكبيرة بين الكتاب وموضوع الرسالة، لا من حيث شمول الرسالة فصولا ومباحث لم يتطرق إليها المؤلف، ولا من حيث ضخامة الأمثلة وعدد العلماء الذين شملتهم الدراسة في موضوع الرسالة، ودراسة آثارهم دراسة شاملة، أو من حيث طريقة الدراسة والتحليل، وسيتضح ذلك الفرق من خلال استعراض خطة البحث، مما سيتبين معه أن البحث سيضيف إلى المكتبة العلمية شيئا جديدا في بابه لم يسبق إليه بتوفيق الله تعالى.

خطة البحث:

هذا وقد قسمت موضوع البحث إلى خمسة فصول وملحق وخاتمة، وهي كالآتي:

الفصل الأول: وعنوانه (مداخل عامة) **ويشمل أربعة مداخل:**

المدخل الأول: تحدثت فيه عن تحديد مصطلح العالم، ومن المقصود بالعلماء في موضوع البحث وخلصت فيه إلى أن المقصود بالعلماء في

موضوع البحث هم علماء الشريعة الذين ورثوا عن النبي ﷺ العلم الشرعي ونقلوه عنه جيلا بعد جيل، والذين وعوا أحكام الدين وفهموا مقاصد الشريعة . معتمدا في ذلك على نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وأقوال العلماء في القديم والحديث .

المدخل الثاني: وعنوانه (مكانة العلماء في الإسلام). وقد وضحت فيه ما تتميز به فئة العلماء عن غيرها من فئات المجتمع الإسلامي، مستدلا على هذه المكانة بنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأقوال السلف، وواقع الحياة في المجتمع الإسلامي وضربت على ذلك بعض الأمثلة من العصر الأموي .

المدخل الثالث: وعنوانه (نبذة عن قيام الدولة الأموية) أوضحت فيه الظروف التي قامت فيها الدولة الأموية، والعوامل التي ساعدت على قيامها، مركزا في ذلك على شخص مؤسسها الأول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وما لجهوده خلال ولايته على الشام في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من أثر في تميز شخصيته من بين الولاة، وإقليم الشام من بين أقاليم الدولة الإسلامية، وختمت هذا المبحث بذكر موقف العلماء من البيعة لمعاوية بالخلافة .

المدخل الرابع: وعنوانه (نبذة مختصرة عن الحركة العلمية وأبرز العلماء في عهد الدولة الأموية) . وتحدثت فيه بإيجاز عن تطور حركة

التعليم في أقاليم الدولة الإسلامية منذ العصر النبوي حتى العصر الأموي. وذكرت فيه أبرز العلماء في الدولة الأموية بحسب أقاليمهم.

الفصل الثاني: وعنوانه (التعاون والمشاركة بين العلماء والخلفاء وولاتهم في الدولة الأموية) وقسمته إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: وعنوانه (قرب العلماء من الخلفاء وأثرهم في صياغة القرار في الدولة الأموية) وتحدثت فيه عن المراحل التي مر بها قرب العلماء من الخلفاء ومشاركتهم لهم خلال عهود الدولة الأموية، ثم تحدثت بالتفصيل عن عدد من النماذج للعلماء الذين تبوؤا مكانة كبيرة لدى بعض خلفاء بني أمية، وما لهم من أثر خلال قربهم هذا. مثل قبيصة بن ذؤيب في عهد عبدالملك، وعمر بن عبدالعزيز في عهد كل من الوليد بن عبدالملك وسليمان بن عبدالملك، ورجاء بن حيوة في عهد سليمان بن عبدالملك، والعلماء في عهد عمر بن عبدالعزيز، والإمام الزهري في عهد هشام بن عبدالملك.

المبحث الثاني: وعنوانه (مشاركة العلماء بتولي بعض المناصب للخلفاء والولاة في الدولة الأموية) تحدثت فيه عن تولي العلماء لعدد من المناصب الإدارية مثل ولاية الأقاليم وإمارة البلدان، ومنصب بيت المال أو الخراج، ومنصب صاحب الشرطة، وتولي إمرة الغزو برا وبحرا وغير ذلك

من المناصب، كما أوضحت من خلال ذلك ما لتوليهم لهذه الأعمال من أثر في الحياة السياسية في الدولة الأموية.

الفصل الثالث: وعنوانه (اعتزال العلماء للخلفاء والولاة مع أداء النصيحة) وقسمته إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: وعنوانه: (أسباب اعتزال العلماء للخلفاء والولاة).

المبحث الثاني: وعنوانه (آداب العلماء وأساليبهم في بذل النصيحة).

المبحث الثالث: وعنوانه (مجالات بذل النصيحة). تحدث فيه عن أهم المجالات التي تركزت فيه نصائح العلماء للخلفاء والولاة في الدولة الأموية، وحصرتها في مجالين: **المجال الأول:** تذكير الخلفاء والولاة بتقوى الله وحثهم على الاهتمام بآخرتهم وتحذيرهم من الغفلة. **والمجال الثاني:** تذكير الخلفاء والولاة بمسؤولياتهم تجاه رعيتهم وحثهم على أداء حقوقهم.

وقد تحدثت في تلك المباحث من خلال المواقف التي وقفت عليها، كما بينت ما لنصائح العلماء تلك من أثر في الحياة السياسية في الدولة الأموية.

المبحث الرابع: نماذج للعلماء الذين آثروا اعتزال الخلفاء والولاة في الدولة الأموية مع بذلهم النصيحة. واقتصرت على ذكر نموذجين: الأول تحدثت فيه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه، والثاني عن الحسن البصري

رحمه الله. لما لكل واحد منهما من منهج متميز في التعامل مع الأحداث السياسية في عصره .

الفصل الرابع: وعنوانه (**الخلاف بين العلماء والخلفاء وولاتهم في الدولة الأموية**) . وقسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: الخلاف بين بعض العلماء والخلفاء في الدولة الأموية .وقسمته إلى ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: وفيه تنبيهان:

فالتنبيه الأول: يتضمن الإشارة إلى ما رسخ في أذهان كثير من الكتاب والقراء، حول سعة الفجوة في التعامل بين العلماء والحكام في التاريخ الإسلامي بوجه عام وفي التاريخ الأموي بوجه خاص . وبينت أهم الأسباب التي أدت إلى رسوخ مثل هذا التصور المغلوط .

التنبيه الثاني: ويتضمن الإشارة إلى أن مظاهر الخلاف لم تكن في الغالب تأخذ الطابع الاستمراري الدائم في علاقة الأفراد من العلماء بالخلفاء، بل غالبا ما تكون مؤقتة نتيجة لموقف من المواقف أو لسبب من الأسباب لا تلبث أن تزول بزوال ذلك السبب أو الموقف، كما أن ذلك النوع من التعامل محصور في زاوية الخلاف وأسبابه، دون أن يمتد تأثيره على نظرة ذلك العالم أو العلماء للخليفة أو الخلافة بشكل عام .

العنصر الثاني: تحدث فيه عن أهم أسباب الخلاف بين العلماء والخلفاء في الدولة الأموية .

العنصر الثالث: ذكرت فيه نماذج لبعض مظاهر الخلاف بين بعض العلماء وخلفاء بني أمية .

المبحث الثاني: تحدثت فيه عن موقف العلماء من جور بعض الولاة في الدولة الأموية، موضحا أهم الأساليب والآداب التي سلكها العلماء في التعامل مع جور هؤلاء الولاة .

الفصل الخامس: وعنوانه (موقف العلماء من الحركات السياسية المعارضة للدولة الأموية).

وهذا الفصل من أطول فصول الرسالة وأغزرها مادة، وقد قسمته إلى تمهيد وستة مباحث .

التمهيد: وضحت فيه هدي العلماء في الدولة الأموية في الفتن بشكل عام.

المبحث الأول: موقف العلماء من حركات الخوارج .

المبحث الثاني : موقف العلماء من حركات العلويين .

المبحث الثالث: موقف العلماء من حركة أهل المدينة .

المبحث الرابع: موقف العلماء من حركة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

المبحث الخامس: موقف العلماء من حركة عبد الرحمن بن الأشعث.

المبحث السادس: وعنوانه (**موقف العلماء من ظهور الدعوة العباسية**).

وقد تحدثت في هذا الفصل عن مواقف العلماء من هذه الحركات بشيء من التفصيل، من خلال ما وقفت عليه من مواقف وأحداث.

ملحق التراجم: ويشتمل على تراجم موجزة للعلماء محل الدراسة وقد راعيت في الترجمة للعلماء في هذا الملحق أمرين:

أولهما: حصر الترجمة على العلماء الذين كان لهم أثر في الحياة السياسية في الدولة الأموية من قريب أو بعيد دون غيرهم ممن انقطع للعبادة والتعليم، ومن لم أقف له على أثر أو مواقف خلال مرحلة البحث.

وثانيهما: اقتصرت في الترجمة على تعريف موجز بالعالم، وما يثبت أنه في عداد العلماء، وجعلت هذا الملحق محلا أحيل بالرجوع إليه عند مرور ذكر أي عالم في البحث تلافيا للترجمة للعلماء في الحواشي مما يجعلها طويلة بشكل غير مقبول.

ثم ختمت البحث بخاتمة موجزة لخصت فيها عددا من النتائج التي تبينتها من خلال البحث والدراسة لمادة الموضوع.

كما ذيلت البحث بعدد من الفهارس، منها فهرس لتراجم العلماء الذين ترجمت لهم في البحث، مرتبة حسب حروف الهجاء، ليسهل على كل من يريد الوقوف على ترجمة أي عالم يمر ذكره في البحث ولم يشر إلى موضع ترجمته لكونه مر أكثر من مرة. وفهرس آخر بقائمة المصادر والمراجع، وقد رتبتها بحسب أسماء مؤلفيها مرتبة على حروف الهجاء، لأن

هذا أيسر لمن يريد الاطلاع على المعلومات الكاملة عن أي مصدر أو مرجع. وفهرس ثالث لأبرز عناوين الموضوعات الواردة في البحث.

منهج البحث:

أما عن المنهج الذي سرت عليه في البحث فقد اتبعت المنهج الاستقرائي[١].

والمنهج الاستنباطي[٢] فقد قمت بجمع المادة العلمية للبحث من مظانها في المصادر والمراجع، وحيث أن موضوع البحث يتعلق بالعلماء فقد احتاج الأمر مزيدا من الدقة والتحري في جمع المادة العلمية، لذا فقد حرصت على الاعتماد على المصادر الموثوقة التي عرف مؤلفها بالثقة والأمانة في النقل، كما حرصت على إثبات المواقف والأحداث من أكثر من مصدر وعدم الاكتفاء بمصدر واحد. ثم قمت باستقراء تام لما جمعته من معلومات وقسمتها بحسب الفصول والمباحث، ثم عمدت إلى دراسة تلك المادة وتحليلها نقطة نقطة، وعنصرا عنصرا ، وكثيرا ما تطلب الوقوف

---

(١) يعرف المنهج الاستقرائي بأنه "تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعا، أو هو انتقال الفكر من الحكم على الجزئي إلى الحكم على الكلي الذي يدخل الجزئي تحته" الميداني: ضوابط المعرفة، دار القلم، ١٤٠١هـ: ١٩٠.

(٢) يعرف المنهج الاستنباطي بأنه "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخدام مباديء معينة مدعمة بالأدلة الواضحة" حلمي فودة وعبدالرحمن صالح: المرشد في كتابة الأبحاث، ط: الرابعة، دار الشروق، ١٤١١هـ: ٤٢.

عند بعض الموضوعات مزيدا من البحث عن معلومات جديدة لتوضيح غامض، أو تأكيد نتيجة توصلت إليها، أو للرد على شبهة أو خطأ. كما حاولت جهدي توخي الوصول إلى الحقيقة فيما أدرسه دون ميل لعاطفة أو اتباع لهوى، وكثيرا ما قمت بمناقشة آراء بعض الكتاب والباحثين حيال بعض المواقف والأحداث مدعما تلك المناقشة بالدليل والبرهان.

مصادر البحث:

وبحكم أن موضوع البحث له أبعاد كثيرة، وله صلة وثيقة بعدد من فروع العلم وتخصصاته، لذا فقد تنوعت مصادر البحث ومراجعه. وسأورد لمحة موجزة عن أبرز تلك المصادر.

في مقدمة مصادر البحث: كتب الحديث وأهما كتب المتون كالصحيحين وكتب السنن والمسانيد وغيرها من الكتب التي جمعت متون الأحاديث النبوية. ويظهر الاعتماد على هذا النوع من المصادر في موقف العلماء من الحركات المعارضة للدولة الأموية.

كما اعتمدت على كتب الجرح والتعديل التي عنيت بمعرفة أحوال الرواة، أفدت منها في التعرف على تراجم كثير من العلماء ومكانتهم العلمية، بالإضافة إلى المعلومات التاريخية خاصة في موقف العلماء من الدعوة العباسية. ومن أبرز تلك المصادر، الجرح والتعديل للرازي، وتهذيب التهذيب لابن حجر، وتهذيب الكمال للمزي، وتذكرة الحفاظ للذهبي، ولا يفوتني الإشارة إلى استفادتي من مشروع الموسوعة الذهبية

للحديث النبوي الشريف وعلومه، الذي أعدته مؤسسة التراث على أقراص الليزر، ولكن لحظت على عملهم بعض التصحيف في متون بعض الأحاديث أو السقط في بعض النصوص.

واعتمدت على نوع آخر من المصادر مهم، يتمثل في كتب الطبقات، فقد كانت مهمة في ذكر تراجم العلماء وتحديد أقاليمهم، وذكر بعض مهامهم ومواقفهم، ويأتي في مقدمة هذا النوع من المصادر كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، حيث يتميز بتقدم عصر مؤلفه، وثقته العلمية واعتماد السند في الكتابة، بالإضافة إلى غزارة مادته العلمية. ومنها كتاب الطبقات لخليفة بن خياط، وكتاب والمعرفة والتاريخ للفسوي، وكتاب طبقات الفقهاء للشيرازي، وطبقات فقهاء اليمن للجعدي، وطبقات علماء الحديث لابن عبدالهادي وغيرها.

ولكتب تراجم الرجال العامة أهمية كبرى في تكوين مادة موضوع البحث، ومن أهمها وأغزرها مادة كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، وهو من أضخم الكتب على الإطلاق، فقد بلغ عدد مجلداته بعد الطباعة سبعين مجلدا، ولكن لم تتم طباعته إلا بعد انتهائي من مرحلة جمع المادة العلمية، وكتابة أغلب الفصول، لذا فقد جاءت استفادتي من هذا الكتاب من خلال بعض صور المخطوط منه، وبعض المجلدات المطبوعة قديما، وجاءت استفادتي منه بصورة أكبر عن طريق قراءتي لمختصر ابن منظور الذي بلغ

تسعة وعشرين مجلدا منها ثمانية مجلدات اختصرها بعض الباحثين على منهج ابن منظور، وكذلك من خلال تهذيب عبدالقادر بدران لعدد من أجزاء هذا الكتاب.

ويشكل كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي رحمه الله مصدرا غنيا لم أستغن عنه في معظم فصول الرسالة. وقد اعتمدت عليه في التعرف على أن هذا العالم أو ذاك في عداد العلماء من خلال دقته في إطلاق الأوصاف والألقاب على أصحابها. أو نسبة العالم لهذا الإقليم أو ذاك، كما هو غني بذكر مواقف العلماء الذين ترجم لهم.

وتأتي كتب العقائد كرافد مهم لمادة البحث، فقد أفدت منها في التعرف على بعض الفرق التي وقفت ضد الدولة الأموية، وموقف العلماء من تلك الفرق، ومن أهم تلك المصادر، كتاب الشريعة للآجري، وكتاب السنة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل رحمه الله، وكتاب الفرق بين الفرق للبغدادي، والملل والنحل للشهرستاني وغيرها.

وأما كتب التاريخ العامة فهي كثيرة ومتنوعة، وقد استفدت منها في التعرف على تفاصيل الأحداث وتسلسلها، وشرح المواقف وتتمة ما نقص في المصادر الأخرى، ومن أهم تلك المصادر كتاب الأمم والملوك لعمدة المؤرخين ابن جرير الطبري، وكتاب تاريخ خليفة بن خياط، وكتاب البداية

والنهاية لابن كثير، والكامل لابن الأثير، ولا يتسع المجال لذكر أهمية كل مرجع منها ومدى استفادتي منه في البحث.

وهناك العديد من المصادر في شتى المعارف والفنون ككتب اللغة، وكتب الأخلاق والفضائل، وكتب الأنساب، والمعاجم الجغرافية والمعارف العامة.

ولا يفوتني التنويه إلى استفادتي من عدد كبير من المراجع الحديثة إما بالإحالة إلى المصادر المتقدمة، أو بمناقشة أصحابها لبعض المواقف والقضايا، وهي كثيرة أثبتها في حواشي الرسالة وقائمة المصادر والمراجع. كما استفدت من عدد من الرسائل العلمية التي لبعضها صلة ببعض جزئيات الموضوع، ومنها ما هو منشور وما لم ينشر بعد.

ومن المعهود أن أي بحث كهذا البحث لابد وأن يمر صاحبه بعقبات عديدة وصعوبات كثيرة، ولكن بتوفيق الله ثم بالصبر والمثابرة لا تلبث تلك العقبات أن تتبدد شيئا فشيئا.

وفي الختام فإن الاعتراف بالفضل لأهل الفضل فضيلة، لذا فإني أتوجه بالشكر أولا وآخرا إلى العزيز الرحمن صاحب الإفضال والإنعام على خلقه، حيث وفقني لتسجيل هذا البحث، وأعانني على إتمامه على الرغم من تعدد المسؤوليات وتقلب الظروف والأحوال، فوالله لولاه ما كان لي أن أنجز ذلك، فله الحمد والمنة.

كما أتوجه بالشكر والعرفان لكل من أسهم في عوني على إنجاز هذا البحث وفي مقدمتهم أستاذي الفاضل **الدكتور سليمان بن عبدالله السويكت** المشرف على الرسالة، حيث بذل من جهده ووقته، وأبدى من التوجيهات والملحوظات العلمية ما كان له الأثر الكبير في إخراج هذه الرسالة بمستوى أرقى وأفضل، كما أتوجه بالشكر لعضوي لجنة مناقشة الرسالة الأستاذ الدكتور: **سليمان بن حمد العودة**، والأستاذ الدكتور: **عبدالعزيز الهلابي** ، فقد أفدت من ملحوظاتهما القيمة على الرسالة.

كما أشكر كل من أخذ هذا الموضوع جزءا من واجبي تجاههم من أهل وأقارب وأصحاب، فجزى الله الجميع خير الجزاء. هذا وما كان في البحث من صواب فبتوفيق الله وعونه، وما كان فيه من تقصير أو زلل فمن قبل نفسي، فأسأل الله أن يعفو عن التقصير وأن يغفر الزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفصل الأول: مداخل عامة

المدخل الأول:

* تحديد مصطلح العالم والمقصود بالعلماء في موضوع البحث.

المدخل الثاني:

* مكانة العلماء في الإسلام.

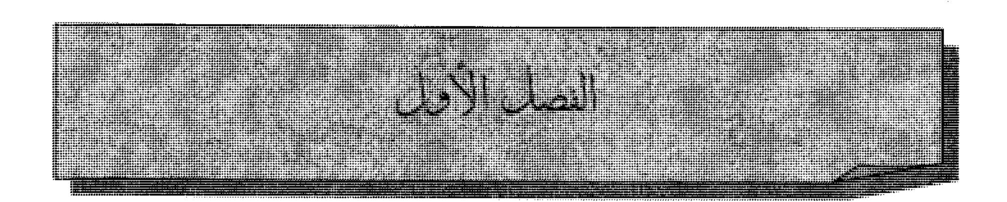
المدخل الثالث:

* نبذة مختصرة عن قيام الدولة الأموية.

المدخل الرابع:

* نبذة عن الحركة العلمية وأبرز العلماء في الدولة الأموية.





يعد هذا الفصل بمثابة التمهيد لفصول البحث التالية له، ويشمل الحديث عن بعض المداخل الممهدة لموضوع البحث، كالتعريف بمصطلح العالم، ومن المقصود بالعلماء في موضوع البحث، والتعرف على مكانة العلماء في الإسلام ـ حيث هيأت لهم هذه المكانة الفرص للتأثير في المجتمع من حولهم ـ وكذلك الوقوف على ظروف قيام الدولة الأموية حيث عصرها هو ميدان البحث. ولن يكون الحديث عن تلك الموضوعات مفصلا مسهبا، بل سيكون موجزا بالقدر الذي يؤدي الغرض، لذا فلا عجب إن قلت مادة هذا الفصل وصغر حجمه عن بقية الفصول الأخرى التي تعد موضوعاتها ومادتها الهدف الرئيس للبحث. وسيكون تناول موضوعات هذا الفصل بحسب التقسيم التالي:

المدخل الأول:

* تحديد مصطلح العالم والمقصود بالعلماء في موضوع البحث.

المدخل الثاني:

* مكانة العلماء في الإسلام.

المدخل الثالث:

* نبذة مختصرة عن قيام الدولة الأموية.

المدخل الرابع:

* نبذة عن الحركة العلمية وأبرز العلماء في الدولة الأموية.

المدخل الأول: تحديد مصطلح العالم والمقصود بالعلماء في موضوع البحث.

جاءت لفظة عالم وعلماء من العلم، والعلم في اللغة نقيض الجهل. [١] وهو إدراك الشيء بحقيقته. [٢] ويأتي العلم أيضا بمعنى المعرفة والفقه، يقال علمت الشيء أعلمه علما عرفته، وتقول علم وفقه أي: تعلم وتفقه، وعلم وفقه أي: ساد العلماء والفقهاء. [٣] ويطلق على من حاز العلم ونبغ فيه عالم وعليم والجمع علماء، ويقال علام وعلامة للمبالغة والجمع علام. [٤] وقد وردت هذه الأوصاف في وصف الله تعالى لنفسه في كتابه الكريم، كقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [٥].

(١) الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، ج ٢، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص: ٤١٨، مادة: 'علم'. ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٣١١، مادة: 'علم'.

(٢) الزبيدي: تاج العروس: ٨/ ٤٠٥، مادة: 'علم'.

(٣) ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٣١١، مادة: 'علم'.

(٤) الزبيدي: تاج العروس: ٨/ ٤٠٥. ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٣١١.

(٥) الأنعام: آية: ٧٣، ونص الآية كاملة هو ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[2].

ويجوز أن يقال للإنسان الذي علمه الله علما من العلوم عليم، كما قال يوسف عليه السلام للملك: (إني حفيظ عليم). [3]

وأطلق بعض الكتاب العلم في الاصطلاح على: (مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة، كعلم الكلام، وعلم النحو، وعلم الأرض، وعلم الكونيات، وعلم الآثار) [4]

والعلماء في كل صنف أو فن هم العالمون بأسرار ذلك الفن العارفون بمقاصده والمدركون لمعانيه وإليهم المرجع في ذلك.

والمقصود بالعلماء في موضوع البحث هم علماء الشريعة الذين ورثوا العلم الشرعي من النبي محمد ﷺ طبقة عن طبقة، وجيلا عن جيل وبلغوا عنه.

---

(١) سورة: البقرة. آية: ٢٥٦. والآية بتمامها ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(٢) سورة: التوبة. آية ٧٨.

(٣) ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٣١١. مادة: 'علم'.

(٤) أنيس: إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ط: الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٢هـ: ٢/ ٦٢. 'علم'.

فإنه إذا أطلق لفظ العلماء والعالم دون إضافة أو تخصيص انصرف المقصود إلى علماء الشريعة العارفين بالله والعالمين بأحكام دينه المبلغين عن نبيه، وهذا هو المستنبط من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح. وهو رأي معظم من تطرق لتعريف العلماء من الدارسين والباحثين في القديم والحديث. (1)

فمن نصوص الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (2) قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: "والمراد بأولي هنا علماء الكتاب والسنة وما يتوصل به إلى معرفتهما". (3) وقال ابن رجب في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (4) والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي

---

(1) الشنقيطي: سيد محمد ساداتي: العلاقة بين العلماء والناس، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، طبعته وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ص: ٣٠، وذكر في الحاشية عددا ممن قال بهذا الرأي في القديم ومنهم ابن رجب الحنبلي، وابن تيمية، والذهبي، وبعض الدارسين في العصر الحديث ومنهم ناصر العقل في كتابيه من قضايا الصحوة، والعلماء هم الدعاة، والباحث عبدالرحمن بن معلا اللويحق في كتابه قواعد في التعامل مع العلماء.

(2) سورة: آل عمران. آية ١٨.

(3) الشوكاني: محمد بن علي: فتح القدير، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ، دار الفكر، بيروت. ١/ ٣٢٥.

(4) سورة طه: آية ١١٤.

يفيض معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه، في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك في التفسير والحديث والفقه. [1]

ومن السنة ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن الرسول المصطفى ﷺ أنه قال: (**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبقى عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**). [2] فيدل سياق الحديث على أن إطلاق لفظ العلماء هنا المراد به أصحاب العلم الشرعي، فهم الذين يسألهم الناس ويفتونهم ويرشدونهم بما عندهم من العلم بأحكام الدين، وحين يفقد هؤلاء يضل الناس.

ومن أقوال السلف الصالح ما قاله الأوزاعي ـ رحمه الله ـ: (العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ، فما كان غير ذلك فليس بعلم) [3] ومن هؤلاء

---

(١) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قرأ أصله تصحيحا وتعليقا الشيخ عبدالعزيز بن باز: ١/ ١٤١.

(٢) صحيح البخاري: المكتبة الإسلامية، استانبول، ١٩٧٩م، كتاب العلم/ باب ٣٤ كيف يقبض العلم. ١/ ٣٤.

(٣) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، الجزء السابع، تحقيق علي أبوزيد، ط السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ: ١٢٠. ابن كثير: أبوالفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، ط الثانية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧م: ١٠/ ١١٧.

الإمام الآجري فقد ألف كتابا أسماه "أخلاق العلماء" وقصد بالعلماء علماء الشريعة، فقد وصف هؤلاء العلماء الذين تحدث عنهم بأوصاف لا تنطبق إلا على أهل العلم الشرعي، فمن ذلك قوله: (... **بهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح، فضلهم عظيم وخطرهم جزيل، ورثة الأنبياء وقرة عين الأولياء**...) [1].

وفي العصر الحديث يقول الشيخ صالح الفوزان في تعريفه للعلماء: **(وإنما نعني بالعلماء هنا: علماء الشريعة الذين تفقهوا في دين الله، وعرفوا أحكام الله سبحانه وتعالى على الحقيقة...)**[2].

ويقول ناصر العقل: **(فالعلماء المقصود بهم: العلماء بشرع الله، والمتفقهون في دين الله، والعاملون بعلمهم على هدى وبصيرة...)** [3].

ويقول عبدالرحمن اللويحق: **(والعلماء: العارفون بشرع الله، المتفقهون في دينه، العاملون بعلمهم على هدى وبصيرة، الذين وهبهم الله الحكمة...)** [4].

---

(١) الآجري: أبوبكر محمد بن الحسين: أخلاق العلماء، تحقيق إسماعيل بن محمد الأنصاري، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (سابقا) بالمملكة العربية السعودية. ١٣٩٨هـ ص: ١٥.

(٢) الفوزان: صالح بن فوزان: ما يجب في التعامل مع العلماء: موضوع محاضرة جمعه وطبعه بإذن المؤلف عادل الفريدان، دار النجاح، الرياض، ص:٧.

(٣) العقل: ناصر بن عبدالكريم: العلماء هم الدعاة، ط١، دار الراية، الرياض، ١٤١٢هـ، ص: ٤.

(٤) اللويحق: عبدالرحمن بن معلا: قواعد في التعامل مع العلماء، الطبعة الأولى، دار الوراق، الرياض، ١٤١٥هـ، ص:١٩.

ولا يوصف الإنسان بالعلم أو يسمى عالما إلا بعد أن يبذل الجهد والوقت في التعلم ويدرك ما تعلمه ويعيه، يقول ابن جني في ذلك: (لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابسة صار كأنه غريزة ولم يكن على أول دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلما لا عالما، فلما خرج بالغريزة إلى باب فعل صار عالم في المعنى كعليم فكسر تكسيره ثم حملوا عليه ضده فقالوا جهلاء كعلماء، وصار علماء كحلماء لأن العلم محملة لصاحبه)(١) كما اشترط بعضهم - لصحة تسمية حاملي العلم بعالم - اقتران العلم بالعمل، فقال بعضهم: (العالم الذي يعمل بما يعلم)(٢) فورد عن قتادة وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ ﴾ (٣) أي لذو عمل بعلمه. (٤) واعتمادا على ما سبق من أقوال وتعريفات للعلماء خلصت إلى أن يكون مدار هذا البحث على العلماء العالمين بشرع الله، المتفقهين في دينه والمبلغين عن رسوله، والسائرين على نهجه وسنته، العاملين بعلمهم. الذين هم في قولهم حجة، وفي عملهم

(١) ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٣١١. الزبيدي: تاج العروس: ٨/ ٤٠٥.

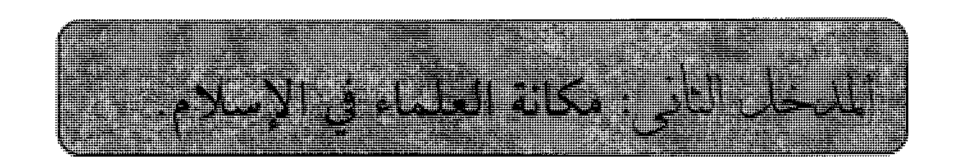
(٢) ابن منظور: لسان العرب: ١٥/ ٣١١.

(٣) سورة: يوسف. آية: ٦٨. والآية بتمامها ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع، تحقيق عبدالعزيز غنيم وآخرون، دار الشعب، القاهرة، ص: ٣٢٥.

قدوة. فخرج بذلك العلماء في الفنون الأخرى، والمنحرفون عن سنة الرسول ﷺ من أصحاب الفرق المنحرفة كالرافضة والخوارج والمشهورين بالدعوة إلى البدع والأهواء المنافية للمنهج النبوي، كغلاة أهل القدر وغلاة المرجئة ونحوهم.

****



لقد وهب الله العلماء مكانة كبيرة بين العالمين، حيث ميزهم عن سواهم، وخصهم بخصائص فريدة، وحملهم مسؤولية جسيمة، وقد بوأتهم تلك المكانة الصدارة في المجتمع المسلم، ومنحتهم زمام القيادة في تسيير عجلة الحياة في المجتمع المسلم، وجعلت الناس تبعا لهم، وتبدو هذه المكانة للعلماء من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأقوال السلف، وواقع الحياة الإسلامية. وسوف نستعرض تلك المكانة من خلال ذلك كله.

مكانة العلماء من خلال نصوص القرآن الكريم:

وردت آيات كثيرةٍ في كتاب الله الكريم توضح مكانة العلماء وشرفهم، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١) فهذه الآية من أعظم الآيات التي توضح مكانة العلماء في الإسلام وماهم فيه من منزلة عظيمة، وقد وضح الكثير من المفسرين ـ من خلال تفسيرهم

---

(١) سورة: آل عمران. آية: ١٨.

لهذه الآية ـ دلالتها على مكانة العلماء تلك. فقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ (وفي هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء.)[1]

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (...ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته، فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام)[2]

وقال الغزالي: (فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، وثنى بالملائكة، وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا)[3]

وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ في تفسيره لهذه الآية: (وفي ذلك فضيلة لأهل العلم جليلة، ومنقبة نبيلة لقرنهم باسمه واسم ملائكته.)[4] وقال الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ (هذه أجل الشهادات الصادرة من الملك العظيم، ومن الملائكة، وأهل العلم، على أجل مشهود عليه وهو توحيد

---

(١) القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥م: ٤/ ٤١.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المجلد الثاني، تحقيق عبدالعزيز غنيم وآخرون، ص: ١٨.

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ: ١/ ١٥.

(٤) فتح القدير: ١/ ٣٢٥.

الله، وقيامه بالقسط، وذلك يتضمن الشهادة على جميع الشرع وجميع أحكام الجزاء.) وقال: (وفي هذه الآية فضيلة العلم والعلماء، لأن الله خصهم بالذكر دون سائر البشر، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وجعل شهادتهم من أكبر الأدلة والبراهين على توحيده ودينه وجزائه، وأنه يجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة، وفي ضمن ذلك تعديلهم، وأن الخلق تبع لهم، وأنهم هم الأئمة المتبعون، وفي هذا من الفضل والشرف، وعلو المكانة، ما لا يقادر قدره.) (١)

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (٢) فهذه الآية بينة الدلالة على علو منزلة العلماء ومكانتهم في الإسلام، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: (مدح الله العلماء في هذه الآية، والمعنى أنه يرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في

---

(١) السعدي: عبدالرحمن بن ناصر: تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق محمد زهري النجار، المؤسسة السعدية، الرياض: ١/ ٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) سورة: المجادلة. آية: ١١.

دينهم إذا فعلوا ما أمروا به) [(١)] وقال ابن حجر في تعليقه على هذه الآية: (قيل في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على غير العالم، ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة). [(٢)]

وقال الشوكاني في تفسير هذه الآية: (أي ويرفع الله الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة) وقال أيضا: (وفي هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله) [(٣)]

وورد تأكيد هذا الشرف والرفعة للعلماء دون غيرهم في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾. [(٤)]

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١٧/ ٢٩٩.

(٢) ابن حجر: فتح الباري: ١/ ١٤١.

(٣) فتح القدير: ٥/ ١٨٩.

(٤) سورة: الزمر. آية: ٩. والآية بتمامها ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

فنفى الله سبحانه التسوية بين أهل العلم والعوام، وفي هذا الدلالة على أن للعلماء من الاعتبار في الشرع، والمنزلة بين الخلق ما ليس لغيرهم من البشر. [١] وذلك، لأنهم يمتازون عن غيرهم بميزة عظيمة، ومن يمتاز عن غيره بميزة عظيمة لا يتساوى ومن فقد هذه الميزة. [٢]

ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴾ [٣] فهذه الآية من الآيات التي تبين مكانة العلماء وفضلهم، فقد فسر بعض العلماء بأن المقصود بأولي الأمر في الآية العلماء، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (وأولي الأمر يعني: أهل الفقه في الدين.) وكذا قال مجاهد، وعطاء، والحسن البصري. [٤] ولكن رجح كثير من العلماء أن المقصود بأولي الأمر في الآية العلماء والأمراء. فقال ابن كثير (والله أعلم أن الآية عامة في جميع

(١) اللويحق: قواعد في التعامل مع العلماء: ٤٩.

(٢) الفوزان: ما يجب في التعامل مع العلماء: ٤.

(٣) سورة: النساء. آية: ٥٩.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٣٠٣. ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة وتعليق طه عبالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م: ١/ ٩، ١٠.

أولي الأمر من الأمراء والعلماء.)[1] ورجح القرطبي ذلك أيضا، واستدل على دخول العلماء في أولي الأمر بقوله: (فيدل على صحته قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ فأمر تعالى برد المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وليس لغير العلماء معرفة كيفية الرد إلى الكتاب والسنة، وقال: ويدل على هذا صحة كون سؤال العلماء واجبا، وامتثال فتواهم لازما)[2] وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: **(فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس)**[3]

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[4]

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٢٦٠.

(٣) ابن تيمية: الفتاوى، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم: ٢٨/ ١٧٠.

(٤) سورة: فاطر. آية: ٢٨.

بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية أعظم وأكثر.)[1]

وقال القرطبي: (يعني العلماء الذين يخافون قدرته، فمن علم أنه عز وجل قدير أيقن بمعاقبته على المعصية.)[2]

وقال الألوسي: (وتقديم المفعول ـ لفظ الجلالة ـ لأن المقصود بيان الخاشين والإخبار بأنهم العلماء خاصة دون غيرهم، ولو أخر لكان المقصود بيان المخشي والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره كما في قوله ﴿ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾)[3]

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4] وإن كان المقصود بأهل الذكر في هذه الآية أهل الكتاب كما ذكر بعض المفسرين[5] إلا أن في عمومها ما يشير إلى فضل أهل العلم بصفة عامة وفي مقدمتهم أهل العلم بالشريعة المطهرة، فقال الشيخ

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٦/ ٥٣٠.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ٣٤٣.

(٣) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مكتبة دار التراث، القاهرة: ٢٢/ ١٩١.

(٤) سورة: النحل. آية: ٤٣، والآية بتمامها ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وسورة: الأنبياء. آية: ٧. والآية بتمامها ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٤٩٢، ٥/ ٣٢٧. الشوكاني: فتح القدير: ٣/ ٣٩٩.

عبدالرحمن السعدي: (وعموم هذه الآية، فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم، وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأنه بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله.)[1]

والآيات في بيان فضل العلماء ومنزلتهم كثيرة لا يتسع المجال لحصرها وفيما ورد كفاية في بيان ذلك، وإلا فكل آية حث الله فيها على العلم وبين فضله ففيها إشارة إلى فضل العلماء ومنزلتهم، والآيات في هذا كثيرة جدا.[2]

مكانة العلماء من خلال نصوص السنة:

ورد في السنة الشريفة أحاديث كثيرة تبين فضل العلماء، وتوضح أهميتهم في المجتمع المسلم، وسأقتصر على جملة من تلك الأحاديث النبوية التي تدل على ذلك وتوضحه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: ٤/ ٢٠٦.

(٢) ذكر محمد منير سعد الدين في كتابه: العلماء عند المسلمين، ط١، دار المناهل، بيروت، ١٤١٢هـ ص: ١٢. أن الآيات المتعلقة بالعلم ومشتقاته تبلغ سبعمائة وثمانين آية. وذكر بعض الكتاب أن مادة 'علم' وردت في القرآن ما يقرب من سبعمائة وسبع وعشرين مرة. (الجريد: سعد بن عبدالرحمن: دوافع الاستجابة للدعوة في الكتاب والسنة، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ) غير منشورة ص: ١٣٤.

فمن تلك الأحاديث ما رواه أبو الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**) [١] قال الإمام ابن رجب في شرحه لهذا الحديث: (يعني أنهم ورثوا ما جاء به الأنبياء من العلم، فهم خلفوا الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وطاعته، والنهي عن معاصي الله والذود عن دين الله) وإذا كان العلم الذي أوحى الله به إلى الأنبياء قد ورثه العلماء فإن العلماء أيضا ورثوا شيئا من الاعتبار الشرعي للأنبياء، فالأنبياء مبلغون عن الله، والعلماء مبلغون عن الأنبياء. [٢]

وقال الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ: (إن المفتي شارع من وجه، لأن ما يبلغه من الشريعة إما منقول عن صاحبها؛ وإما مستنبط من المنقول؛

(١) الدارمي: عبدالله بن عبدالرحمن: سنن الدارمي، مراجعة فواز أحمد وخالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ: ١/ ١١٠، أبو داود: سليمان بن الأشعث الأزدي، مراجعة محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت: ٣/ ٣١٧، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم. ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، مراجعة محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت: ١/ ٨١ ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. الترمذي: محمد بن عيسى: = سنن الترمذي، مراجعة أحمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث، بيروت ٥/ ٤٨، كتاب العلم، باب فضل الفقه في العبادة.

(٢) عبدالرحمن اللويحق: قواعد في التعامل مع العلماء: ٥٤.

فالأول: يكون فيه مبلغا، والثاني: يكون فيه قائما مقامه في إنشاء الأحكام،، وإنشاء الأحكام إنما هو للشارع، فإذا كان للمجتهد إنشاء الأحكام بحسب نظره واجتهاده، فهو من هذا الوجه شارع، واجب اتباعه والعمل على وفق ما قاله، وهذه هي الخلافة على التحقيق) [١]

ومن الأحاديث النبوية التي توضح مكانة العلماء في الإسلام ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**) [٢] ففي هذا الحديث بيان لأهمية وجود العلماء في المجتمع المسلم وحاجته الماسة إليهم، وأن في فقدهم خطرا كبيرا على الأمة، فوجود الكتب السماوية، والنصوص الشرعية لا يغني عن وجود العلماء. فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**خذوا العلم قبل أن يذهب**) قالوا: وكيف يذهب العلم يا نبي الله، وفينا كتاب الله؟ قال: فغضب ـ لا

---

(١) الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة: ٤/ ٢٤٥. اللويحق: قواعد في التعامل مع العلماء: ٥٦.

(٢) صحيح البخاري: ١/ ٣٤، كتاب العلم، باب ٣٤ كيف يقبض العلم. صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٥، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه.

أغضبه الله ـ ثم قال: (**ثكلتكم أمهاتكم، أو لم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل فلم يغنيا عنهم شيئا، إن ذهاب العلم أن يذهب حملته**) [1] وقد جاء في الأثر: (لأن تموت القبيلة بأسرها أيسر من أن يموت عالم واحد) [2]

(فما دام العلماء موجودين فإن الأمة بخير، ولا يتمكن شياطين الإنس وشياطين الجن من إغواء الناس وإضلالهم، لأن العلماء يبينون للناس طريق الخير وطريق الصواب، ويحذرونهم من طريق الهلاك) [3]

وجاءت أحاديث أخرى تؤكد أهمية وجود العلماء في المجتمع وضرورته، وأنه نور يضيء الدرب للسائرين، وبه يهتدي الحائرون، وبه يكشف زيف الماكرين وضلال المبطلين، فروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**إنما مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن**

---

(١) الدارمي: سنن الدارمي، مراجعة فواز أحمد وخالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠هـ: ١/ ٨٩، المقدمة، باب في ذهاب العلم. الطبراني: المعجم الكبير، مراجعة حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل: ٨/ ٢٣٢.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين: ١/ ١٦. الفوزان: ما يجب في التعامل مع العلماء: ٨.

(٣) الفوزان: ما يجب في التعامل مع العلماء: ٧.

تضل الهداة)[1] وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (فقد شبه العلماء بالنجوم، والنجوم لها فوائد ـ ذكر الله ـ عز وجل منها في القرآن ثلاثا هي:

الفائدة الأولى: أنها علامات للناس يهتدون بها في الظلمات. يقول الله تعالى: ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[2]

الفائدة الثانية: أنها زينة السماء، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ ﴾[3]

الفائدة الثالثة: أنها رجوم للشياطين الذين يسترقون السمع، يقول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾[4]

(١) الإمام أحمد: المسند: ٣/ ١٥٧. الآجري: أبوبكر محمد بن الحسين: أخلاق العلماء، مراجعة وتعليق إسماعيل بن محمد الأنصاري، نشر رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد ـ سابقا ـ بالمملكة العربية السعودية، طبع مطابع النصر، الرياض، ١٣٩٨هـ: ٢٩. وقال عبدالرحمن اللويحق في تخريج هذا الحديث وأيا ما كان القول في إسناد الحديث فإنه صحيح المعنى. (قواعد في التعامل مع العلماء: ٦٠)

(٢) سورة: النحل. آية: ١٦.

(٣) سورة: الملك. آية: ٥.

(٤) سورة: الملك. آية: ٥. والآية بتمامها ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾

والعلماء تجتمع فيهم هذه الأوصاف، فهم: الهداة الذين يهتدي بهم الناس في الظلمات حيث يشتبه الحق بالباطل، وهم زينة هذه الدنيا. وهم رجوم للشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل، ويدخلون في الدين ما ليس فيه من البدع والأهواء والضلالات) [1]

مكانة العلماء من خلال بعض أقوال السلف:

بين العلماء من السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ ما للعلماء من مكانة في المجتمع المسلم في هذه الحياة، وجاء بعض هذه الأقوال كشروح وتعليقات على بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة، وبعضها قالها أصحابها ابتداء، ويطول المقام عند الاستطراد في ذكر تلك الآثار الواردة عن العلماء في ذلك، ولكن سأذكر طرفا منها يغني عن ذكرها كلها، فمن ذلك: ما روي عن أبي الدرداء ﵁ أنه قال: (مثل العلماء في الناس كمثل النجوم في السماء يهتدى بها). وعن ابن مسعود ﵁ قال: (هل تدرون كيف ينقص الإسلام؟ قالوا: كيف؟ قال: كما ينقص الدابة سمنها، وكما ينقص الثوب من طول اللبس، وكما ينقص الدرهم عن طول الخبت، وقد يكون في القبيلة عالمان فيموت أحدهما فيذهب نصف

---

(١) اللويحق: قواعد في التعامل مع العلماء: ٦١.

علمهم، ويموت الآخر فيذهب علمهم كله). وروي عن معاذ بن جبل ﷺ قال في معرض حثه على العلم: (... ويرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخلق قادة يقتدى بهم، وأئمة في الخلق تقتص آثارهم، وينتهي إلى رأيهم...) (١)

وعن عبدالله بن عباس ﷺ قال: (لا يزال عالم يموت، وأثر للحق يدرس، حتى يكثر أهل الجهل، وقد ذهب أهل العلم فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل) (٢)

وسئل سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ ما علامة هلاك الناس؟ فقال: (إذا هلك علماؤهم) (٣) وعن ميمون بن مهران ـ رحمه الله ـ قال: (إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد) (٤)

(١) عن هذه الأقوال أنظر: الآجري: أخلاق العلماء: ٢٩، ٣٤، ٣٣.

(٢) ابن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله، قدم له عبدالكريم الخطيب، دار زمزم، الرياض: ٢٤٣. اللويحق: قواعد التعامل مع العلماء: ٥٩.

(٣) الدارمي: سنن الدارمي: ١/ ٩٠. المقدمة: باب في ذهاب العلم. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٦٢. الأصبهاني: حلية الأولياء: ٤/ ٢٧٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٢٦.

(٤) ابن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله: ٩٣.

وعن ابن عيينة قال: (بكى ربيعة الرأي يوما فقيل: ما يبكيك؟ قال: رياء حاضر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كصبيان في حجور أمهاتهم، إن أمروهم ائتمروا، وإن نهوهم انتهوا؟!) [1]

وقال محمد بن حسين الآجري ـ رحمه الله ـ: (... هكذا العلماء في الناس. لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض ولا كيف اجتناب المحارم، ولا كيف يعبد الله في جميع ما يعبده به خلقه إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء تحير الناس ودرس العلم بموتهم، وظهر الجهل فإنا لله وإنا إليه راجعون! مصيبة ما أعظمها على المسلمين.) [2]

وقال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ (الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة...) [3]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٩٠

(٢) أخلاق العلماء: ٣٠، ٣١.

(٣) ابن القيم: إعلام الموقعين: ١/ ٩.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن فقهاء الإسلام (... فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [1] ثم ذكر من قال بأن المراد بأولي الأمر هم العلماء.) [2]

وقال عبدالله بن محيريز ـ رحمه الله ـ: موضحا أهمية وجود العلماء في المجتمع حين قال عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (والله إن كنت أعد بقاء ابن عمر أمانا لأهل الأرض.) [3] وقيل في ابن محيريز قريبا من هذا القول فقال الأوزاعي: (من كان مقتديا فاليقتد بمثل ابن محيريز، إن الله لم

---

(١) سورة: النساء. آية: ٥٩.

(٢) إعلام الموقعين: ١/ ٩، ١٠.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٣١.

يكن ليضل أمة فيها ابن محيريز.)[1] وقال رجاء بن حيوة ـ رحمه الله ـ: (بقاء ابن محيريز أمان للناس)[2]

وقال محمد الموصلي[3] في معرض حديثه عن الطرق إلى العدل: (وجملة القول فيه: أن يجمع السلطان إلى نفسه حملة العلم الذين هم حفاظه ورعاته وفقهاؤه، فهم الأدلاء على الله والقائمون بأمر الله والحافظون لحدود الله، والناصحون لعباد الله.)

ونختم أقوال السلف في بيان مكانة العلماء بأبيات من الشعر ذكرها ابن عبدالبر لبعض الأدباء[4] وهي:

رأيت العلم صاحبه شريف ... وإن ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه إلى أن ... يعظم قدره القوم الكرام
ويتبعونه في كل أمرٍ ... كراع الضأن تتبعه السوام
ويحمل قوله في كل أفق ... ومن يك عالما فهو الإمام
ولولا العلم ما سعدت نفوس ... ولا عرف الحلال ولا الحرام

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٩٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٩٦.

(٣) الموصلي: محمد بن محمد بن عبدالكريم: حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، دراسة وتحقيق، فؤاد عبدالمنعم أحمد، ط١، دار الوطن، ١٤١٦هـ، ص: ٧١.

(٤) مختصر جامع بيان العلم وفضله، اختصره وخرج آثاره وعلق عليه أبو عبدالرحمن محمود: ٢٩.

واستجابة لتلك النصوص والآثار السابقة ـ في بيان مكانة العلماء في المجتمع المسلم ـ أدرك العلماء أنفسهم ثقل هذه الأمانة الملقاة على عاتقهم، فاجتهد جمهورهم أن لا يضيعوا هذه المسؤولية الملقاة على عواتقهم تجاه الإسلام والمسلمين، فحرصوا على بيان حقيقة الإسلام وشرائعه للعامة، والصدع بالحق وتقديم النصح لدى الخاصة، والتعاون معهم فيما ما من شأنه خدمة الإسلام ونفع المسلمين. وهذا سيتضح من خلال مادة فصول الموضوع اللاحقة.

كما بادر المسلمون خاصتهم وعامتهم في امتثال تلك النصوص بتحقيق مظاهر تلك المكانة للعلماء في واقعهم، فقرب كثير من ولاة المسلمين العلماء وجعلوهم محل نصحهم، واستشاروهم في عظائم الأمور ومعضلات المشكلات، وحرصوا على تقليدهم بعض أعمالهم كما سيتضح ذلك في الفصل الثاني.

ونذكر هنا مثالا يوضح نظرة بعض خلفاء بني أمية وولاتهم لمكانة العلماء، فحين توفي ابن لعتبة بن أبي سفيان وجاء ناس إلى معاوية يعزونه فيه قال: (إن موت غلام من آل أبي سفيان قبضه الله، ليس بمصيبة، إنما المصيبة كل المصيبة لموت أبي مسلم الخولاني [1] وكريب بن سيف

(١) أنظر ترجمته في ملحق التراجم.

الأنصاري) [1] وروي عن زياد بن أبيه أنه لما ولي العراق صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني قدر رأيت خلالا ثلاثا نبذت إليكم فيهن النصيحة: رأيت إعظام ذوي الشرف، وإجلال أهل العلم، وتوقير ذوي الأسنان. وإني أعاهد الله عهدا لا يأتيني شريف بوضيع لم يعرف له حق شرفه إلا عاقبته، ولا يأتيني كهل بحدث لم يعرف له حق فضل سنه على حداثته إلا عاقبته، ولا يأتيني عالم بجاهل لاحاه [2] في علمه ليهجنه عليه [3] إلا عاقبته. فإنما الناس بأشرافهم وعلمائهم وذوي أسنانهم. [4]

وأما عامة المسلمين فقد تبوأ العلماء في قلوبهم مكانة عظيمة، فأصبحوا محل إجلالهم وموضع ثقتهم واحترامهم، فبأفعالهم يقتدون،

---

(١) أبو زرعة الدمشقي: تاريخ أبي زرعة، دراسة وتحقيق شكرالله القوجاني، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق: ١/ ٢٢٧. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، من عبادة ابن أوفى إلى عبدالله بن ثوب، تحقيق شكري فيصل وآخرون، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار الفكر: ٥٢٤، ٥٢٥. ولم أقف على ترجمة كريب بن سيف إلا أن أبا زرعة الدمشقي ذكر أن عمر بن الخطاب t استعمله على قضاء الأردن. (تاريخ أبي زرعة: ١/ ٢٢٧، ٦٩١)

(١) لاحاه ملاحاة ولحاء: نازعه. الفيروزآبادي: القاموس المحيط: 'مادة لحى'.

(٣) التهجين: التقبيح، وأنا أستهجن فعلك، وهذا مما يستهجن. الفيروزآبادي: القاموس المحيط: مادة: "هجن".

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٩/ ٨٣.

ولأقوالهم يسمعون، وإذا نزلت بهم الخطوب وحلت بهم الفتن فبآرائهم يستنيرون، وعن رأيهم يصدرون. فلما وقعت الفتنة بعد وفاة يزيد بن معاوية وافترقت الأمة قال الناس في الشام نقتدي بهؤلاء الثلاثة: بربيعة بن عمرو الجرشي، ويزيد بن نمران الذماري، ويزيد بن الأسود الجرشي [1]، وهم من علماء الأمة وعبادها. [2] وأما في البصرة فحين اختلف الناس بينهم وتداعت القبائل والعشائر أجمع الناس أمرهم فولوا عبدالله بن الحارث بن نوفل [3] فقد كان له رضا في العامة. [4] وفي الحجاز كان عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ محط أنظار الناس يسألونه ويستأنسون برأيه في الفتنة.

ويجدر أن نختم هذا المبحث بكلام نفيس للماوردي ـ رحمه الله ـ [5] في بيان وجوب تقدير العلماء وإنزالهم منزلتهم، وبيان الأثر السيء على

---

(١) ترجمة هؤلاء العلماء في ملحق التراجم

(٢) أنظر الخبر في تاريخ أبي زرعة الدمشقي، دراسة وتحقيق شكرالله القوجاني، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق: ١/ ٢٣٤، ٢٣٥. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١١/ ٣٦٥.

(٣) أنظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٥. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٥/ ٥٩.

(٥) أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي: درر السلوك في سياسة الملوك: تحقيق ودراسة، فؤاد عبدالمنعم أحمد، ط:١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٧هـ، ص:١١٩-١٢١.

المجتمع حين تنتقص مكانة العلماء، فقد قال تحت عنوان (رعاية العلم ومراعاة العلماء): فأم العلم فينبغي للملك أن يعرف فضله، ويستبطن أهله، ليكون بالعلم موسوما، وإليه منسوبا)...إلى أن قال (...وإن علموا ما ينتشر من الفساد العظيم بإهمال العلماء، وترك مراعاتهم، وذلك أنه ربما بعث بعضهم قلة المادة وضعف الحال على مسامحة النفس في التبذل، وارتكاب الشبه في التكسب، فإذا وافق ذلك إعراض السلطان عنهم قبحت آثارهم عند العامة، وتقاصرت رتبهم عند الخاصة، فهجروا هجر الأعداء، وزجروا زجر السفهاء، ثم سرا ذلك في خواصهم ومتصونيهم، وعم في جنسهم ومتدينهم، فذهبت بهجة العلم وبهائه، وقل طلابه وعلماءه، وصار ذريعة إلى انقراضه ودراسته.

ثم لا يبعد أن يظهر أهل نحل مبتدعة، ومذاهب مخترعة، يزوقون كلاما مموها، ويزخرفون مذهبا مشوها، يخلبون به قلوب الأغمار، ويعتضدون على نصرته بالسفلة الأشرار، فيصب الناس إليهم وينعطفوا عليهم، بخلابة كلامهم، وحسن ألطافهم، مع أن لكل جديد لذة، ولكل مستحدث صبوة، وقال النبي ﷺ: **(إن أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان)** [1] فتصير حينئذ البدع فاشية، ومذاهب الحق واهية، ثم يفضي بهم الأمر إلى التحزب والعصبة، فإذا رأوا كثرة جمعهم، وقوة

(١) عن عمر بن الخطاب t مرفوعا. مسند الإمام أحمد: ١/ ٢٢.

شوكتهم، داخلهم عز القوة، ونخوة الكثرة، فتضافر جهال نساكهم، وفسقة علمائهم بالميل على مخالفيهم، فإذا استتب لهم ذلك، زاحموا السلطان في رئاسته، وقبحوا عند العامة جميل سيرته، فربما انفتق ما لا يرتق، فإن كبار الأمر تبدو صغارا.) ثم ختم الماوردي كلامه بقوله: (وهذا أمر يجب على الملك مراعاته، لما فيه من حراسة الدين وحفظ المملكة، وحسم ذلك أن يراعي العلم وأهله، ويصرف إليهم حظا من عنايته، ويعتمد على أهل الكفاءة منهم بالتقريب والصيانة، وأهل الحاجة منهم بالرفد والإعانة، ففي ذلك بهاء الملك وإعزاز الدين.) فانظر إلى دقة إدارك الماوردي وعظيم فقهه إلى مكانة العلماء وما لها من أثر على المجتمع المسلم خاصتهم وعامتهم. وليس مثل هذا الكلام بغريب على الماوردي. وهو الذي أوقف نفسه وكرس جهده لخدمة علم السياسة الشرعية، فقد ألف في ذلك كتبا منها ما نقلت منه هذا النص السابق (درر السلوك في سياسة الملوك) وكتابه (الأحكام السلطانية والولايات الدينية).

****

المدخل الثالث: نبذة عن قيام الدولة الأموية.

إن الحديث عن قيام أي دولة من الدول يتطلب معرفة الظروف التي مهدت لنشأتها، والعوامل التي ساعدت على قيامها. والحديث عن ظروف نشأة الدولة الأموية والعوامل المساعدة على قيامها ينصب بالضرورة على شخص مؤسسها معاوية بن أبي سفيان ﵁ وجهوده. فمن جهوده الكبيرة تشكلت تلك الظروف، وفي شخصه ـ وما يتمتع به من صفات فذة وحنكة نادرة ـ تكمن تلك العوامل. ذلك بأنه حكم أميرا على جزء مهم من الدولة الإسلامية ـ وهو الشام والجزيرة الفراتية وثغورهما ـ ما يقرب من عشرين عاما من عهد الخلافة الراشدة. وفي تلك المدة الطويلة في الإمارة ومن خلال جهوده الكبيرة، استطاع ﵁ أن يهيأ الظروف ويستحث العوامل لقيام الدولة الأموية، وكل ذلك بتوفيق الله وتيسره، وهذا من شأنه أن يقلل من الهجوم المشين على الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﵁ والذي ينتهجه كثير من دارسي التاريخ الإسلامي، حيث يتهمونه بأنه الذي هيأ الظروف لقيام دولة بني أمية بتقريبه لبني قومه

واستعماله لهم.[1] فلو كان الأمر كما ذكر لكان مروان بن الحكم ـ وهو أقرب الناس لعثمان والغالب على أمر عثمان في المدينة ـ أولى بالأمر من معاوية، ولو لم يكن معاوية ﷺ على ما كان عليه من الصفات الحميدة، وحسن السيرة والسياسة لما كان مؤهلا لأن يؤسس دولة بني أمية. وتجلية للأمر سنستعرض مكانة معاوية وجهوده خلال إمارته في عهد الخلافة الراشدة، وما لذلك من أثر في قيام الدولة الأموية.

كان لمعاوية ﷺ مكانة عند رسول الله ﷺ كبيرة، فهو أخو أم المؤمنين حبيبة، وكاتب وحيه، وأحد أصحابه. ولكن تلك المكانة لم تكن كافية لمعاوية ليصل إلى ما وصل إليه، إذ هناك من الصحابة من هو أعظم مكانة، وأرفع منزلة عند رسول الله ﷺ منه. ولكن معاوية جمع مع مكانته تلك عددا من الصفات أهلته إلى ما وصل إليه.

وقد كان كثير ممن حول معاوية يدرك تلك الصفات ويلمحها فيه منذ صغره، لذا توقع له ذوو التفرس في صفات الرجال وأخلاقهم نيل الشرف والسيادة. فهذا والده أبو سفيان ينظر إليه وهو يحبو فيقول لوالدته: (إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه) فقالت هند: (قومه

(١) انظر: نبيه عاقل: تاريخ خلافة بني أمية، ط٤، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ: ٥-٧.

فقط! ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة) [(١)] وعن أبان بن عثمان قال: (كان معاوية يمشي مع أمه هند، فعثر، فقالت: قم لا رفعك الله، وأعرابي ينظر، فقال: لما تقولين له؟ فوالله إني لأظنه سيسود قومه.) قالت: (لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه.) [(٢)]

وقد بدا نجم معاوية في الظهور في ميدان العمل السياسي والإداري في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ فقد ولاه فتح قيسارية [(٣)] سنة خمس عشرة للهجرة [(٤)] وجاء في كتاب توليته له: (أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير) [(٥)].

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤/ ٤٠٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١١٨.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٢١. وانظر: ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤م، ٤٠٢.

(٣) قيسارية: بلد على ساحل الشام، تعد في أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. (ياقوت: معجم البلدان: ٤/ ٤٢١)

(٤) اختلف في سنة فتح قيسارية، فقيل سنة خمس عشرة، وقيل سبع عشرة، وقيل تسع عشرة، ولعل مرد ذلك الاختلاف يرجع إلى أنها ربما فتحت أكثر من مرة بسبب انتقاض أهلها بعد الفتح، وهذا حدث كثير في فتح كثير من المدن والثغور.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٦٠٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٥٣، ٥٤.

كانت هذه المهمة الجسيمة أول اختبار لقدرات معاوية في ميدان ا لواقع، فقد استطاع تجاوز هذا الاختبار بكل نجاح، فقد سار إلى قيسارية بجنوده الذين أعدهم له أخوه يزيد بن أبي سفيان ـ أحد ولاة الشام لعمر رضي الله عنه وكانت تلك المدينة محصنة وبأس أهلها شديد، فحاصرها معاوية طويلا وزاحف أهلها مرات عديدة، فلم ييأس معاوية فصمم على فتحها، واجتهد في القتال حتى فتح الله على يديه، وكان فتحه كبيرا، فقد قتل من أهلها من يقرب من مائة ألف. وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١)

لقد أثبت معاوية ـ بعد توفيق الله ـ بهذا الفتح جدارته وحسن قيادته، فأكسبه ذلك ثقة الجميع، فأسند له أخوه يزيد ـ أمير دمشق ـ مهمة فتح سواحل دمشق، وقد أبلى في ذلك بلاء حسنا، فيذكر البلاذري (٢) مؤكدا ذلك بقوله (...فكان يقيم على الحصن اليومين والأيام اليسيرة فربما قوتل قتالا غير شديد، وربما رمى ففتحها، وكان المسلمون كلما فتحوا

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٥٤.

(٢) البلاذري: أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص: ١٣٤. روى البلاذري هذا الخبر عن أبي حفص الشامي عن سعيد عن الوضين.

مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج لها إليه من المسلمين، فإن حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سربوا إليها الأمداد).

وفي سنة سبع عشرة للهجرة أتيحت الفرصة لمعاوية ليدخل ميدان الإدارة حيث ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولاية الأردن.[1]

وفي سنة ثمان عشرة للهجرة تهيأت الأسباب بشكل أكبر ليعلو ذكره وتبرز مكانته، ليس في ميدان القيادة العسكرية فحسب، بل وفي ميدان القيادة الإدارية كذلك. فقد توفي في هذه السنة أخوه يزيد رضي الله عنه في طاعون عمواس، فولاه عمر عمل أخيه ـ دمشق وبعلبك والبلقاء ـ[2] وقد كان لعمل عمر هذا أكبر الأثر على نفسية والد معاوية ووالدته، فحين عزا عمر أبا سفيان في وفاة ابنه يزيد، قال: (يا أمير المؤمنين من وليت مكانه؟ قال: أخوه معاوية. قال: وصلت رحما يا أمير المؤمنين). وكتب أبو سفيان لمعاوية ينصحه في بداية عمله هذا فمما قال: (يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا، فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله ﷺ وقصر بين تأخيرنا، فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعا، وقد ولوك

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٦٧. العقيلي: عمر سليمان: خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ط١، ١٤٠٤هـ، ص: ١٧، ١٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٠٦. خليفة بن خياط: تاريخه: ١٥٥.

جسيما من أمورهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك) وكذلك كتبت له والدته هند بنت عتبة تقول: (والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت) [1]

وكأن بعض الناس ـ لا سيما شيوخهم ـ استغربوا تولية عمر ﷺ لمعاوية مع حداثة سنه ووجود من هو أكبر منه وأفضل. لذا سوغ عمر ﷺ عمله هذا ـ حين قالوا: ولى حدث السن ـ بقوله: تلومونني في ولايته، وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به) [2] وكان عمر رضي الله عنه ـ وهو الخبير بمعادن الرجال ـ يدرك أكثر من غيره ما يتمتع به معاوية من صفات تؤهله للقيادة، فحين قدم عمر الشام وافاه معاوية بموكب عظيم أنكره عليه عمر فقال: (أنت صاحب الموكب العظيم؟ قال: نعم. قال: مع ما بلغني عنك من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك. قال: هو ما بلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافيا إلى بلاد الحجاز. قال: يا أمير المؤمنين إنا

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١١٨.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٢٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٢٢. والحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند: ٤/ ٢١٦. الترمذي في سنده: ٥/ ٦٧٨. الطبري: المعجم الأوسط: ١/ ٣٨٠. وقال الألباني حديث صحيح: سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤/ ٦١٥ حديث رقم: ١٩٦٩.

بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال له عمر: يا معاوية ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلت حقا إنه لرأي أريب، ولئن كان باطلا إنه لخدعة أديب. قال: فمرني يا أمير المؤمنين بما شئت. قال: لا آمرك ولا أنهاك. فقيل: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عن ما أوردته فيه. قال: لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه.) (١)

واستهل معاوية عمله بعد وفاة أخيه بنشاط كبير في أمر الفتح وتثبيت أقدام المسلمين في الشام، فكتب بعد وفاة أخيه يزيد إلى عمر يصف له حال السواحل، فكتب إليه عمر في مرمة حصونها وترتيب المقاتلة فيها، وإقامة الحرس على مناظرها، واتخاذ المواقيت لها. (٢)

كما كتب له عمر بتتبع ما بقي من فلسطين ففتح عسقلان صلحا بعد كيد، وأسكنها الروابط ووكل بها الحفظة. (٣) وأمضى معاوية كثيرا من وقته في خلافة عمر في غزو الروم فخرج على رأس الصائفة في سنة واحد

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٣٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٢٤، ١٢٥.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٣٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٢٤، ١٢٥.

(٣) المصدر السابق نفسه: ١٤٨.

وعشرين واثنتين وعشرين. [1] وكذلك سنة ثلاث وعشرين وكان تحت قيادته جملة من الصحابة. [2] ويقول منير الغضبان [3] موضحا جهود معاوية تلك وما لها من أثر كبير: (وجد معاوية في امتطاء الخيل وركوب المخاطر، وساق الجيوش في غزو الصائفة عام اثنتين وعشرين، وكذا في عام ثلاث وعشرين، وانضوى تحت لواء الجهاد الذي رفعه جملة من سادة الصحابة، فهذا عبادة بن الصامت، وهذا أبو ذر الغفاري، وذاك شداد بن أوس في جملة من صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم، وكلهم اتجهوا إلى أرض الروم فتحا وجهادا في سبيل الله، وتنساح الأرض أمامهم، يتقدمون ويتوغلون في موعود الله في الأرض التي وعدهم إياها حتى طرقوا أبواب عمورية، ثم عادوا بالفتح والنصر والخير، وأخذ المال يتدفق على المسلمين، وشعر المسلمون في الشام بأن فضلا عميما من الله قد أصابهم، فالانتصارات تتوالى على الثغور، والمال قد أصبح وفيرا في أيديهم، وأميرهم معاوية خير الأمراء شجاعة، وسياسة وكرما وحلما.)

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ١٤٤، ١٦٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٢٤١.

(٣) الغضبان منير محمد: معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ، ص: ٧٦، ٧٧.

وفي عهد عثمان تبوأ معاوية منزلة كبيرة حتى غدا أعظم وال في الدولة الإسلامية، فقد توسعت حدود إمارته حيث جمع له عثمان رضي الله عنه الشام كلها [1] وضم له مع الشام إقليم الجزيرة الفراتية وثغورهما. [2]

لقد كان معاوية رضي الله عنه على قدر تلك المسؤولية الضخمة التي ألقاها عثمان بن عفان رضي الله عنه على عاتقه، بل كان معاوية أكبر من تلك المسؤولية، فقد واجهها بعزم وحزم، وتلقاها بهمة ونشاط لا ينقطع، حتى استطاع أن يجعل من إقليم الشام والجزيرة الفراتية مركز ثقل في الدولة الإسلامية، وموطنا للاستقرار وبلدا للرخاء، وسنستعرض أهم الخطوات والجهود التي بذلها لتحقيق ذلك.

كانت الشام لا تزال مهددة بخطر الروم الذين لم ييأسوا في صراعهم مع المسلمين، وظلوا ينتهزون سوانح الفرص للهجوم على المسلمين، وحدث ذلك بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث استغل الروم الفرصة

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٠٦. أبو زرعة: تاريخه: ١/ ١٨٣. وهناك من يرى أن عمر بن الخطاب جمع لمعاوية الشام فأقره عثمان على ذلك (خليفة بن خياط: تاريخه: ١٥٥.) ولكن الراجح أن عثمان هو الذي جمع لمعاوية الشام. (الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٣٥. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٢٤)

(٢) البلاذري: فتوح البلدان: ١٨٧، ١٨٨.

وقاموا بهجوم كبير على المسلمين سنة أربع وعشرين للهجرة. [1] ولكن معاوية يمتاز بالحيطة والحذر، لذا أخذ الأمر أهبته، إذ أخبر أمير المؤمنين بالمدينة بالأمر قبل أن يستفحل. [2] وانتهى هذا الخطر حيث وجه عثمان أمره إلى واليه على الكوفة - الوليد بن عقبة - [3] بأن يمد معاوية وأهل الشام بمدد من أهل الكوفة، فلما اجتمعت الجيوش الإسلامية قادها حبيب بن مسلمة الفهري [4] والتقى بجموع الروم وهزمهم وزال الخطر عن أهل الشام [5]

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٢٤٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ١٥٠.

(٢) الغضبان: معاوية بن أبي سفيان: ٨١.

(٣) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي له صحبة قليلة، ورواية يسيرة، وهو أخ أمير المؤمنين عثمان بن عفان t من مسلمة الفتح، بعثه عمر بن الخطاب على صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة، فلما استشهد عثمان اعتزل عليا ومعاوية ولم يحارب مع أحدهما وبقي معتزلا حتى مات بالرقة. انظر ترجمته في: ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٦/ ٣٣٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤١٢.

(٤) هو الصحابي الجليل حبيب بن مسلمة بن مالك القرشي الفهري، له صحبة ورواية يسيرة، جاهد في خلافة أبي بكر، وشهد اليرموك أميرا، وشهد صفين مع معاوية، وكان يقال له حبيب الروم لكثرة غزوه لهم، ولي أرمينة لمعاوية، ومات بها سنة ٤٢ هـ. انظر ترجمته في: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٠٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٨٨.

(٥) للنظر في تفاصيل القتال انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٢٤٧، ٢٤٨. ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ١٥٠.

ولعل معاوية رضي الله عنه أدرك بأن إزالة خطر الروم وتهديدهم للمسلمين لا يتم إلا بمواصلة غزو الروم وتنشيط حركة الجهاد بشكل مستمر في الثغور الشامية والجزرية [1]، وشحنهما بالمرابطين وتعدها على الدوام. وقد أخذ منه ذلك وقتا طويلا، وبذل فيه جهدا كبيرا خلال ولايته تلك في عهد عثمان رضي الله عنه.

ففي سنة خمس وعشرين للهجرة قام معاوية بجولة عسكرية على الثغور الشامية، (فوجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرسوس خالية فوقف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقنسرين حتى انصرف من غزاته، ثم أغزى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحر العبسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك، وكانت الولاة تفعله) [2] وفي سنة إحدى وثلاثين غزا من ناحية

(١) الثغور الشامية والجزرية هي شريط طويل من القلاع والحصون يمتد على الحدود الشمالية للدولة الإسلامية مع الدولة البيزنطية، ويبدأ هذا الشريط من ملطية على الفرات الأعلى إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط. وينقسم خط هذه القلاع إلى مجموعتين: إحداهما تسمى ب (الثغور الجزرية) وهي تمثل الجزء الشمالي الشرقي من هذا الخط، ومن أهم ثغور هذا القسم (ملطية، وزبطرة، وحصن منصور، والحدث، ومرعش، وشمشاط) والمجموعة الثانية تسمى ب (الثغور الشامية) وهي تمثل الجزء الجنوبي الغربي من ذلك الخط، وأهم ثغور ذلك القسم (عين زربة، وأذنة، وطرسوس، وهرقلة) ويفصل بين المجموعتين فاصل طبيعي هو جبل اللكام. (انظر: إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية) للمؤلف رسالة ماجستير غير منشورة. ص: ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان: ١٦٩.

المصيصة فبلغ درولية [١] فلما خرج جعل لا يمر بحصن فيما بينه وبين أنطاكية إلا هدمه. [٢]

وكذلك الشأن في الثغور الجذرية فقد أولاها عنايته، فقد وجه في الأيام الأولى لولايته تلك، كلا من حبيب بن مسلمة الفهري وصفوان بن المعطل السلمي إلى شمشاط ففتحاها. كما وجه حبيب بن مسلمة إلى إعادة فتح ملطية بعد أن انتقضت، ففتحها عنوة، ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها. كما قام معاوية بنفسه بعد ذلك بحملة أخرى يريد التوغل في أرض الروم فقدم على ملطية فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما، وذلك لكي تكون طريقا آمنا لحملات الصوائف. كما غزا حصن المرأة من الثغور الجزرية في السنة نفسها. [٣] وكان يتعهد حصن الحدث، وبنى مدينة مرعش وأسكنها الجند. وكل هذه المدن والحصون من الثغور الجزرية. [٤]

---

(١) المصيصة ودرولية من الثغور الشامية.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان: ١٦٩.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه: ١٦٧. البلاذري: فتوح البلدان: ١٨٩.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان: ١٨٧-١٩٦.

ولما اطمأن معاوية إلى قوة جانبه بعد تلك الإجراءات أخذ يغزو في عمق الأراضي الرومية، فقد قاد بنفسه غزوة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة توغل فيها بجيشه حتى وصل مضيق القسطنطينية.[1]

وتقدم معاوية خطوة أخرى عظيمة في مجال تأمين الحدود الإسلامية مع الروم، وذلك من ناحية البحر، حيث فتح جزيرة قبرص سنة ثمان وعشرين للهجرة[2] وكان من ضمن شروط صلحه مع أهلها ـ غير دفع الجزية للمسلمين ـ أن على أهل قبرص أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم.[3] ومن هذا يتضح حرص معاوية ﵁ على قطع الطرق على الروم من كل جهة، كما يظهر جانب الحيطة والحذر منه في حربه معهم، كل ذلك مقرونا بتعزيز جانب المسلمين وتقوية شوكتهم. وهذا كله جعل الجانب الإسلامي يتفوق على جانب الروم في ولاية معاوية للشام والجزيرة.

من كل ما سبق نجد أن معاوية بجهوده الحربية ضد الروم قد جعل الشام وأهله يعيشون في حالة من العزة، ويشعرون بالقوة أمام أعدائهم،

(١) خليفة بن خياط: تاريخه: ١٦٧. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٣٠٤.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ١٦٠. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٢٥٨.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٢٦٢.

كما أشغلهم بهذه الغزوات عما قد يتسبب فيه الفراغ من حدوث تصدع داخلي نتيجة القيل والقال، والاستماع للوشايات والإشاعات من أصحاب الأهواء والإفساد كما حدث في بعض الأقاليم.

وهناك جانب آخر سلكه معاوية ﷺ خلال ولايته على الشام أسهم في استقرار الأحوال في الشام، وهو سعيه إلى توطين القبائل العربية المهاجرة، بأن أسكنهم في الأراضي التي لا حق لأحد فيها وأذن لهم في اعتمارها. [1] وهو بهذا أسهم في سد احتمالات حدوث الاحتكاك بين القبائل بسبب نزول بعضها في أماكن بعض، كما وفر لتلك القبائل النازحة سبل العيش باعتمارهم لتلك الأراضي التي منحهم إياها.

وإذا كان معاوية ﷺ قد ضبط حدود إقليمه مع الروم بالغزو والحيطة والحذر ،فإنه قد ضبط أموره الداخلية بحسن السياسة والرعاية لرعيته ،فقد وهب الله معاوية من الصفات ما جعله يمتلك قلوب رعيته ويملؤها بحبه ويدعوها لطاعته والرضا عنه ،فقد كان ﷺ حليما رحب الصدر، وجوادا كريم، يعرف كيف يمتص غضب خصومه . وشهد له بذلك خلق كثير ممن عاصره أو جاء بعده . فعن ابن عباس ﷺ قال :(ما رأيت أحدا أخلق للملك من معاوية ،إن كان ليرد الناس منه على أرجاء

(١)البلاذري: فتوح البلدان: ١٨٢. العقيلي: خلافة معاوية بن أبي سفيان: ٢١.

واد رحب) [(١)] وقال قبيصة ابن جابر [(٢)] :(ما رأيت أحدا أعظم حلما ، ولا أكثر سؤددا ،ولا أبعد أناة ،ولا ألين مخرجا ،ولا أرحب باعا بالمعروف ، ولا أشبه سريرة بعلانية من معاوية) [(٣)] وقال عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما رأيت أحدا أسود من معاوية.) [(٤)] وأكد كثير من المؤرخين أنه كان لتلك الصفات ـ التي تحلى بها معاوية ـ أثر في تمكنه من ضبط أموره . ومنهم الذهبي ـ رحمه الله ـ ففي ترجمته لمعاوية وعند ذكره لتولية عمر له وإقرار عثمان له قال معلقا :(قلت :حسبك بمن يؤمره عمر ،ثم عثمان على إقليم ـ وهو ثغر ـ فيضبطه ،ويقوم به أتم قيام ،ويرضى الناس بسخائه وحلمه ،وإن كان بعضهم تألم مرة منه ،وكذلك فليكن الملك . وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرا منه بكثير وأفضل وأصلح ،فهذا الرجل ساد ،وساس العالم بكمال عقله ،وفرط حلمه ،وسعة نفسه ،وقوة

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ٥٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٥٣.

(٢) هو قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك الأسدي، شهد خطبة عمر بالجابية، معدود في الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة، وشهد الجمل مع علي، وهو أخو معاوية من الرضاعة، قيل مات سنة ٦٩هـ. انظر ترجمته في: ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢١/ ٦١. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨/ ٣٤٤.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ٥٦.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٥٢. وأسود من السيادة.

دهائه ،ورأيه..)[(١)] وعن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد المقري عن معاوية قال :قال رسول الله ﷺ :(**إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم**) قال أبو الدرداء :(كلمة سمعها معاوية نفعه الله بها.)[(٢)] وحين أورد ابن كثير هذا الحديث علق عليه بقوله :(يعني أنه كان جيد السيرة ،حسن التجاوز ،جميل العفو ،كثير الستر رحمه الله)[(٣)]

وبهذا الضبط الخارجي والداخلي من معاوية لإقليم الشام أصبح إقليمه وما يتبعه متميزا عن غيره من أقاليم الدولة الإسلامية ،حتى أصبح الخليفة يستعين بهذا الإقليم وواليه في حل مشاكل الأقاليم الأخرى ،فحين شغب مجموعة من أهل العراق على والي الكوفة ـ سعيد بن العاص ـ بأسباب ـ ليس هذا محل ذكرها ـ عمد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى تسيير هؤلاء النفر إلى معاوية وكتب إليه :(إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة ،فرعهم وقم عليهم ،فإن آنست منهم رشدا فأقبل عليهم ،وإن أعيوك فارددهم عليهم.)[(٤)]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٣٢، ١٣٣.

(٢) أبو داود: سننه: ٤/ ٢٧٢. ابن حبان: صحيحه: ٣١/ ٧٢. البيهقي: السنن الكبرى: ٨/ ٣٣٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٢٦.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٣١٨، ٣١٩.

وحين أطلت الفتنة الكبرى على الأمة وبدأ دعاتها ببث سمومهم في أواخر عهد عثمان ﵁ نجد أن إقليم الشام تحت إمرة معاوية ﵁ يتميز كذلك عن بقية الأقاليم في مثل تلك الأجواء المتلبدة بالفتنة ،مما يؤكد ضبط معاوية لإقليمه ،فحين أراد رأس الفتنة عبدالله بن سبأ أن يؤلب على عثمان في الشام ويعد له أتباعا لإشاعة الفتنة فيه ـ كما فعل في الكوفة والبصرة ـ لم يفلح ،وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله :(لم يستطع على شيء مما أراد ،وأخرجه أهله منها.) (1)

وعندما جمع عثمان ولاته لأخذ آرائهم في علاج تلك الفتنة ـ التي أخذت تستفحل في معظم أقاليم الخلافة ،وتكاد ريحها تعصف بكيان الأمة ـ نجد معاوية يبرز من بين الولاة واثقا بنفسه في إبداء قدرته على كف الفتنة عن إقليمه . حيث قال لعثمان :(أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله ،وأكفيك أنا أهل الشام) (2) وفي رواية أنه قال :وقد وليتني فوليت قوما لا يأتيك عنهم إلا الخير . (3)

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٣٤٠.

(2) ابن الأثير: الكامل: ٣/ ٧٥.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٣٤٢. وانظر: الفتنة ووقعة الجمل رواية سيف بن عمر؛ جمع راتب عرموش، ط٣، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص: ٥١.

وعندما أراد معاوية مغادرة المدينة بعد انتهاء اجتماع عثمان بولاته نجده يقترح على عثمان اقتراحات تبين مدى فراسته وإدراكه لخطورة ما وصلت إليه الحال، حيث توقع ـ من خلال قراءته للأحداث في المدينة المنورة وخارجها ـ مقتل عثمان ﷺ لذا قدم له عدة اقتراحات غداة ودعه فقال: يا أمير المؤمنين، انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به، فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا. فقال: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء، وإن كان فيه قطع خيط عنقي. قال: فأبعث إليك جندا منهم يقيم بين ظهراني أهل المدينة، لنائبة إن نابت المدينة أو إياك. قال: أنا أقتر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند تساكنهم، وأضيق على أهل دار الهجرة والنصرة! قال: والله يا أمير المؤمنين، لتغتالن أو لتغزين، قال: حسبي الله ونعم الوكيل...[1]

ولقد حدث كل ما توقعه معاوية، فجاءت جموع أهل الفتنة لتحاصر عثمان ﷺ وتغتاله في النهاية. وحين جاء هؤلاء الثوار من مختلف الأقاليم لا نجد من بينهم جماعة من أهل الشام.[2]

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٣٤٥. من رواية سيف بن عمر.

(٢) العودة: سليمان بن حمد: عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ: ص: ١٥٢.

من كل ما سبق نجد أننا أمام وال كبير يشق طريقه بجدارة من بين الولاة إلى ما هو أبعد من الولاية، حتى لقد استطاع معاوية بقدارته تلك وذلك النجاح الكبير إقناع غيره بأنه الجدير لقيادة أمة وليس إقليم فحسب. فحين بدأت الظنون تأخذ طريقها لدى بعض الناس مصير عثمان رضي الله عنه وبدأت التوقعات كان هناك من يشير إلى أن معاوية هو الأحرى بالأمر. فيروي ابن جرير أنه بعد انتهاء اجتماع عثمان بعماله رجز الحادي بقوله:

قد علمت ضوامر المطي وضامرت عوج القسي
أن الأمير بعده علي وفي الزبير خلف رضي
وطلحة الحامى لها ولي

فقال كعب: والله بعده صاحب البغلة، وأشار إلى معاوية.[1]

ولا شك أنه إن كانت المقارنة بين معاوية والمذكورين في الرجز ـ من حيث الأشخاص فإنه لا مقارنة، فهم ـ لا سيما علي رضي الله عنه أقدم في السابقة والفضل والأولى بالولاية ـ من جميع الاعتبارات ـ من معاوية كفرد، ولكن يتميز معاوية عمن حوله بأنه استطاع أن يجعل من إقليم الشام الإقليم المهيأ لقيادة بقية الأقاليم في الدولة الإسلامية، بما عمق فيه من حسن الطاعة

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: من رواية سيف بن عمر: ٤/ ٣٤٣. عرموش: التنة ووقعة الجمل: ٥٢.

للقيادة، وبما ثبت فيه من دعائم الاستقرار، وقطعه لأسباب الفتنة وعوامل الفرقة فيه. وهذا ما لا نجده في غيره من الأقاليم.

وبعد وفاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وتولي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أضاف معاوية إلى نفسه ـ غير ما سبق ـ ما زاده مكانة على غيره من الولاة ،حيث أعلن نفسه الولي المطالب بأخذ الثأر من قتلة عثمان رضي الله عنه وحين عزم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عزل ولاة عثمان ـ ومنهم معاويةـ أدرك عدد من علماء الصحابة أنه من الصعب عزل معاوية عن الشام ، وأشاروا عليه بإبقائه على الشام حتى يستتب الأمر كله [(١)] إذ من الصعب أن يحل أحد محل معاوية فيرضاه أهل الشام ،فقد رفض عبدالله بن عمر رضي الله عنه تكليف علي له بولاية الشام [(٢)] كما اعتذر ابن عباس رضي الله عنه كذلك من علي حيث أمره أن يسر إلى الشام واليا عليها من قبله . [(٣)]

لكن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه لم ير محاباة أحد من الولاة وأن معاوية كغيره من الولاة عليه أن يدخل فيما دخل فيه الناس وأن يسمع ويطيع

---

(١) كان من هؤلاء المغيرة بن شعبة وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما (الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٤٣٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٣٦.)

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٢٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٤٤٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٣٩.

خليفة المسلمين، لذا أرسل لولاية الشام من قبله سهل بن حنيف [1] ولكن الأمر جاء على ما توقعه ابن عباس رضي الله عنه وغيره حيث رفض أهل الشام قبول سهل واليا عليهم من قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه [2]

وأدى مضي علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عزمه على عزل معاوية، وإصرار معاوية على شرط الأخذ بثأر عثمان من قتلته قبل إعطائه البيعة لعلي، كل ذلك أدى إلى المواجهة بين علي أمير المؤمنين ومعاوية الذي أعلن نفسه واليا للمطالبة بدم عثمان، وحين أخفقت كل محاولات التفاهم والحوار في حل هذا الخلاف تواجه الفريقان في معركة صفين سنة ٣٧ هـ[3] وليس المجال هنا للحديث عن أحداث تلك المعركة [4] ولكن تهمنا الإشارة إلى أهم نتائج هذه المعركة على الجانبين، فقد كان جانب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قبل معركة صفين أقوى معنويا وماديا

---

(١) هو الصحابي الجليل سهل بن حنيف أبو ثابت الأنصاري الأوسي، شهد بدرا والمشاهد، وكان من أمراء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، توفي بالكوفة سنة ثمان وثلاثين رضي الله عنه. (الذهبي: تجريد أسماء الصحابة: ١/ ٢٤٣، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٢٥. ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٣١٨)

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٤٤٢.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه: ١٩١.

(٤) عن أحداث معركة صفين انظر: خليفة بن خياط: تاريخه: ١٩٢. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ٤/ حوادث سنتي ٣٦، ٣٧ هـ.

من جانب معاوية، حيث إن عليا يمثل خليفة المسلمين الذي انعقدت له البيعة ووجبت له الطاعة، مع ما له من فضل وسابقة يعترف له بها معاوية ومن معه، كما جاء ذلك في حوار معاوية وأجوبته على أسئلة عدد من دعاة الإصلاح ومنهم أبو الدرداء وأبو أمامة حين دخلا عليه وقالا: (يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك وأبيك إسلاما، وأقرب منك إلى رسول الله، وأحق بهذا الأمر منك!) [1] وكجوابه لأبي مسلم الخولاني حين دخل على معاوية وجماعة معه فقالوا: أنت تنازع عليا أم مثله؟ فقال لهم: (والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما، وأنا ابن عمه، وأنا أطلب بدمه، وأمره إلي؟! فقولوا له فليسلم إلي قتلة عثمان؟ وأنا أسلمه أمره.) [2]

وأما ماديا فإن أقاليم البلاد الإسلامية عدا الشام تابعة لعلي بن أبي طالب، لذا نجد جيشه في صفين أكثر عددا من جيش معاوية [3] ويؤكد تلك القوة في جانب علي رضي الله عنه أن النصر ـ في آخر مراحل تلك المعركة ـ

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٢٦٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٤٠. الغضبان: معاوية بن أبي سفيان: ١٦٩، ١٩٧.

(٣) ذكر في بعض المصادر أن عدد جيش علي كان مائة ألف بينما جيش معاوية كان سبعين ألف مقاتل. (خليفة بن خياط: تاريخه: ١٩٣.)

كان منه قاب قوسين أو أدنى، لولا رفع أهل الشام للمصاحف طالبين إيقاف القتال وتحكيم كتاب الله بينهم وقبول علي رضي الله عنه بذلك.[1]

وبعد معركة صفين بدأت الموازين تتبدل لصالح معاوية رضي الله عنه، فقد خرج الخوارج من جيش علي رضي الله عنه، وانشغل بقتالهم، بينما ازداد أمر معاوية قوة، لا سيما بعد انتهاء أمر التحكيم، حيث تفرق الحكمان ـ أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ولم يتفقا على شيء[2].

عاد أهل الشام بعد التحكيم وبايعوا لمعاوية في حين أصبح وضع علي في حرج، وجيشه في خلاف وفرقة. وهذه النتيجة أشار إليها الذهبي حين روى عن الواقدي قوله في التحكيم: (فلم يقع اتفاق. ورجع علي إلى الكوفة بالدغل من أصحابه والاختلاف، فخرج منهم الخوارج، وأنكروا تحكيمه، وقالوا لا حكم إلا الله. ورجع معاوية بالإلفة والاجتماع. وبايعه أهل الشام بالخلافة في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين.)[3]

---

(١) عن قصة رفع المصاحف انظر: مسند الإمام أحمد: ٣/ ٤٨٥. مسند أبي يعلى: ١/ ٣٦٤.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ١٩٢. وعن قصة التحكيم وما ورد فيها من أقوال انظر: ابن كثير: البداية والنهاية: ٧/ ٢٨٢. الغضبان: معاوية بن أبي سفيان: ٢١٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٣٧. الواقع يؤكد ما ذكر هنا عن وضع كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما ولكن من المشهور أنه لم تكن لمعاوية بيعة بالخلافة حتى توفي علي بن أبي طالب t انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ١٦١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦.

شجعت تلك النتائج معاوية في التوسع على حساب أمير المؤمنين علي في ضم البلاد إليه، فبعث عددا من الغارات على أطراف العراق وبعض مدن الجزيرة الفراتية الخاضعة لعلي [1] وأرسل عمرو بن العاص رضي الله عنه فضم له مصر سنة ثمان وثلاثين للهجرة [2] كما بعث بسر بن أبي أرطاة لأخذ البيعة له في الحجاز واليمن، فسار إلى المدينة ومكة فأخذ البيعة فيهما كرها لمعاوية، ثم سار إلى اليمن وانتزعها من واليها من قبل علي (عبيد الله بن عباس) ولكن عليا لما بلغه الخبر بعث جارية بن قدامة السعدي إلى اليمن فأعادها لنفوذ علي رضي الله عنه، كما سار إلى مكة والمدينة لتجديد البيعة فيهما لعلي فجاء الخبر بوفاة علي رضي الله عنه فأخذ البيعة من الناس للحسن بن علي رضي الله عنه. [3]

كانت وفاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عاملا قويا لتهيئة الظروف لتولي معاوية، فقد بايع أهل العراق الحسن بن علي بعد وفاة والده، فأخذ

---

(١) عن غارات كل من علي ومعاوية على أطراف العراق والجزيرة الفراتية انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٣/ ١٩٠، ١٩١. وإقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، للمؤلف (رسالة ماجستير غير منشورة) ص: ٣-٥٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ١٠٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٣/ ١٩٢، ١٩٣.

في إكمـال مـا كـان والـده قـد عـزم عليه من الاستعداد لغزو الشام وإجبار معاويـة للدخـول في طاعـة أمـير المؤمـنين، وفي الوقـت نفسه خرج معاوية بجيشـه مسـتغلا الفرصـة لمواجهـة الحسـن قبل هجومه على الشام، وكادت مأساة صفين أن تتكرر بين الطرفين لولا ما فتح الله به على الحسن بن علي رضي الله عنه مـن تقديمـه مصـلحة الأمـة وحقـن دمـاء المسـلمين بالتنازل عن الأمر لمعاوية، وقد دفعه لذلك أمران:

أولهمـا: مـا رآه من اختلاف جيشه على أبيه من قبل، وتفرق أهوائهم وآراءهم، وكثرة تخاذلهم واعتذارهم عن القتال. [1]

وثانـيهما: حرصه على حقن دماء المسلمين وإنهاء الخلاف الذي طال أمـده في الأمـة، ويظهـر ذلـك في قـوله لعبدالله بـن جعفر الذي يروي أن الحسـن قـال له: (إني قد رأيت رأيا وإني أحسب أن تتابعني عليه: قلت: ما هـو؟ قـال: رأيـت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها، وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديـث، فقـد طالـت الفتـنة، وسفكت الدماء، وقطعت الأرحام والسبل، وعطلـت الفـروج.) [2] ولم يكـن معاويـة بأبعد من الحسن في إيثار الصلح وحقـن الدمـاء، فروى البخاري عن الحسن البصري أنه قال: (استقبل والله

---

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٣/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٦٥.

الحسـن بـن علـي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص إني لأرى كتائـب لا تولـي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية ـ وكان والله خير رجلـين ـ أي عمـرو إن قـتل هـؤلاء هـؤلاء و هـؤلاء هؤلاء من لي بأمور الـناس؟ مـن لـي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إلى الحسن برجلين من قـريش مـن بـني عـبد شمـس، عـبدالرحمن بـن سمرة وعبدالله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه...)[(١)]

وبتـنازل الحسـن بن علي رضي الله عنه اكتملت عوامل تولي معاوية الخلافة، وتهـيأت له جميع أسبابها، فبويع أميرا للمؤمنين عام واحد وأربعين للهجرة، وسمي هذا العام بعام الجماعة.[(٢)]

وكمـا كـان معاويـة رضي الله عنه أميرا عشرين سنة فقد حكم خليفة عشرين سـنة كذلـك، وكمـا ضبط إقليم الشام داخليا وخارجيا في إمارته فقد ضبط دولته خلال سني خلافته وعادت للدولة الإسلامية ووحدتها وهيبتها.[(٣)]

---

(١) صحيح البخاري: ٣/ ١٦٩، ١٧٠، كتاب الصلح، باب، ٩.

(٢) خليفة بـن خـياط: تاريخـه: ٢٠٣. أبو زرعة الدمشقي: تاريخه: ١/ ١٩٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٣٧.

(٣) انظـر: ابـن مـنظور: مختصـر تـاريخ دمشـق لابـن عسـاكر: ٢٥/ ٤٧. ابـن كـثير: الـبداية والنهاية: ٨/ ١٣٣.

هـذا وقـد أجمعت الأمة على معاوية وبايعه علماء الصحابة والتابعين وعـدوا خلافته شرعية ورضوا إمامته، ورأوا أنه خير من يلي أمير المسلمين ويقـوم بـه خـير قـيام، يتـبين ذلك من خلال أقوالهم في معاوية وامتداحهم لسياسـته وثـنائهم عـلى حكمـه، فـروي عـن الأوزاعـي أنه قال: (أدركت خلافة معاوية عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم سعد، وأسامة وجابر، وابـن عمـر، وزيـد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ورافع بـن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر ممن سميت بأضعاف مضـاعفة، كانوا مصابيح الهدى، وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخـذوا عـن رسول الله ﷺ تأويله، ومن التابعين لهم بإحسان إن شاء الله، مـنهم: المسور بن مخرمة، وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وسعيد بن المسـيب، وعـروة بـن الـزبير، وعبدالله بن محيريز في أشباه له، لم ينزعوا يده عن مجامعة في أمة محمد ﷺ). [1]

وحـين عـزى معاوية عبدالله بن عباس في الحسن بن علي بقوله: (لا يخـزيك الله ولا يسوؤك في الحسن) فقال له ابن عباس: (أما ما أبقى الله لي أمير المؤمنين، فلن يسوءني الله ولن يخزيني.) [2] وقال فيه عبدالله بن الزبير

---

(١) أبـو زرعـة الدمشقي: تاريخه: ١/ ١٨٩، ١٩٠. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ٤٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٣٣.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ٦٧، ٦٨.

ﷺ لما بلغه نعيه: (لله در ابن هند، إن كنا لنفرقه ـ وما الليث في براثنه بأجرأ منه ـ فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه ـ وما ابن ليلية من أهل الأرض بأدهى منه ـ فيتخادع لنا، والله لوددت أن متعنا به ما دام في هذا الجبل ـ أي جبل أبي قبيس ـ حجر.) [1] وكان أبو هريرة ﷺ يمشي في سوق المدينة وهو يقول: (ويحكم تمسكوا بصدغي معاوية، اللهم لا تدركني إمارة الصبيان.) [2]

وهكذا رأينا في هذا المبحث كيف استطاع معاوية ـ بما وهبه الله من قدرات وهيأ له من العوامل والظروف ـ أن يقيم دولة قوية الأركان واسعة الميدان، كما رأينا كيف أن الأمة ـ وفي مقدمتها علماؤها ـ قد بايعت له، ورضيت خلافته. أما عن أثر العلماء ومواقفهم من بعض الأحداث في عهده، وكذا في عهود غيره من خلفاء بني أمية فهذا موضوع الكتاب، وسيتضح من خلال فصوله.

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ٩٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٣.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ٧٩. وللوقوف على مزيد من أقوال الصحابة والتابعين في الثناء على معاوية t وامتداح سياسته انظر: ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ص: ٤٧ وما بعدها. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٥٢، ١٥٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٣٦-١٣٨. الغضبان: معاوية بن أبي سفيان: ٤٠٦-٤١١.

المدخل الرابع: نبذة عن الحركة العلمية وأبرز العلماء في الدولة الأموية.

أولا: تطور الحركة العلمية.

كانت الانطلاقة الأولى لنشر العلم وتفقيه الناس في أمور دينهم في عهد المصطفى ﷺ حيث بعث عددا من الصحابة الكرام ـ الذين كان لهم علم بالدين وأحكامه ـ إلى أهل مكة مع أميرها عتاب بن أسيد لتعليم أهل مكة القرآن والفقه في الدين [1] كما بعثه مرة أخرى لليمن للأمر نفسه. وبعث أيضا عمرو بن حزم على بعض نواحي اليمن ليعلم الناس القرآن ويفقههم فيه. [2]

---

(١) الواقدي محمد بن عمر: كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، (د. ت) ٣/ ٨٨٩، وفي موضع آخر ذكر أن رسول الله ﷺ بعث مع معاذ أبا موسى الأشعري ﵁، ص: ٩٥٩. ابن هشام: محمد بن إسحاق: السيرة النبوية، شرح وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، توزيع دار الإفتاء بالرياض، (د. ت) ٤/ ١٤٨، ١٤٩. وانظر الهلابي: عبد العزيز: الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي (القسم الأول): مقال في مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة عشرة، عام ١٤١٤هـ، دارة الملك عبد العزيز الرياض. ص: ١٢.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ: ٤/ ٢٦٠، ٢٦٥. خليفة بن خياط: تاريخه: ٩٤، ٩٧.

وقد سار خلفاؤه من بعده ﷺ على طريقته واقتفوا أثره، فاختاروا عمالهم على الأقاليم من أهل العلم ليعلموا الناس ويفقهوهم في دينهم، فقد بعث عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري إلى البصرة واليا على أهلها، فأقرأهم القرآن وفقههم. [1] وحين عين عمار بن ياسر على الكوفة بعث معه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكتب لهم: (إني بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا، وآثرتكم به على نفسي فخذوا عنه.)[2] كما بعث عشرة من أهل الفقه إلى البصرة ليفقهوا أهلها[3] ،كذلك بعث عبدالرحمن بن غنم إلى الشام ليفقه أهلها (٤) وأرسل عبادة بن الصامت رضي الله عنه إلى فلسطين ليعلم أهلها القرآن. (٥)

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٨٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٣، ١٤. خليفة بن خياط: الطبقات: تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص: ١٦.

(٣)ابن سعد الطبقات الكبرى: ٧/ ١٤. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٥/ ٣١٧. ابن الأثير: أسد الغابة: ٣/ ٢٦٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٨٤.

((٤ ابن سعد الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٤١. عطوان: حسين: الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي: ط١. دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦م، ص: ١٢٧.

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ١١٢.

وقد خرج كثير من الصحابة ﷺ من المدينة للمشاركة في حركة الفتوح الإسلامية في مختلف الميادين، ثم استقر كثير منهم في المدن التي كانت بمثابة معسكرات يسكنها المجاهدون، ليكونوا مددا لجيوش الفتح عند الحاجة، كالبصرة، والكوفة، ودمشق، والفسطاط، وكان لاستقرا هؤلاء الصحابة في تلك الأمصار أثر كبير في نشر العلم، حيث أصبح لكثير من الصحابة في تلكم الأمصار دروس للعلم وتفقيه الناس في أمور دينهم، وحمل العلم عنهم عدد كبير من التابعين.

وقد آتت تلك الجهود والظروف ثمارها العلمية في عهد الدولة الأموية، فتخرج على أيدي هؤلاء الصحابة أعداد كبيرة من التابعين وتابعيهم، وقد تفرغ كثير من التابعين للعلم ونشره، وبدأت الرحلة لطلب العلم وجمع نصوص السنة ـ لحفظها ودراستها ـ تظهر بشكل واضح في العهد الأموي. فهذا الصحابي الجليل جابر بن عبدالله رضي الله عنه قد ابتاع بعيرا فشد عليه رحلة وسار شهرا حتى قدم الشام ليسأل عبدالله بن أنيس رضي الله عنه عن حديث القصاص. وعن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ أنه قال: (إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد) وعن أبي قلابة

قال: (لقد أقمت بالمدينة ثلاثا ما لي حاجة إلا رجل عنده حديث واحد تقدم، فأسمعه منه)[1]

ولقد شهدت الأمصار الإسلامية المختلفة حركة علمية قوية في العصر الأموي حيث يظهر ذلك جليا في كثرة العلماء، وتعدد دروس العلم وحلقاته، في ذلك العصر.

وقد تمايزت تلك الأمصار في حركتها العلمية، من حيث قوتها وغزارتها من وجه، ومن حيث اتجاهاتها ونوعيتها من وجه آخر، بحسب ما توفر لكل مصر من ظروف وعوامل.

فالحجاز ـ وفي مقدمة مدنه المدينة المنورة ـ تميزت الحركة العلمية فيه بالقوة والغزارة، حيث إن المدينة كانت المنطلق الأول للعلم، ففيها أكبر عدد من الصحابة الذين هم رواة العلم من رسول الله ﷺ[2] كما تعد مكة

(١) للوقوف على أخبار الراحلين لطلب العلم والاستزادة منه، انظر: الصالح: صبحي: علوم الحديث ومصطلحه: ط١٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م: ص: ٥٤.

(٢) للوقوف على عوامل تميز الحركة العلمية في المدينة انظر: شراب: محمد محمد حسن: المدينة في العصر الأموي: ط١، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ. ص: ٣٥٨ وما بعدها.

ملتقى للعلماء من مختلف البلاد حين يفدون للحج، مما جعل التفاعل العلمي في مكة نشيطا. [1]

ويأتي بعد الحجاز ـ في نشاط الحركة العلمية وغزارتها ـ العراق بمصريه الكوفة والبصرة، حيث كان نصيبها من استقرار الصحابة وتوطنهم أكثر من غيرها، فذكر العجلي أنه توطن الكوفة وحدها من الصحابة ﷺ نحو ألف وخمسمائة صحابي، منهم سبعون بدريا. وعن أنس بن سيرين قال: أتيت الكوفة، فرأيت أربعة آلاف يطلبون الحديث، وأربعمائة قد فقهوا. [2]

كما كان للشام نصيبه من علماء الصحابة ﷺ والتابعين الذين اختاروا المرابطة في الشام وثغوره كأبي الدرداء من الصحابة، والأوزاعي من التابعين. وقد روى الوليد بن مسلم أنه دخل الشام عشرة آلاف من أصحاب رسول الله ﷺ. [3] وطلب أبو الدرداء يوما من أحد تلامذته ـ أبي عبيدالله بن مسلم بن مشكم ـ أن يعد من يقرأ في حلقات تعليمه بدمشق، فيقول أبو عبيدالله: (فعددت ألفا وستمائة ونيفا، فكانوا يقرؤون

---

(١) الهلابي: الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي: (القسم الثاني) مقال عن مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة التاسعة عشرة، عام ١٤١٤هـ، ص: ٥٨.

(٢) الكوثري: فقه أهل العراق وحديثهم. ط١، ١٣٩٠هـ مكتب المطبوعات الإسلامية، ص: ٤٨، ٥٠.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١/ ١٢٥.

ويتسابقون عشرة عشرة لكل عشرة منهم مقرئ، وكان أبو الدرداء قائما يستفتونه ...) [1]

ويأتي إقليم مصر وإفريقية كأقل الأمصار من حيث نشاط الحركة العلمية وقوتها، نظرا لقلة من استقر بها من الصحابة مقارنة بغيرها. ولقد انتبه لذلك عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ فانتدب عددا من العلماء لنشر العلم وتفقيه الناس بأفريقية، منهم الفقهاء العشرة المشهورين. [2]

وكما تمايزت الأمصار في نشاط حركتها العلمية كذلك تمايزت إلى حد ما في اتجاه تلك الحركة ونوعيتها، فعلى الرغم من أن العهد الأموي لم يظهر فيه التخصص في العلوم بشكل واضح كما كان في العهد العباسي، إلا أننا نجد بعض التمايز بين بعض الأمصار، فنجد أن الحركة العلمية في المدينة والحجاز تعتمد في اتجاهها على الاعتماد على النصوص الشرعية (الكتاب والسنة) وخدمتها، والأخذ بالأثر والبعد عن الأفكار العقلية التي تأثرت بها الدراسات في الأمصار الأخرى. [3] فقد اهتم أهل المدينة بحفظ

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١/ ١٢٦.

(٢) أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم القيراوني: طبقات علماء أفريقية والمغرب: تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن، الدار التونسية للنشر. تونس، ١٩٦٨م، ص: ٨٤.

(٣) شراب: المدينة في العصر الأموي: ٣٦٥.

أحاديث رسول الله ﷺ والعناية بها سندا ومتنا، لكونهم يرون أن ذلك أمانة في أعناقهم قبل غيرهم، لذا لا عجب أن لجأ عمر بن عبدالعزيز ـ حين خاف دروس العلم وذهاب العلماء ـ إلى أهل المدينة لتدوين السنة لأنهم أقدر الناس على ذلك. فقد كتب عمر إلى واليه على المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قائلا: (انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنة ماضية أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله) [1] كما اشتهرت في مكة مدرسة التفسير خدمة لكتاب الله وكان مؤسسها حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما [2] بينما نجد أنه بجانب ظهور اتجاه أهل الحجاز في العناية بالأثر في العراق عند كثير من علمائه، فإنه قد ظهرت فيه بذور اتجاهات أخرى تبلورت فيما بعد، فظهر الاعتماد على الرأي، وظهر الجدل في بعض أمور العقائد كالقول بالقدر، والجبر، والإرجاء. ويوضح هذا التمايز ما روي عن سفيان بن عيينة رحمه الله حيث قال: (إذا أردت الحديث الصحيح والإسناد الجيد فعليك بأهل

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٢/ ٣٨٧. صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه: ٤٥.

(٢) عن مدرسة ابن عباس في التفسير انظر: سلقيني: عبدالله محمد: حبر الأمة عبدالله بن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة: ط١، دار السلام، بيروت، ١٤٠٧هـ. ص: ١٠٦.

المدينة، وإذا أردت النسك فعليك بأهل مكة، وإذا أردت المغازي فعليك بأهل الشام..) [1]

ونقل عن الشافعي قوله: (إن أردت الصلاة فعليك بأهل المدينة، وإن أردت المناسك فعليك بأهل مكة، وإن أردت الملاحم فعليك بأهل الشام، والرأي عند أهل الكوفة.) [2]

هذا وربما كان للمصر بما فيه من مؤثرات مختلفة ـ سياسية كانت أو مذهبية ـ أثر على مواقف من فيه العلماء تجاه بعض القضايا. فروي عن سليمان بن يسار قال: (لو أنزل أخوان من حصن فسكن أحدهما الشام، وسكن الآخر العراق، ثم لقيت الشامي لوجدته يذكر الطاعة وأمر الطاعة والجهاد، ولو لقيت الآخر لوجدته يسأل عن الشبه يقول كيف شيء كذا وكذا، وكيف الأمر في كذا وكذا) [3].

---

(١) بدران: تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ط٢: دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ: ١/ ٧١. محمد حسن شراب: الإمام الزهري عالم الحجاز الشام، دار القلم: دمشق: ط١، ١٤١٣هـ: ٧٨.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١/ ١٢٧.

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ هـ: ٢/ ٣٧٢.

ثانيا: أبرز العلماء في الدولة الأموية:

نتيجة لتطور الحركة العلمية وانتشار مدارسها آنذاك زخرت الدولة الأموية بعدد كبير من العلماء الأجلاء، وسأقتصر في هذا الوضع على ذكر أسماء العلماء الذين ورد لهم أثر في الحياة السياسية دون غيرهم، وذلك استقرارهم في أقاليم الدولة الإسلامية آنذاك، وقد اعتمدت في نسبة العالم إلى هذا المصر أو ذاك على كتب الطبقات وتراجم العلماء، كطبقات ابن سعد، وطبقات خليفة بن خياط، وكتاب مشاهير علماء الأمصار للبستي، وسير أعلام النبلاء للذهبي.

وحيث أن الترجمة لهؤلاء العلماء من الضرورة بمكان لتزويد المطلع بنبذة عن كل عالم بما يثبت أنه كان في عداد العلماء، وما يؤكد أنه عاش في الدولة الأموية. وحيث إنه ليس من المناسب الترجمة لهم في حواشي الرسالة لكثرتهم مما يجعل الحواشي طويلة جدا، كما أنه ليس من المناسب الترجمة لهم هنا حيث ستستوفي التراجم صفحات كثيرة ستكون فاصلا ثقيلا بين المطلع والفصول الرئيسية للبحث، لهذا آثرت جعل التراجم في ملحق في آخر الكتاب للرجوع إليه عند الحاجة. وسأكتفي هنا بذكر أسماء العلماء مما يعطي المطلع تصورا واضحا عن عدد العلماء الذين تزخر بهم الدولة الأموية.

أبرز العلماء في الحجاز واليمن واليمامة في العهد الأموي:

أولا: أبرز العلماء في المدينة:

أبو هريرة رضي الله عنه.

أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

مصعب بن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه

أبو شريح الخزاعي رضي الله عنه.

عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

عبدالله بن الحارث بن نوفل القرشي رضي الله عنه.

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما.

محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية). رحمه الله

محمد بن سعد بن أبي وقاص رحمه الله

قبيصة بن ذؤيب رحمه الله

عروة بن الزبير رحمه الله

أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث رحمه الله

أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف رحمه الله

علي بن الحسين بن علي رحمه الله

سعيد بن المسيب رحمه الله

طلحة بن عبدالله بن عوف رحمه الله

عبيد الله بن عبدالله بن عتبة رحمه الله

خارجة بن زيد الأنصاري رحمه الله

نافع بن جبير بن مطعم رحمه الله

محمد بن جبير بن مطعم رحمه الله

عمر بن عبدالعزيز رحمه الله

يزيد بن الأصم العامري رحمه الله

عراك بن مالك الغفاري رحمه الله

أبان بن عثمان رحمه الله

سالم بن عبدالله بن عمر رحمه الله

القاسم بن محمد بن أبي بكر رحمه الله

سليمان بن يسار رحمه الله

عكرمة مولى عبدالله بن عباس رحمه الله

محمد بن كعب القرظي رحمه الله

عبدالحميد بن عبدالرحمن العدوي رحمه الله

إبراهيم بن محمد بن طلحة رحمه الله

الأعرج بن هرمز المدني رحمه الله

محمد بن إبراهيم التيمي رحمه الله

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رحمه الله

محمد بن مسلم الزهري رحمه الله

عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر رحمه الله

يعقوب بن عتبة الثقفي رحمه الله

عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري رحمه الله

عبدالله بن ذكوان رحمه الله

سمي المدني رحمه الله

محمد بن المنكدر رحمه الله

داود بن الحصين رحمه الله

أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله

زيد بن أسلم المدني رحمه الله

عبدالله بن حسن الهاشمي رحمه الله

محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة رحمه الله

ثانيا: أبرز العلماء في مكة في العهد الأموي:

عبدالله بن عباس رضي الله عنه

مجاهد بن جبر رحمه الله

عطاء بن أبي رباح رحمه الله

عبدالله محيريز الجمحي رحمه الله

عبدالله بن أبي مليكة رحمه الله

ثالثا: أبرز علماء اليمن في العهد الأموي:

طاووس بن كيسان رحمه الله

وهب بن منبه رحمه الله

الضحاك بن فيروز رحمه الله

رابعا: أبرز علماء اليمامة في العهد الأموي:

يحيى بن أبي كثير رحمه الله

أبرز العلماء في الشام في عهد الدولة الأموية:

فضالة بن عبيد رضي الله عنه

أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه

أبو مسلم الخولاني رضي الله عنه

ربيعة بن عمرو الجرشي رضي الله عنه

النعمان بن بشير رضي الله عنه

مالك بن هبيرة السكوني رضي الله عنه

يزيد بن الأسود الجرشي رحمه الله

يزيد بن نمران المذحجي رحمه الله

عبدالرحمن بن عائذ الأنصاري رحمه الله

بلال بن أبي الدرداء رحمه الله

الضحاك بن عبدالرحمن الطبراني رحمه الله

خالد بن معدان الكلاعي رحمه الله

خالد بن اللجلاج العامري رحمه الله

رجاء بن حيوة رحمه الله

مكحول الشامي رحمه الله

شهر بن حوشب رحمه الله

بلال بن سعد السكوني رحمه الله

سالم بن وابصة الأسدي رحمه الله

ميمون بن مهران رحمه الله

عبدالله بن أبي زكريا الخزاعي رحمه الله

عبادة بن نسي الأزدي رحمه الله

عدي بن عدي الكندي رحمه الله

ربيعة بن يزيد الإيادي رحمه الله

يزيد بن مالك الكندي رحمه الله

يزيد بن يزيد الأزدي رحمه الله

برد بن سنان الشامي رحمه الله

عمرو بن قيس السكوني رحمه الله

عمرو بن ميمون بن مهران رحمه الله

عبدالرحمن بن عمر الأوزاعي رحمه الله

إسماعيل بن عياش العنسي رحمه الله

أبرز العلماء في العراق والمشرق الإسلامي:

أولا: أبرز العلماء في الكوفة:

جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه

زيد بن أرقم الخزرجي رضي الله عنه

مسروق بن الأجدع رحمه الله

شريح القاضي رحمه الله

أبو الأحوص عوف بن مالك رحمه الله

زر بن حبيش رحمه الله

عبدالله بن شداد الليثي رحمه الله

أبو البختري سعيد بن فيروز الطائي رحمه الله

شقيق بن سلمة الأزدي رحمه الله

عبدالرحمن بن أبي ليلى رحمه الله

خيثمة بن عبدالرحمن الجعفي رحمه الله

عمرو بن حريث المخزومي رحمه الله

المعرور بن سويد الأسدي رحمه الله

سعيد بن وهب الهمداني رحمه الله

عبدالرحمن بن أبي نعم البجلي رحمه الله

عبدالله بن أوفى رضي الله عنه

سعيد بن جبير رحمه الله

إبراهيم النخعي رحمه الله

القاسم بن مخيمرة رحمه الله

أبو بردة عامر بن أبي موسى الأشعري رحمه الله

عامر الشعبي رحمه الله

موسى بن طلحة بن عبيدالله رحمه الله

طلحة بن مصرف اليامي رحمه الله

عون بن عبدالله الهلالي رحمه الله

محارب بن دثار السدوسي رحمه الله

جامع بن شداد المحاربي رحمه الله

سلمة بن كهيل الحضرمي رحمه الله

زبيد بن الحارث اليامي رحمه الله

أبو حصين عثمان بن عاصم الأسدي رحمه الله

أبو إسحاق السبيعي رحمه الله

عطاء بن السائب رحمه الله

الزبير بن عدي الهمداني رحمه الله

أبو سلمة الفأفاء رحمه الله

منصور بن المعتمر رحمه الله

عبدالله بن شبرمة الضبي رحمه الله

محمد بن أبي ليلى رحمه الله

الحجاج بن أرطأة رحمه الله

سليمان الأعمش رحمه الله

أبو حنيفة النعمان رحمه الله

ثانيا: أبرز العلماء في البصرة والمشرق:

الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه

أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه

سمرة بن جندب رضي الله عنه

معقل بن يسار رضي الله عنه

عبدالله بن مغفل المزني رضي الله عنه

عائذ بن عمرو رضي الله عنه

حجر بن عدي رضي الله عنه

أنس بن مالك رضي الله عنه

الربيع بن زياد الحارثي رحمه الله

عبدالله بن غالب الحداني رحمه الله

عقبة بن عبدالغافر الأزدي رحمه الله

عقبة بن وساج الأزدي رحمه الله

أوس بن عبدالله الربعي (أبو الجوزاء) رحمه الله

عمران بن عاصم الضبعي رحمه الله

مطرف بن عبدالله الشخير رحمه الله

يحيي بن يعمر العدواني رحمه الله

عبدالله بن رباح الأنصاري رحمه الله

أبو العالية الرياحي رحمه الله

طلق بن حبيب رحمه الله

أبو عثمان النهدي رحمه الله

مسلم بن يسار رحمه الله

جابر بن زيد الأزدي (أبو الشعثاء) رحمه الله

أبو قلابة الجرمي رحمه الله

أبو شيخ الهنائي رحمه الله

سعيد بن أبي الحسن البصري رحمه الله

الحسن البصري رحمه الله

أبو نضرة العبدي رحمه الله

محمد بن سيرين رحمه الله

أبو المليح الهذلي رحمه الله

معاوية بن قرة المزني رحمه الله

بلال بن أبي بردة رحمه الله

مالك بن دينار رحمه الله

محمد بن واسع رحمه الله

أبو المنهال سيار بن سلامة رحمه الله

أيوب السختياني رحمه الله

إبراهيم الصائغ رحمه الله

مقاتل بن حيان رحمه الله

جبلة العتكي رحمه الله

يزيد النحوي رحمه الله

الربيع بن أنس رحمه الله

خالد بن مهران رحمه الله

خالد بن صفوان بن الأهتم رحمه الله

حسين بن واقد رحمه الله

يزيد الضبي رحمه الله

أبرز العلماء في مصر والمغرب في عهد الدولة الأموية:

عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه

عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

عبدالرحمن الكندي رحمه الله

عبدالله المعافري رحمه الله

حنش الصنعاني رحمه الله

محمد بن أوس الأنصاري رحمه الله

إسماعيل بن عبيد الأنصاري رحمه الله

المغيرة بن أبي بردة الكناني رحمه الله

علي بن رباح اللخمي رحمه الله

عبدالرحمن بن رافع التنوخي رحمه الله

موهب المعافري رحمه الله

طلق بن جابان رحمه الله

سعد بن مسعود التجيبي رحمه الله

عمارة التجيبي رحمه الله

حبان بن أبي جبلة رحمه الله

جعثل بن هاعان الرعيني رحمه الله

خالد بن أبي عمران التجيبي رحمه الله

بكر بن سواده الجذامي رحمه الله

حيي بن هانئ المعافري رحمه الله

إسماعيل بن أبي المهاجر رحمه الله

زهرة بن معبد التيمي رحمه الله

أبو كريب جميل المعافري رحمه الله

عمرو بن الحارث الأنصاري رحمه الله

عبدالرحمن بن زياد بن أنعم رحمه الله

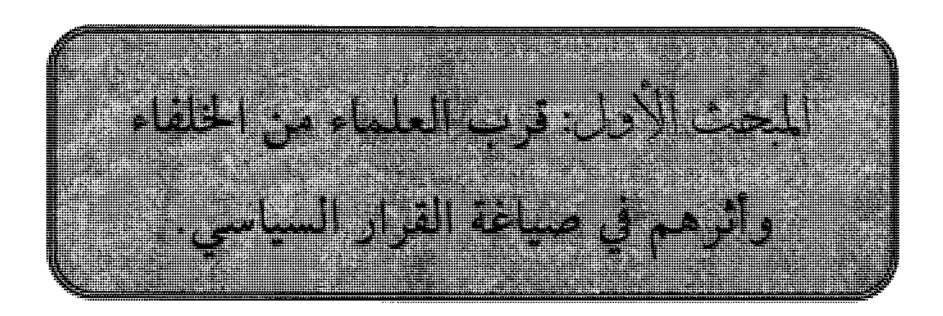
****

الفصل الثاني: علاقة التعاون والمشاركة

المبحث الأول: قرب العلماء من الخلفاء وأثرهم في صياغة القرار السياسي.

المبحث الثاني: مشاركة العلماء في تولي بعض المناصب الإدارية للخلفاء والولاة





أولا: المـراحل الـتي مـر بهـا قرب العلماء من الخلفاء وتأثيرهم في صياغة القرار.

قـبل الشـروع في الحديـث عـن قـرب العـلماء من الخلفاء وأثرهم في صـياغة القرار السياسي في الدولة الأموية، يحسن ذكر نبذة عن المراحل التي مر بها هذا القرب وهذا الأثر خلال عهود خلفاء بني أمية.

ففـي عهـد معاوية رضي الله عنه بعد العلماء عن المشاركة المباشرة والمستمرة، ولعل ذلك يرجع إلى الأسباب الآتية :

١- كانـت الحجاز بوجه عام والمدينة بوجه خاص المركز الأول للعلم والعـلماء آنـذاك، ويأتي بعدها العراق في الكوفة والبصرة، وظل أغلـب هـؤلاء العـلماء في أقالـيمهم يسـهمون في تعلـيم العـلم ونشـره، واقتصـرت علاقـتهم بالخلـيفة عـلى الوفود عليه، وأداء النصيحة له، وأخذ ما لهم من أعطيات، ثم يعودون إلى أقاليمهم.

٢-شخصية معاوية التي تجمع بين الفقه في الدين والحنكة السياسية، وقدرته على إقناع غيره، لا سيما وقد جمع مع تلك المواهب والصفات الخبرة الطويلة إبان إمرته على الشام قبل توليه الخلافة، وكل هذا جعل العلماء يرون فيه ـ لما سبق ـ الكفاية والدراية لتدبير شؤون الدولة، ولا سيما أن الأمة حديثة عهد بالفتنة فهي بحاجة إلى الاستقرار.

وقد جرى بين معاوية وعدد من العلماء والأشراف كثير من مجالس الحوار استطاع معاوية أن يثبت فيها قدرته على إقناع غيره بالحجة والبرهان وبما أعطي من الحلم وسعة البال، كحواره مع المسور بن مخرمة ﷺ الذي استطاع فيه أن يقنع المسور بترك الطعن فيه وفي ولايته [(١)] .

ومن أقوال بعض العلماء التي تدل على قناعتهم بحسن سياسته، ما قاله عبدالله بن عباس ﷺ: (ما رأيت رجلا هو أخلق للملك من معاوية، لم يكن بالضيق الحصر.) وقال عنه أيضا: (قد علمت بما غلب معاوية الناس، كان إذا طاروا وقع، وإذا وقع طاروا.) [(٢)] وقال عبدالله بن عمر ﷺ: (ما رأيت أسود من معاوية.) [(٣)]

---

(١) انظر هذا الحوار في ص: ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ١٣٦/٨. هكذا وردت العبارة ولعل الصواب (كان إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار).

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤١٠/٢٤.

وبعد وفاة معاوية تولى الخلافة من بعده ابنه يزيد، ولم يكن على قدر أبيه ومنزلته، لا في العلم والفقه في الدين، ولا في السياسة وتدبير الحكم، لذا كان حريا به أن يكمل هذا النقص بإقامة الصلة الوثيقة بينه وبين العلماء، والاستعانة بهم في أموره في مختلف أقاليم الدولة فلعل ذلك يساعد في استمرار الاستقرار الذي أرسى والده دعائمه من قبله، لكنه لم يفعل ذلك، فلما واجهته بعض المعضلات السياسية حاول الاستعانة ببعض العلماء، كاستعانته بعبدالله بن عباس حين خرج الحسين بن علي ﷺ إلى أهل الكوفة فطلب من ابن عباس أن يكفه عن ذلك [1] والنعمان بن بشير ﷺ حين خروج أهل المدينة عليه حيث بعثه إليهم لينهاهم عن الخروج ويحثهم على لزوم الطاعة. [2] وكان للطريقة التي عالج بها هذه المعضلات أثر في ازدياد الهوة، وضعف الصلة بينه وبين العلماء. حيث كان اعتماده في استشارته ومعالجته لتلك المشكلات على ولاته وقادته كبيرا، إذا ما قورن باستفادته من آراء العلماء وتوجيهاتهم.

استمرت الفتنة بعد وفاة يزيد بدعوة ابن الزبير لنفسه بالخلافة بمكة ومنازعة مروان ومن بعده ابنه عبدالملك له ذلك الأمر، واعتزل جل

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٩٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٤٨١.

العلماء هذه الفتنة، فلما استقر الأمر لعبدالملك وعادت للأمة وحدتها حاول تقريب العلماء والاستفادة منهم إدراكا منه لمكانتهم في الأمة، ولأنه كان قبل أن يلي الخلافة معدودا من العلماء المشهورين، لذا حرص على تقريبهم إلى بلاطه وإشراكهم في المسؤولية فاتخذ منهم المستشارين والخاصة، كما كان يحرص على إكرامهم إذا وفدوا عليه، ويظهر حرصه على معرفة آرائهم وتقويمهم لعماله، فمن ذلك: اتخاذه قبيصة بن ذؤيب مستشارا وحاجبا [(١)]، وإكرامه لعروة بن الزبير حين قدم عليه [(٢)]، وسؤاله لمعاوية بن قرة [(٣)] عندما قدم عليه عن الحجاج [(٤)] وتقديره للعالم الجليل أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث [(٥)] حيث كان يترك الأمر السيء يهم به بأهل المدينة استحياء منه [(٦)]، وكان الفقيه حمران بن أبان الفارسي وافر الحرمة عنده [(٧)]، كما كان يحرص على أن يلتقي بالعلماء ويكرمهم.

---

(١) سيأتي الحديث عن ذلك ص: ١٥٢.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٢٩.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم ص: ١٢٣.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ١٠٣.

(٥) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٦) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٨٣.

وفي عهد الوليد بن عبدالملك نجد أن مشاركة العلماء في صياغة القرار السياسي تقل إلى حد كبير عما كانت عليه في عهد والده، ولعل السبب في ذلك يعود إلى رغبة الوليد في إضفاء صبغة الملك والتفرد في صياغة القرار وإنفاذه على حكمه، لذا كانت مشاركة العلماء في عهده محدودة باستثناء اتخاذه عمر بن عبدالعزيز مستشارا له ووزيرا، ويقلل من أهمية هذا أمران: **أولهما**: كون عمر بن عبدالعزيز من بني أمية، **وثانيهما**: أنه رغم اتخاذه لعمر بن عبدالعزيز وزيرا له إلا أنه لم يكن هناك توافق بينه وبين عمر حيال كثير من القضايا المتعلقة بسياسة الدولة وإدارتها. [1]

ويأتي عهد سليمان بن عبدالملك ليكون البداية الفعلية الجادة لمشاركة العلماء في سياسة الدولة وإدارتها، حيث إن سليمان ـ رحمه الله ـ أفسح المجال للعلماء أكثر ممن سبقه، فمنذ توليه الخلافة فتح المجال لعمر بن عبدالعزيز قائلا: (إنا ولينا ما ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة فمر به.) [2] كما أفسح المجال للعالم الجليل رجاء بن حيوة [3] واتخذه وزير صدق، وترك رجاء آثارا حسنة وأياد بيضاء خلال أيام سليمان كان أكبرها أثرا إشارته عليه ـ رحمه الله ـ باستخلاف عمر بن عبدالعزيز بعده.

---

(١) سيأتي الحديث عن ذلك في ص: في موضوع مكانة عمر بن عبدالعزيز في عهد الوليد.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٠/ ١٧٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٥.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

لقد كانت أيام سليمان بن عبدالملك بداية لمشاركة العلماء في مسؤوليات الدولة وقربهم من مصدر القرار السياسي وتأثيرهم فيه، فلما جاء عهد عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ أصبحت مشاركة العلماء في إدارة شؤون الدولة قوية فعالة، وشاملة متنوعة. فعلى رأس الدولة عمر وهو يعد من أبرز العلماء وكبار الفقهاء، وساس الدولة كعالم وليس كملك، وتوسعت دائرة مشاركة العلماء في عهده فبدأت من مركز اتخاذ القرار في العاصمة حيث أحاط عمر نفسه بجملة من العلماء للإشارة عليه ومعاونته وأبعد من سواهم، فأصبحوا فرسان الحلبة وحدهم، فصاغوا سياسة الدولة صياغة شرعية خالصة، وامتدت مشاركتهم في المسؤولية إلى بقية مرافق الدولة فأسندت إليهم مختلف المناصب والأعمال، ولا يعدو القول الحقيقة إذا قلنا إن الدولة في عهد عمر بن عبدالعزيز كانت دولة العلماء، فهي نموذج لما ينبغي أن تكون عليه الدولة الإسلامية، اتحدت فيها السلطة التشريعية مع السلطة التنفيذية على أحسن حال .

وبوفاة عمر وتولي يزيد بن عبدالملك تراجعت مشاركة العلماء إلى حد كبير، وحرمت الأمة من تجربة ناجحة تنفست الصعداء، وأطلت من خلالها على عهد الخلفاء الراشدين ﷺ ولعل هذا التراجع الذي حدث لمشاركة العلماء في عهد يزيد يرجع إلى عدة عوامل أهمها :

* شخصية يزيد بن عبدالملك حيث لم يكن بمكانة عمر وحماسته وحرصه على أن يسوس الناس بمنهج الله بلا محاباة ومساومة، كما لم يكن على منهج عمر في نظرته للخلافة على أنها تكليف لا تشريف، وأنها عمل

لإسعاد غيره على حساب نفسه وأهله، ويدل على ذلك أن يزيد لم يطق أن يسير على نهج عمر أكثر من أربعين يوما ثم عدل عنه إلى نهج الملوك[1]

* **العامل الثاني** وهو مترتب على الأول ومرتبط به إذ لما رأي العلماء عزم يزيد ترك العمل بسيرة عمر، ولم يجدوا عنده ما وجدوه عند عمر تركوه وانصرفوا إلى مسؤولياتهم العلمية، فحين قال قائل لرجاء بن حيوة لما اعتزل يزيد: إنك كنت تأتي السلطان فتركتهم، قال: إن أولئك الذين تريد قد ذهبوا. [2]

أما ما ورد من أن يزيد تخلى عن السير على نهج عمر لأنه شهد له أربعون شيخا بأن ليس على الملوك حساب ولا عذاب [3] فهذا ادعاء أوهى من أن يرد عليه فهو يتضمن في طياته الرد على مختلقه، فمن هم الشيوخ الذين شهدوا بذلك الزور؟ ثم أنه يتعلق بأمر من ضروريات الإيمان وبديهياته، فأي مسلم مهما بلغ به الجهل مبلغه يعلم أنه يسأل عن أعماله ويجازى عليها. والحديث الصحيح **(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)** [4] مشهور عند عامة المسلمين فضلا عن خاصتهم في هذه العصور

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٧/ ٣٨٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٥١.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٨/ ٣١٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٠

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٧/ ٣٨٠. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٢٣٢

(٤) صحيح البخاري ١/ ٢١٥، الجمعة: ١١. صحيح مسلم: ٣/ ١٤٥٩، إمارة/ ٢٠.

المتأخرة فكيف بعصر صدر الإسلام. ولكن حقيقة الأمر فيما ذكره ابن كثير حين قال: (فلما ولي يزيد عزم على أن يتأسى بعمر بن عبدالعزيز، فما تركه قرناء السوء.) [١]

وعندما تولى هشام بن عبدالملك حاول تقريب بعض العلماء والاستفادة منهم ولكن إلى حد ما، ومن أشهر هؤلاء العالم الجليل محمد بن مسلم الزهري، والإمام الأوزاعي، وأبو الزناد رحمهم الله. [٢]، وكان تأثير هؤلاء العلماء في اتخاذ القرار في بعض الجوانب، وبطريق غير مباشر من خلال تأثير قربهم من الخليفة وأسرته ـ لا سيما الزهري ـ على سلوك هشام وسيرته، وسيأتي الحديث عن ذلك في موضع آخر [٣]، ولعل الذي حد من تأثير العلماء في توجيه القرار في عهد هشام ـ مقارنة بتأثيرهم في عهد عمر بن عبدالعزيز ـ هو محاولة هشام أن يمسك العصا من الوسط، فحاول أن يسير وسطا بين سياسة عمر بن عبدالعزيز الإسلامية الخالصة وسياسة الملك، ووسطا بين عصبية القبائل القيسية واليمانية، وهذا ما دعا الذهبي حين وصف سياسته أن يقول فيه: (... فيه ظلم مع عدل) [٤]

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٢٣٢.

(٢) عن تراجم هؤلاء العلماء انظر ملحق تراجم العلماء.

(٣) انظر ص: ٢٠٢.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٥٢.

ومنذ تسلم الوليد بن يزيد بن عبدالملك الخلافة لم يعد للعلماء أثر واضح في سياسة الدولة التي أخذت في التدهور مسرعة نحو السقوط، فمن الطبيعي أن لا يكون لهم مجال في سياسة الدولة مع الوليد بن يزيد الذي غمس نفسه في فتنة العصبية القبلية، كما غمس نفسه في اللهو والترف .

أما في عهد يزيد بن الوليد بن عبدالملك فلم يكن لعلماء السنة والجماعة مجال أيضا، حيث تبنى يزيد هذا طائفة القدرية [(١)] والتف حوله أقطابها وأفسح لهم المجال إذ قاموا بنصرته في خلعه للوليد وقتله. [(٢)] ومن منهجهم إذا كانت لهم السلطة وبيدهم مقاليد الأمور أن عليهم أن يحملوا الناس على مذهبهم واعتقاد مبادئهم كما فعل إخوتهم المعتزلة في عهد

(١) القدرية: يطلق لفظ القدرية بالمعنى العام على كل من خاض في علم الله تعالى ومشيئته وتقديره بخلاف مقتضى النصوص وفهم السلف، والمقصود بالقدرية هنا الذين ينكرون تقدير الله لأعمال الإنسان ويقولون بأن الإنسان يخلق أفعاله. (انظر الإسفراييني: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ط١: ص ١٣٢، ١٣٣. الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق عبدالعزيز الوكيل، دار الفكر، لبنان، ص: ٥٤. العقل: ناصر بن عبدالكريم العقل: القدرية والمرجئة، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ، ص: ١٩.

(٢) عن التفاف القدرية حول يزيد ومناصرتهم له انظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، المطبعة الأزهرية المصرية، القاهرة، ١٣٠٣هـ: ٢/ ١٣٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٧. عبدالرحمن سالم: التاريخ السياسي للمعتزلة، دار الثقافة، القاهرة، ١٤٠٩هـ: ١٥٨.

المأمون [١] فلذا لن يقبلوا من العلماء المخالفين لهم مزاحمة، بل لعلهم كانوا يهيئون لإحداث محنة بهم كما فعل خلفهم من بعدهم بالعلماء في عهد المأمون، وقد بدت بوادر هذه المحنة حيث يذكر بعض المؤرخين أن يزيد بن الوليد لما تم له الأمر دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه [٢] ولكن الله حال بينه وأصحابه وبين ما يشتهون حيث لم تدم خلافته أكثر من ستة أشهر، وكما قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: (ولكنه لم يمتع وما بلع ريقه) [٣].

ولم يفق بنو أمية من فتنة الخلاف بينهم بتولي مروان بن محمد حتى أطلت عليهم فتنة جديدة كانت فيها نهاية دولتهم، وذلك حين ظهر أمر دعوة بني العباس، وقد حاول دعاة بني العباس كسب أكبر عدد من العلماء في صفهم، كما حاول بعض ولاة بني أمية في مناطق ظهور الدعوة العباسية إرضاء العلماء وكسبهم إلى جانب الدولة الأموية، كما ستأتي الإشارة إلى ذلك حين الحديث من موقف العلماء من الدعوة العباسية إن شاء الله. [٤]

---

(١) عن هذا المعتقد عند القدرية انظر: عبدالرحمن سالم: التاريخ السياسي للمعتزلة: دار الثقافة، القاهرة، ١٣٣١هـ: ٥١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٧٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠/ ١٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٧٥.

(٤) انظر المبحث السادس من الفصل الخامس.

ثانيا: نماذج من قرب العلماء من الخلفاء وأثرهم في سياسة الدولة.

بعد العرض السابق الموجز الذي وضح المراحل التي مرت بها مشاركة العلماء في صياغة القرار السياسي والتأثير في إدارة الدولة بقربهم من مركز السلطة قوة و ضعفا، بعد ذلك نشرع في ذكر نماذج وأمثلة لبعض العلماء الذين كانت لهم علاقة تعاون ومشاركة للخلفاء في تحمل المسؤولية، وما لهم من أثر في صياغة القرار السياسي، وسيشمل الحديث في هذا الصدد كلا من مشاركة العلماء الأجلاء :

* **قبيصة بن ذؤيب** في عهد عبدالملك.
* **رجاء بن حيوة** في عهد سليمان بن عبدالملك.
* **عمر بن عبدالعزيز** في عهد كل من الوليد وسليمان بني عبدالملك.
* **العلماء في عهد عمر بن عبدالعزيز.**
* **محمد بن مسلم الزهري** في عهد هشام بن عبدالملك.

قبيصة بن ذؤيب في عهد عبدالملك.

نشأ قبيصة بن ذؤيب في المدينة - رحمه الله - كان في عداد علمائها [(١)] ولكنه انتقل إلى الشام بجانب عبدالملك بن مروان وأصبح من خاصته، والمصادر التي اطلعت عليها لم تحدد متى تم انتقاله إلى الشام، إلا أنه يمكن استنتاج فترة انتقاله إلى الشام وتحديدها بعد موقعة الحرة التي وقعت سنة ٦٣هـ. [(٢)] إذ أن أغلب المصادر التي ترجمت لقبيصة وصفته بأنه أعور، وأن عينه ذهبت يوم الحرة. [(٣)] وفي ذلك إشارة إلى أنه كان موجودا في المدينة إلى يوم الحرة، ولعل انتقاله كان بعد وفاة مروان وتولي ابنه عبدالملك أمر استعادة حكم بني أمية بعد أبيه، وذلك حين اتخذه عبدالملك مستشارا له ووزيرا، ويمكن القول بأن أهم الأسباب التي دعت عبدالملك إلى تقريب قبيصة بن ذؤيب وإيثاره يرجع إلى ثلاثة أسباب :

أولها: أن عبدالملك بن مروان كان قرينا لقبيصة في العلم خلال إقامتهما في المدينة، وكانا معدودين من فقهاء المدينة المعتبرين في وقتهما قال

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٤٨٧، ٤٩٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٨٢. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨/ ٣٤٦.

أبـو الزناد: (فقهاء المدينة: سعيد بن المسيب، وعبدالملك بن مروان، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب.)[1]

ثانـيهما: لعله يرجع إلى ما لمسه عبدالملك من وفاء قبيصة لني أمية، إذ أن إصـابة عيـنه يـوم الحـرة ـ بحسـب ظاهر ما ورد ـ توحي بمشاركته فيها، ورغـم أن المصـادر التي ذكرت إصابة عينه في الحرة لم تشر إلى الطرف الذي شـارك معـه، إلا أن ملابسات الموقعة وما بعدها قد تدل على أن مشاركته ـ إن كـان شارك ـ كانت مع بني أمية، إذ لو كان شارك مع أهل المدينة لم يكن عـبدالملك ليـتخذه مستشـارا عنده، فقد ظل بنو أمية زمنا ينقمون على أهل المديـنة خـروجهم هذا، حتى حرموهم من العطاء فترة طويلة، ويظهر ذلك في جـواب عـبدالملك للزهـري أول مـا قدم عليه وطلب منه أن يفرض له، فقـال عـبدالملك: إن بلـدك، لـبلد مـا فرضـنا فـيها لأحـد مـنذ كـان هـذا الأمـر .[2] فإذا كان هذا موقف بني أمية من أهل المدينة بعامة فما بالك بمن شـارك في الخـروج وشـهد موقعة الحرة ضدهم، كما أن قائد جيش بني أمية مسـلم بـن عقـبة [3] لمـا انتهـت المعـركة بطش بمن شارك فيها لم يقتل مهما

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢١/ ٦٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٤٨.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦٢٨.

(٢) هو مسلم بن عقبة بن رباح المري، قائد من الدهاة القساة، أدرك النبي ﷺ وشهد صفين مع معاوية، ولاه يزيد بن معاوية قيادة الجيش الذي بعثه لحصار المدينة إثر خروج أهلها عليه، فغزاها =

كانت مكانته، فقد أورد الطبري عددا من الذين قتلهم مسلم بعد المعركة، مثل الصحابي معقل بن سنان رضي الله عنه غير مقدر صحبته، وبطش بآخرين بسبب تباطؤهم عن نصرة الخليفة، بل حتى الذين اعتزلوا نالهم شيء من الإذلال، كسعيد بن المسيب وغيره [1] فلو كان قبيصة بن ذؤيب شارك مع أهل المدينة لتعرض لنقمة مسلم وبطشه.

ثالثهما: وعل من أسباب تقريب عبدالملك لقبيصة ما يتمتع به قبيصة من روح مرنة تراعي الأحوال، وتقدر المواقف، وتوازن بين المصالح، وصاحب هذه الروح هو القادر على الصبر والقرب من الخلفاء والسلاطين، وهو من يرغب الخلفاء في تقريبه عادة، ومن المواقف التي ظهرت فيها هذه الروح عند قبيصة ما ذكره ابن سعد في طبقاته [2] حيث ذكر أن الصحابي الجليل جابر بن عبدالله رضي الله عنه دخل على عبدالملك وقربه،

وآذى أهلها وأسرف فيهم قتلا فكان يسمى لذلك (مسرفا) فلما فرغ من أهل المدينة توجه إلى ابن الزبير في مكة، ولكنه مات في الطريق. (الزبيري: أبو عبدالله المصعب بن عبدالله: نسب قريش، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٢٧، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٦/ ١٧٣ ت ٨٤٠٨)

(١) عن بطش عقبة بمن شارك في الحرة، انظر: الزبيري: نسب قريش: ص ٣٧١. و الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٤٩١-٤٩٤. و ابن الأثير: أسد الغابة: ٤/ ٣٩٤، ٣٩٧.

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٣١.

فقال جابر يا أمير المؤمنين إن المدينة حيث ترى، وهي طيبة سماها النبي عليه السلام، وأهلها محصورون، فإن رأى أمير المؤمنين أن يصل أرحامهم ويعرف حقهم فعل. قال: فكره ذلك عبدالملك وأعرض عنه، وجعل جابر يلح عليه حتى أومأ قبيصة إلى ابنه ـ وهو قائده وكان جابر قد ذهب بصره ـ أن أسكته، قال: فجعل ابنه يسكته، قال جابر: ويحك ما تصنع بي؟ قال: اسكت فسكت جابر، فلما خرج أخذ قبيصة بيده فقال: يا أبا عبدالله إن هؤلاء القوم صاروا ملوكا. فقال جابر: أبل الله بلاء حسنا فإنه لا عذر لك وصاحبك يسمع منك. قال: يسمع ولا يسمع، وما وافقه سمع، وقد أمر لك أمير المؤمنين بخمسة آلاف درهم فاستعن بها على زمانك، فقبضها جابر.

فمن هذا الموقف يتضح كيف أدرك قبيصة عدم رضا الخليفة عن فتح هذا الموضوع معه من قبل جابر، وكيف أنهى الموضوع حتى لا يتطور إلى حال لا تحمد عقباه للطرفين فأشار على ابن جابر بإيقاف والده عن الكلام. ثم يطيب خاطر جابر بأخذه بيده والاعتذار إليه بأن لا يستغرب هذا التصرف من عبدالملك فلا يتعامل معه على أنه عبدالملك العالم وإنما على أنه عبدالملك الذي صار ملكا ينظر إلى الأمور من نافذة الملك ومصالحه، ثم هو يعتذر لنفسه عندما وجه جابر اللوم له بأنه ليس له عذر في عدم المطالبة بحقوق أهل المدينة مادام له هذه المكانة عند عبدالملك، بأن الأمر ليس كما يتصور جابر وغيره بأنه قادر على تحقيق كل ما يريده من

عبدالملك بل الواقع أنه يسمع ولا يسمع، وفي هذا دليل على مراعاة قبيصة للأحوال والأشخاص.

وحين لقي الإمام الفقيه عبدالله بن محيريز رحمه الله ـ وكان جريئا في قول الحق ـ [1] قبيصة بن ذؤيب واجهه بالإنكار على ما يراه من سياسة عبدالملك في بداية ولايته فقال لقبيصة: يا أبا إسحاق عطلتم الثغور وأغزيتم الجيوش إلى الحرم وإلى مصعب بن الزبير. ولكن قبيصة وضح له واقع الأمر فقال: احذر لسانك فوالله ما فعل. [2]

وقد ذكر صاحب كتاب الإمامة والسياسة بأن قبيصة بن ذؤيب رضيع عبدالملك [3]، فلو ثبت هذا لكان عاملا آخر بتقريب عبدالملك لقبيصة، ولكن هذا بعيد فقبيصة ولد في عهد النبي ﷺ عام الفتح [4] وعبدالملك ولد سنة اثنتين وقيل ست وعشرين. [5]

لما سبق أدنى عبدالملك قبيصة بن ذؤيب منه، فإلى أي درجة كان هذا الدنو، وما المنصب الذي كان يشغله؟.

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٤/ ٣٣. وانظر ترجمة ابن محيريز ص: ٨١.

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٤٧.

(٣) مجهول من القرن الثالث: الإمامة والسياسة، ط٣، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٨٢هـ: ٢/ ٢٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٨٢. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨/ ٣٤٧.

(٥) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٢٤.

إن أغلب المناصب السياسية والإدارية في الدولة الأموية لم تتحدد مهامها ومسمياتها بعد على النحو الذي كانت عليه في الدولة العباسية بعدها، لذا فقد جمع قبيصة عددا من المهام في عهد عبدالملك، وتعددت مسميات مهامه عند عبدالملك، فيذكر ابن سعد [١]، وابن عساكر [٢]، وابن عبدالهادي [٣]: أن قبيصة كان على الخاتم والبريد، وأما الذهبي [٤] فقد ذكر هذه المهام السابقة وأضاف أخرى حيث ذكر أنه كان كاتبا لعبدالملك، ووصفه بأنه الوزير، ويضيف ابن سعد مهمة أخرى وهي السكة ضمن كلام له أجمل فيه ما يتمتع به قبيصة من مكانة عند عبدالملك، حيث ذكر أنه يدخل على عبدالملك طروقا [٥]، وأن عبدالملك تقدم إلى حجابه فقال: (لا يحجب قبيصة أي ساعة جاء من ليل أو نهار، إذا كنت خاليا أو كان عندي رجل واحد، وإن كنت عند النساء أدخل المجلس ثم أعلمت مكانه). وكانت تأتيه الأخبار قبل عبدالملك فيقرأ الكتب قبله ثم يأتي بها منشورة إلى عبدالملك فيقرؤها إعظاما لقبيصة. [٦]

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ١٧٦.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢١/ ٦٣.

(٣) ابن عبدالهادي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الصالحي: طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ: ١/ ١٢٠.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٥) الطروق: الإتيان بالليل. (الفيروز آبادي: القاموس المحيط/ مادة: طرق.)

(٦) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٣٤.

فقبيصة بهذا وزيرا لعبدالملك ومستشارا له وساعده الأيمن في إدارة الدولة وتصريف شؤونها، وكان ملازما له في سفره وإقامته [1]، ومن خلال هذه المكانة الكبيرة، والمنزلة العالية لقبيصة عند عبدالملك تمكن من المشاركة في إدارة شؤون الدولة مشاركة فعالة، والإسهام بآرائه السديدة في عدد من القضايا السياسية، و من المؤكد أن تكون إسهامات ومواقف قبيصة السياسية كثيرة ومتنوعة، وإذا كانت بعض هذه المواقف قد دونت في صفحات كثير من المصادر، إلا أن هناك مواقف أخرى طويت مع طي صفحات الليالي والأيام فاندثرت ولم تحفظ، والسبب في ذلك أن أكثر المصادر التي ترجمت للعلماء ومنهم قبيصة اهتمت بذكر الجوانب العديدة في حياتهم العلمية، وأما ما يتعلق بالجوانب السياسية فيأتي ذكره عرضا، بدليل أن أغلب المواقف السياسية لقبيصة لم ترد في سياق ترجمته، وإنما ورد ذكرها ضمن تراجم لشخصيات أخرى لها صلة بالموقف، لذا فإن ما سأذكره من مشاركات لقبيصة لا يمثل جميع مشاركاته ومواقفه، إنما هو نماذج وأمثلة لما حفظته لنا بطون الكتب وصفحاتها من تلك المشاركات، وهي بحد ذاتها نماذج تكفي للدلالة على مشاركته السياسية الفعالة في عهد عبدالملك.

---

(١) ذكر ابن سعد مصاحبة قبيصة لعبدالملك في الحج وملازمته له. ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٣٠.

فمن مظاهر مشاركات قبيصة بن ذؤيب السياسية رأيه في أمر محمد بن الحنفية ـ رحمه الله ـ [1] الذي اعتزل كل من عبدالملك وابن الزبير وامتنع أن يبايع لأحد منهما حتى يجتمع عليه المسلمون، وقد لقي محمد بن الحنفية من هذا الموقف ضيقا وعنتا، خاصة من قبل ابن الزبير رضي الله عنه فبعد مقتل المختار بن أبي عبيد ـ [2] الذي كان يتظاهر بمناصرة العلويين ويدعي أنه مفوض من محمد بن الحنفية ـ شدد ابن الزبير على ابن الحنفية وطلب منه أن يبايع له فإن امتنع فالحرب، ولما كان محمد ابن الحنفية رجل سلم لا يريد قتال أحد ولا خلافه وفي الوقت نفسه لن يتخلى عن رأيه الذي يدين الله به بحث له عن مخرج من مأزقه هذا، وقد انفتح له باب مخرج من قبل عبدالملك بن مروان حيث أنه لما علم بموقف ابن الزبير من ابن حنيفة وتضييقه عليه أرسل له كتابا يعرض عليه لقدوم إليه، ومما جاء فيه: (إنه قد بلغني أن ابن الزبير قد ضيق عليك وقطع رحمك واستخف بحقك حتى

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، وكان والده من جلة الصحابة استشهد يوم الجسر، وأما المختار فولد عام الهجرة وليست له صحبة ولا رؤية، وكانت أخباره غير مرضية، فقد طلب الإمارة بالدين، واستغل مقتل الحسين t لتحقيق أغراضه فادعى أنه مكلف من قبل محمد بن الحنفية وكان يطلق عليه المهدي وزور على لسانه كتابا ادعى أنه أرسله إليه، وادعى النبوة، فسمي الكذاب، وقتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين للهجرة. (ابن حجر: الإصابة ٦/ ١٩٨ ت: ٨٥٣٩. والزركلي: خير الدين : الأعلام، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ٧/ ١٩٢).

تبايعه فقد نظرت لنفسك ودينك وأنت أعرف به حيث فعلت ما فعلت، وهذا الشام فانزل منه حيث شئت فنحن مكرموك وواصلوا رحمك وعارفوا حقك .) [1] فلما جاء الكتاب محمد بن الحنفية قال لأصحابه: هذا وجه نخرج إليه، فخرج ومعه أصحابه، ونزل في أيلة [2]، فلما استقر بها هو وأصحابه أحسن جوار من حوله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ولم يظلم أحد من الناس بقربه [3] وهذه المعاملة لفتت أنظار الناس من حوله، واستهوت نفوسهم إليه، مما جعل عبدالملك يتخوف العاقبة، فلجأ عبدالملك إلى مستشاره قبيصة بن ذؤيب وجليسه روح بن زنباع [4] وبهذا رمى عبدالملك بالقضية بين يدي قبيصة ومعه روح بن زنباع، فبم أشار قبيصة في هذا الأمر الذي يتعلق بأحد أقطاب الأمة في عصره وهو محمد بن الحنفية ؟

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠٧.

(٢) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم، (الأحمر) مما يلي الشام هي آخر الحجاز وأول الشام (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١/ ٢٩٢) وهي تعرف اليوم باسم (العقبة) ميناء الأردن على خليج العقبة. (البلادي: عاتق بن غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ٣٥).

(٣) ابن سعد: المصدر السابق: ٥/ ١٠٧.

(٤) هو روح بن زنباع الجذامي الأمير الشريف، سيد قومه ومن أنصار بني أمية، تولى جند فلسطين ليزيد بن معاوية وشارك في مرج راهط مع مروان بن الحكم ومن المقربين لدى عبدالملك (الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٥١).

يذكر ابن سعد [1] أن قبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع أشارا عليه بقولهما له: (ما نرى أن تدعه يقيم في قربه منك وسيرته سيرته حتى يبايع لك أو تصرفه إلى الحجاز .) فكتب عبدالملك إلى محمد بن الحنفية يطلب منه إما أن يبايع له وأغراه في ذلك بالأموال الطائلة وأن يفرض له وقرابته ومواليه وأصحابه، فإن أبى فعليه أن يتحول إلى موضع لا يكون لعبدالملك فيه سلطان، ورضخ محمد لقضاء الله وقدره وسلم به، وكان خروجه من سلطان عبدالملك والعودة إلى الحجاز مع ما في ذلك من ضيق وشدة ـ حيث أنه سيعود إلى ابن الزبير ليمارس التضييق عليه من جديد ـ كل ذلك كان أهون عليه من أن يتنازل عن رأيه الذي يدين الله به ويبايع لعبدالملك.

وبعد استعراض ظروف محمد بن الحنفية رضي الله عنه ومعرفة ما أشار به قبيصة في أمر إقامته في (أيلة) لابد من وقفة حول هذا الموقف .

حين يتدبر القارئ موقف قبيصة وما أشار به وما ترتب على هذه المشورة من إحراج وتضييق على محمد بن الحنفية، حين يتدبر ذلك يجد الأسى يسيطر على مشاعره، والهم يكدر حين القراءة خاطره، كيف لا يحدث ذلك له وهو يتصور حالة ابن الحنفية، ذلك الرجل الورع المسالم وهو يتنقل من ضيق إلى ضيق، ومن شدة إلى شدة، فما إن رجع إلى الحجاز

(١) الطبقات الكبرى : ٥/ ١٠٧ .

يـريد الدخـول إلى مكـة حـتى جـاءه رسـول ابن الزبير يأمره بأن يرحل إلى منزلـه ولا يجـاوره، واسـتمرت به الشدة حتى مقتل ابن الزبير [1]، على إنه يخـالط هذه المشاعر والعواطف أسئلة تفرض نفسها على الباحث والقارئ، هـل قبيصـة بـن ذؤيـب وهو العالم الفاضل لم يقدر هذه المتاعب والعواقب المؤسـفة لابـن الحنفية ؟ أم أنه يدركها ولكن أمر محمد وما سيواجهه أمر لا يهمـه ولا يـبالي بـه ؟ أم أن هـناك عواقـب أخـرى ضـررها أكـبر وأشـد اضطرت قبيصة إلى أن يلجأ إلى ارتكاب أخف الضررين ؟

أمـا الاحـتمال الأول فهـو بعيد كل البعد عن قبيصة لما يتصف به من فطـنة ومعرفة لعواقب الأمور وسبر أغوارها كما يشهد لذلك حاله وأفعاله الـتي تتضـح مـن مواقفه التي ستمر بنا بعد، يضاف إلى ذلك أن قبيصة على عـلم بمـا كان يعانيه ابن الحنفية بجوار ابن الزبير قبل قدومه الشام وما كتب لـه عـبدالملك بـالقدوم إلا حيـنما عـلم بتشـديد ابـن الزبير عليه، فكتب له بـالقدوم لعلـه يسـتميل بذلـك قلـبه. إذا فقبيصة يدرك ما سيواجه محمد بن الحنفية من مخاطر.

وأمـا احـتمال أنـه لم يـبال بأمـر ابن الحنفية فهو أبعد من سابقه ونربأ بقبيصـة ـ رحمـه الله ـ وحاشـاه وهـو العـالم الكبير والفقيه القدير أن يرضى

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠٧.

لمحمد بن الحنفية ما واجهه من حرج وما لقيه من عنت، لا سيما وهما عالمان مدنيان من طبقة واحدة، ونهلا من منهل واحد [(١)]، بل إنه بعد تبدل الأحوال بالقضاء على ابن الزبير ونهاية سلطانه، واجتماع الناس على عبدالملك، وحين أتيحت الفرصة لقبيصة ليبرهن على حبه وتقديره لمحمد بن الحنفية لم يتردد في ذلك لحظة. فحين كتب ابن الحنفية إلى عبدالملك كتابا جاء فيه: (فلما أفضى هذا الأمر إليك وبايعك الناس كنت كرجل منهم أدخل في صالح ما دخلوا فيه، فقد بايعتك وبايعت الحجاج لك، وبعثت إليك ببيعتي ورأيت الناس قد اجتمعوا عليك ونحب أن تأمننا وتعطيا ميثاقا على الوفاء، فإن الغدر لا خير فيه، فإن أبيت فإن أرض الله واسعة .) فلما جاء الكتاب عبدالملك وقرأه قبيصة قال لعبدالملك: (مالك عليه سبيل، ولو أراد فتقا لقدر عليه ولقد سلم وبايع فنرى أن تكتب له بالعهد والميثاق والأمان له ولأصحابه ففعل.) [(٢)]

لما سبق فإن الاحتمال الثالث ـ وهو ارتكاب أخف الضررين ـ هو الذي أملى على قبيصة اتخاذ موقفه في هذه القضية، وقد تقرر سلفا أن ما لقيه محمد بن الحنفية من جراء هذا الموقف ضرر ظاهر، فما هو الضرر

---

(١) ذكر ابن سعد قبيصة ومحمد بن الحنفية في طبقة واحدة في عداد من روى عن مجموعة من الصحابة اختصوا بالرواية عنهم. (ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٩١، ١٧٦.)

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ١١١.

الآخر الذي تخوفه قبيصة من بقاء ابن الحنفية في الشام ؟ يمكننا أن نتبين هذا الضرر من خلال بعض المعلومات التي وردت في ذكر مسير ابن الحنفية إلى الشام وإقامته في (أيلة) وانصرافه منه بعد ذلك، ويكمن هذا الضرر في ظهور تكتل جديد في الأمة بين الشام والحجاز، وقد ظهرت علامات هذا التكتل واضحة من خلال بعض المعلومات الواردة ومن أهمها ما يلي :

١-التفاف الناس حول محمد بن الحنفية وحبهم له حبا شديدا وتعظيمهم له ولأصحابه [١] وفي هذا بداية استقلال مجموعة من الناس يجمعها حب وتقدير رجل بين أظهرهم وإن كان لا يرغب في زعامة أو قيادة.

٢-تزايد أعداد هذا التكتل بحيث أصبحت منطقة العقبة (أيلة) محل استقطاب ومركز جذب سياسي، وقد ذكر ابن سعد أن عددهم وصل إلى سبعة آلاف رجل [٢]، وهذا غير عدد أصحاب المنطقة، وكان ذلك في أقل من أربع سنوات [٣]، ولو طالت المدة لزاد العدد أكثر تبعا لذلك.

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ص: ١٠٧.

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى: ص: ١٠٨.

(٣) كان خروج ابن الحنفية على ما ذكره ابن عساكر سنة ٦٩هـ قبل مقتل ابن الزبير بأشهر كما ذكره ابن سعد. (ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٣/١٠٦، ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/١٠٩).

٣- ويزيد من خطورة الأمر أن أكثر أو جل من قدم إلى محمد بن الحنفية من أهل العراق بدليل قول أبي الطفيل أحد أصحاب محمد بن الحنفية في معرض ذكره لعودتهم من الشام حيث قال: (فانصرفنا راجعين فأذن ـ أي محمد بن الحنفية ـ للموالي ولمن كان معه من أهل الكوفة والبصرة ورجعوا من (مدين)) [(١)] فلم يبقى من السبعة آلاف رجل إلا تسعمائة. [(٢)] ومعلوم أن تكتل أهل العراق وتجمعهم على ابن علي بن أبي طالب منذر بقيام فتنة جديدة كالتي قام بها المختار بن أبي عبيد، ليس على يدي محمد بن الحنفية فهو رجل مسالم تؤمن فتنته، ولكن الخشية أن يستغل هذا التكتل هواة الزعامة والرياسة وهم كثر في أهل العراق، وإذا حدث هذا لم يكن بوسع محمد بن الحنفية منعه أو القيام ضده فقد يكون هو الضحية بنفسه، ألا ترى أن المختار لما بلغه عزم ابن الحنفية المسير إلى الكوفة ـ قبل خروجه إلى الشام ـ ثقل عليه ذلك لأنه سيحرم الزعامة التي استغل اسم محمد بن الحنفية وآل البيت لنيلها، لذا قال لأتباعه وكان يزعم

---

(١) مدين: تعرف اليوم (البدع) وهي بين تبوك والساحل، على ١٣٢ كيلا غرب تبوك، ويقال إن بئر شعيب التي استقى منها موسى (عليهما السلام) كانت بهذا الموضع. (البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ص: ٢٨٤).

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠٨، ١٠٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٢٤، ١٢٥.

أن ابـن الحنفية هو المهدي: (إن في المهدي علامة، يقدم بلدكم هذا، فيضربه رجل في السوق بالسيف لا يضره ولا يحيك فيه.) [1]

إن كـل ما تقدم ذكره من أدلة على ظهور تكتل يوحي بانقسام جديد في الأمـة، ويـزيد في تفـرقها، وهـذا مـا دفـع في ـ نظـري قبيصـة ـ لـتقديم المصـلحة الكـبرى للأمـة على المصلحة الخاصة لمحمد بن الحنفية بالرغم من أن هـذا لا يرضـي قبيصـة لكـنه اضـطر إلـيه وهـو يوقن بإيمان ابن الحنفية وصـبره عـلى الـبلاء واحتسـابه ذلـك عـند الله مقـابل موقفه الذي ارتضاه لنفسه تدينا .

ومـن المواقـف السياسية المحفوظة لقبيصة بن ذؤيب في عهد عبدالملك موقفه من محاولة عبدالملك خلع أخيه عبدالعزيز بن مروان.

فكـان مـروان بـن الحكـم قـد عقد ولاية العهد لابنيه عبدالملك ومن بعـده عـبدالعزيز [2] ، وبعـد وفـاة مـروان تمـت الـبيعة بالخلافـة لعبدالملك وبولايـة العهد لأخيه عبدالعزيز من قبل المؤيدين لبني أمية، ثم تأكدت تلك الـبيعة من الأمة بعد مقتل ابن الزبير ونهاية سلطانه، ولكن عبدالملك بعدما استقرت له الأمور، وتذوق حلاوة الملك في دنياه ورغب في استمرار الذكر

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/١١٨.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ص: ٢٦١.

له بعد الوفاة لا سيما وقد رأى أن كلا من ابنيه الوليد وسليمان قد بلغ من الرشد مبلغه وتحركت فيه عاطفة الأبوة تجاههما، فأحب أن يصرف ولاية العهد من بعده لهما دون أخيه عبدالعزيز، وكان قد عزم على ذلك إلا أن قبيصة بن ذؤيب نهاه عن ذلك، فقد أورد ابن سعد هذا الخبر [1] واستقاه منه ابن عساكر في تاريخه لمدينة دمشق [2] فيقول ابن سعد في ذلك: (قالوا: كان عبدالملك بن مروان قد هم أن يخلع أخاه عبدالعزيز بن مروان ويعقد لابنيه الوليد وسليمان بعده بالخلافة، فنهاه قبيصة بن ذؤيب وقال: لا تفعل هذا فإنك تبعث عليك صوتا نعارا [3]، ولعل الموت يأتيه فتستريح منه. فكف عبدالملك عن ذلك ونفسه تنازعه أن يخلعه، فدخل عليه ليلة روح بن زنباع الجذامي، وكان يبيت عند عبدالملك وكان أحلى الناس كلاما عند عبدالملك، فقال: يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انتطحت فيه عنزان. قال: ترى ذلك يا أبا زرعة؟ قال: أي والله وأنا أول من يجيبك إلى ذلك، فقال نصبح إن شاء الله. فبينما هو على ذلك وقد نام عبدالملك بن مروان وروح بن زنباع إلى جنبه إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب . . فقال آجرك الله يا أمير المؤمنين في أخيك. فقال: فهل توفي؟ قال: نعم. فاسترجع عبدالملك

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٥/ ١٥٤.

(٣) النعار: العاصي والخراج السعاء في الفتن. (الفيروزآبادي: القاموس المحيط/ نعر).

بن مروان ثم أقبل على روح فقال: أبا زرعة كفانا الله ما كنا نريد وما أجمعنا عليه. .)

ولا شك أن ما هم بع عبدالملك من محاولة خلع أخيه إجراء سياسي خطير كان يمكن أن يعرض الدولة الأموية لخطر التصدع والفتنة، لا سيما وأن ليس له ما يبرره إذ لا يؤخذ على عبدالعزيز بن مروان في شيء من أموره ما يدعو لذلك، لكن الله كفى ووقى الأمة من مغبة ذلك، بنهي قبيصة لعبدالملك أولا، وبوفاة عبدالعزيز بن مروان ثانيا.

ومن خلال هذا الموقف لقبيصة يمكن أن نستشف منهجه في التعامل مع عبدالملك كمشير ووزير، ويتمثل ذلك المنهج في صدقه في النصيحة ومراعاة المصلحة العامة للأمة والدولة، فهو لم يجامل عبدالملك بموافقته له فيما يوده ويهواه، بل دفعه إخلاصه لله وتقديره لمصلحة الأمة بعامة والبيت الأموي بخاصة أن يقول رأيه بصراحة وإن كان يعلم أنه يخالف ما في نفس عبدالملك ويضاد رغباته وعواطفه تجاه بنيه، وكان مع هذا يرى أن قوله برأيه وإبدائه النصح على وجهه لن يقلل من قدره عند عبدالملك إن لم يزده، وبمثل هذا الصدق من قبيصة ورحابة الصدر من عبدالملك تسمو الأمم ويعم الخير وتتحقق المصالح.

ومن المواقف التي تذكر لقبيصة أيضا موقفه من محنة الإمام الجليل سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ. ذلك أن عبدالملك بعد وفاة أخيه عبدالعزيز

عقد البيعة من بعده لابنيه الوليد وسليمان، وبعث إلى البلدان لأخذ البيعة لهما، ففي المدينة دعا واليها هشام بن إسماعيل المخزومي الناس إلى البيعة فبايعوا إلا سعيد بن المسيب فإنه أبى وقال: أنظر [1]. فضربه هشام وطاف به ثم سجنه، وبعث إلى عبدالملك يخبره بما فعل [2].

وكانت الرسائل - كما سبق ذكره - تصل إلى قبيصة بن ذؤيب ويقرؤها قبل عبدالملك، فلما وصل كتاب هشام واطلع على ما فيه كان له موقف من تصرف هشام مع سعيد بن المسيب، ويصور لنا ابن سعد [3] ومن نقل عنه موقف قبيصة هذا أدق تصوير حيث قال: (أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني أبوبكر بن عبدالله بن أبي سبرة عن المسور بن رفاعة قال: دخل قبيصة بن ذؤيب على عبدالملك بن مروان بكتاب هشام بن إسماعيل يذكر أنه ضرب سعيدا وطاف به. قال قبيصة: يا أمير المؤمنين يفتات عليك هشام بمثل هذا؟ يضرب ابن المسيب ويطوف به؟ والله لا

(١) سيأتي بيان خبر موقف سعيد بن المسيب وعلاقته بالخلفاء في المبحث الأول من الفصل الرابع.

(٢) ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف، القاهرة: ٤٣٧، ٤٣٨. ابن سعد الطبقات الكبرى:٥/ ١٢٦. الذهبي:سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٣٠.

(٣) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٦، ١٢٧.

يكـون سـعيد أبـدا أمحـل ولا ألج [1] منه حين يضرب، سعيد لو لم يبايع ما كـان يكـون منه؟ ما سعيد ممن يخاف فتقه ولا غوائله على الإسلام و أهله، وإنـه لمـن أهـل الجماعة والسنة. وقال قبيصة: أكتب إليه يا أمير المؤمنين في ذلـك. فقـال عـبدالملك: أكتـب أنـت إليه عني تخبره برأيي فيه ومخالفتي من ضـرب هشـام إيـاه. فكتـب قبيصـة إلى سعيد بذلك. فقال سعيد حين قرأ الكتاب: الله بيني وبين من ظلمني.)

وهـذا الـنص يقـدم لنا صورة حية متكاملة يظهر عبرها موقف قبيصة بوضـوح وجـلاء، حيـث تنقلـنا هـذه الصـورة إلى مجلس عبدالملك وقبيصة يدخـل ويلقي عليه تلك الكلمات التي توحي كل جملة منها بحركات قبيصة وقسـمات وجهه ونبرات صوته، وانفعالاته التي تتحول إلى عمل يثمر قرارا سياسـيا مهمـا. وحـين نقـف نتـبين إيحاءات ودلائل ذلك الموقف، فإن أول مشـهد يـبدو لـنا صـورة قبيصـة وهـو يدخـل وبيده كتاب هشام في سرعة تخالطهـا الدهشـة والغضـب ممـا في الكـتاب فيقول بدهشة: يا أمير المؤمنين يفـتات علـيك هشـام بمـثل هـذا ؟. فهـو يتسـاءل مستنكرا لهذه الحالة التي وصـل إلـيها والى المديـنة مـن اختلاق مثل هذا التصرف باسم الخليفة ومع

(١) المحل: المكر والكيد، وما حله مماحلة ومحالا: قاومه حتى يتبين أيهما أشد. واللجاجة: الخصومة. (الفيروزآبادي: القاموس المحيط/ مادة محل ولج).

من ؟ مع سعيد بن المسيب عالم المدينة وفقيه زمانه، والاستنكار موجهه للاثنين معا. ثم يردف استنكاره هذا ببيان خطأ مثل هذا التصرف وفشله، فسعيد كما يقول: والله ما يكون أبدا أمحل ولا ألحج منه حين يضرب، ويثبت قبيصة هنا أنه أكثر إدراكا من هشام بن إسماعيل بالرجال، وأدق وعيا في الاستفادة من الأحداث وما تمليه من عبر ودروس، فهو أدرى من هشام بطبيعة سعيد بن المسيب الذي لا تؤثر فيه المحن إلا صلابة، ولا يزيده الإكراه إلا تمسكا برأيه، فهشام نفسه عندما ضرب سعيد وسجنه بعث إليه في سجنه أبا بكر بن عبدالرحمن بن الحارث [1]، فلما خرج منه بعد محاورته له سأله هشام هل لأن سعيد منذ ضربناه ؟ فقال أبو بكر: والله ما كان أشد لسانا منه منذ فعلت به ما فعلت فاكفف عن الرجل. [2]

أما استفادة قبيصة من الأحداث السابقة فقد كان جابر بن الأسود والي المدينة لابن الزبير قد مارس أسلوب هشام نفسه مع سعيد لكي يبايع لابن الزبير حيث ضربه ستين سوطا فلم يفل ذلك من عزمه وما زاده إلا

(١) أحد سادات قريش فقها وعلما وورعا وفضلا، ويعد من فقهاء المدينة السبعة، مات سنة ٩٤هـ. (الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/٤١٦)

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/١٢٧.

صلابة في موقفه [1] فكان الأجدر بهشام أن يعي الدرس ويأخذ العبرة منه. وعلاوة على ذلك فإن سعيد بن المسيب ـ كما يقول قبيصة ـ ليس ممن يخاف فتقه ولا غوائله، فما دام لا يخشى منه إثارة غيره أو السعي إلى شق عصا الطاعة وتفريق الأمة وحاشاه وهو من أهل السنة والجماعة أن يفعل ذلك، فما دام الأمر كذلك فإن إقحام الخليفة والدولة في مثل هذا التصرف يضر بسمعتها ويعرضها لغضب الخاصة والعامة، بل لغضب الله وعقابه، فمن يمنع سعيد بن المسيب ـ وهو ولي من أولياء الله لم تفته صلاة الجماعة أربعين سنة ـ من يمنعه أن يرفع كفيه إلى ربه يسأله أن ينتقم له ممن ظلمه، ومن يأمن عدم استجابة الله لعبده ووليه.

وبعد أن أدرك قبيصة أنه استطاع إقناع عبدالملك برأيه طلب منه أن يكتب إلى سعيد يسترضيه ويخبره بعدم رضاه عما فعله به هشام، فيستجيب عبدالملك لذلك ويأمر قبيصة أن يكتب باسمه كتابا إلى سعيد بما أشار به، وبعث كتابا آخر إلى والي المدينة ومما جاء فيه: (سعيد كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه، وإنا لنعلم ما عند سعيد شقاق ولا خلاف.)[2] وما في هذا الكتاب من أوامر هي فحوى ما أشار به قبيصة.

---

(١) ابن قتيبة: المعارف ص: ٤٣٧. ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٩٣. لكنه يذكر أن والي المدينة الذي ضرب سعيد هو عبدالرحمن بن الأشعث وهذا غير المشهور.

(٢) ابن سعد: المصدر السابق: ٥/ ١٢٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٦٠.

ويتضح مما سبق أثر قبيصة الكبير في صياغة موقف عبدالملك وقراره في مثل هذه القضايا المهمة والخطيرة، كما يظهر أثره الفعال في إطفاء الفتن وحسن معالجته لها معالجة تنم عن بعد نظره ومعرفته بعواقب الأمور من منطبق إرضاء الله أولا ثم الحرص على مصلحة الأمة والدولة ثانيا.

ونختم نماذج مشاركات قبيصة وتأثيره في عهد عبدالملك بمحاولته إصلاح بطانة عبدالملك، بتقريب العلماء له وجعلهم ضمن جلسائه ليكثر بذلك سوادهم عنده ويكون تأثيرهم أقوى وأنفع، ومن ذلك محاولته تقريب الإمام الزهري إلى عبدالملك، فتشير بعض الروايات [1] التي ذكرت صلة الزهري بعبدالملك أن الزهري خرج إلى المدينة لما اشتد به ضيق ذات اليد وساءت أحوال أهله وليس له مورد فرحل إلى الشام، وذكرت بعض الروايات أنه اتصل بقبيصة وجالسه مدة قبل اتصاله بعبدالملك [2]، بيد أن الرواية التي نحن بصددها تذكر بأن قبيصة لم يتعرف عليه إلا حين دخل مسجد دمشق يبحث عن من يحفظ حديثا في مسألة احتاج إليها الخليفة [3]

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق زياد منصور، الطبقة الثانية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ ص: ١٥٨. كما أشار إليها الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٣٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ص: ٣٢٩.

(٣) هذه المسألة في حكم أمهات الأولاد وما قضى به عمر بن الخطاب فيها.

فأخبره الزهري أنه يحفظ حديثا في حكم عمر في المسألة، فتعرف عليه قبيصة ثم انطلق به إلى عبدالملك وتم اللقاء الأول بين الزهري وعبدالملك، وأخبره بالحديث الذي يحفظ وعندما هم بالخروج أحب أن يستغل هذه الفرصة فطلب من عبدالملك أن يفرض له لكن عبدالملك قال له: إيها الآن انهض لشأنك. فلما خرج تبعه قبيصة ولامه على استعجاله في سؤاله، وقال الزهري: ظننت والله أني لا أعود إليه، فقال قبيصة: ائتني في المنزل فلحق به الزهري فلما بلغ منزله كساه ومنحه بغلة ومائة دينار وغلاما، وفي اليوم التالي رجع إليه الزهري فأدخله على عبدالملك وقال له: إياك أن تكلمه بشيء وأنا أكفيك أمره، فلما دخل على عبدالملك دخل معه في نقاش حول الأنساب وانتهى المجلس بفرض عبدالملك له في العطاء، فلما خرج تبعه قبيصة وقال له إن أمير المؤمنين أمر أن تثبت في صحابته [1]. وأن يجري عليك رزق الصحابة، وأن يرفع فريضتك إلى أرفع منها، فالزم باب أمير المؤمنين. وبعد ذلك توطدت العلاقة بين عبدالملك والزهري، وتكرر دخوله عليه بانتظام شأنه شأن أصحابه وجلسائه، ولكن حرص الزهري على العودة إلى المدينة لمواصلة طلب العلم وتولي مؤونة أهله وذويه جعله يرحل وينقطع عن عبدالملك، وقد كانت صلته هذه على يد قبيصة بداية

---

(١) هم جلساء عبدالملك الذين يصحبونه ويحيون مجلسه.

اتصـال الزهـري بخلفـاء بـني أمية بعد عبدالملك. [1] ويختصر ابن سعد [2] أثر قبيصة لتقريب الزهري لبني أمية بقوله: (وهو الذي أدخل الزهري على عبدالملك بن مروان ففرض له ووصله وصار من أصحابه).

وكـان هـذا من قبيصة ليس حرصا على مصلحة الزهري فحسب بل كـان همـه إصـلاح بطانـة عـبدالملك وتكـثير سواد أهل العلم والصلاح في بلاطـه ممـا سيكون له أثر في توجيه سياسة الدولة نحو الأصلح بالتأثير على عبدالملك من قبل جلسائه وبطانته.

رجاء بن حيوة ومكانه عند خلفاء بني أمية.

ومـن العـلماء الذيـن كان لهم قرب وحظوة عند خلفاء بني أمية العالم الفقـيه رجـاء بـن حـيوة ـ رحمـه الله ـ يقـول عنه سعيد بن صفوان: وكانت الخلفـاء تعـرفه بفضـله، فيـتخذونه وزيـرا ومستشـارا وقـيما عـلى عمـالهم وأولادهم. [3] وقال عنه الأصفهاني: مشير الخلفاء والأمراء [4] .

---

(١) نقلت هذه الرواية بتصرف عن الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٣٠ وما بعدها.

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٤٧.

(٣) ابن عبدالحكم: أبو محمد بن عبدالله: سيرة عمر بن عبدالعزيز، تصحيح وتعليق أحمد عبيد، ط، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ: ص: ١٢٣.

(٤) الحلية: ٥/ ١٧٠.

وقد بدأ اتصاله بهم منذ عهد عبدالملك حيث تبوأ في عهده مكانة كبيرة تنم عن ثقة عبدالملك به وتقديره له، فمن ذلك أنه عندما عزم عبدالملك على إعمار المسجد الأقصى وتحسينه سنة ست وستين للهجرة أسند إلى رجاء بن حيوة أمر الإشراف والإنفاق على ذلك وأرسل إليه الأموال الطائلة ليتولى صرفها عليه (١) وقد استمر العمل في إعمار المسجد الأقصى وبناء قبة الصخرة زمنا طويلا حيث لم ينته إلا سنة ثلاث وسبعين للهجرة (٢).

ولما تم لعبدالملك القضاء على مصعب بن الزبير وضم العراق إلى سلطانه عين أخاه بشر بن مروان على الكوفة سنة اثنتين وسبعين للهجرة (٣) وأرسل معه رجاء بن حيوة فقدم معه الكوفة (٤) ولعل عبدالملك حين أرسله مع أخيه ليكون مشيرا ومعينا له في عمله لا سيما في أول الأمر. ولم تذكر المصادر التي اطلعت عليها هل بقي رجاء مع بشر بن

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٨٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٨٠.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه: ص: ٢٦٨. البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر: أنساب الأشراف، مكتبة المثنى، بغداد، ٥/ ٣٥٤.

(٤) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٣٦٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٥٨.

مـروان في العـراق أم لا. إلا أن مـدة عمـل بشـر بن مروان على العراق لم تطل حيث توفى سنة خمس وسبعين للهجرة [1]

وكـان رجـاء يحضـر مجالس عبدالملك ويسدي له من النصائح ما يراه مناسـبا فـيذكر ابن خلكان [2] أن رجاء كان يوما عند عبدالملك بن مروان، وقـد ذكـر عـنده شـخص بسـوء، فقـال عبدالملك: والله لئن أمكنني الله منه لأفعلـن بـه ولأصـنعن، فلما أمكنه الله هم بإيقاع الفعل به، فقام إليه رجاء بن حيوة فقال: يا أمير المؤمنين قد صنع الله لك ما تحب فاصنع ما يحب الله من العفو، فعفا عنه وأحسن إليه .

وفي عهـد الولـيد بـن عـبدالملك لا نجد لرجاء كبير أثر أو ذكر، ولعل ذلـك يـرجع إلى مـا سـبقت الإشـارة إلـيه مـن أن الولـيد كان ميالا للتفرد بالحكم.

وقـد بلغـت مشـاركة رجـاء وتـأثيره السياسـي في عهـد سـليمان بن عـبدالملك الـذروة، فقـد اتخـذه سليمان وزير صدق له يستشيره في كثير من الأمـور والقضـايا المـتعلقة بسياسـة الدولـة وإدارتهـا، فقـال عـنه سعيد بن صـفوان: **وكانـت له مـن الخاصـة والمنزلة عند سليمان بن عبدالملك ما**

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخه: ص: ٢٧٣.

(٢) ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م: ٢/ ٣٠٢.

ليس لأحد، يثق به ويستريح إليه. [١] وأورد الأصفهاني [٢] عن رجاء قوله: (إني لواقف مع سليمان بن عبدالملك وكانت لي منه منزلة...) وعن المعلى بن رؤبة التميمي قال: كانت لي حاجة إلى رجاء بن حيوة وكان عند سليمان، فلقيته في الطريق فقال: ولى أمير المؤمنين اليوم عبدالله بن موهب[٣] القضاء ولو خيرت بين أن أحمل إلى حفرتي وبين ما ولي ابن موهب لاخترت أن أحمل إلى حفرتي. قال: قلت له: إن الناس يزعمون أنك الذي أشرت به. قال: صدقوا إني إنما نظرت للعامة ولم أنظر له. [٤]

وهذا يوضح لنا أمرين:

أولهما: مكانة رجاء عند سليمان ومدى تأثيره عليه في اختيار رجاله واشتهار ذلك عند الناس.

ثانيهما: منهج رجاء وهدفه من القرب لدى الخلفاء وهو إصلاح أمر عامة الأمة والسعي فيما يحقق الخير لهم بغض النظر عن مصلحته

---

(١) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ١٢٣.

(٢) حلية الأولياء: ٥/ ١٧١.

(٣) الهمداني ويقال الخولاني أبو خالد الشامي، ولاه عمر بن عبدالعزيز قضاء فلسطين. (ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٦/ ٤٧.)

(٤) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٣٦٩، ٣٧٠. الأصفهاني: حلية الأولياء: ٥/ ١٧٠، ١٧١.

الخاصة أو مصلحة بعض الأشخاص ولو كانوا ممن يعزون عليه ما دام في ذلك مصلحة عامة الأمة والدولة .

وقد كان رجاء ملازما لسليمان بن عبدالملك حتى في سفره بدليل أنه كان مع سليمان حين خرج إلى دابق [1] وكان يخلو معه في مجلسه وأشرف بنفسه على تمريضه حتى مات [2] ، وقال ابن عيينة: حدثني من شهد دابق، وكان مجتمع غزو الناس، فمات سليمان بدابق، ورجاء بن حيوة صاحب أمره ومشورته. [3]

على أن أكبر تأثير سياسي لرجاء في عهد سليمان يظهر في إشارته عليه باستخلاف عمر بن عبدالعزيز من بعده، والتخطيط الدقيق لتنفيذ ذلك بحكمة وحنكة، وقد وردت روايات عدة في الطريقة التي تم بها استخلاف سليمان لعمر من بعده، وهذه الروايات تكاد تجمع على الأثر الكبير الذي قام به رجاء بن حيوة في هذا الأمر الخطير، وينحصر الاختلاف في ما بينها في أمر واحد هو: هل سليمان هو الذي اقترح ابتداء

(١) دابق: قرية قرب حلب عند مرج معشب كان ينزله بنو مروان إذا غزو الصائفة وكان سليمان بن عبدالملك قد عسكر بها عندما بعث الجيوش لغزو القسطنطينية، وتوفى بها (الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٤١٦، ٤١٧).

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٥٥٠ – ٥٥٢.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٣.

عمر ورشحه للخلافة ومن بعده يزيد وأيد رجاء ذلك، أم أن رجاء هو الذي أشار بذلك على سليمان؟.

فأما الروايات التي ورد فيها أن رجاء هو الذي اقترح اسم عمر بن عبدالعزيز ابتداء ويزيد من بعد عمر كحل للإشكال الذي طرحه سليمان، هذه الروايات وردت في عدة مصادر بطرق مختلفة بعضها مسند والبعض الآخر بدون إسناد، فمن المسند منها ما ذكره ابن سعد [(١)] عن محمد بن علي المدائني عن جرير بن حازم عن هزان بن سعيد [(٢)] قال: حدثني رجاء بن حيوة . . . ، وذكرها الذهبي كذلك [(٣)]، كما أورد الذهبي [(٤)] رواية أخرى عن طريق الوليد بن مسلم عن عبدالرحمن بن حسان الكناني، وذكرها أيضا ابن عساكر عن طريق عبدالرحمن بن حسان هذا [(٥)] .

وأما الروايات التي ذكرت أن سليمان لما استشار رجاء رد رجاء الأمر إليه ليعرف ما في نفسه فلما ذكر عمر ـ وهو ما كان يجول بخاطر رجاء ـ

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٣٩.

(٢) ذكر الذهبي أن اسمه هزان بن سعيد وكذلك ذكره الرازي في الجرح والتعديل، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ٩/ ١٢٢. ولكن في طبقات ابن سعد هزان بن سعد فلعله حدث خطأ في الطباعة أو تصحيف في النقل.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٣.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٤.

(٥) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١٠٤.

أيـده عـلى ذلـك، فالمعول عليه في هذه الروايات ما رواه ابن سعد [١] عن محمـد بـن عمـر (الواقـدي) عـن داود بن خالد عن سهيل بن أبي سهيل قـال: سمعـت رجـاء يقول: . .، ونقلها عن ابن سعد كل من الطبري [٢]، وابن الجوزي [٣] وغيرهما.

ولعل الاختلاف اليسير بين هذه الروايات يرجع في نظري إلى أسباب مـنها: تعـدد الطرق التي روي بها هذا الخبر، وذكر رجاء له أكثر من مرة في عـدة مجـالس فمـرة يكون موجزا ومرة يكون مفصلا، كما أن الخلاف بينها ظاهـري أكثر منه جوهري، وحقيقة الأمر أن رجاء هو الذي رشح عمر بن عـبدالعزيز لـلخلافة ومهـد طـريقها له بصرف نظر سليمان عن تولية أبنائه من بعده وبتأكيده على اختيار عمر وبيان أهليته لذلك ثانيا .

وسـأكتفي بذكـر روايـة الولـيد بـن مسـلم خشـية الإطالة، ولاتصال سـندها وتوثـيق رواتها [٤]، كما سأشير إلى مواضع الاختلاف أو الزيادة في الروايات الأخرى في الهامش وهذه هي الرواية:

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٣٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٥٥٠ – ٥٥٢.

(٣) ابن الجوزي: أبو الفرج بن عبدالرحمن: سيرة عمر بن عبدالعزيز، دار الفكر: ٣٧. المنتظم في تاريخ الملوم والأمم : مخطوط: ٢/ ١٣٢/ب.

(٤) فقد وثق مسلم بن عقبة عدد من علماء الجرح والتعديل فقال عنه ابن سعد وابن عدي ثقة، وقال عنه أبو حاتم صالح الحديث كما وثق عبدالرحمن بن حسان الكناني أيضا، فذكره ابن حبان في =

قال عبدالرحمن بن حسان الكناني:

لما مرض سليمان بن عبدالملك المرض الذي توفي فيه، وكان مرضه بدابق، ومعه رجاء بن حيوة فقال لرجاء بن حيوة: يا رجاء من لهذا الأمر من بعدي [1]. أستخلف ابني ؟ قال ابنك غائب. قال فالآخر ؟ قال: ذاك صغير. قال: فمن ترى ؟ قال: أرى أن تستخلف عمر بن عبدالعزيز. قال: أتخوف من بني عبدالملك ألا يرضوا. قال: فول عمر بن عبدالعزيز ومن

الثقات كما وثقه كل من العجلي، وابن شاهين، وابن معين، وذكر ابن حجر أن الوليد بن مسلم روى عن عبدالرحمن بن حسان، وأن عبدالرحمن روى عن رجاء بن حيوة. (ابن عبدالهادي: طبقات علماء الحديث: ١/ ٤٣٥. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب: ١١/ ١٥١، ٦/ ١٣٦) وعلاوة على ذلك فهذه الرواية تعضدها رواية هزان بن سعيد.

(١) في رواية سهيل بن أبي سهيل أن سليمان لما أحس بالمرض كتب كتابا بالعهد لابنه أيوب ، فلما رآه رجاء قال له: ما تصنع يا أمير المؤمنين، إنه مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح. وقال سليمان: كتاب أستخير الله فيه وانظر ولم أعزم عليه، فمكث يوما أو يومين ثم خرقه ودعاه رجاء فقال: ما ترى في داود بن سليمان ؟ فقال رجاء: هو غائب بقسطنطينية وأنت لا تدري أحي هو أم ميت، قال: يا رجاء فمن ترى ؟ قال قلت: رأيك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد من يذكر. فقال كيف ترى عمر بن عبدالعزيز ؟ فقلت: أعلمه والله فاضلا خيارا مسلما، فقال: هو على ذلك، والله لئن وليته ولم أولي أحدا من ولد عبدالملك لتكونن فتنة ولا يتركونه أبدا يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده. فيزيد بن عبدالملك أجعله بعده فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به. قال رجاء: قلت: رأيك قال: فكتب بيده: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبدالله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبدالعزيز إني وليته الخلافة من بعدي ومن بعده يزيد بن عبدالملك، فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب ...

بعـده يـزيد بن عبدالملك، وتكتب كتابا وتختم عليه وتدعوهم إلى بيعة مختوم علـيها. قـال: لقـد رأيـت، ائـتني بقـرطاس. قال: فدعا بقرطاس فكتب فيه العهـد لعمر بن عبدالعزيز ومن بعده يزيد بن عبدالملك، ثم ختمه، ثم دفعه إلى رجـاء، قـال: أخرج إلى الناس فمرهم أن يبايعوا على ما في هذا الكتاب مختوما .

قـال: فخرج إليهم رجاء فجمعهم، وقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب من بعده.

قـالوا: ومـن فـيه ؟ قـال: مختوم، لا تخـبرون بمـن فـيه حـتى يموت . قالوا: لا نبايع حتى نعلم من فيه.

قـال: فـرجع رجـاء إلى سـليمان ؛ قـال: انطلـق إلى أصحاب الشرطة والحـرس، وناد الصلاة جامعة، ومر الناس فاليجتمعوا، ومرهـم بالبيعة على ما في هذا الكتاب، فمن أبى أن يبايع منهم فاضرب عنقه .

قال: ففعل، فبايعوا على ما فيه.

قـال رجـاء: فـلما خرجـت إلى مـنزلي، فبيـنا أنـا أسـير في الطريق إذ سمعـت جلـبة موكـب، فالتفـت فإذا هشام، فقال لي: يا رجاء، قد علمت موقعـك مـنا، وإن أمـير المؤمنين قد صنع شيئا لا أدري ما هو، وأنا أتخوف أن يكـون قد أزالها عني فإن عدلها عني فأعلمني ما دام في الأمر نفس، حتى أنظـر في هـذا الأمـر قبل أن يموت. قال: قلت: سبحان الله، يستكتمني أمير

المؤمنين أمرا أطلعك عليه ! لا يكون ذلك أبدا ؛ فأدارني وألاصني [1] فأبيت عليه، قال: فانصرف.

فبينا أنا أسير إذ سمعت جلبة خلفي فإذا عمر بن عبدالعزيز، فقال لي: يا رجاء، إنه قد وقع في نفسي أمر كثير من هذا الرجل، أتخوف أن يكون قد جعلها إلي، ولست أقوم بهذا الشأن، فأعلمني ما دام في الأمر نفس لعلي أتخلص منه ما دام حيا. قلت: سبحان الله، يستكتمني أمير المؤمنين أمرا أطلعك عليه ! فأدارني وألاصني، فأبيت عليه [2].

قال رجاء: وثقل سليمان، وحجب الناس عنه حتى مات، فلما مات أجلسته وأسندته وهيأته، وخرجت إلى الناس، فقالوا: كيف أصبح أمير المؤمنين ؟ فقلت: إن أمير المؤمنين أصبح ساكنا ؛ وقد أحب أن تسلموا عليه، وتبايعوا على ما في هذا الكتاب، والكتاب بين يديه.

---

(١) ألاصه: أي راوده. (الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ليص)

(٢) ورد في رواية هزان بن سعيد أن عمر بن عبدالعزيز لما رأى سليمان مرض ورجاء يتردد بالدخول والخروج عليه طلب منه ألا يذكره لسليمان أو يشير به عليه، فانتهره رجاء وقال: إنك لحريص على الخلافة لتطمع أن أشير عليه بك. فاستحيا عمر. (ولعل هذا يشير أن عمر راجع رجاء مرتين: الأولى: قبل أن يكتب الكتاب وتؤخذ البيعة عليه، والثانية: بعد ذلك، لذا جاء جواب رجاء لعمر على صيغتين.

قال: فأذنت للناس فدخلوا عليه وأنا قائم عنده ؛ فلما دنوا قلت إن أمير المؤمنين يأمركم بالوقوف ؛ ثم أخذت الكتاب من عنده [1] ثم تقدمت إليهم فقلت: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا على ما في هذا الكتاب.

قال: فبايعوا، وبسطوا أيديهم ؛ فلما بايعتهم على ما فيه أجمعين وفرغت من بيعتهم قلت لهم: آجركم الله في أمير المؤمنين. قالوا فمن ؟ فافتتح الكتاب فإذا فيه العهد لعمر بن عبدالعزيز، فلما نظرت بنوا عبدالملك تغيرت وجوههم [2].

فلما قرؤوا من بعده يزيد بن عبدالملك كأنهم تراجعوا . . [3]

وبعد استعراضنا لأثر رجاء بن حيوة في استخلاف عمر بن عبدالعزيز يتضح لنا أمران مهمان في حياة رجاء:

أولهما: حيث أكد لنا ذلك ما سبقت الإشارة إليه من احتلاله مكانة كبيرة لدى سليمان بن عبدالملك، فقد رأينا سليمان يخصه بالتفرد بالجلوس

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: من جيبه.

(٢) وفي رواية سهيل أنه لما انتهى رجاء إلى ذكر عمر بن عبدالعزيز نادى هشام بن عبدالملك: لا نبايعه أبدا . فقال رجاء: أضرب والله عنقك، قم فبايع. فقام يجر رجليه.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١٠٤-١٠٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٤- ١٢٦.

معـه في خلواتـه، كمـا يخصـه بأسـراره وأسرار الدولة وحده، ويستشيره في أخطـر أمـر مـن أمـور الدولة دون غيره. فأمام مكانة رجاء تضاءلت مكانة أفـراد البيـت الأمـوي، ومكانـة القـادة العسـكريين وجمـيع المستشـارين والإداريين في الدولة، وأي مكانة أكبر من أن يصير أمر الخلافة والدولة بين كفـي رجـاء في كـتاب لا يدري ما فيه غير الخليفة سواه، ولذا قيل: ما نعلم أحـدا جـازت شـهادته وحـده إلا رجاء بن حيوة ، أي أنه صدق على عهد عمر بن عبدالعزيز وحده.[(١)]

أمـا الأمـر **الـثاني**: فـيظهر فـيه ما يتمتع به رجاء بن حيوة من حنكة سياسية وحكمة وحزم في تنفيذ الأمور المهمة، ويبدو ذلك من خلال نجاحه في كـتمان الأمـر حـتى عـن أشـد الـناس له محـبة وقـربا وهـو عمـر بـن عـبدالعزيز[(٢)] والـذي رشـحه رجاء للخلافة، فلم يقم رجاء بإخباره بالأمر ولم يسع في إقناعه بتولي الخلافة لمصلحة الإسلام والمسلمين، ولم يجهد نفسه في تعـداد المـبررات الـتي توجـب على عمر تولي الخلافة، لم يقم بشيء من ذلـك بـل رأى المصـلحة في كـتمان الأمر حتى نراه انتهر عمر في أول الأمر بما جعله يستحي وينصرف .

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٣٧١. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٨/ ٣١٣.

(٢) قال سعيد بن صفوان: كان بين عبدالملك بن أرطاة، ورجاء بن حيوة، وعمر بن عبدالعزيز صداقة وصحبة في نسكهم وعبادتهم. (ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص ١٢٣).

ونجد رجاء يتخذ الموقف نفسه مع هشام ـ الذي على طرف نقيض مع عمر حيث كان يسعى جاهدا لمعرفة الأمر حتى لا تخرج الخلافة عنه أو عن أحد من أخوته ـ نجد أن رجاء يرفض إطلاعه على شيء مما في الكتاب ويفشل هشام في مراودته وإلحاحه أن يخرج منه بشيء.

وقد أسهم موقف رجاء هذا في نجاح الأمر وإنفاذه، فربما لو لم ينجح رجاء في كتمان السر وتسرب الخبر فسيجتهد عمر بن عبدالعزيز في التخلص بكل وسيلة وحيلة وقد ينجح في ذلك، كما سيجتهد هشام وأخوته في عدم إخراج الأمر عنهم لا سيما وقد أوصى والدهم بذلك [1]، وقد يحرج سليمان معهم ولا يستطيع أن يصمد أمام معارضتهم وبالتالي يخفق هو ورجاء في تنفيذ ما اتفقا عليه .

لقد كان لموقف رجاء في استخلاف عمر أثر سياسي كبير غير مجرى التاريخ الأموي بصفة خاصة والإسلامي بعامة.

وفي عهد عمر ظل رجاء يتبوأ مكانة كبيرة ومنزلة عالية من خلال قربه من عمر وملازمته له، حيث جعله عمر من خواصه وسماره يستشيره ويستنصحه في أموره الخاصة والعامة [2]

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٣٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٣.

(٢) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ١٠٧. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٧٧، ٢/ ٣٧٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٠، ٥/ ١٢٥، ١٣٦، ١٤٣.

ومنذ عهد يزيد بن عبدالملك نرى رجاء بن حيوة يعتزل الخليفة ويبتعد عن مصاحبته، وذلك حين رأى أنه لم يعد لقربه من الخليفة ما كان يهدف إليه من تحقيق المصالح وبذل الخير لعامة الأمة، وهذا ما دعاه لرفض عرض الخليفة يزيد بن عبدالملك عليه مصاحبته كما كان مع من قبله، فعن رجاء بن سلمة قال: قدم يزيد بن عبدالملك إلى بيت المقدس فأراد رجاء بن حيوة على أن يصحبه فأبى واستعفى. فقال له عقبة بن وساج: إن الله ينفع بمكانك. قال: إن أولئك الذين تريدون قد ذهبوا. فقال له عقبة: إن هؤلاء قوم قلما باعدهم رجل بعد مقاربة إلا ركبوه. قال: إني لأرجو أن يكفيني الذي أدعهم له. [1] ويقول الذهبي: (كان رجاء كبير المنزلة عند سليمان بن عبدالملك وعند عمر بن عبدالعزيز وأجرى الله على يديه الخيرات، ثم إنه بعد ذلك أخر فأقبل على شأنه) [2] ولعل من الأمور التي أخذها رجاء على يزيد بن عبدالملك تخليه عن سيرة عمر بن عبدالعزيز ونقضه لكثير مما أبرمه عمر في خلافته، مثل عزله لبعض ولاة عمر وتوليته لمن عزلهم عمر لسوء سيرتهم. [3] وعلاوة على ذلك ما قام به يزيد بن

---

(١) البخاري: التاريخ الكبير ٣/ ٣١٢. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٣٧٠. الأصفهاني: حلية الأولياء: ٥/ ١٧١ .

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٠.

(٣) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ٣٧. خليفة بن خياط: تاريخه: ٣٢٦.

عبدالملك من إذكائه لنار العصبية القبلية بمناصرته للقيسية وتقريبه لرجالها على حساب غيرهم [١].

ولعل رجاء ـ رحمه الله ـ باعتزاله بلاط يزيد وترك العمل له يرمي إلى أمرين: أولهما : ليحقق السلامة لنفسه من الإثم ببقائه مع يزيد وهو يراه يسير سيرة لا يراها تحقق المصلحة. ولا جدوى لبقائه ما دام لا يسمع منه نصحا ولا مشورة.

وثانيهما: علـه رأى في اعتزاله ليزيد وقوله العمل له نوعا من إظهار عدم الرضا بسياسته وأسلوبا من أساليب الإنكار عليه.

أما في عهد هشام فقد استمر رجاء في ابتعاده عن الخليفة، ولم يحاول هشام تقريبه منه، بل لعله لم يكن يرغب في ذلك لكونه يرى أن لرجاء الأثر الكبير في استخلاف سليمان لعمر وتقديمه له على أبناء عبدالملك ثم رفض رجاء لمحاولات هشام واستجدائه له بأن يخبره بمن تم ذكره في كتاب سليمان، وفي ذلك يقول ابن عبدالحكم: فلما ولي هشام بن عبدالملك ذكر له فعل رجاء بن حيوة فقال: أو ليس بصاحب عمر بن عبدالعزيز يوم وافقه ؟ [٢] ويعلل الذهبي بهذا السبب لقطع هشام الثلاثين دينارا التي

---

(١) رياض عيسى: النزاع بين أفراد البيت الأموي، ط١، دار حسان، ١٤٠٦هـ: ١٢٦.

(٢) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ٣٤.

أجـراها يزيد بن عبدالملك على رجاء في كل شهر، فيقول الذهبي حين أورد هـذا الخـبر: قلـت: كـان في نفـس هشام منه شيء لكونه عمل على تأخيره وقت وفاة أخيه سليمان، وعقد الخلافة لابن عمه عمر بن عبدالعزيز [(١)] .

ولكـن رجـاء عـلى الـرغم مـن ابتعاده عن الخلفاء بعد عمر لم يبخل بالنصـح لهشـام وتشـجيعه على الخير ومواطن الصلاح، فلما قتل هشام بن عـبدالملك غـيلان الدمشـقي لإظهـاره القول بالقدر ورجوعه عن توبته التي أظهـرها أيام عمر بن عبدالعزيز كأنه دخل هشام شيء من ذلك فكتب إليه رجـاء بن حيوة: بلغني أن أمير المؤمنين دخله شيء من قتل غيلان وصالح، وأقسـم لـك بـالله يا أمير المؤمنين إن قتلهما أفضل من قتل ألفين من الروم أو الترك. [(٢)]

فرحم الله رجاء بن حيوة رحمة واسعة، وأجزل له الأجر والمثوبة على ما قدم للإسلام والمسلمين من نصح ومشورة.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٥٩.

(٢) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٥/ ١٧٢. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٩/ ٣٥٤.

عمر بن عبدالعزيز وأثره في عهد الوليد وسليمان .

يعد عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ من العلماء الذين تميزوا بقربهم من الخلفاء وكان لهم أثر كبير في نصحهم وتوجيه سياساتهم بالرأي والمشورة .

ويحتل عمر بن عبدالعزيز مكانة متميزة في البيت الأموي، فقد كان عبدالملك يجله ويعجب بنباهته أثناء شبابه، مما جعله يقدمه على كثير من أبنائه ويزوجه من ابنته [(١)] ولكن لم يكن له مشاركات في عهد عبدالملك بسبب صغر سنه واشتغاله بطلب العلم في المدينة، ومع ذلك فقد أورد ابن الجوزي [(٢)] أنه كتب إلى عبدالملك كتابا يذكره فيه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه وقد جاء فيه: أما بعد: فإنك راع، وكل مسؤول عن رعيته، حدثنيه أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (كل راع مسؤول عن رعيته) ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [(٣)] .

---

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٢٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١١٧.

(٢) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٢٨.

(٣) سورة: النساء: آية ٨٧.

وبعد وفاة عبدالملك ازدادت مكانة عمر بن عبدالعزيز فيقول عبدالعزيز بن أبي رواد [1] : خرج سليمان بن عبد الملك يوما إلى بعض البوادي أصابهم نحو من هذا الفزع - أي بسبب الرعد والصواعق - وكان معه عمر فنادى: يا عمر يا عمر وكانوا - يعني بني أمية - إذا أصابتهم شدة فزعوا إلى عمر بن عبد العزيز . . [2] ولعله يريد أنهم يفزعون لمعرفة رأيه والاطمئنان إليه والاستئناس به في الشدائد .

ومضى الشطر الأكبر من خلافة الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز في المدينة، حيث مكث واليا عليها للوليد منذ سنة سبع وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين للهجرة [3]، ثم قضى المدة المتبقية من عهد الوليد في الشام قريبا من الخليفة يستشيره في كثير من أمور الدولة. وبالرغم من تقدير الوليد لعمر بن عبد العزيز إلا أن التباين بين وجهتي نظرهما يبدو واضحا في بعض القضايا السياسية، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى طبيعتي الرجلين المختلفين، بالإضافة إلى أن عمال الوليد وفي مقدمتهم الحجاج

---

(١) هو عبدالعزيز بن أبي رواد بن بدر المكي مولى المهلب بن أبي صفرة، قال عنه أحمد: كان رجلا صالحا وكان مرجيا، وقال يحيى القطان: عبدالعزيز ثقة في الحديث ليس ينبغي أن يترك حديثه لرأي أخطأ فيه، توفي سنة ١٥٩ هـ (ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب: ك: ٦/ ٣٣٨).

(٢) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز: ٣٣.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه ٣١١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٤٢٧، ٤٨٢.

كانوا يرون في آراء عمر عائقا لهم في تنفيذ سياساتهم القائمة على الإسراف في العقوبة، لذا كان لهم أثر في الحد من تأثير عمر على الوليد .

ومن أهم القضايا التي كان لعمر بن عبد العزيز فيها رأى، سياسة الوليد في اختيار الولاة، حيث كان عمر يرى أن الوليد قد أسرف في تعميم ظاهرة الحجاج في أقاليم الدولة، فولى عددا من الولاة الذين اشتهروا بالقسوة والشدة في معاملاتهم للرعية، مثل توليته لقرة بن شريك على مصر، الذي قال عنه الإمام الذهبي: نائب ديار مصر للوليد، ظالم، جبار، عات، فاسق [1] كما ولى المدينة بعد عزل عمر عنها عثمان بن حيان المري، الذي قال عنه ابن عساكر: استعمله الوليد على المدينة وكان في سيرته عنف [2] وأبقى محمد بن يوسف الثقفي ـ أخا الحجاج بن يوسف ـ على اليمن وكان على نهج أخيه الحجاج في الظلم والغشامة، وقيل للقاسم بن محمد [3] قاتل الله محمد بن يوسف ما أجرأه على الله ؛ قال: هو أذل وألأم من أن يجترئ على الله، ولكنها الغرة ؛ قل: ما أغره بالله [4] وقال ابن

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٩.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٦/ ٨٥ ـ٨٧. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب: ٧/ ١١٣. الرحيلي: ولاة المدينة في العصر الأموي "دراسة سياسية" مجلة دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، العدد الرابع، السنة التاسعة عشر، ١٤١٩هـ، ص: ٤٢.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٣٦٧، ٣٦٨.

كثير: كان يلعن عليا على المنابر [1]. وجعل على خراج مصر أسامة بن زيد التنوخي، الذي ذكر ابن عبدالحكم عنه أنه كان غاشما ظلوما معتديا في العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل . . [2]

كان أولئك الولاة وسيرهم نماذج توضح سياسة الوليد في اختيار الولاة والعمال بوجه عام، ولم تكن هذه السياسة محل قبول لدى عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ لذا أثر عنه أنه قال: (الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان بالمدينة، وقرة بن شريك بمصر، امتلأت والله الأرض جورا). [3] وقد سلك عمر بن عبد العزيز بعض الطرق والوسائل لإصلاح هذا الوضع، فمن ذلك نصحه للوليد بالحد من صلاحيات عماله في القتل، وقد نجح في بادئ الأمر في استصدار قرار يمنع أي وال من القتل إلا بعد علم الخليفة وموافقته على ذلك، فيذكر بن عبدالحكم أن عمر بن عبدالعزيز دخل على الوليد بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إن عندي نصيحة، فإذا خلا لك عقلك، واجتمع فهمك فسلني عنها، قال: ما يمنعك منها الآن؟ قال: أنت أعلم، إذا

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٨٠.

(٢) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ٣٧.

(٣) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ١٤٦. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٦/ ٨٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٩. ابن حجر العسقلاني٠٠: تهذيب التهذيب: ٧/ ١١٣. وستأتي الإشارة إلى ذكر هؤلاء العمال وطرفا من سيرهم ص (١٩٦).

اجتمع لك ما أقول فإنك أحق أن تفهم، فمكث أياما ثم قال: يا غلام من بالباب ؟ فقيل له ناس وفيهم عمر بن عبدالعزيز فقال: أدخله، فدخل عليه فقال: نصيحتك يا أبا حفص فقال عمر: إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم، وإن عمالك يقتلون ويكتبون إن ذنب فلان المقتول كذا وكذا، وأنت المسؤول عنه والمأخوذ به. فاكتب إليهم أن لا يقتل أحد منهم أحدا حتى يكتب بذنبه ثم يشهد عليه، ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك. قال: بارك الله فيك يا أبا حفص ومنع فقدك. علي بكتاب، فكتب إلى أمراء الأمصار كلهم فلم يحرج من ذلك إلا الحجاج، فإنه أمضه، وشق عليه وأقلقه. وظن أنه لم يكتب إلى أحد غيره، فبحث عن ذلك فقال: من أين دهينا ؟ أو من أشار على أمير المؤمنين بهذا ؟ فأخبر أن عمر بن عبدالعزيز هو الذي فعل ذلك فقال: هيهات إن كان عمر فلا نقض لأمره. ثم إن الحجاج أرسل إلى أعرابي حروري جاف من بكر بن وائل، ثم قال له الحجاج ما تقول في معاوية ؟ فنال منه. قال: ما تقول في يزيد ؟ فسبه. **قال: فما تقول في عبدالملك ؟ فظلمه. قال: فما تقول في الوليد ؟ فقال: أجورهم حين ولاك وهو يعلم عداءك وظلمك. فسكت الحجاج وافترصها منه[1] ثم بعث به إلى الوليد وكتب إليه: أنا أحوط لديني، وأرعى لما استرعيتني وأحفظ له من أن أقتل أحدا لم يستوجب ذلك، وقد بعثت إليك**

---

(١) أي انتهزها.

ببعض من كنت أقتل على هذا الرأي فشأنك وإياه. فدخل الحروري على الوليد وعنده أشراف أهل الشام وعمر فيهم، فقال له الوليد: ما تقول في ؟ قال: ظالم جبار. قال: ما تقول في عبدالملك ؟ قال: جبار عات. قال: فما تقول في معاوية ؟ قال: ظالم. قال الوليد لابن الريان: اضرب عنقه فضرب عنقه، ثم قال فدخل منزله وخرج الناس من عنده، فقال: يا غلام اردد علي عمر، فرده عليه فقال: يا أبا حفص ما تقول بهذا؟ أصبنا فيه أم أخطأنا؟ فقال عمر: ما أصبت بقتله، ولغير ذلك كان أرشد وأصوب، كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل أو تدركه منيته، فقال الوليد: شتمني وشتم عبدالملك وهو حروري أفتستحل ذلك ؟ قال: لعمري ما أستحله، لو كنت سجنته إن بدا لك أو تعفو عنه، فقام الوليد مغضبا، فقال ابن الريان لعمر: يغفر الله لك يا أبا حفص، لقد راددت أمير المؤمنين حتى ظننت أنه سيأمرني بضرب عنقك ...[1] وهكذا احتال الحجاج على الوليد ليصرفه عن الأخذ برأي عمر في الحد من سرف الحجاج وأمثاله في القتل.

وقد كتب عمر بن عبدالعزيز وهو وال على المدينة إلى الوليد بن عبدالملك يخبره عما وصل إليه حال العراق من الظلم والضيم والضيق

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز: ١١٩ ـ ١٢١. محمد أحمد المولى وآخرون: قصص العرب، ط الرابعة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٢ هـ: ٣/ ٤١ .

بسبب ظلم الحجاج وغشمه، مما جعل الحجاج يحاول الانتقام من عمر لاسيما وقد أصبح الحجاز ملاذا للفارين من عسف الحجاج وظلمه، حيث كتب الحجاج إلى الوليد: إن من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق، ولجأوا إلى المدينة ومكة، و إن ذلك وهن. فكتب الوليد إلى الحجاج: أن أشر علي برجلين، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان، وخالد بن عبدالله القسري. فولى على المدينة عثمان بن حيان، وعلى مكة خالد بن عبدالله القسري، وعزل عمر بن عبدالعزيز[1].

ومما سبق يتضح ميل الوليد للحجاج وجنوحه إلى الأخذ بآرائه، وظنه بأن سياسة الشدة والعسف هي السبيل الوحيد لتوطيد أركان الدولة، وهذا ما حال بينه والأخذ بآراء عمر بن عبدالعزيز ونصائحه. وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن ما كان يراه عمر أفضل مما كان يسير عليه الوليد، وذلك بعد تولي عمر الخلافة وتطبيقه لما كان يشير به، وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه[2].

ومن الآراء التي كان عمر بن عبدالعزيز يشير بها على الوليد، معاملة الخوارج حيث كان عمر يرى أن قتل الخوارج لمجرد إظهارهم لأقوالهم

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٤٨١، ٤٨٢. ابن كثير: البداية والنهاية : ٩/ ٨٨.

(٢) انظر ص (١٨١) وما بعدها

بسب الخلفاء وشتمهم لا يقدم العلاج الناجع للقضاء عليهم، بل كان يرى سجنهم على جرأتهم بانتهاك أعراض الخلفاء والتطاول عليهم، وإجراء محاورة معهم لإلزامهم بالحجة وبيان الحق لمن اغتر بفكرهم ومنهجهم، فبالإضافة إلى الموقف الذي مر ذكره آنفا ـ في شأن الحروري الذي بعث به الحجاج ـ وردت روايات توضح الموقف نفسه، فعن ابن شهاب: أن عمر بن عبدالعزيز أخبره أن الوليد أرسل إليه بالظهيرة، فوجده قاطبا بين عينيه، قال: فجلست وليس عنده إلا ابن الريان ، قائم بسيفه، فقال: ما تقول فيمن يسب الخلفاء ؟ أترى أن يقتل ؟ فسكت، فانتهرني، وقال: ما لك؟ فسكت، فعاد لمثلها، فقلت: أقتل يا أمير المؤمنين ؟ قال: لا، ولكنه سب الخلفاء، قلت: فإني أرى أن ينكل، فرفع رأسه إلى ابن الريان، فقال: إنه فيهم لتائه [(١)] ومن آخر مواقف النصح التي ذكرت لعمر بن عبدالعزيز في عهد الوليد بن عبدالملك نصحه للوليد عندما أراد خلع سليمان والبيعة لابنه عبدالعزيز من بعده، فوقف عمر من ذلك موقفا حازما حيث لم **يستجب لأمر الوليد في ذلك وقال حين أراده على ذلك: يا أمير المؤمنين إنما بايعنا لكما في عقدة واحدة فكيف نخلعه ونتركك ! فغضب الوليد على عمر، وحاول استخدام الشدة معه لعله يوافقه على ما أراد، فيذكر أنه**

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/٦٠٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/١٢١.

أغلق عليه الدار وطين عليه الباب حتى تدخلت أم البنين أخت الوليد، ففتح عنه بعد ثلاث وقد ذبل ومالت عنقه.[1]

وهذا الموقف من عمر يذكرنا بموقف قبيصة بن ذؤيب مع عبدالملك حين حاول خلع أخيه عبدالعزيز بن مروان وتولية ابنيه ـ الوليد وسليمان ـ من بعده. حيث نرى التوافق بينهما في الموقف المبني على تقدير المصلحة العامة للأمة والخاصة لدولة بني أمية، إلا أننا نجد الفارق الواضح بين موقف عبدالملك بن مروان ـ الذي قدر لقبيصة نصحه وحرصه على المصلحة فلم يجد عليه في نفسه شئ بسبب هذا الموقف بل زاد في تقديره واحترامه ـ وبين موقف ابنه الوليد مع عمر بن عبدالعزيز السابق.

ومما سبق نرى أن عمر بن عبدالعزيز من خلال قربه من الوليد بذل ما في وسعه بمحاولته النصح والتوجيه بما يرى أن فيه الخير للدولة وعامة الأمة.

وفي عهد سليمان تهيأت الفرص لعمر بن عبدالعزيز بقدر كبير فظهرت آثاره في مختلف الجوانب، فبمجرد تولى سليمان الخلافة قرب عمر بن عبدالعزيز وأفسح له المجال واسعا حيث قال: يا أبا حفص إنا ولينا ما

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/٦٠٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/١٤٨، ١٤٩.

قد ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به. (١) وجعله وزيرا ومستشارا ملازما له في حال إقامته أو سفره، وكان سليمان يرى أنه محتاج له في صغير الأمر وكبيره، فكان يقول: ما هو إلا أن يغيب عني هذا الرجل فما أجد أحدا يفقه عني. (٢) وفي موضع آخر قال: يا أبا حفص ما اغتممت بأمر ولا أكربني أمر إلا خطرت فيه على بالي (٣)، ولم يكن يسمح لأحد مهما بلغت منزلته أن يخطئ في حق عمر، فحين اعترض عمر على كتاب عبدالملك بكتاب الله في شأن توريث النساء من العقار قال أيوب بن سليمان: لا يوشكن أحدكم أن يتكلم الكلام تضرب فيه عنقه، فقال له عمر: إذا أفضى الأمر إليك فالذي دخل على المسلمين أعظم مما تذكر. فزجر سليمان ابنه وقال له: مه لأبي حفص تقول هذا ؟ فقال عمر والله لئن جهل علينا أمير المؤمنين ما حلمنا عنه (٤).

والذي دفع سليمان إلى إفساح المجال أمام عمر بهذه الصورة يعود في نظري إلى عدة أسباب: أولها، شخصية سليمان بن عبدالملك حيث لم يكن مثل أخيه الوليد معجبا بنفسه معتدا برأيه وواقعا تحت تأثير بعض ولاته،

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٠/ ١٧٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٥.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٩٨.

(٣) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ٢٨.

(٤) المصدر السابق نفسه: ص: ٣١. ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص ٢٩، ٣٠.

بل كان سليمان على العكس من ذلك غير معتد برأيه خاليا من التأثيرات الأخرى عليه، وثاني هذه الأسباب: قناعة سليمان بما يتمتع به عمر من نظرات وآراء صائبة، وثالثها: موقف عمر من محاولة الوليد لخلع سليمان مما جعل سليمان يشكر ذلك لعمر، وقد أشار لهذا الذهبي حيث قال بعد عرضه لموقف عمر: فلذلك شكر سليمان لعمر وأعطاه الخلافة بعده [1].

وحين نستعرض أهم آثار عمر من خلال تلك المكانة التي احتلها في عهد سليمان فسنجد أنها جاءت في الشكل الآتي :

*** تأثيره في إصدار قرارات إصلاحية :**

فقد كان لعمر أثر كبير على سليمان في إصدار عدد من القرارات النافعة ومن أهمها: عزل ولاة الحجاج [2] وبعض الولاة الآخرين. كوالي مكة، خالد القسري، ووالي المدينة، عثمان بن حيان [3] .

ومنها الأمر بإقامة الصلاة في وقتها فأورد ابن عساكر عن سعيد بن عبدالعزيز: أن الوليد بن عبدالملك كان يؤخر الظهر والعصر، فلما ولي سليمان كتب إلى الناس - عن رأي عمر - أن الصلاة كانت قد أميتت

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٤٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٥.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه: ٣١٦.

فأحيوها . . [1] وهناك أمور أخرى أجملها الذهبي بقوله: مع أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها [2] .

*** صرف سليمان عن قرارات صدرت وتوجيهها نحو الأصلح :**

ففي بعض الأحيان تصدر من سليمان بعض الأوامر وهو في حالة غضب، فيحاول عمر بأسلوب مناسب أن يصرف سليمان عن تنفيذها أو توجيهها نحو الأصلح ومن ذلك: أن سليمان خرج ومعه عمر إلى البوادي فأصابهم سحاب فيه برق وصواعق، ففزع منه سليمان ومن معه، فقال عمر: إنما هذا صوت نعمة فكيف لو سمعت صوت عذاب ؟ فقال سليمان خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها، فقال عمر: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال: وما هو ؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لم يصلوا إليك، فجلس سليمان فرد المظالم. [3] ومن ذلك أن سليمان كان قد أمر بأن يخصى جماعة من المغنيين كانوا يغنون بالليل، لكن عمر قال: هذا مثلة لا تحل فخلى سبيلهم. [4] وكان زيد بن الحسن بن علي قد أجاب الوليد بن عبدالملك في مسألة خلع سليمان خوفا من الوليد، وكتب بموافقته من

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٦/١٦.

(٢) المصدر السابق: ٥/ ١٢٥.

(٣) سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص ٣٣.

(٤) المصدر السابق نفسه: ص ٣٠.

المدينة إلى الوليد، فلما استخلف سليمان وجد الكتاب، فبعث إلى واليه على المدينة أن يسأل زيدا عن أمر الكتاب، فإن هو اعترف به فليبعث بذلك إليه، وإن أنكر أخذ عليه اليمين أمام منبر رسول الله ﷺ فلما بعث باعترافه إلى سليمان كتب سليمان إلى والي المدينة أن يضربه مائة سوط ويمشيه حافيا ... فحبس عمر الرسول وقال له: لا تخرج حتى أكلم أمير المؤمنين فيما كتب زيد بن حسن لعلي أطيب نفسه فيترك هذا الكتاب. فجلس الرسول فمرض سليمان، فقال للرسول لا تخرج فإن أمير المؤمنين مريض، فلما توفي سليمان وأفضى الأمر إلى عمر دعا بالكتاب ومزقه [(١)] .

*** تحينه الفرص لإرشاد سليمان وتذكيره له بالمسؤولية :**

كان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حريصا على استغلال الأوقات المناسبة لانتشال سليمان من استغراقه في الدنيا وزخرفها وتذكيره بالمصير المحتوم له في الحياة الأخرى، كما كان يحرص على تذكيره بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه تجاه رعيته، وكل ذلك بأسلوب حسن وأدب جم. فمن قبيل ذلك: ما سبقت الإشارة إليه حينما رأى فزع سليمان لما أصابهم البرق والرعد فقال مستغلا الحال: (إنما هذا صوت نعمة فكيف لو

(١) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ١٠٤. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٥٤، ٥٥٥.

سمعت صوت عذاب ؟) ومرة طار غراب من غرفة سليمان ينعب وفي منقاره كسرة خبز، فقال سليمان ما ترى هذا الغراب يقول ؟ قال: أظنه يقول من أين دخلت هذه الكسرة وكيف خرجت ؟. قال: إنك لتجئ بالعجب يا عمر. وأشرف سليمان مرة فنظر إلى عسكره فأعجبه ما رأى من حجره وأبنيته، فقال: كيف ترى ما ها هنا يا عمر؟ قال: أرى دنيا يأكل بعضها بعضا أنت المسؤول عنها والمأخوذ بها. وعندما نظر سليمان إلى الحجاج وكثرتهم قال لعمر بن عبدالعزيز: أما ترى كثرة الناس بالموسم؟ قال: خصماؤك يا أمير المؤمنين. فقال له سليمان: ابتلاك الله بهم. [1] ولو استرسلنا في ذكر قصص عمر مع سليمان في هذا المجال لطال بنا المقام، ولا شك أن لمثل هذا الأسلوب أثره النافع لسليمان في الاهتمام بالاستعداد لأخراه وزيادة التفطن لأمور دنياه وما يصلح رعاياه، كما يقلل هذا التذكير للخليفة من التأثير السلبي لطلاب الدنيا الذين كثيرا ما يجاملون الخليفة دون نظر إلى عواقب الأمور وأبعادها. فانظر كيف أدرك سليمان الفرق بين رأي عمر ورأي أمثال هؤلاء في هذا المثال الذي أورده ابن عبدالحكم [2] حيث ذكر أن سليمان بن عبدالملك شاور جلساءه في رجل سب الخليفة،

(١) عن هذه المواعظ انظر ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ٣٠، ١٣٤. و ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٣٢، ٣٣.

(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ١١٦.

فقال من حوله: اكتب بضرب عنقه ـ وعمر بن عبدالعزيز ساكت ـ فقال: مالك لا تتكلم يا عمر ؟ فقال: أما إذا سألتني فلا أعلم سبة أحلت دم مسلم إلا سبة نبي، فقال سليمان: لله بلادك يا عمر لو قرشي طبخت في مرقته لأنضجتها . وظل عمر بن عبدالعزيز قريبا من سليمان طيلة مدة خلافته يحوطه بنصحه ويشاركه مسؤولياته فرحم الله الجميع.

مكانة العلماء وأثرهم في عهد عمر بن عبدالعزيز:

يمثل عهد عمر بن عبدالعزيز الذروة التي بلغها تأثير العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، فقد اتسعت دائرة مشاركة العلماء إلى حد لم يسبق له مثيل في التاريخ الأموي من قبل عمر أو بعده، فالخليفة وهو رأس الدولة منهم حيث يعد عمر من كبار العلماء في عصره [1]، ومنهم المستشارون للخليفة وبطانته، وتولى العديد منهم المناصب الإدارية في الدولة .

والحديث عن عهد عمر وما شهده من تطورات وتغيرات في مختلف جوانب الحياة بعامة والحياة السياسية بخاصة حديث طويل لا ينتهي. وقد حظيت خلافة عمر على قصرها باهتمام الكتاب والمؤرخين في القديم والحديث، وهذا ما يعكس التطورات والإصلاحات التي شهدتها هذه المدة الوجيزة من التاريخ الأموي.

---

(١) عن علم عمر انظر ترجمته في ملحق التراجم.

والمجال هنا لا يتسع لتشعيب الحديث في ذكر تلك التطورات والتغيرات التي شهدها عهد عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ولكن سأقصر الحديث على جانبين، أولهما: الحديث عن أبرز ملامح منهج عمر في سياسته للدولة كعالم من العلماء ألقيت بين يديه مقاليد الأمة، وبيان ما لهذا المنهج من أثر في الحياة السياسية في الدولة الأموية.

وثانيهما: الحديث عن مشاركة العلماء ومدى تأثيرهم في توجيه عجلة الحياة السياسية في عهد عمر.

ملامح منهج عمر بن عبدالعزيز السياسي.

١- إصلاح بطانته:

مما لا شك فيه أن للجليس على جليسه أثرا كبيرا مهما كانت مكانته ومنزلته، حيث قال ﷺ **(الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)**[1] وكلما علت منزلة المرء وكبرت مسؤولياته كلما كان أثر جليسه عليه أكبر وأخطر، حيث يتعدى تأثير الجليس إلى ما تحت يده من مسؤوليات مناطة به، فكم من بطانة أغرت سلطانها بولوج مسالك كان فيها حتفه وهلاكهم، فانظر إلى ما قاله بطانة فرعون وما ترتب على ذلك

(١) مسند الإمام أحمد: ٢/ ٣٠٣. سنن أبي داود: ٤/ ٢٥٩. سنن الترمذي: ٤/ ٥٨٩. الحاكم: المستدرك: ٤/ ١٨٩.

من عواقب وخيمة، فقال تعالى مبينا حالهم: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[1]. وقد أدى عمى فرعون وبطانته عن الآيات التي جاء بها موسى وسعيهم إلى مطاردته وقومه لقتلهم، أدى ذلك إلى هلاك فرعون وقومه. وكم من بطانة أرشدت سلطانها إلى طرق الخير والفلاح، فكان في ذلك عزتهم وسعادة من تحت يده، وإلى هاتين البطانتين أشار المصطفى ﷺ حين قال: **(ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله)**[2]

لذا ما فتئ المسلمون في كل حين يسسألون ربهم أن يصلح بطانة ولاة أمرهم، لما لصلاحهم من الأثر العظيم على ولاة الأمر وبالتالي على رعيتهم.

وقد حرص عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ على إصلاح بطانته منذ أن كان أميرا على المدينة في عهد الوليد، فإنه لما قدم المدينة واليا صلى الظهر ثم دعا عشرة من فقهاء المدينة، ثم قال لهم: إني دعوتكم لأمر

---

(١) الأعراف: آية: ١٢٧.

(٢) رواه البخاري: كتاب الأحكام/ ٤٢.

تؤجرون فيه، وتكونون فيه أعوانا على الحق، ما أريد أن أقطع أمرا إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يتعدى، أو بلغكم عن عامل ظلامة، فأحرج بالله على من بلغه ذلك إلا أبلغني. فجزوه خيرا، وافترقوا. (١)

ولما تولي الخلافة كان حرصه على إصلاح بطانته أشد، فقرب إلى مجلسه العلماء وأهل الصلاح، وأقصى عنه أهل المصالح الدنيوية والمنافع الخاصة، فكان مما قاله في أول خطبة له بعد توليه الخلافة: (أيها الناس، من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فلا يقربنا ؛ يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليه، ولا يغتابن عندنا الرعية، ولا يعترضنا فيما لا يعنيه.) فانقشع عنه الشعراء والخطباء، وثبت الفقهاء والزهاد. (٢) وكان يجمع الفقهاء كل ليلة يتذاكر معهم. (٣) وكان يكره أهل التملق والتصنع، فعندما قرئ العهد لعمر بالخلافة بعد وفاة سليمان بدابق، قام رجل من ثقيف يقال له سالم من أخوال عمر. فأخذ بضبعيه فأقامه فقال عمر: أما والله ما الله أردت بهذا

---

(١)ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٣٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١١٨.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١٠٨.

(٣)الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٣٨.

ولـن تصـيب بهـا مني دنيا.[1] وذكر الفسوي[2] أن عمر بن عبدالعزيز لما ولي جاءه الناس فلم يقبل إلا رجلا فيه خير أو تقوى، وأنه كلم في صديق له فقال: تركناه كما تركنا الخز والموشى.

ولم يكـتف ـ رحمـه الله ـ بانـتقاء بطانـته، بـل كـان زيـادة عـلى ذلـك يوصـيهم ويحثهم على تقويمه، فقال لعمر بن مهاجر: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني ثم قل يا عمر ما تصنع. .[3].

ويـأتي هـذا الحـرص مـن عمـر عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ على إصلاح بطانـته مـن مـنطلق حرصـه عـلى الاهـتداء بالتوجـيهات النبوية، ولتحقيق الخيريـة الـتي أخـبر عـنها الرسـول ﷺ في قولـه: (**إذا أراد الله بالأمير خيرا جعـل له وزيـر صـدق إن نسـي ذكـره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه**)[4]

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٤٠.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٩٧.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٢/ ٦٩.

(٤) رواه أبو داود بإسناد جيد على شرط مسلم: إمارة/ ٤. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، مراجعة عبدالغفار البنداري، وسيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ: ٧/ ١٥٩. والإمام أحمد في المسند: ٦/ ٧٠. وانظر: الماوردي: درر السلوك في سياسة الملوك: ٩٩، رياض الصالحين للنووي، تعليق مصطفى محمد عمارة، مكتبة الغزالي، بيروت: ص: ٣٠٠.

وقد كان لهذا المسلك أثر في تحقق سياسته التجديدية ونجاحها، حيث كان لبطانته أثر في شد أزره، وسداد رأيه وصواب قراره. كما سيتضح ذلك من خلال بيان مشاركة العلماء في عهده.

٢-حرصه على العمل بالكتاب والسنة ونشر العلم :

ومن أهم ما يميز منهج عمر في سياسته، حرصه على العمل بالكتاب والسنة ونشر العلم بين رعيته، وتفقيههم في الدين وتعريفهم بالسنة، ومنطلق عمر في ذلك فهمه لمهمة الخلافة، وهي حفظ الدين وسياسة الدنيا به، كما عرفها الماوردي [١]، فهو يرى أن من أهم واجباته تعريف رعيته بمبادئ دينهم وحملهم على العمل بها، فورد عنه أنه قال في إحدى خطبه: إن للإسلام حدودا وشرائع وسننا، فمن عمل بها استكمل الإيمان، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان، فلإن أعش أعلمكموها وأحملكم عليها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص. [٢] وقال أيضا: فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي و كل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيرا. وفي موضع آخر قال: والله

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ: ص ٥.

(٢) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ٦٠.

لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا. [1] لهذا بادر عمر في تنفيذ هذه المسؤولية المهمة، فبعث العلماء في تعليم الناس وتفقيههم إلى مختلف أقاليم الدولة وفي حواضرها وبواديها. وأمر عماله على الأقاليم بحث العلماء على نشر العلم، فقد جاء في كتابه الذي بعث إلى عماله: ومر أهل العلم والفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله من ذلك، وليتحدثوا به في مجالسهم. [2] ومما كتب به إلى بعض عماله: أما بعد فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم فإن السنة كانت قد أميتت.[3] كما أمر عماله أن يجروا الرواتب على العلماء ليتفرغوا لنشر العلم. [4] وانتدب العديد من العلماء لتفقيه الناس في الدين، فبعث يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الأشعري يفقهان الناس والبدو.[5] وذكر الذهبي أن عمر ندب يزيد بن أبي مالك ليفقه بني نمير ويقرئهم، وبعث نافع مولى ابن عمر إلى أهل مصر ليعلمهم السنن. [6]

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٤٣، ٣٤٤. الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت، أو ما بين فتح اليد وقبضها على الضرع. (الفيروزآبادي: القاموس المحيط "فوق").

(٢) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص : ٧٣.

(٣) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز : ٧٦.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٩٧، ٢٠٧.

(٥) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٦/ ١٧٥.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٣٨.

وكان قد بعث عشرة من الفقهاء إلى أهل إفريقية يفقهون أهلها، وهم عبدالله بن يزيد المعافري، وإسماعيل بن عبيد الأنصاري، وعبدالرحمن التنوخي، وموهب المعافري، سعد بن مسعود التجيبي، وطلق بن جادان، وجعثل بن عاهان، وحبان بن أبي جبلة، وبكر بن سوادة، وإسماعيل بن أبي المهاجر. [1]

ولم تنحصر مهمة هؤلاء العلماء في التعليم فحسب، بل منهم من أسند إليه بعض الولايات، ومنهم من تولى القضاء، وأسهم أكثرهم ـ بالإضافة إلى نشر العلم ـ في مجال الدعوة والجهاد في سبيل الله.

وهذا الاهتمام ـ الذي تميز به منهج عمر ـ لتعليم الناس وتبصيرهم لأمور دينهم له أبعاد سياسية وآثار أمنية، ذلك أن نشر الوعي الديني الصحيح والفقه فيه بين أفراد الرعية له أثر في حماية عقول أبناء الأمة من عبث الأفكار التي ينعكس خطرها على الاستقرار السياسي والأمني، كأفكار الخوارج، والرافضة، والقدرية، أو التوجهات العرقية المقيتة التي تمزق الأمة، كما كان للحملات التعليمية والتفقيهية أثر في دخول أعداد كبيرة ـ من أجناس مختلفة تعيش على حدود الدولة الإسلامية كالبربر وغيرهم ـ

(١) عن تراجم هؤلاء العلماء انظر ملحق التراجم.

في الإسلام، وهذا بدوره أنهى ما كانت تثيره هذه الأجناس من قلاقل وفتن.

٣-حرصه على انتقاء عماله من أهل الخير والصلاح :

إن عمال الخليفة وأمراء البلدان بخاصة هم نواب الخليفة في أقاليمهم، والواسطة بينه ورعيته، ومهما كان الخليفة على درجة من الدراية في تصريف أمور السياسة إلا أنه لا يستطيع تحقيق النجاح إلا إذا اختار عماله بعناية تامة. لذا عني عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ عناية فائقة باختياره عماله وولاته، وحين نتتبع أخباره في هذا الصدد نجد أن له شروطا لابد من تحققها فيمن يختاره للعمل عنده، ومن أهم هذه الشروط: التقوى والأمانة وحسن التدين، فلما عزل خالد بن الريان ـ الذي كان رئيسا للحرس في عهد الوليد بن سليمان ـ نظر عمر في وجوه الحرس فدعا عمرو بن المهاجر الأنصاري فقال: والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بيني وبينك قرابة إلا الإسلام، ولكني قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن أن لا يراك أحد فرأيتك تحسن الصلاة، خذ هذا السيف قد وليتك حرسي [١] وكان يكتب إلى عماله:

(١) البستي: المعرف والتاريخ: ١/ ٦٠٢. ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٣١.

إيـاكم أن تسـتعملوا على شئ من أعمالنا إلا أهل القرآن، فإنه لم يكن عند أهل القرآن خير فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير [(١)]

وإذا شـك في أمـر مـن يـنوي توليته لم يقدم على توليته حتى يتبين له حاله، فحين ولي الخلافة وفد عليه بلال بن أبي بردة فهنأه وقال: من كانت الخلافـة ـ يـا أمير المؤمنين ـ شرفته فقد شرفتها، ومن كانت زانته فقد زنتها. واستشـهد بأبـيات مـن الشـعر في مـدح عمـر فجزاه عمر خيرا، ولزم بلال المسـجد يصلي، ويقرأ ليله ونهاره ؛ فهم عمر أن يوليه العراق، ثم قال: هذا رجـل له فضـل، فـدس إليه ثقة له فقال له: إن عملت لك في ولاية العراق ما تعطيني ؟ فضمن له مالا جليلا ؛ فأخبر بذلك عمر، فنفاه وأخرجه . . [(٢)] وكـان يكره أن يولي أحدا ممن غمس نفسه في الظلم أو عمل مع الظلمة لا سـيما الحجاج [(٣)]، وإذا كان من قبل عمر يجعل للعصبية والقرابة من البيت الأمـوي وزنـا في تولـية العمـل، فإنه لم يكن شيء من ذلك في ميزان عمر، فحـدث الأوزاعـي أن عمـر بن عبدالعزيز جلس في بيته وعنده أشراف بني أمـية، فقـال: أتحـبون أن أولي كل رجل منكم جندا من هذه الأجناد؟ فقال

---

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٨٢. الطرطوشي: أبوبكر المالكي، سراج الملوك، المطبعة المحمودية، مصر، ١٣٥٤هـ، ص: ٢٥٥. الموصلي: حسن السلوك الحافظ دولة الملوك: ١٦٨.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٥/ ٢٧١.

(٢) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٧٢.

رجل منهم: تعرض علينا ما لا تفعله ؟ قال: ترون بساطي هذا ؟ إني لأعلم أنه يصير إلى بلى، وإني أكره أن تدنسوه علي بأرجلكم، فكيف أوليكم ديني ؟ وأوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم تحكمون فيهم ؟ هيهات هيهات . . [(١)]

وحين نستعرض ولاة عمر بن عبدالعزيز وعماله فسنجد أن جميعهم من العلماء وأهل الصلاح، كما سيتضح ذلك من خلال استعراض مشاركة العلماء في عهد عمر، لذا فقد صرح كثير من الأئمة بأن جميع من استعمله عمر بن عبدالعزيز ثقة. [(٢)]

وقد كان لهذا النهج الذي تميزت به سياسة عمر بن عبدالعزيز في اختيار الولاة والعمال أثر في الاستقرار السياسي في الأقاليم، حيث رضي الناس سير عماله وحمدوا فعالهم، إذ لم يكن في عماله من هو على شاكلة الحجاج يتعامل مع الناس بالشدة و يأخذهم بالتهمة، كما لم يكن منهم صاحب عصبية يرفع أناسا ويضع آخرين فيجدوا عليه في أنفسهم. وكمثال على ذلك أن عمر بن عبدالعزيز كان ولى أفريقية إسماعيل بن أبي

---

(١)الذهبي علام النبلاء: ٥/ ١٣٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٢٠٨.

المهاجر[1] وكان حسن السيرة ورضيه أهلها، فلما تولى الخلافة يزيد بن عبدالملك عزل إسماعيل وولى عليها يزيد بن أبي مسلم فأظهر لأهلها أنه سيسير فيهم بسيرة الحجاج فأجمعوا على قتله فقتلوه، وكتبوا إلى يزيد بن عبدالملك إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضي الله عز وجل والمسلمين فقتلناه، وأعدنا عاملك. فكتب يزيد يخبرهم أنه لم يرض ما صنع ابن أبي مسلم وأقر من ولوه عليهم وهو محمد بن يزيد الأنصاري.[2]

٤-الإشراف المباشر على إدارة شؤون الدولة والدقة في متابعة عماله :

مما تميز به نهج عمر بن عبدالعزيز السياسي حرصه الشديد على الإشراف على ما يتم في دولته من أعمال صغرت أو كبرت، واطمئنانه على تنفيذ أوامره، ودقة متابعته لعماله في أقاليمهم. فعلى الرغم من عنايته

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/٦١٧. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/٣٥٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/٢١٣. ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، عصر الأمويين، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م: ٢/٢٦٦. ويلاحظ الاختلاف بين بعض المصادر حول من تولى أفريقية قبل ابن أبي مسلم هل هو إسماعيل بن أبي مهاجر أو محمد بن يزيد الأنصاري ؟ وبالتحقيق يتضح أن إسماعيل هو الذي كان عليها بعد محمد بن يزيد وقبل أبي مسلم. (تاريخ خليفة بن خياط/ ٣٢٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢١٣)

التامة في اختيار الولاة كما سبق، إلا أن هذا لم يمنعه من العمل على متابعة أمر الرعية وتصريف شؤون الدولة، فقد اشتهر عنه الدأب والجد في العمل، حتى أصبح شعاره لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، فقد قيل له: يا أمير المؤمنين لو ركبت فتروحت، قال: فمن يجزي عني عمل ذلك اليوم ؟ قيل: تجزيه من الغد قال: فدحني عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع علي عمل يومين. (١) وقال ميمون بن مهران : كنت ليلة في سمر عمر بن عبدالعزيز فقلت: يا أمير المؤمنين ما بقاؤك على ما أرى ؟ أنت بالنهار في حوائج الناس وأمورهم وأنت معنا الان ثم الله أعلم ما تخلو عليه. (٢)

لقد كان عمر ـ رحمه الله ـ يمضي الكثير من وقته لرسم سياسته الإصلاحية التي شملت مختلف جوانب الحياة، في السياسة، والاقتصاد، والإدارة ، وغيرها . . حتى خلف رحمه الله كما هائلا من تلك السياسات التي تمثل مواد نظام حكمه الإصلاحي الشامل، وقد بعث بهذه السياسات إلى عماله لتنفيذها في مختلف الأقاليم، وكثيرا ما يردفها بتوجيهات تربوية

---

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ٥٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٧١.

يذكـر فيها عماله بعظم الأمانة الملقاة على عواتقهم، ويخوفهم بالله ويأمرهم بمراقبته وتقواه فيما يعملون أو يذرون. [(١)]

وقـد كـان لمواعـظ عمر وتوجيهاته أثر في نفوس عماله أشد من وقع السـياط، وأبلـغ مـن أوامر العزل والإعفاء. فكتب مرة إلى أحدهم: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فـيكون اخر العهد وانقطاع الرجاء. فلما قرأ عامله الكتاب طوى البلاد حـتى قـدم عـلى عمر، فقال له: ما أقدمك ؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية أبدا حتى ألقى الله تعالى. [(٢)]

ولم يكـتف عمـر ببعـث تلـك السياسـات والتوجيهات إلى عماله، بل كـان يحـرص عـلى متابعة تنفيذها، وتحقق اثارها على رعيته. فلا يفتأ يسأل القـادمين عـن ذلـك، فقال زياد بن أبي زياد المدني حين قدم على عمر من

---

(٣) الوقوف على سياسات عمر وتوجيهاته تلك، انظر فهارس المصادر التي كتبت عن سيرته مثل: سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم، وأخبار أبي حفص للاجري، والطبقات الكبرى لابن سعد: جـ ٥/ ٣٣٠، وسيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي.

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٨٢.

المدينة: فسألني عن صلحاء أهل المدينة ورجالهم ونسائهم، . . **وسألني عن أمور كان أمر بها بالمدينة فأخبرته.** [1]

ويقول ابن عبدالحكم: وخرج عمر بن عبدالعزيز يوما فركب هو ومزاحم - **وكان كثيرا ما يركب فيلقى الركبان يتجسس الأخبار عن القرى** - فلقيهما راكب من أهل المدينة، وسألاه عن الناس وما وراءه، فقال لهما: إن شئتما جمعت لكما خبري، وإن شئتما بعضته تبعيضا، فقالا: بل أجمعه فقال: إني تركت المدينة والظالم بها مقهور، والمظلوم بها منصور، والغني موفور، والعائل مجبور، فسر عمر بذلك وقال: والله لأن تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحب إلي مما طلعت عليه الشمس. [2]

وحين قدم عليه رجل من خراسان وأراد العودة إلى بلاده طلب من عمر أن يحمله على البريد، فقال له عمر وقد اطمأن لسيرته: **هل لك أن تعمل لنا عملا وأحملك ؟ فقال الرجل: نعم. فقال عمر: لا تأت على عامل لنا إلا نظرت في سيرته، فإن كانت حسنة لم تكتب بها، وإن كانت**

---

(1) الآجري: أخبار عمر بن عبدالعزيز وسيرته، تحقيق عبدالله عبدالرحمن عسيلان، ط: ١، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٣٩٩ هـ ص: ٦٩ .

(2) سيرة عمر بن عبدالعزيز: ١١٥ .

قبيحة كتبت بها. قال مزاحم: فما زال كتاب منه يجيئنا في عامل فنعزله حتى قدم خراسان. [1]

لقد آتت هذه المتابعة الدقيقة من عمر لعماله والتوجيهات التفصيلية لهم ثمارها في استقرار أحوال الأقاليم، فعن يحيى الغساني قال: حدثني أبي عن جدي قال: لما ولاني عمر بن عبدالعزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقة ونقبا. فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد وأسأله اخذ الناس بالظنة و أضربهم على التهمة، أو أخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة، فكتب إلي أن خذ الناس بالبينة وما جرب عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله. فقال يحيى: ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقا ونقبا.[2] كما أن هذه التوجيهات والمتابعة من عمر جعلت العمال والولاة في حالة تحفز دائمة للعمل حيث كانت تلك التوجيهات تقع في نفوسهم بمكان، فحدث إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: رأيت أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يعمل بالليل كعمله بالنهار لاستحثاث عمر إياه. [3]

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٩/ ٢٧٣.
(٢) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٧٩، ٨٠ .
(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٤٧ .

٥ ـ فتح باب الحوار مع المخالفين وتأمين حرية إبداء الرأي :

إن المتعمق في أخبار عمر بن عبدالعزيز يجد نفسه في بحر لا ساحل له، ملئ بالدرر والأصداف، عجائبه لا تنتهي، ونوادره لا تختفي، فعمر الزاهد الراهب، والشديد في تنفيذ الحق بصرامة يبدو أستاذا كبيرا من أساتذة السياسة وحذاقها، فهو يأسر اللب ويسترعي الانتباه بأسلوبه التدريجي المتأني في الإصلاح، وسعة باله في التعامل مع المخالفين، مؤثرا في ذلك الحوار عل الانغلاق، والرفق واللين على القسوة والشدة، وحجة الفكر على حد السيف. دخل يوما في حوار مع ابنه عبدالملك، حيث قال له ابنه: يا أمير المؤمنين ما يمنعك أن تنفذ رأيك في هذا الأمر، فوا الله ما كنت أبالي أن تغلوا بي وبك القدور في نفاذ هذا الأمر، فقال له عمر: يا بني إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن الله أبقاني مضيت لنيتي ورأيي، وإن عجلت علي منيتي فقد علم الله نيتي، **إني أخاف إن بادهت الناس بالتي تقول أن يلجؤوني إلى السيف، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف، وجعل يرددها مرارا** [1] لذا فقد

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦١٧.

فتح الحوار مع الخوارج، فكاتبهم وكاتبوه، وبعثوا رسلهم إليه (١) فمن ذلك لقاء عمر مع رسولين من الخوارج في (خناصرة) (٢) ودار بينه وبينهما حوار استطاع فيه أن يجيب على أسئلتهما ويرد على شبهات الخوارج، وكان من نتيجة هذا الحوار أن أعلن أحد الرسولين رضاه وقناعته بحكم عمر، واعترافه بأن الحق معه، وأقام في كنف عمر وأمر له بالعطاء، وأما الآخر فإنه كذلك سلم بما قاله عمر إلا أنه لم ير من حقه أن يبت في أمر حتى يعلم رأي إخوانه من الخوارج وموقفهم، فأمهله عمر حتى يبلغهم ما دار بينه وصاحبه مع عمر. (٣) ومما يوضح ما وصل إليه الأمر في عهد عمر بن عبدالعزيز من إتاحة الفرصة في إبداء الرأي ما قاله ناطق باسم أحد الوفود على عمر ـ وكان من أصغر القوم ـ فلما أراد الكلام قال عمر: الكبر، الكبر. فقال الشاب: يا أمير المؤمنين، ليس بالكبر وبالصغر، ولو

---

(١) عن هذه المكاتبات انظر: ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٧٥، ٧٩. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٥٥٦. ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٦٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٤/ ١٥٦.

(٢) خناصرة: بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٣٩٠)

(٣) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص ١١٢-١١٥. وعن موقف عمر وسياسته تجاه الخوارج انظر: عبدالله الخرعان: إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية (رسالة ماجستير غير منشورة) ١٢٩-١٣٦.

كـان بالكـبر لقـد في الـناس مـن هو أكبر منك. قال عمر: صدقت، فتكلم قال: ما جئناك لرغبة ولا رهبة. أما الرغبة فقد أتتنا في منازلنا، **وأما الرهبة فقد أمنا جورك، ولكنا وفد الشكر.** .[1]

ولا شـك أن لأسـلوب الحـوار أثـرا في القضـاء عـلى بعض الأفكار السياسـية المنحرفة، فكم من أفكار حبيسة الصدور يرى أصحابها أنهم على حـق ويـرى غيرهم أنهم مظلمون بكبت آرائهم فلما فتح باب الحوار معهم وجـادلهم أهـل العـلم تـبين لهـم عـور أفكـارهم واتضـح لغيرهم فسادها، فاتقطعـت بهـم الحجـج، ولم يعـد لهم مبرر للمخالفة والخروج. فسعة البال مـع المخالفين وعدم إساءة المعاملة معهم يمتص كثيرا من أحقادهم، وعكس ذلـك قـد يكون سببا في إثارة الفتنة، فمما يروى أن من أسباب خروج زيد بـن علـي بـن الحسين ـ رحمه الله ـ في عهد هشام إغلاظ هشام له في القول، فعـن معاذ بن أسد قال: ظهر ابن لخالد القسري على زيد بن علي وجماعته، أنهم عزموا على خلع هشام، فقال هشام لزيد بن علي: بلغني عنك كذا ؟! قـال: لـيس بصـحيح، قـال: قـد صـح عـندي، قـال أحلف لك ؟ قال: لا أصـدقك. قـال: إن الله لا يـرفع مـن قـدر مـن حلف له بالله، فلم يصدق،

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٩/ ٢٨٢.

قال: أخرج عني، قال: إذا لا تراني إلا حيث تكره. وفي رواية أنه قال لما انتهره هشام وكذبه: من أحب الحياة ذل وقال:

إن المحكم ما لم يرتقب حسدا ويرهب السيف أو وخز القنا هتفا

من عاذ بالسيف لاقى فرجة عجبا موتا على عجل أو عاش فانتصفا [1]

فانظر كيف كان لسوء معاملة هشام لزيد وإغلاظه القول له من أثر في نفور زيد ودفعه للخروج، وسيأتي في موضع لاحق كيف كان لسوء معاملة الحجاج لمخالفيه، واستفزازه لمشاعرهم، وعدم إتاحته الفرص لسماع آرائهم، من أثر في خروج الخارجين، وكثرة الناقمين. [2]

٦- الشفقة بالرعية والحرص على توفير الراحة لهم :

ومما يميز منهج عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ السياسي شعوره بعظم المسؤولية تجاه رعيته وتأدية الحقوق لهم من لحظة توليه الخلافة، فذكر ابن عساكر: أن مولى لعمر قال لعمر حين رجع من جنازة سليمان: ما لي أراك مغتما ؟ فقال عمر: لمثل ما أنا فيه يغتم ؛ ليس أحد من أمة محمد ﷺ في شرق ولا غرب إلا وأنا أريد أن أؤدي إليه حقه غير كاتب إلى فيه ولا طالبه مني [3] وقد تعددت مظاهر شفقته برعيته وإحساسه بالمسؤولية

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) انظر: الفصل الخامس المبحث الخامس.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١٠٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢.

تجاههم، فتجدها في إلغائه للمكوس والضرائب عنهم، وفي تفقده أحوال ضعفاء منهم والمساكين، [(١)] واهتمامه بالمرضى والمعوزين، [(٢)] بل حتى أصحاب المخالفات منع عماله من ضربهم بالسياط في البرد أو تعذيبهم بأكثر مما يستحقونه. [(٣)] ولا يتسع المجال للتفصيل في هذا فبابه واسع وميدانه فسيح، حيث كان أمر الرعية هاجس عمر وهمه الذي يؤرقه ولا يفارقه، فقد رأته زوجته ليلة والدموع تسايل على خده ويشهق الشهقة فتقول قد خرجت نفسه أو تصدعت كبده، ولم يزل كذلك ليلته حتى برق الصبح، فلما أصبح سألته زوجته عن شأنه فقال: دعيني وشأني، وعليك بشأنك. قالت له: إني أرجو أن أتعظ. قال: إذن أخبرك. فقال: إني نظرت إلي فوجدتني قد وليت هذه الأمة صغيرها وكبيرها، وأسودها وأحمرها، ثم ذكرت الغريب الضائع، والفقير المحتاج، والأسير المفقود، وأشباههم، في أقاصي البلاد وأطراف الأرض فعلمت أن الله سائلي عنهم، وأن محمد ﷺ حجيجي فيهم، فخفت أن لا يثبت لي عند الله عذر ولا يقوم لي مع

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٨١، ٦٠٧.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١١٨.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٦/ ٢٩٠-٢٩٣.

رسـول الله ﷺ حجـة، فخفت على نفسي خوفا دمعت له عيني، ووجل له قلبي ؛ فأنا كلما ازددت له ذكرا ازددت منه وجلا. (١)

ولقـد ظـل هـذا الهـاجس في حـس عمر حتى آخر رمق له في الحياة، فـتراه وهـو في مرضـه الـذي توفي فيه يؤكد على يزيد بن عبدالملك الحرص عـلى الرعـية، فمما جاء في وصيته له: ... أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجيرنـي مـن النار برحمته وأن يمن علي برضوانه والجنة. وعليك بتقوى الله. والرعـية. الرعية، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلا حتى تلحق باللطيف الخبير والسلام. (٢)

وبعـد تلـك إشارات عن أبرز ملامح منهج عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ السياسي تبين من خلالها أثر تولي عمر الخلافة ـ وهو عالم جليل ـ في شـتى مـيادين الحياة في الدولة الأموية، وقد ألمحت خلال تلك الإشارات إلى ذلـك الأثـر في الحـياة السياسـية والاستقرار الأمني، ولكن هذا الأثر تعدي الحـياة السياسـية إلى مـيادين أخـرى أبـرزها الاجتماعـية والاقتصادية، فقد أصـبح الـناس في عهـده سواسـية في أداء الحقوق وأخذ الواجبات، ولم يعد هـناك فقير أو مظلوم، فقد أغنى الله الناس بعمر، فتدفقت الأموال إلى بيت

---

(١) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص: ١٥٠. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١١٥.

(٢) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٢٣٩.

مـال الدولـة، وتحسنت أحوال سكان الأقاليم حتى أصبح أرباب الصدقات يجـدون صعوبة في البحث عن مستحق لها، فعن عمر بن أسيد قال: ما مات عمـر بـن عـبدالعزيز حـتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هـذا حيث ترونه، فما يبرح حتى يرجع بماله كله. قد أغنى عمر الناس.[1] وعـلى الـرغم مـن أن عمـر مـنع عمالـه مـن أخـذ الجزية ممن أسلم إلا أن أحـوال الأقاليم المالية كانت أفضل مما كانت عليه، يقول عمر بن عبدالعزيز عن الحجاج: وما كان يصلح لدنيا ولا آخرة. لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكـون مـن العمارة، فأخس به حتى صيره إلى أربعين ألف ألف، ولقد أدى إلـي في عـامي هذا ثمانون ألف ألف، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلـي مـا أدي إلى عمـر بـن الخطـاب ـ ﷺ ـ مائـة ألـف ألف وعشرة آلاف ألـف.[2] وهـذا يـرجع إلى رد عمـر المظـالم وتوظيف جميع ممتلكات الدولة لصـالح عامـة الرعـية، ولـنزاهة عمالـه، وثالـثا لاطمئـنان الـناس إلى عمر وعمالـه فدفعـوا إلـيهم أمـول زكـاتهم، فيذكر الفسوي[3] أنه لما ولي عمر كتـب إليه بعض ولاته: إن الناس لما سمعوا بولايتك تسارعوا إلى أداء زكاة الفطر، فقد اجتمع من ذلك شيء كثير.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٣١.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢٢٧ .

(٣) المعرة والتاريخ: ١/ ٥٩٢ .

مشاركة العلماء وأثرهم السياسي في عهد عمر بن عبدالعزيز:

رأينا فيما سبق أثر عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في الحياة السياسية في الدولة الأموية، ونشير هنا إلى أثر غيره من العلماء ومدى مشاركتهم له في ذلك الأثر في عهده.

لقد اتسعت مشاركة العلماء في عهد عمر بن عبدالعزيز بشكل لم يسبق له مثيل في الدولة الأموية، ويرجع السبب في ذلك إلى أمور أهمها حرص عمر على تقريب العلماء وجعلهم بطانته ووزراءه وأعوانه، كما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفا، ويتعلق السبب الآخر بالعلماء، حيث لم ير أحد من العلماء لنفسه أي مبرر في البعد عن عمر والمشاركة في أعماله، فمن كان منهم يرى اعتزال الخلفاء والأمراء من منطلق أن على العلماء أن يصونوا العلم ولا يذهبوا للسلاطين ابتداء بل على السلاطين أن يقدروا العلم والعلماء ويسعوا إليهم، من كان يرى ذلك فقد تحقق له شرطه حيث كان عمر يقصد العلماء ويبعث إليهم، ومن كان منهم يرى اعتزال الخلفاء والأمراء خوفا على دينه من مخالفتهم لم يعد لهذا المحذور وجود، حيث إن مجالس عمر ومخالطته تعين المرء على دينه. لهذا أقبل العلماء على عمر ورأوا أن من الواجب عليهم تحمل عبء المسؤولية الملقاة على عاتقه، ولم يعد لمعتذر عذر، بل أقبلوا عليه وقالوا كما ذكر ابن

عساكر [1]"ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله". فهذا ميمون بن مهران الذي يقول: "لا تدخل على سلطان وإن قلت آمره بطاعة". والذي يقول: "لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه." ومع هذا لا يجد لنفسه بدا من العمل عند عمر بن عبدالعزيز ومشاركته [2].

وتتجلى مشاركة العلماء في عهد عمر في عدة مظاهر أهمها:

١-قربهم من الخليفة وشد أزره للسير في منهجه الإصلاحي:

لقد أسهم العلماء في مساعدة عمر بن عبدالعزيز في السير في منهجه الإصلاحي حيث أيدوه فيما اتخذه من قرارات إصلاحية، كما كان لبعضهم أثر في اتخاذ عمر لبعض تلك القرارات. فمن ذلك ما أثر عن العالم العامل عراك بن مالك [3] فقد ذكر عنه أنه كان من أشد أصحاب عمر بن عبدالعزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفيء والمظالم من أيديهم، وقد تعرض بسبب هذا الموقف لغضب بني أمية فيما بعد فنفاه يزيد بن عبدالملك بعد توليه الخلافة إلى دهلك [4]. وروى عمر بن ميمون

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١٠٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٣١٥.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٦/ ٣٣٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٧/ ١٧٢.

بـن مهـران عـن أبـيه فـال: مـا زلـت ألطـف في أمـر الأمـة أنـا و عمر بن عـبدالعزيز حـتى قلـت له: مـا شـأن هـذه الطوامير التي تكتب فيها بالقلم الجلـيل، وهـي مـن بيـت المـال، فكتـب إلى الآفـاق بتركه، فكانت كتبه نحو شبر.(١)

٢- تعهدهم عمر بالنصح والتذكير بالمسؤولية:

وعـلى الـرغم مـن أن عمـر بـن عـبدالعزيز ـ رحمـه الله ـ أقل حاجة للنصـح من غيره من خلفاء بني أمية إلا أننا نجد أنه أكثر خليفة وجهت إليه النصـائح والتوجـيهات، كمـا أن عهـده ـ عـلى قصره ـ شهد أكبر عدد من الرسـائل المتبادلة بين الخلفاء والعلماء، ولو استعرضنا أولئك العلماء الذين وجهـوا النصـح والـتذكير لعمـر ومـا كتـبوه مـن رسائل لطال بنا الحديث، ولكـن نذكـر مـنهم على سبيل المثال: الإمام الجليل الحسن البصري، وسالم بـن عبدالله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن كعب القرظي، وأبا حازم سلمة بن دينار، والقاسم بن مخيمرة وغيرهم (٢).

وحـين نسـتعرض نصـائح أولـئك العـلماء ورسـائلهم الموجهة لعمر نجدهـا تتضـمن عددا من التوجيهات التي لها صلة بمنهج عمر السياسي، مما يؤكـد أن عمـر بن عبدالعزيز استقى منهجه من المنهل الذي نبعت منه هذه

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٥/ ١٣٣.

(٢) انظر تراجم هؤلاء العلماء في ملحق التراجم.

التوجيهات. فمما جاء في موعظة محمد بن كعب القرظي " ... يا أمير المؤمنين افتح الأبواب، وسهل الحجاب، وانصر المظلوم ، ورد الظالم. "[(١)] وبمثل هذا المعنى جاءت موعظة القاسم بن مخيمرة حيث قال لعمر: " ... بلغنا أن من ولي على الناس فاحتجب عن فاقتهم وحاجتهم احتجب الله عن فاقته وحاجته يوم يلقاه." قال عمر: فما تقول. ثم أطرق طويلا وبرز للناس [(٢)]

وجاء في إحدى رسائل الحسن البصري لعمر " ... أما بعد يا أمير المؤمنين فكن للمثل أخا وللكبير ابنا وللصغير أبا، وعاقب كل واحد منهم بذنبه على قدر جسمه، ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتدخل النار. [(٣)]وقد كان عمر كما سلف يحرص على تطبيق مثل هذا التوجيه ويأمر عماله بذلك.

ومما جاء في رسالة سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب - ﷺ - المليئة بالتوجيهات: " ... فإنه قد كان قبلك رجال عملوا وأحيوا ما أحيوا وأتوا

---

(١) الآجري: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٧٦.

(٢) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ١١٣.

(٣) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ١٠٣ .

ما أتوا حتى ولد في ذلك رجال ونشؤوا فيه وظنوا أنها السنة فسدوا على الناس أبواب الرخاء فلم يسدوا منها بابا إلا فتح الله عليهم باب بلاء، فإن استطعت ـ ولا قوة إلا بالله ـ أن تفتح على الناس أبواب الرخاء فافعل، فإنك لن تفتح بابا إلا سد الله الكريم عنك باب بلاء، ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أحد يكفيني عمله، فإنك إذا كنت تنزع لله وتستعمل لله أتاح الله لك أعوانا فأتاك بهم. وجاء فيها أيضا ... فمن بعثت من عمالك إلى العراق فانهه نهيا شديدا بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها. المال. المال يا عمر والدم. فإنه لا نجاة لك من هول جهنم من عامل بلغك ظلمه ثم لم تغيره ... [1] وهذه التوجيهات هي عين سياسة عمر في السعي لإغناء رعيته، وانتقائه لعماله ومحاسبته لهم.

٣ ـ مشاركتهم في تولي مختلف مناصب الدولة وأعمالها:

لم تقتصر مشاركة العلماء لعمر بن عبدالعزيز على الإشارة عليه وتقديم النصح له، بل تعدت ذلك إلى تولي عدد من المناصب في مختلف الأقاليم، وأهم هذه المناصب وأكثرها أثرا في سياسة الدولة: الإمارة على الأقاليم، وبيت المال.

---

(١) المصدر السابق نفسه: ١٠٦، ١٠٧ .

وحين نتتبع ولاة عمر على الأقاليم نجد أن جلهم من العلماء فمن ذلك: الإمام الثقة والأمير العادل عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب على ولاية الكوفة [1].

والعالم القدير أبو بكر بن عمر بن حزم على المدينة. [2]

والإمام الكبير إسماعيل بن أبي المهاجر على أفريقية. [3]

والفقيه المحدث عدي بن عدي الكندي على الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان. [4]

والإمام القاضي عبادة بن نسي على الأردن. [5]

والثقة الصالح عروة بن عطية السعدي على اليمن. [6]

والقاضي الفاضل سالم بن وابصة العبدي على الرقة. [7]

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٤٩. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦٤٥. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٨/ ١٥٩. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢١٣ .

(٤) خليفة بن خياط: تاريخه: ٣٢٣. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٦/ ٣٢. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٢٣. وانظر ترجمته في ملحق التراجم .

(٦) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٢٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٧/ ١٨٦ .

(٧) أبو زرعة الدمشقي: تاريخه: ١/ ٦٨٦. وانظر ترجمته في ملحق التراجم .

وأما بيت المال فقد تولى العمل فيه عدد من العلماء ومنهم:

العالم الجليل ميمون بن مهران على خراج الجزيرة. [١]

والثقة الصالح صالح بن جبير الصدائي على الخراج لعمر بن عبدالعزيز [٢]

والعالم الكبير وهب بن منبه على بيت مال اليمن. [٣]

والفقيه المفتي أبو الزناد على بيت مال الكوفة. [٤]

وتولى عمرو بن ميمون البريد لعمر بن عبدالعزيز. [٥]

ولا شك أنه كان لهذه المشاركة الواسعة من العلماء بتوليهم الإمارة، وبيوت الأموال في مختلف الأقاليم الأثر الكبير في ضبط شؤون الدولة الإدارية، والمالية وما ترتب على ذلك من آثار حسنة في الحياة السياسية في عهد عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ .

---

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٧٨. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١١/ ٢٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤/ ٣٨٣.

(٣) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز: ٦٥. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦/ ٣٨٨. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٤٥، ٤٤٨.

(٥) وانظر ترجمته في ملحق التراجم ومشاركته.

مكانة محمد بن مسلم الزهري في عهد هشام :

يعد الزهري من العلماء الذين خالطوا خلفاء بني أمية وصاحبوهم، وكانت له عندهم منزلة رفيعة، فيقول عنه الذهبي: كان ـ رحمه الله ـ محتشما جليلا بزي الأجناد له صورة كبيرة في دولة بني أمية. ويذكر أنه كان برتبة أمير [1]

وقد سبقت الإشارة إلى بداية اتصال الزهري بعبدالملك بن مروان وأثر قبيصة بن ذؤيب في تقريبه عند عبدالملك [2] وحيث إن المدة التي قضاها الزهري عند عبدالملك لم تكن طويلة لذا لم ترد له مشاركات ومواقف ذات أثر في سياسة عبدالملك إلا الشيء اليسير، ومن ذلك طمأنته لعبدالملك في أمر علي بن الحسين، فقد كان عبدالملك قد أمر بعض رجاله بالقدوم إليه بعلي بن الحسين من المدينة، ولكنه أفلت منهم وقدم على عبدالملك، فلما قدم الزهري الشام بعد ذلك قال له عبدالملك: إنه ـ أي علي ـ قد جاءني في يوم فقدوه الأعوان، فدخل علي فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت: أقم عندي، فقال لا أحب، ثم خرج، فوا الله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٣٧، ٣٤١. .

(٢) انظر ص: ١٤٢.

قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس علي بن الحسين حيث تظن، إنه مشغول بنفسه، فقال عبدالملك: حبذا شغل مثله، فنعم ما شغل به. (١) ولا شك أن لمثل هذه النظرة من الزهري تجاه علي بن الحسين وإبدائها لعبد الملك أثر في طمأنة عبدالملك وصرف نظره عن الاشتغال بأمره وما قد يترتب على ذلك من اتخاذ بعض القرارات التي تقضي بتتبع علي بن الحسين والتضييق عليه، وفي ذلك إحراج لعلي قد يؤدي إلى مناوئته لعبدالملك والدخول معه في مواقف حرجة للطرفين.

وقد كان الزهري يستغل الأوقات والفرص المناسبة لتقديم النصح لعبد الملك، فحين سأله عبد الملك عمن يسود الأقاليم ذكر أكثر الأقاليم ومن يسودها من الموالي بعلمهم وديانتهم، قال عبد الملك: والله ليسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها ؛ فقال الزهري حينئذ: يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه، من حفظه ساد ومن ضيعه سقط. (٢)وفي هذا لفت انتباه عبدالملك إلى أهمية التمسك بالدين حيث فيه الرفعة والسيادة وفي تضييعه الذل والهوان.

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٢٣٥.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٣٦٦ .

وبالـرغم مـن انـه ورد مـا يشـير إلى قـدوم الزهـري عـلى الوليد بن عـبدالملك [(١)]، ومصـاحبته لسـليمان بـن عـبدالملك [(٢)]، وكذلك الأمر في عهـد عمـر بـن عـبدالعزيز وعهـد يـزيد بن عبدالملك [(٣)] إلا أن مكانته عند هشـام كانت أعظم، وأثره في عهده أظهر وأكبر. ويرجع السبب في ذلك إلى طـول المـدة الـتي قضاها الزهري عند هشام، وتقريب هشام له حيث جعله مؤدبـا لأولاده، فعـندما حج هشام في بداية خلافته سنة ست ومائة للهجرة حج معه الزهري وجعله مؤدبا لأولاده، وبقي الزهري في بلاط هشام حتى توفي أي قرابة عشرين سنة [(٤)].

ومـن المؤكـد أن يكـون للمدة التي قضاها الزهري في بلاط هشام أثر عـلى اسـتقامة هشـام وأسـرته، فأمـا هشـام فقد اتصف بعدد من الصفات الحمـيدة كالحـلم والأنـاة، وكـراهة سفك الدماء، ومعاقبة أصحاب الخمور وأهـل الغـناء، [(٥)] والـنزاهة في جمـع الأموال، فروي أنه لا يدخل بيت المال لهشـام شـيء حـتى يشـهد أربعـون قسـامة لقـد أخذ من حقه، ولقد أعطى

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٤/ ٩.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٢/ ٩٠.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٣٤١، ٣٤٢.

(٤) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦٣٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٣٤٢.

(٥) المصدر السابق: ٩/ ٣٥٢.

الناس حقوقهم، [1] وذكر ابن كثير أن هشاما تفقد أحد ولده يوم الجمعة فبعث إليه مالك لم تشهد الجمعة ؟ فقال إن بغلتي عجزت عني، فبعث إليه أما كان يمكنك المشي، ومنعه أن يركب سنة، وأن يشهد الجمعة ماشيا [2] فليس من المستبعد أن يكون لمصاحبة الزهري لهشام أثر عليه في سيرته وأخلاقه هذه خاصة المكتسب منها.

وأما أولاد هشام فكان أثر الزهري عليهم أكثر حيث تولي تربيتهم وتعليمهم منذ الصغر على الأخلاق الحسنة ومعالي الأمور. ويقول محمد شراب: كان للزهري تأثير في تربية أولاد هشام، فكانوا نعم الشباب خلقا وسلوكا، لأن التاريخ لم ينقل لنا عن واحد من أولاد هشام تصرفا مشينا، وإنما كانوا قادة فتوح، وجنود دعوة، فتح الله على أيديهم بقاعا كثيرة، ودخلت بلاد بغزواتهم في دين الإسلام [3] .

وحين نتتبع الغزوات في عهد هشام فسنجد أن لأبنائه النصيب الأوفى في قيادتها، فلا تكاد تمر سنة إلا وأحدهم أو عدد منهم على أس غازية تغزو. وقد كان لمعاوية بن هشام القدر الأكبر في ذلك حيث غزا في السنوات التالية: من سنة ست ومائة وحتى سنة تسع عشرة ومائة عدا

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٥/ ٣٥٢.

(٢) البداية والنهاية: ٩/ ٣٥٢.

(٣) شراب: الإمام الزهري عالم الحجاز والشام: ٣٢٢ .

سنتي ثمان ومائة وست عشرة ومائة، كما قاد إبراهيم بن هشام الغزو في سنة ثمان ومائة، وقاد سعيد بن هشام صائفة سنة إحدى عشرة ومائة، وأما سليمان بن هشام فغزا سنة أربع ومائة، وسبع عشرة ومائة، وعشرين ومائة، وثلاث وعشرين ومائة، وغزا مسلمة بن هشام سنة إحدى وعشرين ومائة، وفي سنة ثنتين وعشرين ومائة غزا محمد بن هشام. [1] وبالإضافة إلى قيادتهم للغزوات كان هشام يسند إمرة الحج في بعض السنوات إلى أحدهم، ففي سنة تسع عشرة ومائة حج بالناس مسلمة بن هشام، ويزيد بن هشام في سنة ثلاث وعشرين، وكان الزهري يرافقهم في الحج ويرشدهم ويوجههم إلى ما فيه الخير لأنفسهم وأمتهم، فلما قدم مسلمة المدينة في حجة أشار عليه الزهري أن يصنع إلى أهل المدينة خيرا، وحضه على ذلك، فأقام في المدينة نصف شهر، وقسم الخمس على أهل الديوان وفعل أمورا حسنة. [2]

ومن أهم أمور الزهري السياسية في عهد هشام بن عبدالملك موقفه من خلع الوليد بن يزيد بن عبدالملك من ولاية العهد، فقد كان يزيد بن

---

(١) انظر إلى أحداث تلك السنوات في: تاريخ خليفة بن خياط، وفي البداية والنهاية لابن كثير: جـ ٩. وغيرهما.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤/ ٢٧٤ . ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٣٢٤، شراب: الإمام الزهري: ص: ٣١٩.

عبدالملك عهد بالخلافة لهشام ومن بعده لولده الوليد وأخذ العهد بذلك على هشام، فلما آلت الخلافة إلى هشام كان الزهري يرى خلع الوليد بن يزيد ويحث هشام على ذلك، وعندما أبدى هشام تخوفه من عدم قبول من في الأجناد لذلك قال الزهري له: فوجهني حتى أسير في الأجناد جندا جندا فأخلعه.[1]

وعلى أنه ليس من السهل الجزم بصحة الخبر الذي ورد بذكر موقف الزهري هذا، إلا أنه لا يمكن نفيه أيضا لا سيما وأن الذين أوردوه من أمثال ابن عساكر والذهبي وابن كثير لم يشيروا إلى ما يثير الشك حوله، كما أنه لم يرد أي خبر ينفي ذلك، وقد مال مؤلف كتاب الإمام الزهري[2] إلى عدم اتخاذ الزهري هذا الموقف من الوليد بن يزيد، واعتمد في حكمه هذا على ما رواه ابن عساكر عن معمر قال: كنا نرى أن قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزانته، يقول: من علم الزهري. فيقول محمد شراب بعد ذلك: فهذا الخبر يدل على شيئين:

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦/ ٣٦٥، ٣٦٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٥/ ٣٤١، ٣٤٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠/ ٣.

(٢) محمد شراب: ص ١٢٥.

الأول: أن الزهري كان معلما لأولاد يزيد بن عبدالملك، ومنهم الوليد.

الثاني: إن لم يكن هذا العلم كتب للوليد إبان طلب العلم على يد الزهري، فإن الوليد يكون معجبا بعلم الزهري وحاز على رواياته في مكتبة قصره، ثم يقول شراب: وكلا التأويلين يعكران على ما يروى عن أبي الزناد أنه قال: كان الزهري يقدح أبدا عند هشام بن عبدالملك في الوليد بن يزيد، ويعيبه ويذكر أمورا عظيمة لا ينطق بها، ويقول لهشام ما يحل لك إلا خلعه ... ثم يقول شراب كيف يكون الوليد بن يزيد تلميذا للزهري، ويخزن الوليد من علم الزهري أحمالا، ثم يطعن الزهري في الوليد، ثم يتلهف الوليد على قتل الزهري . . ؟ [1].

وعند إمعان النظر لا نجد فيما روى عن معمر دليلا لنفي ما ذكر من موقف الزهري من الوليد السابق، فأما استنتاج محمد شراب من الرواية أن الزهري معلم للوليد فخلاف ما ورد في عدد من المصادر التي تحدثت عن نشأة الوليد من أن الذي تولى تربية الوليد هو عبد الصمد بن عبد الأعلى[2] وليس الزهري [1] .

(١) محمد شراب: الإمام الزهري: ص: ١٢٦.

(٢) هو عبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة الشيباني، مؤدب الوليد بن يزيد، أحد الشعراء، وكان يتهم بالزندقة. (ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق: ١٥/ ١٢٢.

أما استنتاجه الثاني: بأن حيازة الوليد لعلم الزهري في مكتبته دليل على إعجاب الوليد بعلم الزهري، فهذا لا غبار عليه، ولكن هذا ليس ـ كما ظن ـ يمنع الوليد من غضبه على الزهري بسبب موقفه منه، فقد قال يحيى بن عبدالله بن بكير: كان الوليد بن يزيد يظن أن عند ربيعة ما كان عند الزهري، فكان يسأله، فلا يجد عنده ما أمل فيه، فسأله يوما عن ناز [(٢)] له، فقال: ليس عندي فيه رواية، فقال الوليد: ولكن ذاك الذي فعل الله به في قبره وفعل، لو سقط قضيبي هذا من يدي لروى فيه شيئا [(٣)]. فهذا يدل على إعجاب الوليد بالزهري وغضبه عليه في الوقت نفسه.

ولعل مما يؤيد صحة خبر موقف الزهري من خلع الوليد أن الأخبار لم تقف عند حد ذكر الموقف فحسب، بل وردت أخبار توضح ما ترتب على هذا الموقف من رد فعل عند الوليد تجاه الزهري، فأورد ابن عساكر أن الوليد كان يقول للزهري: (إن أمكنني الله منك يوما فستعلم.) وكان الزهري يقول: (إن الله أعدل من أن يسلط علي سفيها.)

---

(١) ابن منظور: ١٥/ ١٢٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٤/ ٢٥٦.

(٢) ناز من نزا ينزو، النزو: الوثبان، ولا يقال إلا للشاء والدواب والبقر، وفي حديث علي ـ t ـ أمرنا أن لاننز بالحمر على الخيل. (اللسان).

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦/ ٣٦٦.

بـل لم ينـتظر الوليد حتى يلي الخلافة فقد أرسل إلى مال الزهري ببدا وشـغب [1] فعقـر أشـجاره. وصـدق الله ظـن الزهـري حيث توفي ـ رحمه الله ـ قبل أن يلي الوليد الخلافة [2] .

وإذا قلـنا بإمكـان اتخـاذ الزهـري لذلك الموقف من الوليد فيمكننا أن نتـلمس السـبب الدافـع الـذي جعله يقف هذا الموقف، وهو أن الزهري لما رأى مـيل الولـيد لـلهو والمجـون ووقوعـه في الفسق وعدم تركه لذلك رغم نهـيه عـن ذلك فخشي إن آل إليه أمر الخلافة أن يكون ذلك ضعف للأمة، وانفتاح باب الفساد في الدين والأخلاق حيث الناس على دين ملوكهم.

وممـا لاشـك فـيه أن خلع ولي العهد أمر له خطورته وأضراره، وهو ومـا دعـا قبيصـة بن ذؤيب أن ينهى عبدالملك بن مروان ويصرفه عن عزمه خلـع ولـي عهـده وأخيه عبدالعزيز، وهو ما دعا عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ إلى أن يـرفض طلـب الولـيد بـن عبدالملك بخلع أخيه سليمان. إلا أن موقـف الزهـري هنا اختلف لاختلاف الحال، فولي عهد هشام لم يكن مثل عبدالعزيز بن مروان، أو سليمان بن عبدالملك، حيث لم يعهد عنهما ما يبرر

---

(١) بدا: واد قرب أيلة من ساحل البحر، وقيل بواد القرى. وشغب: ضيعة خلف وادي القرى كانت للزهري وبها قبره. (معجم البلدان: مادة/ بدأ وشغب)

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦/٣٦٦، ٣٦٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠/٣.

خلعهما، بل كانا في نظر الناس أهلا لذلك. أما الوليد فعلى الرغم من أن كثيرا مما نسب إليه مبالغ فيه وبعضه مكذوب إلا أن فسقه وميله للهو والمجون أمر مشهور عنه وثابت في أغلب المصادر التي تحدثت عنه، وهذا ما جعل الزهري وغيره يتخوفون من مغبة توليه الخلافة، فروي أن مكحولا ـ رحمه الله ـ كان يقول: (اللهم لا تبقني بعد هشام) [(١)] ولعله قال ذلك بسبب توقعه الفتنة بتولي الوليد، وأما الزهري فرأى أن تسليم الوليد قيادة الأمة أمر فيه خطر وضرر لا بد من دفعه، وهذا منوط بالخليفة الذي تحمل أمانة ولاية أمر الأمة ووجب عليه النصح لها، ومن أعظم النصح أن يستخلف عليها من تبرأ الذمة بتوليته، لذا عندما تخوف هشام من خلع الوليد لأن ذلك نقضا للعهد الذي أخذه أخوه يزيد عليه بتولية ابنه من بعده قال له الزهري: اخلع الوليد ؛ فإن من الوفاء بعهد الله خلعك إياه [(٢)].

ومما قد يخفف من خطورة خلع الوليد من ولاية لعهد وجود الخليفة على رأس الأمر فيستطيع وفي يده القوة القضاء على ما قد يترتب على ذلك من مخاطر، أما إذا ترك الأمر حتى يتسلم الوليد الخلافة وتنتقل إليه القوة فإن من الصعب عزله، بل سيترتب على ذلك من الأضرار أضعاف

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٧/ ١٠٥.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦/ ٣٦٦.

ما يترتب على خلعه من ولاية العهد، وهذا ما حدث بالفعل، وهو ما دعا الحافظ بن كثير حين تحدث عن حياة الوليد يقول: فعزم عمه على خلعه من الخلافة ـ وليته فعل ـ وقال بلفظ آخر: وليت ذلك تم [(١)] .

ومما سبق يتضح أن حث الزهري هشاما على خلع الوليد بن يزيد كان حرصا منه على مصلحة الأمة، وأداءا لنصيحة إمامه الذي وثق به وقربه، ولم يبال بما قد يترتب على موقفه هذا من أذى متوقع من الوليد إذ الخوف من الله مقدم على الخوف من غيره، ومصلحة الأمة مقدم على مصلحة النفس .

وقبل أن نختم الحديث عن مشاركة الزهري وقربه من خلفاء بني أمية تجدر الإشارة إلى ما تعرض له الزهري من انتقاد بسبب هذا القرب، فممن انتقده العالم الجليل مكحول الدمشقي فقد قال عنه: (أي رجل هو لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك) [(٢)] ومنهم عمرو بن عبيد، فعن عمر بن رديح قال: كنت مع ابن شهاب الزهري نمشي، فرآني عمرو بن عبيد، فلقيني بعد فقال: مالك ولمنديل الأمراء ؟ يعني ابن شهاب. [(٣)]

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠/ ٢.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦٤٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٣٩.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٢٤٠.

ويعد الإمام أبو حازم سلمة بن دينار من أشد من انتقد الزهري، حيث كتب إليه رسالة مطولة، ومما جاء فيها: (... اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت [1] أن آنست الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت، وإجابتك حين دعيت، فما أخلقك أن ينوه باسمك إذا مع الجرمة، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، ودنوت ممن لم يرد على أحد حقا، ولا يرد باطلا حين أدناك، وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك، جعلوك قطبا تدور رحى باطلهم عليك، وجسرا يعبرون بك إلى بلائهم، وسلما إلى ضلالتهم، وداعيا إلى غيهم، سالكا سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك، في جنب ما خربوا عليك، وما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك ...) [2]

---

(١) احتقب فلان الإثم واستحقبه: احتمله. (لسان العرب: مادة حقب)

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٠/ ٧٧، ٧٨. ابن الجوزي: صفوة الصفوة: ٢/ ٩١.

ويجدر أن نقف وقفة قصيرة مع هذه الانتقادات الموجهة للزهري، فأما عمرو بن عبيد فلا يقبل قدحه لأنه صاحب بدعة اتهمه أهل الجرح والتعديل بالكذب وضعفوه لبدعته حيث يعد من أصحاب الاعتزال [1] وحيث إن المعتزلة لا يرون شرعية خلافة بني أمية فتبعا لذلك لن يرضوا عن من يصاحبهم .

وأما مكحول وأبو حازم فالأمر بينهم وبين الزهري لا يعدو كونه خلافا محصورا في أمر قابل للاجتهاد، ولم يتعد الخلاف جوانب أخرى، فقد كان مكحول رغم خلافه هذا مع الزهري يجل الزهري ويقدره، فقال أبو بكر بن أبي مريم: قلت لمكحول: من أعلم الناس ؟ قال: ابن شهاب ؛ قلت: ثم من ؟ قال: ابن شهاب ؛ قلت: ثم من ؟ قال: ابن شهاب [2]. وهذا شأن أهل الفقه في التعامل مع مخالفيهم.

وأما ما كان يخشاه أبو حازم وغيره على العلماء من مخالطتهم للخلفاء والأمراء من المجاراة والمداهنة التي تضر العالم في دينه والسلطان في دنياه وأخراه، فإنه كان للزهري من قوة الشخصية والشعور بالمسؤولية ما جعله بعيدا عن الوقوع في هذا المحذور، فقد كان للزهري مواقف تدل على

---

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨/ ٧٠.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٢٣٦.

ذلك منها: ما رواه البخاري [1] أن الزهري قال: قال لي الوليد بن عبدالملك، أبلغك أن عليا كان فيمن قذف عائشة ؟ قلت لا، ولكن قد أخبرني رجلان من قومك ـ أبو سلمة بن عبدالرحمن، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث ـ أن عائشة ـ ﵂ ـ قالت لهما: كان علي مسلما في شأنها. وفي تعليق ابن حجر على الحديث نقل رواية عن ابن مردويه عن الزهري قال: كنت عند الوليد بن عبدالملك ليلة من الليالي وهو يقرأ سورة النور مستلقيا، فلما بلغ هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾[2] حتى بلغ ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ ﴾ جلس ثم قال: يا أبا بكر من تولى كبره منهم ؟ أليس علي بن أبي طالب ؟ قال: فقلت في نفسي: ماذا أقول ؟ لئن قلت: لا، خشيت أن ألقى منه شرا، ولئن قلت: نعم، لقد جئت بأمر عظيم، قلت في نفسي: لقد عودني الله على الصدق خيرا، قلت: لا، فضرب بقضيبه على السرير ثم قال: فمن ؟ فمن ؟ حتى ردد ذلك مرارا، قلت: لكن عبدالله بن أبي. وعلق ابن حجر قائلا: وكأن بعض من لا خير فيه من الناصبة تقرب إلى بني أمية بهذه الكذبة، فحرفوا قول عائشة إلى غير

---

(١) صحيح البخاري: ٥/ ٦٠، المغازي: ٣٣٤.

(٢) سورة النور: آية ١١. والآية بتمامها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

وجهه، لعلمهم بانحرافهم عن علي، فظنوا صحتها، حتى بين الزهري للوليد أن الحق خلاف ذلك، فجزاه الله خيرا. [1]

كما رويت قصة أخرى مشابهة في عهد هشان، تذكر أن سليمان بن يسار دخل على هشام بن عبدالملك فقال يا سليمان: من الذي تولى كبره منهم ؟ قال: عبدالله بن أبي بن سلول، قال: كذبت هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل الزهري، فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره ؟ فقال: هو عبدالله بن أبي، قال هشام كذبت، هو علي، فقال أنا أكذب، لا أبا لك، فوا لله لو نادى مناد من السماء، إن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني سعيد، وعروة، وعبيدالله، وعلقمة بن وقاص، عن عائشة: أن الذي تولى كبره عبدالله بن أبي. فقال له هشام: ارحل، فوا لله ما كان ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك. فقال: ولم ؟ أنا اغتصبتك على نفسي، أو أنت اغتصبتني على نفسي ؟ فخل عني، فقال هشام لا، ولكنك استدنت ألفي ألف، فقال الزهري: قد علمت وأبوك قبلك، أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك، فقال هشام نحن هيجنا الشيخ. فأمر هشام

(١) ابن حجر: فتح الباري: ٧/ ٤٣٦، ٤٣٧.

فقضى عنه ألف ألف، فأخبر بذلك، فقال: الحمد لله الذي هذا هو من عنده.[1]

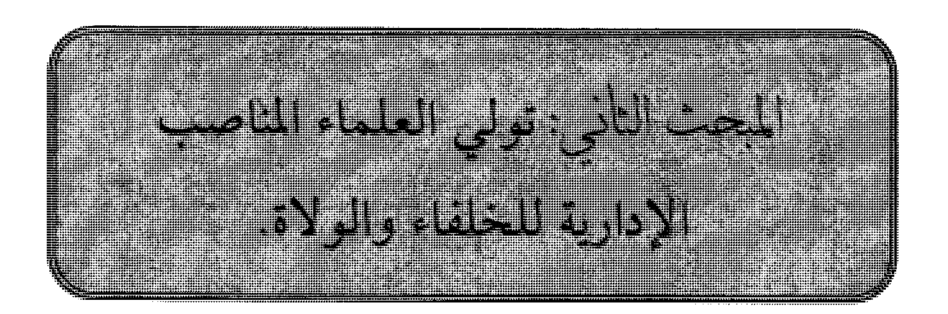
والمجال في ذكر مواقف الزهري التي توضح قوته في الحق وعدم مداهنته يطول، وما أحسن ما قاله الذهبي عن الزهري حين قال: (بعض من لا يعتد به لم يأخذ عن الزهري، لكونه كان مداخلا للخلفاء، ولئن فعل ذلك فهو الثبت الحجة، وأين مثل الزهري رحمه الله !)[2]

وقد كان همي أن أجد شيئا مما يوضح رد الزهري على منتقديه في قربه من بني أمية، ولكني لم أجد شيئا في ذلك. فلعل الزهري لقناعته بما هو فيه تجاهل تلك الانتقادات الموجهة إليه لمعرفته بنفسه ودوافعه من وراء ذلك، ولعدم جدوى الدخول مع غيره في معركة الردود ودفع التهم فرحمه الله رحمة واسعة.

****

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٣٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٣٩.



أولا: تولي العلماء لبعض المناصب الإدارية للخلفاء :

وبجانب مشاركة العلماء للخلفاء بقربهم منهم وتأثيرهم عليهم عن كثب، كانت هناك مشاركات أخرى أسهم فيها العلماء مع الخلفاء في إدارة شؤون الدولة، حيث أسند إليهم الخلفاء بعض المناصب الإدارية، ويأتي في مقدمة هذه المناصب منصب ولاية الأقاليم أو الإمارة على البلدان، لذا سنقف عند هذا المنصب لنتعرف على أبرز العلماء الذين عملوا فيه، ثم نتبين ما لذلك من آثار في الحياة السياسية في الدولة الأموية.

فقد استعمل معاوية بن أبي سفيان ﷺ الإمام والصحابي الجليل عبدالله بن عمر بن العاص ﷺ على مصر بعد وفاة أبيه سنتين. [1] كما استعمل عليها أيضا الصحابي المقرىء والفقيه الفرضي عقبة بن عامر من

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ١٨١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٦٠، وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

سنة أربع وأربعين إلى سبع وأربعين للهجرة .[1] كما ولى النعمان بن بشير رضي الله عنه [2] الكوفة ثم عزله عنها، وولاه بعد ذلك حمص وبقي عليها في عهد يزيد بن معاوية [3] وتولى العالم الفاضل مالك بن هبيرة السكوني [4] إمرة حمص لمعاوية سنة ست وخمسين.[5]

وفي عهد عبدالملك تولى الإمام الفقيه أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه إمارة المدينة سبع سنين.[6]

وفي ولاية عبدالله بن الزبير رضي الله عنه تولى ولاية اليمن له العالم حنش بن عبدالله الصنعاني.[7] كما تولى ولاية البصرة له عبدالله بن الحارث.[8]

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧١/ ٩٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٦٧، ٤٦٨. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٥٣. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٥١. الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٣/ ٤١٢.

(٤) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) المزي: تهذيب الكمال: ٢٧/ ١٦٤. تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٤.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٥٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٥٢. وانظر ترجمة أبان في ملحق التراجم.

(٧) الجعدي: طبقات فقهاء اليمن: ٥٧. وانظر ترجمة حنش في ملحق التراجم.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٥-٢٧. وانظر ترجمة ابن الحارث في ملحق التراجم.

وفي عهد الوليد بن عبدالملك تولى عمر بن عبدالعزيز المدينة سنة سبع وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين للهجرة. (١)

وفي عهد سليمان بن عبدالملك تولى المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم من سنة ست وتسعين واستمر عليها حتى وفاة عمر بن عبدالعزيز. (٢)

وأما عهد عمر بن عبدالعزيز فقد سبقت الإشارة إلى كثرة من تولى الإمارة في عهده من العلماء وذكرت عددا منهم.

ولقد أسهم أولئك العلماء من خلال توليهم ولاية عدد من البلدان في استقرار أحوال الأقاليم التي تولوها، فحين نتتبع أحوال تلك الأقاليم خلال ولايتهم لها نجدها تنعم باستقرار أحوالها بعامة والسياسة منها بخاصة، ويظهر ذلك في انعدام الفتن والثورات المعارضة للدولة الأموية في تلك الأقاليم، كما يظهر ذلك في قوة التلاحم بين الراعي والرعية حيث كان هؤلاء العلماء محل تقدير الناس واحترامهم نتيجة لصلاح سيرتهم وحسن تعاملهم مع الرعية، وقد كان لهذا التعامل الحسن أثره وانعكاسه في تقوية الروابط بين الدولة ورعيتها.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ٣١١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٤٢٧، ٤٨٢.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦٤٣. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٨/ ١٦٢.

ويتضح ذلك أكثر عندما نقارن سير أولئك العلماء الولاة بسير وتعامل غيرهم من الولاة الذين لم يحسن الخلفاء اختيارهم ممن يتخذون البطش والقسوة مسلكا لإخضاع الناس لسلطانهم، أو ممن تطغى عليهم العصبية والقبلية في تعاملهم وتصرفاتهم، فأساءوا بذلك السيرة ، وكرههم الخاصة والعامة، وبكرههم كرهوا من ولاهم من الخلفاء، وربما تطور هذا الكره إلى قيام بعضهم بالثورات احتجاجا على تصرفات هؤلاء الولاة .

وتجلية لهذا الأمر سأورد بعض الأمثلة التي تتضح الصورة فيها بشكل أكبر. فمن المعروف أنه توالى على ولاية الحجاز بعامة والمدينة بصفة خاصة عدد من الولاة من العلماء وغيرهم، وبإمعان النظر نجد أن أحوالها في عهد العلماء أفضل ما يكون. فكما سبق تولاها من العلماء أبان بن عثمان سبع سنوات، وعمر بن عبدالعزيز ما يقرب من ست سنوات، وأبو بكر بن عمرو بن حزم خمس سنين، كما تولاها لابن الزبير من العلماء طلحة بن عبدالله الزهري [١] وفي ظل ولاية هؤلاء لم يحدث أن تقدم أحد إلى الخلفاء يشكو سوء سيرتهم أو يتظلم منهم، بل على النقيض من ذلك اشتهر على ألسنة الناس الثناء عليهم، فثناء العامة والخاصة على عمر خلال ولايته أشهر من أن يذكر، وأبو بكر بن حزم قال عنه الإمام مالك بن أنس ـ رحمه

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

الله ـ: ما رأيت مثل ابن حزم أعظم مروءة، وأتم حالا، ولا رأيت من أوتي ولاية المدينة والقضاء والموسم.[1] وقال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ عن طلحة بن عبدالله الزهري: ما ولينا مثله.[2] ويدخل في ذلك بعض الولاة الذين لم يكونوا في عداد العلماء ولكنهم من أهل الصلاح ومحبي الخير وقربوا العلماء وأخذوا بمشورتهم، ومن هؤلاء عبدالواحد بن عبدالله النصري[3] ـ والي المدينة ليزيد بن عبدالملك ـ حيث قال عنه ابن عساكر[4]: (كان محمود الإمارة، وكان يذهب مذاهب أهل الخير، ولا يقطع أمرا إلا استشار فيه القاسم وسالما[5]، وما كان لبني مروان وال أحمد منه عند أهل المدينة، ولا أجدر أن يقرب أهل الخير، ويعرف قدرهم. ولما نزعه

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣١٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٦١.

(٣) هو عبدالواحد بن عبدالله بن كعب النصري الدمشقي، قال عنه الدارقطني ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، ولاه يزيد بن عبدالملك المدينة سنة ١٠٤هـ وبقي إلى أن عزله هشام سنة ١٠٦هـ (ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٦/ ٤٣٦.)

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥/ ٢٥٥-٢٥٧.

(٥) هما العالمان الجليلان: القاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ وانظر ترجمتهم في ملحق التراجم.

هشام من الولاية توجع القاسم بن محمد وجزع عليه وقال: رجل عرفناه وعرفنا مذاهبه وآمناه، يأتينا غر لا ندري ما هو.) [1]

وحين نقارن هذه الصور عن العلماء وولايتهم بغيرهم نجد البون شاسعا، فقد تولى الحجاج الحجاز بعد قضائه على ابن الزبير، لكنه لم يكن محمودا عند أهله، بل كانت بعض تصرفاته مثار غضب الناس لا سيما العلماء منهم، [2] مما حدا بعضهم نصح عبدالملك بعزله عن الحرمين فعزله. [3]

وممن تولى المدينة عثمان بن حيان المري ـ الذي تولى المدينة بعد عزل عمر بن عبدالعزيز عنها ـ وكان في سيرته عنف فكرهه أهل المدينة، وبكرههم له كرهوا من ولاه عليهم. فيذكر ابن عساكر [4]. أنه بعد موت الوليد بن عبدالملك والحجاج أخذ الصبيان والإماء في المدينة يرددون :

يا مهلك الاثنين ... أهلك ذاك الإنسان

وكان عثمان يقول: أنا ذاك الإنسان. فلما عزل جهروا وقالوا: يا مهلك الاثنين ... أهلك ذاك الإنسان

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٦/ ٤٣٧.

(٢) سيأتي ذكر ذلك في الفصل الرابع المبحث الثاني.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٣.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٦/ ٨٦. وعن سرة عثمان هذا انظر أيضا الزبيري: نسب قريش: ٢٨٦.

ومــن ذاك الإنســـان عثمـــان بن حيـــان[1]

ومـن تـولى المدينـة في عهـد هشـام بن عبدالملك إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي وقد كان فيه بعض الجشع والطمع فيما في أيدي بعض الرعـية، وقـد اشـتكاه إلى هشـام عبدالله بن عروة بن الزبير قال فيها مخاطبا هشـام: (أخـذ إبراهـيم بن هشام ما بين منابت الزيتون إلى منابت القرظ [2] فـلم يغـنه كـثير ما بيديه عن قليل عن ما في أيدينا ! وإنا والله ما طبنا أنفسا عـن فـراق الأحـبة إلا بمـا تـرك لـنا مـن معايشنا ؛ وقد أعطيتمونا عهدكم، وأعطيـناكم طاعتـنا ؛ فإمـا وفيتم لنا بما أعطيتمونا، وإما رددتم علينا بيعتنا ! وإنـي أعـيذك بالله أن تصل رحمنا بقطيعة أخرى). [3] فانظر إلى أي حد بلغ سـوء تعـامل بعض الولاة في إفساد نفوس بعض الرعية على أئمتهم. ومن ولاة هشـام بـن عـبدالملك عـلى المدينـة كذلـك خـالد بـن عـبدالملك بـن الحـارث، وكان يسيء الأدب مع آل بيت رسول الله ﷺ وقد اشتكاه بعض العلماء إلى هشام بن عبدالملك. [4]

---

(١) الأبيات مختلة الوزن.

(٢) من المعروف أن منابت الزيتون بالشام، وأما منابت القرظ فهي باليمن. (القاموس المحيط: مادة قرظ)

(٣) الزبيري: نسب قريش: ٢٤٦.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ٣٨٧، ١٥/ ١١.

هذه صور للمقارنة بين ولاية العلماء وغيرهم في الحجاز وفي المدينة بخاصة، وقد تكررت هذه الصور في الأقاليم الأخرى، ولكنها في الحجاز أوضح لأن نصيبه من ولاية العلماء أكثر من غيره. وقد سبقت الإشارة إلى أن العالم الكبير إسماعيل بن أبي المهاجر تولى إفريقية في عهد عمر بن عبدالعزيز، وكان حسن السيرة فرضيه أهلها، وأسلم عامة البربر على يديه. فلما عزله يزيد بن عبدالملك وولى عليها يزيد بن أبي مسلم وأظهر أنه سيسير فيهم بسيرة الحجاج ثار عليه أهلها فقتلوه.[1]

وفي اليمن حين نقارن بين ولاية محمد بن يوسف الثقفي لليمن خلال عهد عبدالملك وابنه الوليد، وولاية عروة بن محمد بن عطية السعدي خلال عهد سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز وجزء من عهد يزيد[2] فسنجد أن الفرق كبير بين سمعتي الرجل وآثارها.

فأما محمد بن يوسف فيروي طاووس بن كيسان أنه أتي برجل من أهل اليمن إلى الحجاج وهو في الحج، فقال له: كيف تركت محمد بن يوسف ؟ قال: تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا، قال: ليس

---

(١) انظر ص: ١٨٣-١٨٤.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ٢٩٣، ٣١١، ٣١٨، ٣٢٣.

عن هذا سألتك ؛ قال: فعم سألت؟ قال سألتك عن سيرته، قال: تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق. [١]

وقد كانت هذه السيرة مثار سخط على محمد بن يوسف، ومدعاة للمتسرعين في طرح الحلول وتحقيق الإصلاح إلى التفكير في الخروج والجنوح له. فأورد الذهبي [٢] عن معمر عن ابن طاووس بن كيسان قال: كنت لا أزال أقول لأبي: إنه ينبغي أن يخرج على هذا السلطان، وأن يفعل به، قال: فخرجنا حجاجا، فنزلنا في بعض القرى، وفيها عامل - يعني لأمير اليمن - يقال له ابن نجيح، وكان من أخبث عمالهم، فشهدنا صلاة الصبح في المسجد، فجاء ابن نجيح، فقعد بين يدي طاووس، فسلم عليه، فلم يجبه، ثم كلمه فأعرض عنه، فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت بيده وجعلت أسائله، وقلت له: إن أبا عبدالرحمن لم يعرفك، فقال العامل: بلى معرفته بي فعلت ما رأيت. قال: فمضى وهو ساكت لا يقول لي شيئا، فلما دخلت المنزل قال: أي لكع، بينما أنت زعمت تريد أن تخرج عليهم بسيفك، لم تستطع أن تحبس عنه لسانك. فانظر كيف كان يفكر ابن

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٥/ ٤١.

طاووس بالخروج على محمد بن يوسف وأمثاله من عماله الذين هم على شاكلته، وليس من المستبعد أن يكون هذا التفكير عند غير ابن طاووس ممن هم على شاكلته في التسرع.

هذا موقف الناس من ولاية محمد بن يوسف لليمن، وأما في ولاية الرجل الصالح عروة بن محمد لم تكن مثل هذه الأفكار تثار لصلاحه وحسن سيرته، فقد اشتهر الثناء عليه حيث قيل فيه أنه كان من صالح العمال. ومن خيار الناس، وروي أنه لما دخل اليمن واليا قال: يا أهل اليمن هذه راحلتي فإن خرجت بأكثر منها فأنا سارق. [1] فأين هذه السيرة من تلك.

من كل ما سبق يتضح أن ولاية العلماء أو من يقربهم من الولاة ويقدر مشورتهم، كانت سببا في استقرار أحوال الأقاليم التي تولوها، وعاملا قويا في ربط الناس برباط قوي بالدولة الأموية وخلفائها. وعلى العكس من ذلك أن ولاية العمال ـ الذين ينهجون مسلك البطش والقسوة، ولا يقيمون لتعاليم الإسلام في التعامل مع الرعية كبير وزن ـ

---

(١)ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٢٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب : ٧/ ١٨٦- ١٨٨.

كانت ولايتهم سببا كبيرا من أسباب قيام الفتن، وعاملا من عوامل إحداث الفجوة بين الراعي والرعية.

وكما تولى العلماء إمارة البلدان للخلفاء، تولوا أعمالا ومناصب أخرى، لكنها أقل أثرا في الحياة السياسية من المشاركات السابقة لهم. وذلك مثل تولي الصحابي الفقيه فضالة بن عبيد رضي الله عنه النيابة عن معاوية رضي الله عنه الإمرة في دمشق إذا غاب. [(١)] كما كان الضحاك بن عبدالرحمن الأشعري نائب دمشق لعمر بن عبدالعزيز. [(٢)]

وفي مجال الرسل تولى الإمام الشعبي ـ رحمه الله ـ السفارة لعبدالملك إلى ملك الروم. [(٣)] كما تولى بعض العلماء الخراج وبيت المال لبعض الخلفاء. [(٤)]

ثانيا: تولي العلماء بعض أعمال ولاة الأقاليم في الدولة :

من منطلق التعاون مع ولاة الدولة الأموية في تحقيق النفع العام للإسلام والمسلمين، ومن منطلق السمع والطاعة لولاة الأمر ونوابهم، ومن منطلق تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ورغبة في نشر

(١)الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٣/ ١١٤. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢)المصدر السابق: ٤/ ٦٠٣، ٦٠٤. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١١/ ٢٥٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٤/ ٣٠.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤/ ٣٠٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٤/ ٣٧٥.

الخير ورفع الظلم، من كل هذه المنطلقات جاء إسهام عديد من العلماء في تولي كثير من أعمال الولاة. وسنحاول التعرف على أبرز تلك الأعمال وميادينها في الآتي :

* الإمارة :

وقد جاء تولي بعض العلماء الإمارة للولاة في صورتين: الأولى: توليهم إمارة الإقليم نيابة عن الولاة حين غيابهم. والثانية: توليهم إمارة ناحية من النواحي التابعة لوالي الإقليم. فمن قبيل الأولى تولي الإمام الفقيه والصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه [1] إمارة المدينة نيابة عن مروان بن الحكم في عهد معاوية رضي الله عنه وكان أبو هريرة مرحا فلم يدع المرح خلال نيابته في الإمارة، فقد روي عنه أنه كان يركب حمارا وفي رأسه حبل من ليف فيلقى الرجل فيقول: الطريق قد جاء الأمير ـ يعني نفسه ـ، وربما أتى الصبيان يلعبون بالليل لعبة الأعراب فلا يشعرون بشيء حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه، فيفزع الصبيان، فيفرون. وقال ثعلبة بن مالك: أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب ـ وهو يومئذ خليفة لمروان ـ

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك. فقلت: أصلحك الله، يكفى هذا ؛ فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه. [1]

ومن ذلك أيضا تولي العالم الفاضل والصحابي الجليل سمرة بن جندب ﷺ إمارة البصرة والكوفة نيابة عن زياد بن أبيه، فكان زياد يستخلفه على البصرة إذا سار إلى الكوفة، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة، وقد كان شديدا على الخوارج، وقتل منهم جماعة. [2] وورد أيضا أن زيادا كان يستخلف عمرو بن حريث المخذومي [3] على الكوفة إذا خرج إلى البصرة. [4]

ومن قبيل الصورة الثانية: تولى الصحابي الجليل الحكم بن عمرو الغفاري [5] ولاية خراسان لزياد بن أبيه من سنة خمس وأربعين وحتى سنة

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٩/ ٢٠٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١١٣، ١١٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٨٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٩.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٣.

(٥) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

إحدى وخمسين للهجرة. [1] كما ورد أن الربيع بن زياد الحارثي تولى خراسان لزياد بن أبيه وفتح عامتها. [2]

وكذلك تولى الإمام مسروق بن الأجدع [3] - رحمه الله - السلسلة [4] لزياد بن أبيه، ومكث بها واليا بعد وفاة زياد حتى توفي هو سنة ثنتين وستين للهجرة. فتكون مدة عمله بها أكثر من اثنتي عشرة سنة. ويفهم من بعض العبارات أن هذه السلسلة بمثابة نقطة تفتيش وتعشير (جمركة) التجارة عن طريق النهر. فمن تلك العبارات ما قاله أبو إسحاق حيث قال: كان مسروق لا يفتش أحدا ويقول لمن مر به إن كان لنا معك شيء فأعطناه [5]. ويظهر أن ولاية مسروق لم تقتصر على أمر السلسلة فحسب، بل شملت المنطقة التي تقع فيها هذه السلسلة وهي قرية

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ٣٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٢/ ٤٧٤، ٤٧٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٩، ٥٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٥٩.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) والسلسلة: هي حبل يشد معترضا في النهر، يمنع السفن من المضي وتقع في صريفين من قرى واسط. (أسلم بن سهل الواسطي المعروف بحشل: تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ، ص: ٣٦.)

(٥) المصدر السابق نفسه: ٣٧.

(صريفين) [1] ويظهر ذلك من ثناء الناس ووصفهم لمسروق في عمله، حيث أحب الناس سيرته في عمله، فقال أبو وائل: كنت مع مسروق في السلسلة، فما رأيت أميرا قط أعف منه، ما كان يصيب إلا ماء دجلة. ولقي مسروقا قوم فأثنوا عليه فقالوا: جزاك الله خيرا فقد عملت وأحسنت ؛ فلم يزد على أن قرأ هذه الآية: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [2]

وقال الشعبي: لما بعث زياد مسروقا إلى السلسلة، فانطلق، فمات بها. فقيل له: كيف خرج من عمله: ؟ قال: ألم تروا إلى الثوب يبعث به القصار فيجيد غسله، فكذلك خرج من عمله. [3]

ومن أولئك العلماء الذين تولوا بعض أعمال الولاة الإمام القدوة موسى بن طلحة بن عبيد الله [4]، فقد كان عاملا لعمر بن هبيرة [5] على

(١) صرفين: قرية من قرى واسط، (بحشل: المصدر السابق: ٣٦. ياقوت: معجم البلدان: ٣/ ٤٠).

(٢) القصص: ٦١.

(٣)ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٨٣، ٨٤. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤/ ٢٤٨، ٢٤٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٦٦.

(٤) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥)هو عمر بن هبيرة الفزاري ولاه يزيد عبد الملك جميع العراق سنة ثلاث ومائة للهجرة وبقي بها حتى عزله عنها هشام بن عبدالملك وولى خالد بن عبدالله القسري سنة خمس ومائة. (تاريخ خليفة بن خياط: ٣٢٨، ٣٣٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٢).

الكوفة .[١] والعالم زيد بن أسلم[٢] فقد استعمل على معدن بني سليم[٣] لبعض الولاة.[٤] وفي ترجمة البستي للفقيه محارب بن دثار[٥] قال: (ولي اليمن الحكم بها)[٦] ولكنه لم يحدد في أي عهد. كما تولي العالم سليمان بن يسار سوق المدينة لعمر بن عبدالعزيز.[٧]

بيت المال والصدقات :

ومن الأعمال التي تولاها بعض العلماء للولاة الأعمال المتعلقة بجمع المال وتدوينه وحفظه في بيت المال، فمن الأمثلة على ذلك ما يلي:

تولي الإمام الكبير وشيخ الكوفة شقيق بن سلمة[٨] بيت المال لزياد بن أبيه[٩] وكان ناصحا ودقيقا لا يرضى الإسراف في الإنفاق، وربما راجع

---

(١)ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢١١.

(٢)وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣)معدن بني سليم : من أعمال المدينة على طريق نجد (معجم البلان: ٥/ ١٥٤) وسمى حاليا مهد الذهب. (البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوي: ٥٣، ٨٦).

(٤)الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣١٧.

(٥) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٦)مشاهير علماء الأمصار: ١١٠.

(٧) انظر ترجمته وعمله في ملحق التراجم.

(٨) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٩٧.

زيادا في أوامر الصرف إذا رأى فيها إسرافا، وهذا ما جعل زياد يتضايق منه ويعزله بعد ذلك. فعن عامر بن شقيق أن أباه قال: استعملني ابن زياد [١] على بيت المال، فأتاني رجل بصك أن أعط صاحب المطبخ ثمان مائة درهم. فأتيت ابن زياد، فكلمته في الإسراف فقال: ضع المفاتيح واذهب. [٢]

وكان مع شقيق في عمله أبو بردة بن أبي موسى الأشعري [٣] فعن مهاجر أبي الحسن قال: انطلقت إلى أبي بردة وشقيق وهما على بيت المال بزكاة فأخذاها. ثم جئت مرة أخرى فوجدت أبا وائل وحده فقال لي: ردها في مواضعها. قلت: فما أصنع بنصيب المؤلفة قلوبهم ؟ قال: رده على الآخرين. [٤]

كما ولي العالم الجليل ميمون بن مهران لوالي الجزيرة محمد بن مروان [٥] بيت المال بحران [٦].

---

(١) الذي ورد عند ابن سعد أن شقيق تولى بيت المال لزياد، وأما ابن عساكر والذهبي فذكرا أنه تولاه لابن زياد، فلعله تولاه للاثنين، أو لأحدهما فوقع حذف أو زيادة.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٩٧. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٠/ ٣٣٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٦٦.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤)ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٩٧.

(٥) هو أخو عبدالملك بن مروان ولاه أخوه عبدالملك إقليم الجزيرة الفراتية.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٧٨.

ومنهم الإمام الفقيه أبو الزناد عبدالله بن ذكوان (١) الذي تولى الخراج لوالي المدينة خالد بن عبدالملك بن الحارث (٢) وذلك لأنه يجيد الكتابة والحساب، وكان أبو الزناد يفد على الخليفة هشام بن عبدالملك بحساب ديوان المدينة، وكذلك تولى لعبدالحميد (٣) والي عمر بن عبدالعزيز على الكوفة الكتابة وبيت المال (٤)، وقد لقي أبو الزناد من بعض العلماء اللوم والعتاب على عمله لعمال بني أمية، مثل الإمام مالك فقال يحيى بن معين: قال مالك: كان أبو الزناد كاتبا لهؤلاء ـ يعني بني أمية ـ وكان لا يرضاه يعني: لذلك. ولكن دافع الذهبي عنه بقوله: وقيل كان مالك لا يرضى أبا الزناد، وهذا لم يصح، وقد أكثر مالك عنه في (موطئه). (٥)

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) هو خالد بن عبدالملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، ولاه هشام بن عبدالملك المدينة سنة أربع عشرة ومائة للهجرة، وعزله عنها سنة تسع عشرة ومائة. (الزبيري: نسب قريش: ١٧٠. تاريخ خليفة بن خياط: ٣٥٧)

(٣) هو عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب، ولاه عمر بن عبدالعزيز الكوفة وبقي عليها حتى عزله مسلمة بن عبدالملك بعدما ولاه أخوه يزيد بن عبدالملك العراق. (تاريخ خليفة بن خياط: ٣٣٣.)

(٤) الزبيري: نسب قريش: ٣٦٣. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٢/ ١٤١ . الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٥/ ٤٤٧، ٤٤٨.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤٤٩.

وكان الفقيه العالم شهر بن حوشب [(١)] على بيت المالك ليزيد بن المهلب بخراسان. [(٢)]

وممن تولى العمل في جمع الصدقات العالم الزاهد طاووس بن كيسان ـ رحمه الله ـ [(٣)] فقد استعمله على ذلك والي اليمن محمد بن يوسف الثقفي، وكان طاووس متسامحا في عمله هذا لا يشدد على أحد، فكان يقول: كنا نقول للرجل: تزكي رحمك الله مما أعطاك الله ؟ فإن أعطانا أخذنا، وإن تولى لم نقل تعال. [(٤)] ولعل تولي طاووس ـ رحمه الله ـ هذا العمل لمحمد بن يوسف ـ مع ما هو عليه من ظلم وفسق، ومع نفور طاووس منه وعدم قبوله أعطياته ـ لعله كان مكرها على ذلك .

وتولى العالم عبدالله بن شبرمة بيت المال بسجستان ليوسف بن عمر بعد عزله عن القضاء. [(٥)]

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٩٨. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٥٣٨. بدران: تهذيب تاريخ مدينة دمشق: ٣٤٦. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤/ ٣٧٠. عطوان: الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، ط١، دار الجيل، ١٤١١هـ: ٤٤.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٥٤١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤٤.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط: ٣٦١. وكيع: أخبار القضاة: ٣/ ٣٦، ٣٧.

ومن قبيل تولى بعض العلماء الأعمال المالية للولاة تولي العالم خالد بن مهران [١] دار العشور بالبصرة. [٢] ومنهم العالم الفقيه يعقوب بن عتبة الثقفي [٣] فقد ورد في بعض المصادر [٤] أن الولاة كانوا يستعينون به، وأنه ممن يستعمل على الصدقات. لكن لم تذكر هذه المصادر الولاة الذين عمل لهم، إلا أن تاريخ وفاته ـ وهو سنة ثمان وعشرين ومائة ـ قد يشير إلى أنه تولى العمل في الصدقات لبعض ولاة بني أمية المتأخرين.

ومما يلحظ أن الأعمال المالية تكاد تكون مقصورة على العلماء، وبقدر نفور العلماء من العمل في هذا المجال كان حرص الولاة على توليتهم لها، ويرجع ذلك الحرص من الولاة إلى أسباب منها: توفر النزاهة والأمانة في العلماء أكثر من غيرهم، والعمل في الأمور المالية ـ جمعا أو صرفا ـ يغري كثيرا من أصحاب النفوس الضعيفة والمتعلقة بالمال، فهو مجال رحب وطريق سهلة للكسب وتحقيق الثراء. لذا احتاج الولاة للعمل فيه من يتحلون بالأمانة والورع.

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٦٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٩٢.

(٣)وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٨/ ٥٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٢٤.

ومن الأسباب التي دفعت الولاة للحرص على تعيين العلماء في أعمالهم المالية ـ لا سيما ـ جباية الزكاة إدراكهم لثقة الناس بالعلماء أكثر من غيرهم وهذه الثقة ستدفعهم إلى المسارعة بتقديم الصدقات للعلماء.

ومن ذلك أيضا أن العلماء أعلم الناس بالأحكام المتعلقة بالمال ومقادير الأنصبة والواجب فيها.

العرافة :

والعريف هو من يعرف أصحابه، ورئيس القوم، وتجمع على عرفاء. (١) وسمي بذلك لكونه يتعرف أمور القوم حتى يعرف بها من فوقه عند الاحتياج، وقيل العريف دون المنكب والمنكب دون الأمير. (٢) وكان هذا المنصب على عهد رسول الله ﷺ (٣) واشتدت الحاجة إلى تعيين العريف عندما استقر المسلمون الفاتحون في الأمصار المختلفة، حيث كان توزيع السكان واستقرارهم في النواحي والمنازل بحسب الانتماء القبلي، لذا

---

(١) الفيروزآبادي: القاموس المحيط: مادة عرف.

(٢) ابن حجر: فتح الباري: ١٣/ ١٦٩.

(٣) وقد وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث الصحيح، حيث روى عروة بن الزبير رضي الله عنه (أن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله ﷺ قال حين أذن له المسلمون في عتق سبي هوازن فقال: إني لا أدري من أذن فيكم ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أن الناس قد طيبوا وأذنوا) أخرجه البخاري في صحيحه: ٨/ ١١٥، كتاب الأحكام/ باب ٢٦.

كان من الضرورة اتخاذ عريف لكل قوم، يكون حلقة وصل بين قومه والوالي أو القائد، كما يكون مسئولا عن تفقد الأحوال الأمنية في محلة قومه، ويعمل على تأكيد التزام قومه بالطاعة للوالي، ويكف أفرادهم عن الانخراط مع أي خارج على الوالي والدولة أو مناوئ لها. وقد تولى العرافة عدد من العلماء نذكر بعضا منهم .

فمنهم الإمام العلامة عامر الشعبي [١] حيث جعله الحجاج بن يوسف عريفا على قومه الشعبيين ورئيسا لعرفاء همدان [٢] ومنهم الإمام الحجة أبو عثمان النهدي [٣] كان عريفا على قومه . [٤] وكذلك منهم الإمام المحدث المنذر بن مالك أبو نضرة العبدي [٥]. كان عريفا على قومه. [٦]

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٤٩. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١١/ ٢٥٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٠٤.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) الرازي: الجرح والتعديل: ٥/ ٢٨٣. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥/ ٥٧، ٥٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٧٨.

(٥) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٣١. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٠٣.

ومنهم العالم الحافظ محمد بن إبراهيم التيمي [1] فقد تولى العرافة على قومه. [2] كما تولى سعيد بن وهيب العرافة على قومه. [3]

والذي يظهر أن بعض الولاة عمدوا إلى تولية العرافة للعلماء تقديرا لمكانتهم ولكسب أقوامهم والحفاظ على طاعتهم لهم. والملاحظ أن هذا العمل لم يكن ليأخذ من هؤلاء العلماء كبير جهد، أو يصرفهم عن تعليمهم أو عبادتهم، فهذا أبو عثمان النهدي يستغرق وقته بالعبادة، فعن معتمر عن أبيه قال (إني لأحسب أن أبا عثمان لا يصيب دنيا، كان ليله قائما، ونهاره صائما، وإن كان ليصلي حتى يغشى عليه .) [4]

الشرطة :

ومن الأعمال التي ذكر أن بعض العلماء تولوها الشرطة. فقد ورد أن بعض العلماء تولى مسؤولية صاحب الشرط ومنهم: أبو عثمان النهدي سابق الذكر، فروي أن عبدالسلام قال: رأيت أبا عثمان النهدي شرطيا. [5]

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٩٥. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٩/ ٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٧٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٨٠.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٧٧.

(٥) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥/ ٥٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٧٨.

وكان خالد بن اللجلاج [١] على شرطة دمشق. [٢]

والغالب أن تولي العلماء للشرط جاء تابعا لتوليهم القضاء حيث يأمر الشرط بتنفيذ الأحكام الصادرة من حد أو تعزير، كما يحثهم على متابعة المجرمين والقبض عليهم. فقد تولى مصعب بن عبدالرحمن بن عوف [٣] الشرطة والقضاء لوالي المدينة مروان بن الحكم، [٤] كما تولى عبدالرحمن بن معاوية بن حديج [٥] القضاء مع الشرطة لعبدالعزيز بن مروان، وبعد وفاة عبدالعزيز أقره عبدالله بن عبدالملك على ذلك أشهرا ثم عزله. [٦]

وكذلك تولى عمران بن عبدالرحمن بن شرحبيل القضاء والشرطة لعبدالملك بن مروان في مصر، وقد أتي بمولى لوالي مصر ـ عبدالله بن

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ٣٩٣. بدران: تهذيب تاريخ مدينة دمشق: ٥/ ٨٨. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣/ ١١٥.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٥٧. وكيع: أخبار القضاة: ١/ ١١٨.

(٥) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٦) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥/ ٥٠

عبدالملك ـ سكرانا فأمر به الحد فقيل لا تفعل إنه من خاصة عبدالله بن عبدالملك. فقال: لو كان ابنه لحددته. فضيق عليه عبدالله وعزله. (١)

وقد جمع هشام بن عبدالملك لبلال بن أبي بردة (٢) القضاء والشرطة والصلاة بالبصرة. (٣)

وفي عهد يزيد بن الوليد بن عبدالملك تولى حجاج بن أرطأة الفقيه (٤) شرطة العراق لواليه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز. (٥)

وقد كان لتولي بعض العلماء لمنصب الشرطة أثر في إقرار الأمن، فحين تولى مصعب بن عبدالرحمن شرطة المدينة ـ وكان حازما شديدا ـ فأخذ الناس بالحزم وكان شديدا على المريب (٦) وقد شكاه بعض الناس إلى مروان فاستشار فيه المسور بن مخرمة، فقال المسور:

---

(١) وكيع أخبار القضاة: ٣/ ٢٢٧. الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضا، هذبه رفن كست، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة: ٥٨. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٣/ ٢٣، ٢٤.

(٢) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ٣٥٨.

(٤) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط: ٣٨٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٧/ ٧٠.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٥٨.

ليس من سياق عتب تمشي القطوف[1] وينام الركب [2]

وروي عن أنس ابن قيس الرقيات ما يشير إلى ضبط مصعب الأمور وتضييقه على أهل الفسق حيث يقول :

حال دون الهوى ودو ن سرى الليل مصعب
وسياط على أكف رجال تقلب [3]

وقد وردت بعض الأخبار التي تفيد تولي بعض العلماء لأعمال الولاة ولكن لم تذكر تلك الأعمال. فمن ذلك ما ذكره ابن كثير [4] من أن زياد بن أبيه ولى عددا من أهل الصلاح والفضل من الصحابة وغيرهم، وذكر منهم أنس بن مالك ﷺ ومن ذلك تولي العالم الجليل أبي بردة بن أبي موسى الأشعري بعض أعمال يزيد بن المهلب، فورد أن يزيد بن المهلب لما ولي خراسان قال: دلوني على رجل كامل لخصال الخير، فدل على أبي بردة الأشعري. فلما جاء رآه رجلا فائقا، فلما كلمه رأى من مخبره أفضل من مرآته، فقال: إني وليتك كذا وكذا من عملي، فاستعفاه فأبى أن يعفيه، فقال: أيها الأمير ألا أخبرك بشيء حدثنيه أبي، إنه سمعه

(١) القطوف: الدابة إذا ضاق مشيها والبطيء من الدواب. (الفيروزآبادي: مادة قطف) ولعل معنى البيت ليس في هذا السوق عتب لتصل الرواحل إلى غايتها وينام الركب بأمن.

(٢) وكيع: أخبار القضاة: ١/ ١١٩.

(٣) الأصفهاني: الأغاني: دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٦م: ٥/ ٦٢، ٦٣.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٩.

من رسول الله ﷺ ؟ قال: هاته قال: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من تولى عملا وهو يعلم أنه ليس لذلك العمل بأهل، فليتبوأ مقعده من النار) وأنا أشهد أيها الأمير أني لست بأهل لما دعوتني إليه. فقال: ما زدت على أن حرصتنا على نفسك ورغبتنا فيك، فاخرج إلى عهدك فإني غير معفيك. فخرج ثم بعد مدة ألح على يزيد بأن يعفيه فأعفاه. (١)

ومن ذلك تولي سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ (٢) لبعض أعمال الحجاج بن يوسف، فقد أورد ابن سعد (٣) أنه جاء ضمن جواب سعيد على أسئلة الحجاج بعد قبضه عليه وقبيل مقتله قوله حين سأله الحجاج: يا سعيد ألم أستعملك ؟ ألم أشرك في أمانتي ؟ قال: بلى. لكن لم يرد ذكر هذه الأعمال التي قام بها سعيد ولعلها بعض الأمور المالية، فقد أورد ابن كثير (٤) أن الحجاج استعمله على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث.

وذكرت بعض المصادر أن بلال بن أبي الدرداء (٥) كان أميرا ببعض الشام دون تحديد لهذه الولاية. (٦)

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١١/ ٢٨٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٤٥.

(٢) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٦٥.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٩٦.

(٥) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٦) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٥/ ٢٧٣.

هذه جملة من الأعمال التي تولاها العلماء لعدد من ولاة بني أمية في مختلف الأقاليم، ولا شك أن لتولي العلماء لهذه الأعمال بعض الأثر في النواحي السياسية، ففيها تثبيت لشرعية خلافة بني أمية وولاتهم على الأقاليم وفي هذا دعم لأولئك الولاة في حربهم ضد الطوائف المنحرفة التي لا ترى صحة ولايتهم، وتسعى جاهدة لحربهم والقضاء عليهم كالخوارج، والقدرية، لذا كان تولي بعض العلماء لبعض أعمال ولاة بني أمية مثار غضب وغيض زعماء تلك الطوائف وقد سبق ذكر موقف أحد زعماء القدرية وهو عمرو بن عبيد ولمزه الإمام الزهري لصلته ببني أمية حيث كان يطلق عليه منديل الأمراء. [1] ولما تولى ميمون بن مهران بيت المال بحران لمحمد بن مروان كتب إليه غيلان القدري رسالة يعظه ويعاتبه على ذلك. [2]

ومن جانب آخر كان تولي العلماء لهذه الأعمال عاملا من عوامل رضا العامة وكسب ودهم، إذ كانت سير أولئك العلماء وحسن تعاملهم محل رضا الجميع، فمر معنا ثناء الناس على مسروق لعمله بالسلسلة حيث لقيه قوم فأثنوا عليه فقالوا: جزاك الله خيرا فقد عملت وأحسنت. [3]

---

(١) انظر ص: ٢١٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٧٨.

(٣) انظر ص: ٢٢٦.

وقال المدائني: كان خالد بن عبدالملك بن الحارث قد ولى أبا الزناد المدينة فقال علي بن الجون الغطفاني:

رأيت الخير عاش لنا فعشنا وأحيا لي مكان أبي الزناد
وسار بسيرة الحكمين فينا بعدل في الحكومة واقتصاد [(1)]

كما ترك أولئك العلماء أمثلة رائدة وآدابا جمة يقتدي بها من ابتلي بمثل ما كلفوا به، وتحمل مثل ما تحملوا من هذه الأعمال. فمن تلك الآداب أنهم لم يسعوا ابتداء إلى هذه الأعمال وإنما كلفوا بها تكليفا يصل في بعض الأحيان إلى الإجبار كما سبق ذكره من إجبار يزيد بن المهلب لأبي بردة، وكإجبار مسروق على العمل في السلسلة، وذلك أنه كان قد تخوف من عمله بها أن يكون قد ظلم أحدا، فقيل له ما حملك على الدخول فيه ؟ قال: لم يدعني شريح وزياد والشيطان حتى أدخلوني فيه. [(2)] ومن آدابهم النصح لمن ولوهم وأداء الأمانة على الوجه المطلوب متحملين ثقل ذلك وما يترتب عليه من نتائج، فهذا شقيق بن سلمة - متولي بيت المال لزياد بن أبيه - عندما أمره زياد بصرف مبلغ من المال ورأى شقيق أن في ذلك إسرافا أوقف أمر الصرف، وانطلق ليحاول نصح زياد وإقناعه بالعدول عن هذا المبلغ، لكن زيادا لم يقتنع وأعفى شقيقا من

(1) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٤١/١٢.

(2) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤٨/٢٤.

عمله بعد أن أدى الذي عليه من أمانة. [1] ومن آدابهم الحيطة والحذر لدينهم وعدم الطاعة فيما يرونه معصية لله أو تعد على حق مخلوق بدون مبرر شرعي، فهذا سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ورضي عن والديه ـ لما دفع له الحجاج سيفا ليقتل به رجلا، فقال سالم للرجل أمسلم أنت ؟ قال نعم. قال: فصليت اليوم صلاة الصبح ؟ قال: نعم. قال: امضي لما أمرت به، فرجع إلى الحجاج فرمى إليه بالسيف وقال: إنه ذكر أنه مسلم، وأنه قد صلى صلاة الصبح اليوم، وإن رسول الله ﷺ قال: (من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله). قال الحجاج: لسنا نقتله على صلاة الصبح ولكنه ممن أعان على قتل عثمان. فقال سالم: ها هنا من هو أولى بعثمان مني. فبلغ ذلك والده عبدالله بن عمر فقال: ما صنع سالم ؟ قالوا صنع كذا وكذا، فقال ابن عمر: مكيس مكيس. [2] ومن ذلك أن زياد بن أبيه كتب إلى نائبه على خراسان الصحابي الجليل الحكم بن عمرو الغفاري عندما أصاب مغنما يقول فيه: أما بعد فإن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة. فكتب إليه: سلام عليك، أما بعد فإنك كتبت إلي تذكر كتاب أمير المؤمنين، وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله ما لو

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٠/ ٣٣٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٩٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٦٦.

كانت السموات والأرض رتقا على عبد فاتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا، والسلام. ثم قال للناس: اغدوا على فيئكم فاقسموه.[1]

ومن آدابهم في ذلك عدم محاباتهم في قيامهم بأعمالهم لأحد من الناس، فمن ذلك ما سبق ذكره من عدم محاباة العالم الجليل وصاحب شرطة مصر والي مصر ـ عبدالله بن عبدالملك ـ حين قبض على مولى له سكرانا فحده ولم يقبل تحذير من حذره غضب الوالي وقال: لو كان ابنه لحددته .

مشاركة العلماء في حركة الجهاد وتوليتهم إمرة الغزو:

لم يشغل طلب العلم ونشره بين الناس كثيرا من العلماء عن المشاركة في ميادين الجهاد والغزو في سبيل الله، فبدافع الحرص على كسب الأجر العظيم ونيل الشهادة في سبيل الله كان كثير من العلماء في مقدمة الجيوش الغازية، في مشرق الدولة الإسلامية ومغربها، في ميادين البر أو في أعماق البحر، يجاهدون لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، ويدافعون عن كيان الأمة، وقد كان لحضور العلماء في ميادين الجهاد أثر كبير في دفع حركة الجهاد والفتح، ففي حضورهم أثر كبير في نفوس عامة المقاتلين من الجنود لما يرونه في العلماء من أمثلة صادقة في الرغبة في الجهاد، والحماسة في قتال العدو، وذلك بما يلقون من كلمات تثير في النفوس الحماس وتدفع إلى

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٨، ٢٩. ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف، الدار السلفية، الهند: ١١/ ١٣٠. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٣/ ٢٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٧٥.

التسابق لنيل ما أعده الله للمجاهدين، أو بما يرى الجنود من أفعالهم التي هي أبلغ من أقوالهم في ذلك، فكان خالد بن معدان [(١)] ـ رحمه الله ـ إذا أمر الناس بالغزو كان فسطاطة أول فسطاط بدابق . [(٢)] كما كان ميمون بن مهران يجهز بعث أهل الرقة بالنبال. [(٣)] وقد آثر بعض العلماء أن يقضي حياته في مناطق الثغور مرابطا في سبيل الله كالأعرج بن هرمز [(٤)]والإمام الأوزاعي [(٥)] ـ رحمهم الله ـ، وكان عبدالله بن محيريز شغوفا بالجهاد والغزو على كبر سنه، فقال عنه ابنه عبدالرحمن: (لما ثقل أبي وهو سائر إلى الصائفة قلت له: يا أبة، لو أقمت. قال: أي بني، لا تدع أن تغدو بي وتروح في سبيل الله، قال: فما زلت أغدو به وأروح حتى مات. [(٦)] فما من شك أن مثل هذه المواقف من العلماء ستعمل عملها في نفوس المقاتلين من الجنود وتثير فيهم الحماسة للجهاد .

وقد كان القادة العسكريون يدركون ما لوجود العلماء في ميادين الجهاد من أثر على نفوس جنودهم لذا كانوا يحرصون على جعلهم في

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ٣٩٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٤/ ٥٣٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٥/ ٧٤.

(٤) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٧/ ١٠٧.

(٦) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٤/ ٣٤، ٣٥.

مقدمة صفوفهم، فكان المهلب بن أبي صفرة إذا قاتل المشركين يقدم الحسن البصري ـ رحمه الله ـ.[1]

ومن ناحية أخرى فإن لوجود العلماء في ميادين الجهاد أثره الكبير في تحقيق قدر أكبر من عوامل النصر، إذ من المسلم به عند المسلمين أن النصر لا يعتمد على الإعداد المادي وحده، ولكن هناك أسبابا أخرى أجدى وأقوى وهي الإعداد الروحي والإيماني، لأن النصر من عند الله ويستجلب منه بطاعته والقرب منه وترك معصيته، والإلحاح في دعائه فيما ميادين القتال، ولا شك أن العلماء ـ بما وفقهم الله إلى معرفته حق المعرفة، وقربهم منه بطاعته وبعدهم عن معاصيه أكثر من غيرهم ـ لا شك أنهم بذلك مهيئون أكثر من غيرهم لاستجلاب ذلك النوع المهم من أسباب النصر. وقد أدرك ذلك قتيبة بن مسلم ـ رحمه الله ـ حين سأل يوما ـ وقد صف جنوده لقتال العدو ـ عن العالم الجليل محمد بن واسع[2] فقيل له هو ذاك في الميمنة يبصبص بإصبعه نحو السماء، قال قتيبة: (تلك الإصبع أحب إلي من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير)[3] وفي رواية أنه قال: احملوا على القوم فإن الله لا يضيع جيشا فيهم محمد.[4]

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٤٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٧٩.

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٢٨٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء : ٦/ ١٢.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٢٨٦.

ومشاركة العلماء في الجهاد ومواقفهم أكثر من أن تحصى، فإذا أخذنا على سبيل المثال مشاركاتهم في إفريقية والمغرب، فسنجد أن لهم أثرا ملموسا في دفع حركة الجهاد وتثبيت الفتح، فكان زهرة بن معبد التيمي ممن دخل إفريقية وغزا برها وبحرها [(١)]، ومنهم الإمام القدوة ربيعة بن يزيد الإيادي فقد خرج غازيا في عهد هشام بن عبدالملك فقتله البربر في إحدى الغزوات [(٢)]، ومنهم حيي المعافري فقد دخل إفريقية مع حسان بن النعمان، وشهد معه مغازيه، وكانت له في الغزو مقامات [(٣)] .

وقد شغل الجهاد والغزو حياة بعض العلماء هناك حتى لم يجد متسعا للحج فعن عمارة بن غراب التجيبي [(٤)] قال: (سألت عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ عن حجتي، وأخبرتها أني صرورة) [(٥)] فقالت لي: (شيخ مثلك لم يحج ! ما كان يؤمنك أن يدركك الموت ؟) فقلت لها: (إنا كنا بإفريقية نغزو أرض المغرب، فنحن نجاهد عدونا ولا نجد إلى الحج سبيلا). فقالت: (إن كنت كذلك فإن الله يعذر بالمعذرة). [(٦)]

---

(١) انظر ترجمته ومشاركته في ملحق التراجم.

(٢) انظر ترجمته ومشاركته في ملحق التراجم.

(٣) انظر ترجمته ومشاركته في ملحق التراجم.

(٤) انظر ترجمته ومشاركته في ملحق التراجم.

(٥) رجل صرور و صرارة و صارورة: لم يحج. (الفيروزآبادي: القاموس المحيط: مادة صرر).

(٦) المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٢٨. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ٢١٧.

وكان عدد من العلماء في طليعة الجيش الإسلامي لفتح الأندلس ومنهم، عبدالله بن يزيد المعافري [1]، وحنش الصنعاني. [2] والمغيرة بن أبي بردة، [3] ومحمد بن أوس الأنصاري [4]، وبكر بن سوادة، [5] .

وقد أسهمت مشاركات العلماء تلك ـ إضافة إلى وقوفهم ضد حركات الخوارج كما سيأتي ذكره ـ [6] في تثبيت الفتح الإسلامي وإقرار الأمن في إفريقية والمغرب.

هذه أمثلة يسيرة على مشاركات العلماء في الجهاد بشكل عام، ولكن كانت لهم مشاركة متميزة، تتمثل في توليهم لإمرة الغزو وقيادة حملاته برا وبحرا فقد أسندت تلك المهمة إلى عدد من العلماء في الدولة الأموية، منهم الصحابي الجليل فضالة بن عبيد ﷺ فقد ولي غزو بحر مصر لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ [7] ومنهم عالم إفريقية حنش الصنعاني فقد وجهه والي إفريقية

(١) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية: ٨٦. المالكي: رياض النفوس: ١/ ٩٩. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ١٨٧. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٢٥. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ١٨٩. وانظر ترجمة محمد بن أوس في ملحق التراجم.

(٥) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية: ٨٦. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١١٢. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٦) عن موقف العلماء من حركات الخوارج انظر: المبحث الأول من الفصل الخامس.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١١٤.

ـ أبو المهاجر دينار ـ لفتح جزيرة أبي شريك [1] فقاد الجيش وتم له فتحها.[2] ومنهم الفقيه محمد بن أوس الأنصاري، كان أميرا على بحر إفريقية. [3] ومنهم المغيرة بن أبي بردة الكناني فقد كان على جيش إفريقية لغزو القسطنطينية. [4] وقد أغزا عبدالعزيز بن مروان الإمام الفقيه علي بن رباح اللخمي إفريقية، فلم يزل بها مرابطا حتى مات ـ رحمه الله ـ. [5] وقد تولى عمرو بن قيس [6] ـ رحمه الله ـ إمرة الغزو لعمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ. [7]

ولا شك أن لهذه المشاركة الفعالة من العلماء في الجهاد والغزو أثرا في تقوية حركة الجهاد وتثبيت الفتح في الدولة الإسلامية، كما كان له أثر في تقوية جانب الدولة وتعزيز هيبتها أمام أعدائها في الداخل والخارج، ولكن القارئ يلمس ـ وهو يقلب صفحات الكتب التاريخية ـ أن ما تم من فتوحات هنا وهناك وكأنها مجد صنعه القادة العسكريون فحسب .

---

(١) جزيرة أبي شريك: كورة بإفريقية بين سوسة وتونس، وتنسب إلى شريك العبسي، وكان عاملا بها. (ياقوت: معجم البلدان: ٢/ ١٣٦).

(٢) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية: ٨٠، ٨١. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ١٨٧، ١٨٨.

(٣) ابن عبدالحكم: الفتوح: ٢١٥. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ١٨٩.

(٤) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية: ٨٨. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٢٥.

(٥) الدباغ: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الأنصاري: معالم الإيمان، تعليق إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨م: ١/ ١٩٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٠١. وانظر ترجمة علي اللخمي في ملحق التراجم.

(٦) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٢٣.

الفصل الثالث: اعتزال العلماء الخلفاء والولاة مع بذلهم النصيحة.

المبحث الأول : أسباب اعتزال العلماء الخلفاء الولاة.

المبحث الثاني : آداب العلماء وأساليبهم في بذل النصيحة.

المبحث الثالث : أهم مجالات النصيحة .

المبحث الرابع : نماذج من العلماء الذين اعتزلوا مشاركة الخلفاء والولاة ومنهجهم في التعامل مع الأحداث في عصرهم.

في الفصل السابق تم استعراض علاقة مشاركة العلماء للخلفاء والولاة، وفي هذا الفصل نستعرض نوعا آخر من أنواع العلاقة بين العلماء والخلفاء والولاة، وهي علاقة اعتزال العلماء للخلفاء والولاة مع إبداء النصيحة لهم. وأرباب هذا النوع من العلاقة أكثر من سابقيهم في النوع الأول، ولا يشمل الحديث هنا العلماء الذين اعتزلوا الخلفاء والولاة بشكل تام ولم يكن لهم صلة بهم من قريب أو من بعيد، بل سيقتصر الحديث على من اعتزل قرب الخلفاء والولاة ومشاركتهم وكانت لهم معهم مواقف نصح وتوجيه. وسيكون الحديث من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول: أسباب اعتزال العلماء الخلفاء الولاة.

المبحث الثاني: آداب العلماء وأساليبهم في بذل النصيحة.

المبحث الثالث: أهم مجالات النصيحة.

المبحث الرابع: نماذج من العلماء الذين اعتزلوا مشاركة الخلفاء والولاة ومنهجهم في التعامل مع الأحداث في عصرهم.



١-الاشتغال بالعلم والتفرغ للعبادة والدعوة إلى الله.

يرجع السبب الأول إلى أن الأصل عند العلماء الاشتغال بتحصيل العلم وبذل الجهد والوقت في تعليمه ونشره بين الناس، بعقد الدروس وحلقات العلم، ويضاف إلى ذلك تفرغهم للعبادة والدعوة إلى الله، وفي هذا شغل لهم عن الاتصال بالخلفاء والولاة ومخالطتهم. وأما تولي بعض أعمال الخلفاء والولاة ومعاونتهم فيما يحتاجون فيه العلماء فيقوم بذلك من يكفي لسد الحاجة ممن يرون في أنفسهم المقدرة على ذلك. لذا فقد استقر جمهور العلماء في أقاليمهم يعنون بتعليم الناس الدين علما وعملا ، ويحيون سنة المصطفى ﷺ بأقوالهم وأفعالهم.

٢- الحرص على صيانة العلم وحفظ هيبة العلماء.

ومن الأسباب ما مرجعه أن بعض العلماء يرى في اعتزال الخلفاء والولاة صونا للعلم ، حفظا لهيبة العلماء، وأن في الاختلاط بالخلفاء والولاة ومشاركتهم إهانة للعلم وإذلالا للعلماء. كما يرون أن الخلفاء والولاة بحاجة إلى العلماء، والعلماء ليسوا بحاجة إلى الخلفاء والولاة

والأمـراء، لـذا فعـلى العـلماء أن يلزموا منازلهم ولا يطرقوا أبواب الخلفاء والـولاة ابتداء، بل على الخلفاء والولاة أن يطرقوا أبواب العلماء ويبحثوا عـنهم لقضـاء حاجـاتهم، إمـا بأنفسـهم أو ببعـث رسـلهم لدعـوة العلماء إلـيهم، وفي كلا الأمرين صيانة للعلم، وحفظ لكرامة العلماء. كما في ذلك نفع للخلفاء والولاة معا.

ومـن أبـرز أولـئك العلماء، العالم الجليل أبو حازم الأعرج سلمة بن دينار ـ رحمه الله ـ فقد كان ينصح العلماء والأمراء بتطبيق ما يراه مما ذكرناه آنفـا، فممـا قالـه في ذلك: (لقد أتى علينا زمان، وأن الأمراء تطلب العلماء فـتأخذ ممـا في أيديهـم، فتـنفع بـه، فكـان في ذلـك صـلاح الفـريقين جميعا، وطلبـت اليوم العلماء الأمراء، وركنوا إليهم، واشتهوا ما في أيديهم، فقالت الأمـراء مـا طلـب هـؤلاء مـا في أيديـنا حـتى كـان مـا في أيدينا خير مما في أيديهـم، فكـان في ذلك فساد الفريقين كليهما.) وكان يكرر تلك المقولة في مناسـبات مخـتلفة عـند العـلماء والأمـراء، وكان يقول: أن خير الأمراء من أحـب العـلماء، وشـر العـلماء مـن أحـب الأمـراء. [1] وكان ـ رحمه الله ـ ملـتزما بذلـك المبدأ فكل نصائحه للخلفاء والولاة ومجيئه إليهم جاء بطلب منهم، وكانوا يبحثون عنه ولا يأتيهم ابتداء.

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦٧٩. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٠/ ٦٧، ٦٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٠١.

ومن أولئك العالم الكبير وهب بن منبه، فكانت له أقوال في هذا الباب تتفق إلى حد كبير مع أقوال أبي حازم السابقة. فمما كان يقول: (كان العلماء فيما خلا حملوا العلم، فأحسنوا حمله، فاحتاجت إليهم الملوك وأهل الدنيا، ورغبوا في علمهم، فلما كانوا بآخره فشت علماء، فحملوا العلم فلم يحسنوا حمله، وطرحوا علمهم على الملوك وأهل الدنيا، فاهتضموهم واحتقروهم.) [١] وقال في معرض نصحه لعطاء الخرساني [٢]: (ويحك يا عطاء ألن أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا، وأبواب الأمراء، ويحك يا عطاء، أتأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه وتترك باب من يقول: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾) [٣] ثم أورد كلاما قريبا من قوله السابق في المقارنة بين العلماء فيمن كان قبل وعلماء وقته. [٤]

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦/ ٣٩٣.

(٢) هو عطاء بن أبي مسلم ميسرة الخرساني مولى المهلب بن أبي صفرة، سكن الشام، وله فضل وعلم معروف بالفتوى والجهاد، ولد سنة خمسين، وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائة للهجرة. (ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لا بنعساكر: ١٧/ ٧٦. الذهبي: سيرأعلام النبلاء: ٦/ ١٤٠.)

(٣) سورة غافر: آية: ٦٠، والآية بتمامها ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

(٤) الآجري: أخلاق العلماء: ٩٣. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٢٧٩. فاروق السامرائي: مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار الوفاء، جدة، ص: ١٨٣.

وكلام العالمين الجليلين أبي حازم ووهب ـ رحمهما الله ـ السابق في وصف علماء زمانهم ينبع من شدة حرصهما على استكمال العلماء لصفات الكمال المنشودة في علماء الشريعة، وتغليب منهما لم حدث من أفراد قلة على العموم الغالب. وإلا فعلماء ذلك الزمان لا يزالون حديثي عهد بتوجيهات المصطفى ﷺ أخذوها من صحابته علما وتمثلوها عملا، وكانوا نجوما يهتدى بهم في دقة الفقه وحسن المعتقد، وفي العلم والعمل، وفي العبادة والسلوك.

ومنهم الحسن البصري ـ رحمه الله ـ إذ لم رأى مجموعة من القراء على باب ابن هبيرة أمير العراق قال مؤنبا لهم: ما يجلسكم هاهنا ؟ تريدون الدخول على أولئك الخبثاء، أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم [1] نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجزرتم شعوركم ؛ فضحتم القراء فضحكم الله ؛ والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد. [2]

---

(١) فرطح: عرض. (القاموس المحيط: فرطح).

(٢) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٥٠، ١٥١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٨٦.

ومنهم عالم أفريقية أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي [1] فقد بعث إليه زبان بن عبدالعزيز بن مروان ـ والي مصر ـ رسولا فوجده في مجلسه في جامع الفسطاط مع أصحابه، فقال له: الأمير يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إن رأيت أن تؤنسنا بنفسك العشية فافعل، فقال للرسول: اقرأ على الأمير السلام، وقل له ليس لي إليك حاجة فآتي لها، فإن تك لك حاجة فأت لها، فأتاه الرسول فأخبره فقصد إليه زبان حتى لقيه وسلم عليه، وقال: يغفر الله لك يا أبا مسعود، أتاك رسولنا، فكان من إغلاظك له ما كان. فقال له: أصلح الله الأمير ؛ دعوتني إلى ما يشينني ودعوتك إلى ما يزينك. فقال له: فكيف ذلك ؟ فقال له: ـ أصلح الله الأمير ـ إنه من رآك ماشيا إلي مدحك، وقال: ذاك طالب علم وخير، ومن رآني ماشيا إليك رآني طالب حطام وعرض من أعراض الدنيا، فشانني. فقال له زبان: سليت والله ما كان بقلبي ونورته، نور الله قلبك وعلمك. [2]

٣- الخوف من الفتنة في الدين والتأثم بالسكوت على المنكر.

ومن أهم الأسباب التي دعت العلماء إلى اعتزال الخلفاء والولاة وعدم مخالطتهم، خوفهم من الفتنة في الدين، والتأثر بحياة الخلفاء والولاة

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٠٤.

المترفة. ذلك أن حياة الكثير من الخلفاء والولاة والسلاطين قد لا تخلو من المجالس اللاهية بفضول القول، كما لا تخلو من فضول الجلساء الذين لا هم لهم إلا إرضاء السلطان وموافقة رأيه أو هواه، وتحسين أفعاله ولو لم تكن صوابا. وهذا يعرض المداخل للخلفاء والولاة من العلماء لفتنة الدين ونقصه، إما بالموافقة على ما يصدر من الخليفة أو الوالي من مخالفات قولية أو فعلية، أو السكوت عليها وعدم إنكارها. لذا يرى أرباب هذا الرأي أن البعد عن الخلفاء والولاة والملوك أسلم لدينهم وأبرأ لذمتهم، مهتدين في ذلك ببعض الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب، ومنها قول الرسول ﷺ **(ومن أتى أبواب السلطان افتتن)** [1] وقول الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين معه. قيل: ولم ؟ قال: لأنه يرضيه بسخط الله). وقول أبي ذر رضي الله عنه لسلمة [2]: (يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه) [3] ولما قيل

---

(١) الترمذي: السنن: ٣/ ٣٥٧، فتن / ٦٠.

(٢) سلمة بن سلامة بن وقش بن عبد الأشهل، صحابي جليل، شهد بيعتي العقبة وبدر والمشاهد مع رسول الله ﷺ توفي رضي الله عنه سنة ٤٥هـ (أسد الغابة: ٢/ ٣٣٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣.)

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين: ٢/ ١٢٥، ١٢٦.

لعلقمة [(١)]: لو دخلت على الأمراء فعرفوا لك شرفك. قال: (إني أخاف أن ينقصوا مني أكثر مما أتنقص منهم). وقال لأبي وائل عندما سأله عن مصاحبة زياد بن أبيه: (اعلم أنك لا تصيب منهم شيئا إلا أصابوا منك أفضل منه.) [(٢)]

وقال ميمون بن مهران: (... لا تدخل على السلطان وإن قلت آمره بطاعة.[(٣)] ومما قاله سفيان الثوري: ليس أخاف إهانتهم وإنما أخاف كرامتهم فلا أرى سيئهم سيئة.) [(٤)]

وهذه النصوص والآثار الواردة في التحذير الشديد من الدخول على الخلفاء والولاة والأمراء وعدم العمل معهم ليست على عمومها، بل الأمر يحتاج إلى شيء من التفصيل والتقييد، ومدار الأمر في ذلك على حال الخلفاء والولاة والأمراء من جهة وحال العلماء من جهة أخرى.

---

(١) هو الإمام الحافظ، علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي، فقيه الكوفة وعالمها، ولد في عهد رسول الله ﷺ، ونزل الكوفة ولازم ابن مسعود رأس العلم والعمل، وتفقه به العلماء، وبعد صيته، توفي سنة ٦٢هـ. وكان ممن اعتزل الأمراء وشغله العلم والعبادة عن ذلك، فلم يكن له بهم صلة لا من قريب أو من بعيد. (ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٨٦-٩٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٣-٦١.)

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٨٨، ٨٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٧٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٣١٥.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٧/ ٢٦٢. ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٦٨هـ، ص: ١٢٢.

فأما حال الخلفاء والولاة والأمراء فلا يخلو من أمرين: **الأول** أن يكونوا من أهل العدل والحرص على الإصلاح وتطبيق الشريعة، ويعملون جاهدين على إقامة الحدود وتعظيم شعائر الإسلام، فهؤلاء لا مانع من دخول العلماء عليهم وإعانتهم على أداء أمانتهم.

القسم الثاني منهم: الموصوفون بالظلم، والمهتمون بإقامة سلطانهم الدنيوي، وليس لديهم اهتمام كبير بإقامة شعار الإسلام وحدوده، فهؤلاء كما يقول الإمام الغزالي: (الدخول عليهم مذموم جدا في الشرع ومن الواجب اعتزالهم. إلا إذا ألزمهم السلطان بالحضور لأمر ويؤدي الامتناع عن الإجابة إلى فتنة، أو أن يضطر العالم للدخول عليهم لأمر بالمعروف ونهي عن منكر أو دفع ظلم حصل منهم.)

أما حال العلماء: فإن كان العالم عزيز النفس، قوي الإيمان ثابتا صبورا على ما يعرض له من إيذاء، فلا مانع من دخوله وتعاونه مع الحكام لتحقيق الخير للأمة، وأما إن كان حال العالم دون ما سبق فالأولى له البعد عن مواطن الفتنة.[1]

ولأن الأمر كما قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: (وفي الجملة الدخول على السلاطين خطر عظيم، لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين: ٢/ ١٢٦. السامرائي: مناهج العلماء: ٩١-٩٣.

بإكرامهم وإنعامهم، أو بالطمع فيهم فلا يتماسك عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم.) [(١)]

ولتأكيد ما سبق فإن العلماء الذين حذروا من القرب من السلطان هم أنفسهم يرون أن هذا ليس على عمومه، فهذا ميمون بن مهران الذي مر قوله آنفا لا يجد بدا من التعاون مع السلطان عندما اقتضت المصلحة ذلك وانتفى الضرر، فقد سبقت الإشارة إلى قربه من عمر بن عبدالعزيز وعمله له.

كما أن أبا حازم وهو ممن يحذر من القرب من السلاطين ورد قوله لأحد الأمراء: إن خير الأمراء من أحب العلماء، وشر العلماء من أحب الأمراء [(٢)] وهذا يعني أن لابد للأمراء من علماء يدنونهم ويستعينون بهم.

تلك أهم الأسباب التي كانت وراء اعتزال عدد كبير من العلماء للخلفاء والولاة في عهد الدولة الأموية وعدم تولي أعمالهم، إلا أن جمهورا كبيرا من هؤلاء العلماء لم يجعلوا من هذا الاعتزال حائلا لهم دون القيام بواجب النصح للخلفاء والولاة وأداء واجب النصيحة التي جعلها الرسول ﷺ قوام الدين حيث روى أبو رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه: أن النبي

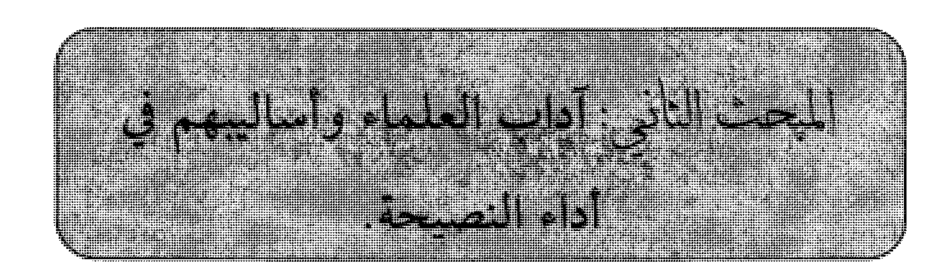
(١) ابن الجوزي: تلبيس إبليس: ١٢٢.

(٢) انظر: ص: ٢٥٩.

ﷺ قال: (**الدين النصيحة**) **قلنا لمن ؟** قال: (**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**).[(١)] بل اجتهد هؤلاء العلماء في أداء النصيحة للخلفاء والولاة بأساليب مختلفة، وآداب قويمة.

****

(١) رواه مسلم والفظ له: صحيح مسلم: ١/ ٧٥. إيمان، ٩٥. وفي صحيح البخاري: ١/ ٢٠ إيمان، ٤٢.



لقد انطلق العلماء في بذلهم النصيحة للخلفاء والولاة من مبادئ وأسس قويمة تنبع من مبادئ الإسلام وأسسه السامية، وسلكوا في تقديم النصيحة أساليب مختلفة وآدابا جمة أسهمت في تحقيق الغرض منها، وجلب المنفعة للخاصة والعامة. وفيما يلي نستعرض أهم هذه المبادئ والأساليب :

١- الإخلاص وإرادة وجه الله والدار الآخرة بالنصيحة.

حينما نتتبع تلك النصائح التي وجهها العلماء في العهد الأموي للخلفاء والولاة نجدها نبعت من قلوب يملؤها الإيمان بالله، ويحدوها الشوق إلى رضاء الله ونيل ثوابه، والخوف من أليم عقابه. كما يتضح أن من أبرز الدوافع لهم في بذلها شعورهم بالمسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم وهم علماء كلفهم الله بحمل أمانة العلم وحفظ الشريعة، حيث هم ورثة المصطفى ﷺ، ولم يكن لهم من وراء ذلك أي غرض دنيوي، من حب للشهرة، أو مصادمة للحكم الأموي وإثارة للرأي العام عليهم، ويتضح ذلك أكثر باستعراض بعض مواقف النصح لأولئك العلماء.

فمن ذلك موقف العالم الجليل يزيد بن الأصم[1] حين سأله عبدالملك عن قول الله عز وجل: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [2] فقال لنفسه قبل أن يشرع في تبيين معنى الآية: اللهم إني أبتغي وجهك اليوم.. [3]

ومنها موقف طاووس بن كيسان ـ رحمه الله ـ [4] مع سليمان بن عبدالملك حينما قدم حاجا وطلب فيها ليسأله عن المناسك، فأتى طاووس، فلما حضر طاووس عند سليمان أحس بمسؤولية هذا الموقف أمام الله، وذلك حين عبر عن ذلك بقوله: فلما وقفت بين يديه قلت: إن هذا المجلس يسألني الله عنه [5]. ثم بدأ يعظ سليمان غير مكتف بالمهمة التي دعي لها وهي إيضاح مناسك الحج للخليفة.

وكذلك موقف العالم الكبير عطاء بن رباح ـ رحمه الله ـ [6] عندما نصح هشام بن عبدالملك ووعظه تبعه رجل بكيس فيه نقود وقال: إن أمير

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) القصص: آية: ٨٣.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٧/ ٣٢٣.

(٤) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٢٣٧.

(٦) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

المؤمنين أمر لك بهذا، فقال عطاء: لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الله.[1]

وقد كان إخلاص العلماء، وقصدهم وجه الله والدار الآخرة في بذل النصيحة، كان ذلك عاملا مهما في قبول الخلفاء والولاة لنصائحهم وتوجيهاتهم، حيث تقع من قلوب الخلفاء والولاة موقعا يفرض عليهم تقديرها والأخذ بها في أحيان كثيرة. ويبدو ذلك واضحا في موقف العالم الصريح إبراهيم بن محمد بن طلحة الملقب بأسد قريش[2] مع عبدالملك بن مروان، وأجد من الضرورة استعراض هذا الموقف بتمامه حيث يتجلى فيه أثر الإخلاص لله تعالى في قبول عبدالملك لنصيحة هذا العالم فتدبر ذلك الموقف.

حدث عمران بن عبدالعزيز الزهري، قال: لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين بعد مقتل عبدالله بن الزبير استخص إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله وقربه في المنزلة، فلم يزل على حالته عنده حتى خرج إلى عبدالملك زائرا، فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئا، فلما حضر باب عبدالملك حضر به معه، فدخل على عبدالملك، فلم يبدأ بشيء بعد السلام، إلا أن قال: قدمت عليك ـ يا أمير المؤمنين ـ برجل

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٦٦/ ٦٧.

(٢) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

الحجاز، ولم أدع له ـ والله ـ نظيرا في كمال المروءة والأدب، والديانة والستر، وحسن المذهب، والطاعة والنصيحة، مع القرابة ووجوب الحق، إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله، وقد أحضرته بابك ليسهل عليك إذنك وتلقاه ببشرك، وتفعل به ما تفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه. فقال عبدالملك: ذكرنا حقا واجبا، ورحما قريبة ؛ يا غلام ـ إيذن لإبراهيم بن محمد بن طلحة. فلما دخل عليه مر به حتى أجلسه على فرشه، ثم قال له: يا ابن طلحة إن أبا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب، وحسن المذهب، مع قرابة الرحم، ووجوب الحق، فلا تدعن حاجة من خاص أمرك ولا عام إلا ذكرتها ؛ قال: يا أمير المؤمنين إن أولى الأمور أن يفتح بها الحوائج، ويرجى بها الزلف، **ما كان لله عز وجل رضى، ولحق نبيه ﷺ أداء، ولك فيها ولجامعة المسلمين نصيحة،** لا أجد بدا من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال، فأخلني ترد عليك نصيحتي، قال: دون أبي محمد ؟ قال: نعم ؛ قال: قم يا حجاج ؛ فلما جاوز الستر، قال: قل يا ابن طلحة نصيحتك، قال: آلله. يا أمير المؤمنين ؟ قال: آلله، قال: إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعترسه [1] وتعجرفه لبعده من الحق وركونه إلى الباطل، فوليته الحرمين، وفيهما من فيهما،

(١) العترسة: الأخذ بالشدة والجفاء والعنف والغلظة. (الفيروزآبادي: القاموس المحيط / عترس)

وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار، والموالي المنتسبة إلى الأخيار أصحاب رسول الله ﷺ وأبناء الصحابة رضي الله عنهم يسومهم الخسف ويقودهم بالعنف، ويحكم فيهم بغير السنة، ويطؤهم بطغام من أهل الشام، ورعاع لا روية لهم في إقامة حق، ولا إزاحة باطل؛ ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك ، وفيما بينك وبين رسول الله ﷺ يخلصك، إذا جاءك للخصومة في أمته، أما والله لا تنجو هناك إلا بحجة تضمن لك النجاة، فأفق على نفسك أو دع ؛ فقد قال رسول الله ﷺ: **(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).** (1)

فاستوى عبدالملك جالسا ـ وكان متكئا ـ فقال كذبت ـ لعمر الله ـ ومقت (2) ولؤمت فيما جئت به، وقد ظن فيك الحجاج ما لم يجده فيك، وربما ظن الخير بغير أهله، قم فأنت الكاذب المائن (3) الحاسد ؛ قال: فقمت ـ والله ـ ما أبصر طريقا، فلما خلفت الستر ولحقني لاحق من قبله، فقال للحاجب: أحبس هذا، وأدخل أبا محمد الحجاج ؛ فلبثت مليا لا أشك أنهما في أمري، ثم خرج الآذن فقال: قم يا ابن طلحة فادخل، فلما

---

(1) صحيح البخاري: ١/ ٢١٥، الجمعة / ١١.

(2) ماق مواقة وموقا: أي حمق. (الفيروزآبادي: القاموس المحيط / موق)

(3) مان يمين كذب. (الفيروزآبادي: القاموس المحيط / مون)

كشف لي الستر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج فاعتنقني وقبل نا بين عيني، ثم قال: إذا جزى الله المتآخين بفضل تواصلهما خيرا فجزاك الله أفضل ما جزى به أخا، فوا لله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرك، ولأعلين كعبك، ولأتبعن الرجال غبار قدميك ؛ فقلت يهزأ بي. فلما وصلت إلى عبدالملك أدناني حتى أجلسني مجلسي الأول، ثم قال: يا ابن طلحة، لعل أحدا من الناس شاركك في نصيحتك ؟ قلت: **لا والله، ولا أعلم أحدا كان هو أظهر عندي معروفا، ولا أوضح يدا من الحجاج، ولو كنت محابيا أحدا بديني لكان هو، ولكني آثرت الله ورسوله ﷺ والمسلمين؛ فقال: قد علمت أنك آثرت الله عز وجل ورسوله ولو أردت لكان لك في الحجاج أمل وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما**، وأعملته أنك استنزلتني له عنهما استصغارا لهما ووليته العراقين وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له عليهما استزادة له ليلزمه ما يؤدي به عني إليك أجر نصيحتك..[1]

فانظر إلى أي مدى كان إخلاص إبراهيم بن محمد بن طلحة ـ ـ رحمه الله ـ في النصيحة وإرادة وجه الله ثم النصح للخليفة وجماعة المسلمين، غير مجامل للحجاج الذي كان يحسن تعامله ويكرمه، فذلك مصلحة خاصة له

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤/ ١٢١. وأورد الذهبي هذا الخبر مختصرا، في سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٣.

قدم عليها مصلحة المسلمين العامة، وقد كان لهذا الإخلاص والصدق في النية الأثر الكبير في قبول عبد الملك لهذه النصيحة، كما أراد عبد الملك ـ وهو يدرك طبيعة الحجاج ـ أن لا يلحق إبراهيم شيء من أذى الحجاج عندما يكشف له عن رأي إبراهيم فبه، لذا تصرف التصرف المذكور.

٢- الصراحة وعدم المجاملة للخلفاء والولاة.

ومما يميز أدب العلماء في أدائهم النصيحة للخلفاء والولاة صراحتهم وعدم المجاملة أو المداهنة، لا سيما إذا طلب الخلفاء والولاة منهم النصح أو إبداء آرائهم في أمر من الأمور. وقد مر آنفا موقف إبراهيم بن محمد بن طلحة الصريح مع عبد الملك.

وفي عهد معاوية تتجلى صراحة ـ سيد التابعين في عصره ـ أبي مسلم الخولاني [(١)]حين قام أمام معاوية فوعظه، وقال: إياك أن تميل على قبيلة من العرب فيذهب حيفك بعدلك. [(٢)]

وقدم الحجاج بعد تولية العراق على عبد الملك ومعه معاوية بن قرة فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج بحضوره فقال معاوية: إن صدقناكم

---

(١)وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢)ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق جزء تراجم (عبادة بن أوفى ـ عبدالله بن ثوب، تحقيق شكري فيصل وآخرون: ٥١٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٣

قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله. [1] ومع أن معاوية لم يصرح بذكر الجواب إلا أن إشارته صريحة في عدم رضاه عن سياسة الحجاج وتولية عبد الملك له، وقد فهم كل من عبدالملك والحجاج، لذا قال عبدالملك للحجاج: لا تعرض له. إلا أن الحجاج نفاه مع ذلك إلى السند لصراحته تلك.

وكذلك صراحة يزيد بن الأصم مع عبدالملك حين سأله عن معنى قوله عز وجل: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [2] فأجاب بكل صراحة بقوله: التجبر في الأرض، والأخذ بغير الحق، فنكس عبدالملك برأسه، وجعل ينكت في الأرض. [3] وكان إطراق عبدالملك وتنكيسه لرأسه، حياء من يزيد لإدراكه أنه المعني لذلك بالتوجيه.

ودار حوار بين الأمير الأموي مسلمة بن عبدالملك والعالم الفاضل ميمون بن مهران حول طاعة ولي الأمر، حيث قال مسلمة لميمون: أليس أمرتم بطاعتنا ؟ يعني قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟

---

(١)ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ١٠٣.

(٢) سورة القصص: الآية: ٨٣.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٧/ ٣٢٣.

ﭐلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [1] فقال له ميمون: إن الله قد انتزعه منكم إذا خالفتم الحق، قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴾ قال مسلمة: فأين الله ؟ قال: الكتاب. قال مسلمة: فأين الرسول ؟ قال: السنة. [2]

ومن أولئك العلماء الصادقين في لهجتهم الصريحين في نصحهم العالم المهيب محمد بن أبي ذئب [3] فقد سأله أبو جعفر المنصور قائلا نشدتك بالله ألست أعمل بالحق ؟ أليس تراني أعدل ؟ فقال ابن أبي ذئب: أما إذا نشدتني بالله فأقول اللهم لا، ما أراك تعدل، وإنك لجائر، وإنك تستعمل الظلمة وتدع أهل الخير ... [4] وقد كانت الصراحة وعدم المجاملة والمداهنة منهجا اتخذه لنفسه وعرف به [5]، لذا فلا يستبعد أن يكون موقفه مع

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩. والآية بتمامها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً ﴾

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤/ ٢٦٨.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن الجوزي: صفوة الصفوة: ٢/ ٩٨، ٩٩.

(٥) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٤٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٧/ ١٤٠.

المنصور قد تكرر من قبل مع المعاصرين له من خلفاء وولاة بني أمية حيث عاش ثنتين وخمسين سنة في الدولة الأموية إذ ولد سنة ثمانين للهجرة. [١]

وكذلك كان شأن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم مع المنصور، فمن ذلك ما روي أنه دخل على أبي جعفر المنصور يوما فقال له المنصور: يا ابن أنعم ألا تحمد الله الذي أراحك مما كنت فيه، ومما كنت ترى بباب هشام وذوي هشام ؟ فقال له عبدالرحمن: ما كنت أراه بباب هشام إلا وأنا أرى اليوم منه طرفا، فكبا المنصور ثم قال له: فما منعك أن ترفع ذلك إلينا، وأنت تعلم أن قولك عندنا مقبول ؟ فقال: إني رأيت السلطان سوقا، وإنما يرفع لكل سوق ما يجوز فيها، فكبا لها أبو جعفر المنصور، ثم رأسه فقال: كأنك كرهت صحبتنا ؟ فقال: ما يدرك المال والشرف إلا في صحبتك، ولكني تركت عجوزا وإني أحب مطالعتها. فقال: اذهب فقد أذنا لك [٢]

وكما كان العلماء صريحين في نصحهم صادقين في قولهم مع الخلفاء، كانوا كذلك مع الولاة في مختلف الأقاليم، فمن ذلك نصح الإمام الكبير الحسن البصري لوالي العراق عمر بن هبيرة حين دعاه مع بعض الفقهاء وسألهم عن بعض الكتب التي تأتيه من أمير المؤمنين يزيد بن عبدالملك

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٧/ ١٤٠.

(٢) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية: ١٠١. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٥٥. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ٢٣١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٤١٢.

وفيها الهلكة، فمما قال الحسن: اتق الله يا عمر، فكأنك بملك قد أتاك فاستنزلك عن سريرك هذا، وأخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فإن الله ينجيك من يزيد وإن يزيد لا ينجيك من الله، فإياك أن تعرض لله بالمعاصي، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ثم قام فتبعه الآذان فقال: أيها الشيخ ما حملك على ما استقبلت به الأمير ؟ قال: حملني عليه ما أخذ الله على العلماء من الميثاق في علمهم ؛ ثم تلا ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [1] فكان ابن هبيرة بعد ذلك يقدر الحسن ويفضله على غيره. [2]

وكذلك كانت صراحة العالم الجليل محمد بن سيرين [3] مع ابن هبيرة نفسه، فروى ابن عون أن ابن هبيرة أرسل إلى ابن سيرين فأتاه، فقال له: كيف تركت أهل مصرك ؟ قال: تركتهم والظلم فيهم فاش.

قال ابن عون: كان محمد بن سيرين يرى أنها شهادة سئل عنها فكره أن يكتمها. [4] وورد في موقف آخر أنه لما دخل ابن سيرين على ابن هبيرة

---

(١) آل عمران: آية: ١٨٧.

(٢) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/١٤٩، ١٥٠. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١٦١.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١٦١.

قال له: يا أبا بكر ماذا رأيت ببابنا ؟ قال: رأيت ظلما فاشيا. فغمزه ابن أخته بمنكبه فالتفت إليه ابن سيرين فقال: إنك لست تسأل إنما أسأل أنا.[1]

وكان العالم الكبير جامع المحاربي [2] صريحا مع الحجاج، حين شكا سوء طاعة أهل العراق، فقال جامع المحاربي: أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية فيمن دونك تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك ؛ فقال الحجاج: والله ما أراني أرد بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف ؛ فقال جامع: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار، قال الحجاج: الخيار يومئذ لله ؛ قال: أجل ! ولكنك لا تدري لمن يجعله الله ؛ فقال: يهناه، إنك من محارب ! فقال جامع:

وللحرب سمينا وكنا محاربا ... إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

فقال الحجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك، فقال له: يا حجاج إن صدقناك أغضبناك، وإن كذبناك أغضبنا الله، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.[3]

---

(١) ابن الجوزي: صفوة الصفوة: ٣/ ١٦٨.

(٢) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار: ٢/ ٢٣١. حمادة: الوثائق السياسية والإدارية: ٣٢٠.

كما كان الإمام المدني عبدالله بن عبدالرحمن الأنصاري [1] يدخل على الوالي فيكلمه وينصحه في المشورة ولا يرفق له ولا يكف عنه شيئا من الحق يكلمه، وكان غيره من الناس يفرق أن يضرب. [2]

والحديث يطول بنا ويمتد لو استرسلنا في ضرب الأمثلة على صراحة العلماء وصدقهم مع الخلفاء والولاة، فلعل الأمثلة السابقة تكفي لإيضاح ذلك الأسلوب الذي انتهجه العلماء في نصحهم للخلفاء والولاة في الدولة الأموية.

وتجدر الإشارة إلى أن الذي جعل العلماء يسلكون هذا المسلك مع ما فيه من مشقة، وتعريض النفس لغضب بعض الخلفاء والأمراء، وما قد يترتب على ذلك من مضايقة لهم، إن ما جعلهم يسلكون ذلك استشعارهم بواجب الأمانة التي حملهم الله إياها، إذ هم ورثة النبي ﷺ في حمل أمانة بيان أحكام الإسلام وهديه، وإرشاد العباد وحثهم على العمل بها، عملا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [3] وبقول الرسول

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦٧٤.

(٣) آل عمران: آية: ١٨٧.

ﷺ ((**إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**)) (١) فحين قال سليمان بن عبدالملك لأبي حازم: ما تقول في ما نحن فيه ؟ قال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال: بل نصيحة بلغها إلي، قال: إن آباءك غصبوا الناس هذا الأمر وأخذوه عنوة بالسيف من غير مشورة ولا اجتماع من الناس، وقد قتلوا فيه مقتلة عظيمة وارتحلوا، فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم ؟ قال رجل من جلساء سليمان: بئس ما قلت، قال أبو حازم: كذبت، إن الله أخذ على العلماء الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه. (٢)

كما انطلقوا في صراحتهم تلك من القيام بالواجب الذي بايع عليه الصحابة رسول الله ﷺ حيث قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره وألا ننازع الأمر أهله **وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.** (٣)

وقد كان أكثر خلفاء بني أمية وولاتهم ـ بحق ـ يقدرون هذا الشعور لدى العلماء، فيتلقون صراحتهم بصدور رحبة، ونفوس طيبة لا تضيق ذرعا بمثل تلك المواقف، مستشعرين هم كذلك واجبهم في قبول النصيحة والأخذ بها.

---

(١) سنن أبي داود: ٤/ ١٢٤. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٢٩. سنن الترمذي: ٤/ ٤٧١. أبواب الفتن / ١٢.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٠/ ٧٠.

(٣) رواه البخاري: ٨/ ١٢٢، كتاب الأحكام / ٤٣.

ويلحظ أن هذه المواقف الصريحة جاءت كأجوبة على أسئلة الخلفاء وولاتهم وطلبهم إلى العلماء إبداء الرأي والنصيحة فلعل هذا شجع العلماء في اتخاذ تلك المواقف لإدراكهم تهيؤ الخلفاء والولاة لقبول ذلك. ولأنه يتعين في مثل تلك الأحوال قول الحق وعدم كتمانه، مثلما علل ابن عون صراحة ابن سيرين لابن هبيرة بقوله: كان محمد بن سيرين يرى أنها شهادة سئل عنها فكره أن يكتمها. [1]

٣- التلميح دون التصريح :

لم تكن الصراحة والجرأة هي الأسلوب الوحيد لتقديم النصيحة من العلماء للخلفاء والولاة، بل سلك بعضهم التلميح دون التصريح في أحيانا أخرى، بحسب ما يقتضيه الحال.

فروى معمر عن الزهري قال: كنت عند الوليد بن عبدالملك فكان يتناول من عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك عن رجل من أهل الشام، كان أوتي حكمة ؟ قال: من هو ؟ قلت: أبو مسلم الخولاني، سمع أهل الشام ينالون من عائشة فقال: ألا أخبركم بمثلي ومثل أمكم هذه ؟ كمثل عينين في رأس تؤذيان صاحبهما، ولا

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٦١.

يستطيع أن يعاقبهما إلا بالذي هو خير لهما، فسكت [1]. - أي الوليد - إدراكا منه أنه المقصود بالحديث.

وروي أن خالد بن صفوان بن الأهتم [2] قدم على هشام بن عبدالملك وقد خرج متبديا بأهله وقرابته وحشمه وخدمه، وذلك في وقت الربيع حيث أخذت الأرض زخرفها، وازينت بألوان النبات، وتعطر الجو بروائح الزهور الزكية، وضرب له معسكر فرش بأفخر الفرش، وأخذ الناس فيه مجالسهم، فأخذ خالد بن صفوان ينظر هنا وهناك، فنظر إليه هشام نظر المستنطق له، فقال خالد: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمة سوغكها لشكره، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشدا، وعاقبة ما تؤول إليه حمدا أخلصه لك بالتقى وكثره لديك بالنماء، لا كدر عليك منه ما صفى، ولا خالط سروره الردى، فقد أصبحت للمسلمين ثقة وملجأ إليك يفزعون في مظالمهم، وإليك يلجؤون في أمورهم، وما أجد يا أمير المؤمنين - جعلني الله فداك - شيئا هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك، من أن أذكرك نعمة الله عندك، فأنبهك إلى شكرها، وما أجد لذلك شيئا هو أبلغ من حديث من تقدم قبلك من الملوك، فإن أذن له أمير المؤمنين أخبرته. وكان هشام متكئا فاستوى قاعدا فقال: هات يابن الأهتم. فذكر ابن

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٩.

(٢) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

الأهتم قصة أحد الملوك الذين خرجوا إلى البرية في عام يشبه عام خروج هشام حيث الربيع، فقال لجلسائه هل رأيتم مثلما أنا فيه ؟ وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومناهجه، فقال له: أيها الملك ! إنك قد سألت عن أمر أفتأذن في الجواب ؟ قال: نعم، قال: أرأيت ما أعجبت به ؟ أهو شيء لم تزل فيه أم هو شيء صار إليك ميراثا من غيرك، وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال الملك: فكذلك هو قال: أفلا أراك إنما أعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلا وتغيب عنه طويلا، وتكون غدا بحسابه مرتهنا ؟ قال: ويحك، فأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ قال إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة ربك على ما ساءك أو سرك، وإما أن تضع تاجك وتضع أطمارك وتلبس أمساحك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك. وتذكر القصة أن الملك اختار الطريق الثاني فترك الملك وانقطع مع هذا الناصح للعبادة بقية حياته.

وقد تأثر هشام حتى أنه أمر بمعسكره فنقض وعاد ومن معه إلى قصره، فاجتمع من كان مع هشام على خالد بن صفوان فقالوا له: ما أردت يا أمير المؤمنين ؟ نغصت عليه لذاته وأفسدت عليه باديته. فقال لهم: إليكم عني فإني عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل. (١)

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ٣٥٣-٣٥٧. بشيء من التصرف.

ولا شك أن لمثل هذا الأسلوب غير المباشر الأثر الكبير في الاستماع إلى النصيحة وقبولها، لا سيما إذا كان العالم أو الناصح هو المبتدئ بالنصح دون طلب الخليفة أو الأمير لذلك، وبحضور غيرهما، فلابد من اختيار المدخل المناسب، وتوخي الأسلوب الأمثل، مراعاة للحال والمقام.

٤- استغلال المناسبات والأحوال لإبداء النصيحة.

وقد كان عدد من العلماء يستغلون بعض الأحوال والظروف لتقديم النصيحة، كأن يستدعي الخليفة عالما من العلماء يسأله عن بعض المسائل الفقهية في أمور العبادات وغيرها، فيستغل العالم فرصة وجوده عند الخليفة فينصحه بما يراه محتاجا إليه. وقد مر بعض الأمثلة على ذلك، مثل استغلال طاووس بن كيسان استدعاء سليمان بن عبدالملك له، ليسأله عن مناسك الحج، فلم يكتف طاووس بالإجابة على ذلك، بل استغل الفرصة لتقديم النصح لسليمان.

ومن ذلك استغلال معقل بن يسار [١] فرصة زيارة زياد بن أبيه له في داره، فعندما جاء زياد إلى داره قيل له: هذا الأمير على الباب. فقال: لا يدخل علي أحد غير الأمير. فدخل زياد، فألقيت له وسادة، فنظر إليه فقال: يا معقل، ألا تزودنا منك شيئا ؟ كان الله ينفعنا بأشياء نسمعها منك.

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((ليس من وال يلي أمة قلت أو كثرت لم يعد فيهم إلا كبه الله عز وجل في جهنم))** [١]، فأطرق ساعة ثم قال: شيئا سمعته من رسول الله ﷺ أو من وراء وراء ؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ. [٢]

ويتكرر مثل هذا الموقف من معقل بن يسار ـ رحمه الله ـ مع عبيد الله بن زياد، حين مرض معقل أتاه ابن زياد يعوده، فقال معقل: إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول: **((ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة))** [٣]

وروى الشعبي أن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ شهد جنازة عمر بن هبيرة فكان الحسن يسير معه ويحادثه فكان مما قال له : سمعت عبدالرحمن بن سمرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ : **(ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بالنصيحة إلا حرم الله عليه الجنة)** [٤]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند: ٥/ ٢٥. الطبراني: المعجم الكبير: ٢٠/ ٢٢٢.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٩/ ٨٧-٨٨.

(٣) صحيح البخاري: ٨/١٠٧، الأحكام /٨. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥/ ٣١٧، ٣١٨.

(٤) عن الخبر انظر: ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١٦٠. والحديث أخرجه البخاري بالفظ الوارد في الحديث السابق. أحكام /٨.

وكذلك استغلال الزهري الفرصة عندما قدم على عبدالملك وأخذ يسأله عمن يسود الأقاليم بعلمه، فكان كلما سأله عن إقليم ومن يسوده ذكر له أحد الموالي، وفي نهاية الحديث قال عبدالملك: والله ليسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها؛ فقال الزهري حينئذ: يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه، من حفظه ساد ومن ضيعه سقط. [1] وفي هذا لفت انتباه عبدالملك إلى أهميه التمسك بالدين حيث فيه الرفعة والسيادة وفي تضييعه الذل والهوان.

وكتب هشام بن عبدالملك إلى الإمام الحافظ الأعمش [2] بأن يكتب له بمناقب عثمان ومساوئ علي رضي الله عنه. فكتب الأعمش إلى هشام: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: يا أمير المؤمنين فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك بخويصة نفسك، والسلام. [3]

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٣٦٦.

(٢) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٢/ ١٣٦. محمد حمادة: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ط٢، دار النفائس بيروت، ١٤٠٣هـ ص: ٤٩٣. وإن كان ليس من المستبعد موقف العالم الجليل الأعمش، ولكن المستبعد موقف هشام بن عبدالملك، لا سيما وأنه ورد عنه ما يخالف ذلك حيث ذكر ابن كثير أنه حج عام ١٠٦هـ فتلقاه الناس قبل دخوله المدينة وممن تلقاه سعيد بن عبدالله

=

٥- النصيحة عن طريق الكتابة والرسائل.

ومن الأساليب التي سلكها العلماء لتقديم النصيحة للخلفاء والولاة كتابة الرسائل، حيث وردت عدة رسائل إلى بعض الخلفاء والولاة من العلماء تتضمن إبداء النصح والتوجيه، فمن ذلك ما كتبه العالم الكبير عبدالله بن عمر رضي الله عنه إلى عبدالملك بن مروان ـ رحمه الله ـ فروى سعيد بن عبدالعزيز أن عبدالله بن عمر كتب إلى عبدالملك ـ وبعث بالكتاب مع ابنه سالم بن عبدالله ـ: (من عبدالله بن عمر إلى عبدالله، عبدالملك بن مروان ـ أمير المؤمنين ـ ، أما بعد، فإنك راع، وكل راع مسؤول عن رعيته، الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه، ومن أصدق من الله حديث) [١].

كما كتب العالم الفاضل زر بن حبيش [٢] رسالة إلى عبدالملك بن مروان وقد جاء في آخر هذه الرسالة ... ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في

بن الوليد بن عثمان بن عفان، فقال له: يا أمير المؤمنين إن أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب ، فالعنه أنت أيضا، قال أبو الزناد ـ وكان ممن حضر ـ: فشق ذلك على هشام واستثقله، وقال: ما قدمت لشتم أحد، ولا للعنة أحد، إنما قدمنا حجاجا. ثم أعرض عنه وقطع كلامه. (ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٢٣٤).

(١) أبو زرعة: تاريخه: ١/ ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

طول البقاء ما يظهر لك في صحتك فأنت أعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الأولون:

إذا الرجال ولدت أولادها وبليت من كبر أجسادها
وجعلت أسقامها تعتادها تلك زروع قد دنى حصادها

فلما قرأه عبدالملك بكى حتى بل طرف ثوبه، ثم قال: صدق زر، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق.[1]

وأورد ابن كثير أن رجلا رث الهيئة لم يأبه له الحرس دخل على عبدالملك فألقى بين يديه صحيفة ثم خرج، فلما فتحت الصحيفة إذا هي مليئة بالمواعظ للخليفة، وأكثر صاحبها من الاستشهاد بالآيات مما يوحي بأن كاتبها قد يكون من أحد العلماء.[2]

وكان العلم الفقيه عبدالله بن محيريز يأتي إلى عبدالملك بن مروان بالكتاب فيه النصيحة، فيقرئه ما فيها.[3]

وسبقت الإشارة إلى عدد من الرسائل المتبادلة بين العلماء وعمر بن عبدالعزيز، وما تضمنته تلك الرسائل من نصح وتذكير لعمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ.[1]

---

(١) ابن الجوزي: صفوة الصفوة: ٣/ ١٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٦٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٦٦.

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٣٦٦. الأصفهاني: حلية الأولياء: ٥/ ١٤٤.

ومن الطريف أن نجد بعض رسائل العلماء للخلفاء والولاة قد قدمت فيها النصيحة من خلال أبيات من الشعر، كأسلوب من أساليب تقديم النصيحة من قبل العلماء للخلفاء والولاة، فأورد الأصفهاني أن العالم الجليل ـ معلم عمر بن عبدالعزيز ـ عبيدالله بن عبدالله بن عتبة [٢] كتب إلى عمر بن عبدالعزيز الأبيات التالية:

باسم الذي أنزلت من عنده السور ... والحمد لله أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر ... فكن على حذر قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المحتوم وارض به ... وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامرئ عيش يسر به ... إلا سيتبع يوما صفوه كدر [٣]

وأصل هذه الأبيات للشاعر الزاهد سابق بن عبدالله البربري وكان قد كتب بها إلى عمر بن عبدالعزيز، وتبلغ سبعة وأربعين بيتا، فلعل عبيدالله استحسن هذه الأبيات أو بعضها فكتب بها إلى عمر.

ولسابق البربري عدة قصائد أخرى وعظ فيها عمر بن عبدالعزيز ومنها:

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٨٨، ١٨٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٧٧.

٦- الخصوصية والسرية في النصح.

وفي نهاية الحديث عن آداب العلماء وأساليبهم في تقدم النصيحة للخلفاء والولاة تجدر الإشارة إلى أن الكثير من تلك النصائح كان يحاط بشيء من الخصوصية والسرية، حيث كانت تدور بين طرفين اثنين هما العالم الناصح والحاكم المنصوح، وجل تلك النصائح وجهت للخليفة أو الوالي نفسه مباشرة وفي مجلسه الخاص، ولم يعمد العلماء إلى إخبار أحد بها أو إشهارها وإظهار عامة الناس عليها. كما لم يكن من أدبهم في الغالب ذكر أخطاء الخلفاء والولاة وتوجيهها على ملأ من الناس، أو استغلال بعض الظروف والأحداث لجرحهم وعيب سياستهم، فهذا أبو حازم عندما جاءه مجموعة من الناس يشتكون إليه سوء الأحوال الاقتصادية وغلاء الأسعار أجابهم بقوله: وما يغمكم من ذلك؟ إن الذي يرزقنا في الرخص هو الذي يرزقنا في الغلاء. [1] فلم يستغل أبو حازم ذلك الموقف لذم خلفاء وولاة بني أمية ـ وإن كان لسياسة بعضهم أثر في سوء الحالة الاقتصادية ـ بل أعطى من جاءه درسا في التربية الإيمانية وترسيخ جذور العقيدة في نفوسهم بأن يلجأوا إلى الله ويقووا لديهم جانب التوكل عليه لا على المخلوقين.

---

(١) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٣/ ٢٣٩. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٠/ ٣.

وهذا ميمون بن سياه كان لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا عنده يغتاب بل ينهاه فإن انتهى وإلا قام عنه [١] وما كان من العلماء من جرأة في أداء النصيحة كان في مجلس الخليفة وبحضرته.

وهذا السنهج أدعى لاستماع النصيحة وقبولها، إذ مهما بلغ المنصوح من التجرد فليس يرضي أو يقبل بإشهار أخطائه وتوجيه اللوم له على ملأ من الناس، فحين فتح عياض بن غنم رضي الله عنه [٢] دارا [٣] جرد صاحبها فأنكر عليه هشام بن حكيم [٤] وأغلظ له في القول أمام الناس فغضب عياض، ثم مكث ليالي فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر إليه، ثم قال هشام: ألم تسمع بقول النبي ﷺ **((إن من أشد الناس عذابا**

---

(١) ابن الجوزي: صفوة الصفوة: ٣/ ١٥٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٨٩.

(٢) أحد الصحابة الأجلاء، أسلم قبل الحديبية وشهدها، وكانت له جهود كبيرة في حركة الجهاد في عهدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ففتح عامة بلاد الجزيرة، ولما توفي أبوعبيدة رضي الله عنه استخلفه على الشام فأقره عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليها، توفي عام ٢٠هـ. ابن الأثير: أسد الغابة: ٤/ ١٦٤.

(٣) إحدى بلاد الجزيرة الفراتية، ذات بساتين ومياه جارية. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٤١٨.) وتقع اليوم في تركيا. (صلاح الدين المنجد: معجم أماكن الفتوح: ص: ٤٨.)

(٤) وهو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي، صحابي جليل أسلم يوم فتح مكة، وكان من خيار الصحابة وفضلائهم ممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، توفي قبل أبيه وقيل استشهد في أجنادين. (ابن الأثير: أسد الغابة: ٥/ ٦١. ابن حجر: الإصابة: ٦/ ٢٨٥).

أشدهم عذابا في الدنيا للناس)) ؟ فقال عياض بن غنم: يا هشام بن حكيم قد سمعنا ما سمعت ورأينا ما رأيت، أو لم تسمع رسول الله ﷺ يقول: **((من أراد أن ينصح لذي سلطان بأمر فلا يبدله علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإن كان قد أدى الذي عليه))** [١]

فإذا كان هذا موقف الصحابي الجليل عياض بن غنم رضي الله عنه من تقديم النصيحة على ملأ من الناس فموقف غيره من باب أولى.

وورد في الصحيح: أنه قيل لأسامة بن زيد رضي الله عنه ألا تدخل على عثمان لتكلمه؟ فقال: (أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله؛ لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه)[٢].

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٣/ ٤٠٣. ورجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابة: ٣/ ٢٩٠. الهيثمي، مجمع الزوائد، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ: ٥/ ٢٢٩، ٢٣٠. وانظر: منهج السنة فيالعلاقة بين الحاكم والمحكوم: يحيى إسماعيل، ط١، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٦هـ: ص: ٢١٩-٢٢٠. ولمزيد من الوقوف على تخريج الحديث ومتابعاته انظر: عبدالسلام آل عبدالكريم: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، ط٥، ١٤١٧هـ: ١٤٣-١٥١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق: باب صفة النار: ٤/ ٩٠. ومسلم في صحيحه واللفظ له في باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله: ٤/ ٢٢٩٠. وانظر مسند الإمام أحمد: ٥/ ٢٠٧.

وعندما سئل الصحابي العالم عبدالله بن عباس ﷺ عن أمر السلطان بالمعروف ، ونهيه عن المنكر؟ قال: (إن كنت فاعلا ولابد؛ ففيما بينك وبينه) [1].

ولكن قد يلتبس الأمر في هذا العموم الغالب في الخصوصية والسرية في بذل النصيحة بحالات مغايرة يعلن فيها العلماء إنكارهم على بعض الولاة، وجهرهم ببيان ظلمهم، فتجلية لهذا اللبس أقول بأن هذه الحالات تكاد تكون خاصة بمن اشتهر أمرهم بالظلم والجور، كما سيأتي بيانه في أساليب العلماء في التعامل مع ولاة الجور.

وجدير بالذكر التنويه إلى أن ما يقدمه العلماء من توجيهات للخلفاء والولاة على وجه النصيحة يختلف كثيرا عما يثيره كثير من أعضاء البرلمانات، وما تنشره وسائل أعلام الأحزاب المعارضة في العصر الحاضر، إذ هدف هؤلاء في الغالب تتبع سقطات الأنظمة الحاكمة، وتصيد أخطائها بقصد صرف نظر الناس عنها وكسب أصواتهم ليس إلا، أما ما يقوم به العلماء من تذكير للخلفاء والولاة بمسؤولياتهم المناطة بهم تجاه الإسلام، وحثهم على القيام بواجبهم تجاه رعاياهم، ما يقومون بذلك إلا بقصد

---

(١) ابن رجب: جامع العلوم والحكم، توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (سابقا الرياض)، ص: ٧١. عبدالسلام آل عبدالكريم: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة: ١٥٩.

تحقيق المصلحة العامة لعموم المسلمين والخاصة لذوي السلطان، وأداء لواجب الأمانة المنوطة بهم.

المبحث الثالث: مجـالات النصيحة.

حـين نتتـبع النصـائح الـتي وجههـا العـلماء لخلفـاء وولاة بـني أمـية تـدور حول موضوعين هما : تذكير الخلفاء والولاة بتقوى الله وحثهم على الاهـتمام بآخـرتهم وتحذيـرهم مـن الغفلـة ، والـثاني حـول تذكير الخلفاء والـولاة بمسـؤولياتهم تجـاه رعيتهم وحثهم على أداء حقوقهم ورفع الظلم عنهم ، وسنتناول بالحديث طل جانب منهما على حده.

أ – تذكـير الخلفـاء والـولاة بـتقوى الله وحـثهم عـلى الاهـتمام بآخرتهم وتحذيرهم من الغفلة.

إن كـثيرا مـن النصائح الموجهة للخلفاء والولاة تتضمن لفت نظرهم إلى الآخـرة وما أعده الله فيها من جزاء لعبده من جنة أو نار ، كما تضمنت تحذيـرهم مـن الاغترار بالحياة الدنيا وزخرفها ، والتعلق بما هم فيه من فتنة الجاه والسلطان. وقد مر آنفا ذكر رسالة زر بن حبيش لعبد الملك التي ذكره فيها بالآخرة ودنو الأجل ، فبكى عبد الملك حتى بل طرف ثوبه.[1]

(١) انظر ص: ٢٨٨.

وحين سأل سليمان بن عبد الملك أبا حازم قائلا : ما لنا نكره الموت ! فأجابه بقوله : لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. وقال أبو حازم أيضا لعمر بن عبد العزيز لما طلب منه وعظه : اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر ما تحب أن يكون قبل تلك الساعة ، فجد فيه الآن ، وما تكره أن يكون قبل تلك الساعة فدعه الآن. (١)

ومما جاء في نصيحة عطاء بن أبي رباح لهشام بن عبد الملك : اتق الله في نفسك ، فإنك وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك ، وتحاسب وحدك ، لا والله ما معك ممن ترى أحد. (٢)

ومما كتب به الأوزاعي إلى أبي جعفر المنصور : أما بعد ... فعليك بتقوى الله ، وتواضع يرفعك الله يوم يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق ، واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله عليك إلا عظما ، ولا طاعته إلا وجوبا. (٣)

---

(١) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٣/ ٢٣٤. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٠/ ٦٨، ٧٢

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٦٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٧/ ١٢٥.

ومن ذلك نصيحة العالم الجليل أبي عبدالله علي بن رباح اللخمي [1]. لموسى بن نصير والي الأندلس ، فقد أورد صاحب كتاب رياض النفوس [2] أن موسى بن نصير لما وصل من الأندلس إلى القيروان قعد يوما في مجلسه ، فجاءه العرب يسلمون عليه فلما احتفل المجلس قال : إنه قد صحبتني ثلاث نعم : أما واحدة فإن أمير المؤمنين كتب إلي يهنئني في كتابه ، وأمر بقراءة الكتاب ، فهنئ بذلك ، وأما الثانية فإن كتاب ابني قدم علي بأنه فتح له بالأندلس فتح عظيم ، وأمر بالكتاب فقرئ ، فهنئ بذلك. وكان علي بن رباح ساكت فقال له موسى : ما لك يا علي لا تتكلم ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، قد قال القوم ، فقال : وقل أنت أيضا. فقال : أنا أقول ـ وأنا أنصح القائلين لك ـ إنه ما من دار امتلأت حبرة إلا امتلأت عبرة ، وما انتهى شيء إلا رجع ، فارجع قبل أن يرجع بك. فانكسر موسى بن نصير وخشع وفرق جواري عدة... وقال صحاب الرياض: ونفعه الله عز وجل بموعظة أبي عبدالله بن رباح، فصغرت عنده الدنيا وما فيها ونبذها وانخلع مما كان فيه من الإمارة [3].

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) المالكي: رياض النفوس: ١/ ١١٩.

(٣) المالكي: رياض النفوس: ١/ ١١٩، ١٢٠. وذكر محقق رياض النفوس: البكوش: أن القصة وردت في تاريخ إفريقية والمغرب: ص: ٨٨، ٨٩. وفي البيان المغرب: ١/ ٤٤.

وقد كان للحسن البصري ـ رحمه الله ـ جهود كبيرة في نصح عدد من الولاة في هذا المجال، ومن ذلك نصحه للنضر بن عمرو الحميري [1] فقد أورد ابن الجوزي له عددا من النصائح التي يذكر فيها النضر بالعمل بالآخرة وعدم الاغترار بالأماني في الحياة الدنيا، فقد دعا النضر الحسن يوما فقال له: يا أبا سعيد إن الله عز وجل خلق الدنيا وما فيها من رياشها، وبهجتها، وزينتها لعباده. وقال عز وجل : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [2] وقال عز من قائل: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [3].

فقال الحسن: أيها الرجل اتق الله في نفسك، وإياك والأماني التي ترخصت فيها فتهلك، أن أحدا لم يعط خيرا من خير الدنيا، ولا من خير الآخرة

---

(١) هو النضر بن عمرو المقرئ الحميري، من أهل الشام ذكر ابن الجوزي في كتابه آداب الحسن البصري، تحقيق سليمان الحرش، ط١، دار المعارج، الرياض، ١٤١٤هـ ، ص: ١٠٨ : أنه كان واليا على البصرة، وذكر ابن خياط في تاريخه: ص: ٣٥٨. أن هشام بن عبدالملك ولاه إمرة الصلاة بالبصرة.

(٢) الأعراف: الآية: ٣١. والآية بتمامها: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

(٣) سورة الأعراف: الآية:٣٢. والآية بتمامها ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

بأمنيته. وإنما هي داران، من عمل في هذه أدرك تلك، ونال ما قدر له منها، ومن أهمل نفسه خسرهما جميعا...

ودخل الحسن عليه في يوم آخر فقال له: أيها الأمير ـ أيدك الله ـ إن أخاك من نصحك في دينك، وبصرك عيوبك، وهداك إلى مراشدك، وإن عدوك من غرك ومناك. أيها الأمير اتق الله ! فإنك أصبحت مخالفا للقوم في الهدي والسيرة، والعلانية والسريرة، وأنت مع ذلك تتمنى الأماني، فترجح في طلب العذر. والناس أصلحك الله طالبان: فطالب دنيا، وطالب آخرة، وأيم الله لقد أدرك طالب الآخرة واستراح وتعب الآخر وحرم. فاحذر أيها الأمير أن تسعى لطلب الفاني، وتترك الباقي فتكون من النادمين.[١]

وجل رسائل العلماء الموجهة لعمر بن عبدالعزيز تفيض بمثل ذلك التذكير والتوجيه نحو الاهتمام بالآخرة والعمل لها. ويطول بنا المجال لو استعرضنا ذلك.

ونصائح العلماء ومواعظهم للخلفاء والولاة في هذا المجال ذات أثر كبير ونفع عميم على الخلفاء والولاة ورعيتهم. أنا الخلفاء والولاة فهم المستفيد الأول من ذلك. ذلك أن الله خلق هذه الحياة للابتلاء والامتحان،

---

(١) ابن الجوزي: آداب الشيخ الحسن البصري: ١٠٨، ١٠٩.

حيث قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [(١)] والإنسان هو المقصود في المقام الأول بهذا الابتلاء والامتحان، وما خلق إلا له لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [(٢)] ولكي تتم سنة الله في الابتلاء أودع في هذه الحياة من الملذات ما تميل إليه نفس الإنسان، ومن الشهوات ما تدفع إليه الغرائز المودعة فيها، وزيادة على ذلك اقتضت حكمته تعالى إمهال إبليس ـ الذي أخذ على نفسه السعي لإغواء بني آدم بشتى الوسائل ـ إلى يوم القيامة. ولكن في المقابل أمد الله الإنسان بما يمكنه أن يقاوم به نوازع الشر ويسمو بروحه على شهوات الجسد ومفاتن الدنيا، حيث فطره على الخير ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [(٣)] وكذلك أعطاه الإرادة التي يستطيع أن يسمو بها ليصل إلى درجة

---

(١) سورة الملك: آية: ٢.

(٢) سورة الإنسان: آية: ٢.

(٣) سورة الروم: آية: ٣٠.

الملائكة المقربين، وفوق ذلك أرسل له رسله وأنزل كتبه لهدايته إلى الطريق الأقوم.

والإنسان المسلم في خضم العيش في هذه الحياة ومفاتنها، وفي زحمة سعيه الحثيث لتحقيق متطلباته الجسدية والنفسية، وتحقيق ما يمكنه من عيش فاره له ولمن حوله، في خضم ذلك هو بحاجة إلى تحقيق توازن يمكنه من اجتياز ذلك الامتحان والابتلاء، توازن بين متطلبات الجسد وحاجات الروح، وتوازن بين العمل للدنيا الفانية والعمل للآخرة الباقية. وقد لا يتمكن المسلم من دفع نفسه إلى تحقيق هذا التوازن المطلوب، فمن الخير له أن يهيء الله من يساعده على تحقيق ذلك بالدلالة والإرشاد حيث روي في الحديث ((**أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة عليه من الله ليزداد بها إثما، ويزداد الله بها عليه سخطه.**)) [(١)] وهذا في حق المسلم العادي فمن باب أولى من انفتحت له الدنيا وألقت بنفسها بين يديه يختار من زخرفها

(١) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٦/ ١٣٦. قال العراقي في تخريج الإحياء: ٣/ ١٣٦٨. رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء والولاة وفيه أحمد بن عبيد بن ناصح.أ.هـ. وقال الزبيدي ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ والبيهقي في الشعب. وقال الألباني عن هذا الحديث ضعيف. ضعيف الجامع الصغير، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٠هـ: ٢/ ٢٦٩. رقم: ٢٢٤٥.ورغم ضعف سند هذا الحديث ففي معناه صحة ولا بأس بذكره في باب فضائل الأعمال.

وصنوف ملاذها ما شاء، ومن تحملوا مع تبعاتهم تبعات غيرهم، فهؤلاء أولى من غيرهم بتعهد أنفسهم لتحقيق ذلك التوازن الذي يمكنهم من اجتياز ذلك الابتلاء الذي خلقهم الله من أجله. ولقد كان شعور عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بصعوبة اجتياز ذلك الابتلاء عظيما، لما قلد من تبعات جسيمة بتحمله قيادة الأمة وسياسة أمرها، فقد كتب يوما إلى سليمان بن أبي كريمة: (إن أحق العباد بإجلال الله والخشية منه من ابتلاه بمثل ما ابتلاني به، ولا أحد أهون على الله إن عصاه مني فقد ضاق بما أنا فيه ذرعي وخفت أن تكون منزلتي التي أنا بها هلاكا لي إلا أن يتداركني الله برحمة، وقد بلغني أنك تريد الخروج في سبيل الله فأحب يا أخي أن تدعو الله أن يرزقني الشهادة فإن حالي شديدة وخطري عظيم، فأسأل الله الذي ابتلاني بما ابتلاني به أن يرحمني ويعفو عني.) [(١)]

ومن الخير كل الخير أن يهيء الله للخلفاء والولاة ومن ابتلي بمثل ما ابتلوا به من يساعدهم على تذكر اخرتهم والعمل لها، وينتشلهم من طوفان بحر الحياة الدنيا والافتتان بزخرفها، إذ ليس كل أحد يستطيع ذلك لما لهم من هيبة في النفوس، ولصعوبة الوصول إليهم، وما كل أحد تتوفر فيه الشروط اللازمة لتوجيه النصح لهم.

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٩٥.

ولعل السر وراء طلب كثير من خلفاء وولاة بني أمية من العلماء توجيه النصح لهم ووعظهم، وتحملهم ما قد يبدو من شدة في تقديم النصح، هو إدراكهم أنهم المستفيدون في المقام الأول من ذلك النوع من النصح.

ومن جهة أخرى فإن ما تحدثه تلك النصائح من استقامة في حياة الخلفاء والولاة ، وإبقاء جذوة الإيمان مشتعلة في قلوبهم ، وتقوية الصلة بالله لديهم ، لذلك كله مردود إيجابي في حياة الأمة وعلى رعيتهم ، حيث يسهم ذلك في استشعار الخلفاء والولاة بمراقبة الله لهم ، وتنمية الإحساس لديهم بمحاسبة أنفسهم فيما يقومون به من أعمال تحسبا للآخرة ، فيدفعهم ذلك إلى العدل بين الرعية ، والبعد عن مواطن الظلم ، وبذل ما في طاقتهم من وسع لتولية الأصلح لرعاياهم أداء للأمانة وخوفا من التعرض لعقاب الله الذي حذر منه الرسول ﷺ في قوله : (**ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة**) [1]

ب ـ تذكير الخلفاء والولاة بمسؤولياتهم تجاه رعيتهم وحثهم على أداء حقوقهم:

العلماء هم أكثر الناس إدراكا للمسؤلية العظيمة التي يتحملها الخلفاء والولاة وولاة الأمر فيدركون أنهم المعنيون بإقامة شعائر الدين والحفاظ عليها ، وأنهم مطالبون بالذب عن الدين وأهله ، كما أن عليهم

(١) الإمام مسلم :١/ ١٢٦. إيمان / ٢٢٩ ، إمارة / ٢٢ .

مسؤوليات جساما تجاه رعاياهم تتمثل في إحقاق العدل بينهم والسعي لتيسير شؤون حياتهم بما يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضر .ومن هذا المنطلق يرى العلماء أن الخلفاء والولاة بحاجة إلى من يذكرهم ويعينهم على القيام بهذه المسؤولية وتحقيقها، ويدركون أنهم معاشر العلماء أولى من يقوم بذلك.

وكما يحرص العلماء على تذكير الرعية بحقوق ولاة الأمر وحثهم على أدائها والالتزام بها، كذلك يحرصون على تذكير الخلفاء والولاة وولاة الأمر بمسؤولياتهم تجاه رعاياهم بحثهم على أداء حقوقهم، ومطالبتهم برفع ما قد يقع منهم من ظلم عليهم، لذا فهم وساطة خير بين الراعي ورعيته، وعامل توازن وتلاحم بين الحاكم والمحكوم. وسنستعرض بعض الأمثلة التي توضح مواقف العلماء ونصائحهم في هذا المجال.

دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقال: السلام عليك أيها الأجير. فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم، ثم قال: السلام عليك أيها الأجير. فقال الناس: الأمير. فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فهو أعلم بما يقول. قال أبو مسلم: إنما مثلك مثل رجل استأجر أجيرا فولاه ماشيته، وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية، ويوفر جزازها وألبانها، فإن أحسن رعيتها ووفر جزازها حتى تلحق الصغيرة، وتسمن العجفاء، أعطاه أجره وزاده من قبله زيادة، وإن هو لم يحسن رعيتها وأضاعها حتى تهلك العجفاء، وتعجف السمينة ولم يوفر جزازها وألبانها غضب

عليه صاحب الأجر فعاقبه ولم يعطه الأجر. فقال معاوية: ما شاء الله. [(١)]
فانظر كيف حث أبو مسلم الخولاني معاوية ﷺ على الاهتمام بأمر الرعية وحذره من التهاون أو التفريط في إصلاح شؤونهم، وذلك عن طريق ضرب المثل تقريبا للصورة وتشبيها للحال.

وهناك موقف عملي لأبي مسلم الخولاني مع معاوية أيضا، وذلك عندما صعد معاوية المنبر ـ وكان قد حبس العطاء ـ فقام أبو مسلم وقال له: لم حبست العطاء يا معاوية؟ إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك، ولا كد أمك حتى تحبس العطاء، فغضب معاوية غضبا شديدا، ونزل عن المنبر، وقال للناس مكانكم، وغاب عن أعينهم ساعة ثم عاد إليهم فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني، وأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من نار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليغتسل))** [(١)] وإني دخلت فاغتسلت، وصدق أبو مسلم: إنه ليس من كدي ولا كد أبي، فهلموا إلى أعطياتكم [(٢)]

وتستمر مسيرة العلماء في حثهم الخلفاء والولاة بالاهتمام بأمر الرعية، فهذا عطاءِ بن أبي رباح ـ رحمه الله ـ يدخل مجلس عبدالملك بن مروان في الحج فيقوم إليه عبدالملك ويسلم عليه ويجلسه على سريره، ويقول له حاجتك يا أبا محمد؟ فيقول عطاء: يا أمير المؤمنين اتق الله في

---

(١) الأصفهاني: أبو نعيم أحمد بن عبدالله: فضيلة العادلين من الولاة، ضبط وتعليق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار الوطن، ١٤١٨هـ، ص: ١٦٥، ١٦٦. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٢/ ٦٤.

حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور، فإنهم حصن للمسلمين، وتفقد أمور المسلمين، فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك. فقال له: أفعل.[٣]

ويتكرر الموقف نفسه من عطاء بن أبي رباح مع هشام بن عبدالملك فقد دخل مجلس هشام وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا، فقال له هشام: ما حاجتك يا أبا محمد؟ قال: يا أمير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله، وجيران رسول الله ﷺ تقسم فيهم أعطياتهم وأرزاقهم ؛ قال: نعم، يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطاءين وأرزاقهم لسنة. ثم قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الإسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم. قال: نعم، اكتب يا غلام بأن ترد فيهم صدقاتهم. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. أهل الثغور يرمون من وراء بيضتكم، ويقاتلون عدوكم قد أجريتم لهم أرزاقا تدرها عليهم، فإنهم إن يهلكوا غزيتم، قال: نعم، اكتب بحمل أرزاقهم إليهم يا غلام. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٤/ ٢٢٦. سنن أبي داود: ٤/ ٢٤٩. الطبراني: المعجم الكبير: ١٧/ ١٦٧.

(٢) الغزالي: مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء، تحقيق محمد جاسم الحديثي، ط١، الرياض: ٢١٣، ٢١٤. البدري: الإسلام بين العلماء والحكام، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٦٦م: ٧٢-٧٣

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٦٩.الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٨٤.

قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل ذمتكم لا تجيب صغارهم وتتعتع [(١)] كبارهم ، ولا يكلفون مالا يطيقون ، فإنما تجبونه معونة لكم على عدوكم. قال : نعم ، أكتب يا غلام بأن لا يحملوا ما لا يطيقون. هل من حاجة غيرها ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، اتق الله في نفسك. [(٢)]

وفي ما سبق دليل على ثبات عطاء على منهجه في تقديم النصح للخلفاء والولاة وحثه لهم على السعي في مصالح الرعية ولفت نظرهم إلى ما يجب اتخاذه من تدابير لتحقيق ذلك ، كما يدل ذلك على سير هشام ابن عبد الملك على نهج والده في تقدير العلماء والأخذ بنصائحهم ووضعها موضع التنفيذ ، فرحم الله الجميع.

وقد مر معنا في نصائح بعض العلماء لعمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حثهم له بالعناية بأمر الرعية والتوسعة عليهم ، فمما جاء في نصح العالم الجليل سالم بن عبدالله لعمر (فإن استطعت ـ ولا قوة إلا بالله ـ أن تفتح على الناس أبواب الرخاء فافعل ، فإنك لن تفتح بابا إلا سد الله الكريم عنك باب بلاء). [(٣)]

كما تضمنت نصائح العلماء في هذا الباب تحذير الخلفاء والولاة من ظلم الرعية وبخسهم حقوقهم ، فانظر إلى نصيحة أبي مسلم الخولاني لمعاوية ﷺ حين قال: (إياك أن تميل على قبيلة من العرب فيذهب حيفك

(١) تعتعه: تله وحركة بعنف، أو أكرهه في الأمر حتى قلق. ((الفيروزآبادي: القاموس المحيط: مادة/ تع).

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٦٦.

(٣) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز: ١٠٦.

بعدلك..) [(١)] وتمعن في تعريض أبي حازم لسليمان بن عبدالملك عندما طلب منه في ختام نصحه له أن يدعو له فقال له أبو حازم: ما ينفعك أن أدعو في وجهك، ويدعو عليك مظلوم من وراء الباب، فأي الدعاء أحق بالإجابة؟ فبكى سليمان حينئذ. [(٢)]

وجل نصائح العلماء الموجهة للولاة ـ أيضا ـ تركز على الاهتمام بأمر الرعية وتحذر من مغبة التهاون في ذلك. فمن ذلك نصيحة العالم الجليل عبدالله بن مغفل [(٣)] لعبيدالله بن زياد حين دخل عبيدالله عليهم قال: حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ولا تحدثني بشيء سمعته من غيره، وإن كان ثقة في نفسك. فقال: لولا أني سمعته غير مرة ما حدثتك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ويل للوالي من الرعية، إلا أن يحوطهم من ورائهم من نصيحة**)) [(٤)] وسبق ذكر نصائح معقل بن يسار لزياد وابنه عبيدالله، ونصيحة الحسن البصري لعمر بن هبيرة كذلك وكلها تؤكد على ذلك المعنى. [(٥)]

والجدير بالذكر أن العلماء بعد سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية استمروا غي دأبهم في تقديم النصح للخلفاء والولاة مذكرينهم

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٢/ ٦٤.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٠/ ٧١.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥/ ٣١٦، ٣١٧. وأخرج الطبراني عن معقل بن يسار حديثا قريبا من لفظ هذا الحديث. المعجم الكبير: ٢٠/ ٢١٨.

(٥) راجع الأصل: ٢٦٠-٢٦١.

بحقوق الرعية، وساعين في رفع ما قد يقع عليهم من ضيق وعنت، وقد برز العالم المخضرم عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي ـ رحمه الله ـ برزوا ظاهرا في هذا المجال حيث جعل ذلك من أوليات جهوده وسخر له الكثير من وقته، وقد اشتهر له في هذا الباب عدد من الرسائل الموجهة للخلفاء والولاة أو نوابهم، وقد جمع صاحب كتاب الجرح والتعديل في تقدمته عددا منها وضعها تحت عنوان (كتب الأوزاعي في صلاح أمور المسلمين إلى ولاة الأمر) [(١)] وتتضمن بعض هذه الكتب والرسائل لفت نظر الخليفة أبي جعفر المنصور إلى العناية بأهل الساحل وزيادة أرزاقهم حتى يتفرغوا لجهاد عدوهم والذب عن بيضة المسلمين، [(٢)] كما تضمن بعضها إثارة الحمية لدى أمير المؤمنين للسعي في نصرة أهالي قاليقلا [(٣)] التي داهمها المشركون وسبوا نساء وذراري المسلمين فيها، [(٤)] وتضمن بعضها طلب الشفاعة لأهل مكة بالنظر في أحوالها وما تعانيه من غلاء في الأسعار ونقص في المؤونة بسبب جدب ديارهم وهلاك مواشيهم وحبس بحرهم، ويطلب المسارعة

(١) الرازي: الجرح والتعديل: ١/ ١٨٧.

(٢) المصدر السابق ص: ١٩٣.

(٣) قاليقلا: ناحية من نواحي أرمينية، وكانت تشتهر بعمل البسط المسماة بالقالي، وينسب إليها الأديب المشهور أبو علي القالي، وتم فتحها في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد حبيب بن مسلمة رضي الله عنه (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٤/ ٢٩٩، ٣٠٠. البلاذري: فتوح البلدان: ١٩٧.)

(٤) الرازي: الجرح والتعديل: ١٩٥، ١٩٦.

بمد يد العون. [1] بل تعدت رسائله ذلك إلى التلطف بالخليفة أو أحد عماله لإطلاق سراح بعض المسجونين، أو الشفاعة لتحقيق حاجة محتاج.

ويلحظ أن الأوزاعي وإن كان سار على نهج من سبقه من العلماء في العناية بتقديم النصح للخلفاء والولاة إلا أنه أضفى على مسلكه ما جعله يتميز عن غيره بأسلوبه وطريقته في عرض النصيحة، ذلك أنه يجعل لرسائله المتضمنة للنصائح مقدمة يدعو فيها لمن وجهت له، أو يمدحه ببعض ما يتصف به من خصال حميدة، ويستثير فيها حميته لتحقيق المطلوب تحقيقه، وبعد ذلك يختم بخاتمة تتضمن الدعاء للمخاطب بنيل الأجر والثواب من الله جزاء تحقيقه مضمون النصيحة، ويذكره بعظم مسؤوليته تجاه هذا الأمر، أو نحو من ذلك.

ولعل الذي دعا الأوزاعي إلى سلوك ذلك إدراكه ما لهذا الأسلوب من أهمية في كسب قلوب الخلفاء وولاتهم، وأدعى لاستجابتهم لتحقيق ما يطلبه منه، لا سيما وقد ظهر في بلاط خلفاء وولاة بني العباس بعض الوزراء من الفرس الذين أضفوا على الخليفة ومركز الخلافة نوعا مما كان يعامل به ملوك الفرس من تعظيم وتمجيد.

وحين نمعن النظر في تلك النصائح الموجهة من العلماء للخلفاء والولاة في العصر الأموي في هذا الباب نجد أن لها أثرا بالغا ونتائج حميدة، حيث لفت بعضها أنظار الخلفاء والولاة إلى مناطق الثغور والاهتمام بمصالح أهلها والمرابطين فيها، وفي ذلك دفع لمسيرة الجهاد، وإظهار

(١) المصدر السابق: ص: ١٩١.

لعـزة المسـلمين، ودعـم لقـوة الدولـة الإسـلامية عـلى أعدائهـا في مـناطق الاحتكاك العسكري.

كما أدت تلك النصائح إلى زيادة التلاحم والترابط بين القيادة العليا ممثلة في الخلافة ورعيتها، وذلك حين استمع كثير من الخلفاء والولاة إلى هذه النصائح وتقبلوها وأمروا بتنفيذ مقتضاها، كالمسارعة في صرف العطاء، وإنصاف عدد من الأقاليم بعدم حرمانها من ثرواتها التي تجبى منها، والبعد عن مواطن الظلم، وكل ذلك يسهم في رضا الرعية عن قيادتها وحبها لها.

وبشكل خاص نجد أنه كان لنصائح العلماء وتوجيهاتهم أثر كبير في تحسين العلاقة بين أهالي الحجاز والخلافة الأموية، وتضييق الفجوة التي تركتها الحروب بين الشام والحجاز في أعقاب معارضة ابن الزبير وحصاره في مكة، وخروج أهل المدينة وقتالهم في موقعة الحرة، وقد خلفاء وولاة بني أمية يجدون في أنفسهم على أهل الحجاز من جراء ذلك، وأثر ذلك في معاملتهم لهم كمنعهم العطاء أو إنقاصه، والتقليل من شأنهم ومكانتهم في الدولة. إلا أنه كان لإلحاح العلماء في نصحهم لخلفاء بني أمية وولاتهم بأن يقدروا مكانة مكانة الحرمين ويعطفوا على أهله إذ فيهم أبناء المهاجرين والأنصار، كان لذلك الأثر الكبير في تضييق تلك الفجوة، وتغيير ذلك النوع من التعامل. فقلما سنحت فرصة لعالم من علماء الحجاز مع أحد خلفاء أو أمراء بني أمية إلا ونصحه في ذلك الأمر، فقد دخل جابر بن

عبدالله رضي الله عنه على عبدالملك فذكره بحق الحجاز وأهله [1] ، ومر معنا آنفا حث عطاء بن أبي رباح بعبدالملك وابنه هشام بحسن معاملة أهل الحرمين، وقد كان عبدالملك يهم بأمر سوء لأهل المدينة فيمنعه من ذلك تقديره لعلمائها كأبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث وأمثاله. [2]

هذا وفي بذل العلماء لتلك النصائح والتوجيهات وقبول خلفاء وولاة بني أمية لها بصدر رحب في ذلك مثال حي وتطبيق رائد لما تتميز به الشريعة الإسلامية، وتتضمنه تعاليم الإسلام من حث على أداء النصح لأئمة المسلمين، والتعاون معهم على البر والتقوى.

كما يعكس ذلك أيضا مدى حرص خلفاء وولاة بني أمية أو كثير منهم على استشارة العلماء ومقدار الحرية التي يسمحون بها في الاستماع إلى نقدهم وذكر الملحوظات على بعض سياستهم ولكن بحضورهم وعلى مسمع منهم.

ولعلهم في نهاية هذا المبحث وبعد استعراض عدد من نصائح العلماء وتوجيهاتهم لعله اتضح لنا ما لهذا النوع من العلاقة بين العلماء والخلفاء والولاة من أثر سياسي مهم لا يقل عن أثر مشاركة العلماء وتعاونهم في إدارة شئون الدولة، ويظهر هذا الأمر في أمرين:

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٣١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٠٩.

أولهما: ما قدمه العلماء من نماذج رائدة في طريقة تقديمهم النصيحة للخلفاء والولاة وبذلها لهم بأساليب متنوعة، وآداب نيرة كانت أدعى لقبولها، وأحرى بتحقيق الهدف المنشود منها وقد مر معنا بيان ذلك.

ثانيهما: ما اتخذه الخلفاء والولاة من قرارات وأوامر استجابة منهم لنصائح العلماء وتوجيهاتهم، وبالتالي يكون أصحاب هذا النوع من العلاقة من العلماء قد أسهموا بشكل إيجابي في توجيه بعض المناحي في الحياة السياسية في الدولة الأموية.

****

المبحث الرابع: نماذج من العلماء الذين آثروا اعتزال الخلفاء والولاة ومنهجهم في النصح للأمة.

عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

جمع عبدالله بن عمر رضي الله عنه عددا من الصفات والآداب التي جعلته يتبوأ مكانة رفيعة بين الناس ـ عامتهم وخاصتهم ـ فهو أحد صحابة رسول الله ﷺ الملازمين له والمكثرين من الرواية عنه [1] ومن أشد الناس تتبعا لآثاره وملازمة لسنته، فعن أبي جعفر محمد بن علي قال: لم يكن من أصحاب رسول الله أحد أحذر إذا سمع من رسول الله ﷺ شيئا ألا يزيد ولا ينقص منه من عبدالله بن عمر. وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منازله كما كان يتبعه ابن عمر. [2] وقد أورثه ذلك علما غزيرا، كما ورث من والده أصالة المعدن ونبل التربية،

---

(١) روى ابن عمر (٢٦٣٠) حديثا عن رسول الله ﷺ (انظر: محمد عجاج الخطيب: السنة ومكانتها قبل التدوين، مكتبة وهبة، مصر، ص: ٤٧١. محيي الدين مستو: عبدالله بن عمر، ط٤، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ، ص: ١٤٣).

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٤٤، ١٤٥.

فقد كان أشبه بني عمر بأبيه.[1] وجمع مع ذلك الورع والزهد عن ما في أيدي الناس والبعد عن ما يتنافسونه من مناصب الدنيا وزخرفها، فقد عرضت عليه المناصب عدة مرات كان يرفضها ويفر منها. وهذا ما جعله محل رضا لجميع فئات الناس، وقت الأمن والسلم، ووقت الفرقة والشتات، فبعد استشهاد عثمان بن عفان ﷺ وحين أطلت الفتنة الأولى بفرقتها على واقع الأمة عرض عليه الثوار الخلافة بعد رفض كبار الصحابة لها لإدراكهم لمكانته، فقد قالوا له إنك سيد الناس وابن سيد فاخرج نبايع لك الناس. فرفضها رفضا قاطعا على الرغم من تهديدهم له بالقتل.[2]

وقد أدرك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ مكانة ابن عمر تلك، فحين رام عزل معاوية عن الشام رأى أنه لا يصلح للشام بعد معاوية إلا رجل قدير محبوب مرضي للجميع، فروى الذهبي بسند رجاله ثقات[3] عن ابن عمر قال: بعث إلي علي، فقال: يا أبا عبدالرحمن! إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم. فقلت: أذكرك الله، وقرابتي من رسول الله ﷺ وصحبتي إياه إلا ما أعفيتني، فأبى علي. فاستعنت عليه

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٤٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٥١، الأصفهاني: حلية الأولياء: ١/ ٢٩٣.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٢٤.

بحفصة، فأبى. فخرجت ليلا إلى مكة، فقيل له: إنه قد خرج إلى الشام. فبعث في أثري، فجعل الرجل يأتي المربد، فيخطم بعيره بعمامته ليدركني. قال: فأرسلت حفصة: إنه لم يخرج إلى الشام، إنما خرج إلى مكة. فسكن.

ولما استمر الخلاف بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وانتهى أمرهما على التحكيم اقترح أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وهو أحد الحكمين عبدالله بن عمر للخلافة حين قال: لا أرى لهذا الأمر غير عبدالله بن عمر. [1] وقد علق الإمام الذهبي على ذلك بقوله: كادت أن تنعقد البيعة له يومئذ، مع وجود مثل الإمام علي وسعد بن أبي وقاص، ولو بويع ما اختلف عليه اثنان، ولكن الله حماه وخار له. [2]

وفي الفتنة الثانية بعد مقتل يزيد بن معاوية ازداد تعلق الناس بابن عمر وتوجهت له أنظارهم طمعا في أن يتولى قيادة الأمة ويسير بها إلى شاطئ الأمن والسلام، وبقدر ازدياد تعلقهم به كان فراره أشد مما يريدون له. فورد أن مروان بن الحكم بعد تنازل معاوية بن يزيد بن معاوية قال لابن عمر: هلم يدك نبايع لك فإنك سيد العرب وابن سيدها، قال له ابن عمر: كيف أصنع بأهل المشرق؟ قال تضربهم حتى يبايعوا، قال: ما أحب

(١) الأصفهاني: حلية الأولياء: ١/ ٢٩٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٢٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٢٧.

أنها دانت لي سبعين سنة وأنه قتل في سببي رجل واحد. [1] وفي رواية أنه قيل لابن عمر: لو أقمت للناس أمرهم فإن الناس قد رضوا بك كلهم، فقال لهم: أرأيتم إن خالف رجل بالمشرق؟ قالوا: لئن خالف رجل قتل، وما قتل رجل في صلاح الأمة؟ فقال: والله ما أحب لو أن أمة محمد ﷺ، أخذت بقائمة رمح وأخذت بزجه فقتل رجل من المسلمين ولي الدنيا وما فيها. [2]

ولم يكن تهرب ابن عمر عن ولاية أمر الأمة بسبب عدم اهتمامه بمصلحة الأمة كما يفهمه بعض الناس، أو بسبب عجزه عن القيام بذلك وعدم قدرته على الاضطلاع بمهام الولاية، بل يرجع السبب في نظري إلى أمرين كما يبدو ذلك من مواقف ابن عمر وأقواله، وأولهما: شدة ورعه وخوفه من الله خوفا جعله يتهيب مفاتن الدنيا والمنافسة على متاعها، فقد ورد أنه كان يقول في بعض دعائه: (اللهم إنك تعلم لولا مخافتك لزاحمنا قومنا قريشا في أمر هذه الدنيا.) [3] ويدرك من حول ابن عمر قدرته على تحمل المسؤولية وأهليته لذلك، كيف لا وهو ابن الفاروق، فعن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قيل له: كيف ترى عبدالله بن عمر لو ولي من أمر الناس

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٦٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢١٦، ٢٢٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٥١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٦٧.

شيئا؟ فقال أسلم: ما رجل قاصد لباب المسجد داخل أو خارج بأقصد من عبدالله لعمل أبيه. [1] والسبب الثاني وهو منبثق من الأول اشتراطه للولاية الإجماع التام وعدم مظنة وجود مخالف لذلك يضطره لإراقة الدم، وهذا واضح من ردوده السالفة الذكر على كل من عرض عليه الولاية، وقد أتاه رجل يلومه على امتناعه عن تولي أمر الأمة وتشدده في ذلك، حيث قال له : ما أحد شر لأمة محمد منكم. فقال ابن عمر: لم؟ فوالله ما سفكت دماءهم ولا فرقت جماعتهم ولا شققت عصاهم، قال: إنك لو شئت ما اختلف فيك اثنان، قال: ما أحب أنها أتتني ورجل يقول لا وآخر يقول بلا. [2]

ومن كل ما سبق يتضح لنا مدى رغبة ابن عمر في اعتزال المناصب وزهده فيها صغرت أو كبرت، كما يوضح مدى ما يحظى به من قبول ورضا من عامة الناس وخاصتهم، إلا أن ذلك من جانب آخر عرضه لغبطة وحسد أرباب المناصب والساعين للزعامة، حيث ظن بعض هؤلاء أن وجود ابن عمر يلفت أنظار الناس عنهم ويقلل من شأنهم. لذا تعرض ابن عمر لأنواع من الابتلاءات من قبل هؤلاء، إما بالإغراء والترغيب أو

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٥٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٥١، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٢٧.

بالإيذاء والترهيب، وقد وقف من ذلك مواقف متعلقة تنم عن بعد نظره وسعة حلمه.

فحين حل وقت اجتماع الحكمين للنظر في أمر النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهم حرص معاوية على الحضور والتعرف على تطورات الوضع وسبر مواقف الناس منه، وكان حرصه على معرفة ما يدور في نفس ابن عمر أكثر، لما يتمتع به من مكانة كبيرة ولا سيما أن عليا كان قد رشحه لولاية الشام حين أراد علي عزل معاوية، فروى ابن سعد بسند صحيح [(١)] عن ميمون بن مهران قال: دس معاوية عمرو بن العاص، وهو يريد أن يعلم ما في نفس ابن عمر يريد القتال أم لا، فقال: يا أبا عبدالرحمن ما يمنعك أن تخرج فنبايعك وأنت صاحب رسول الله ﷺ، وابن أمير المؤمنين وأنت أحق الناس بهذا الأمر؟ قال: وقد اجتمع الناس كلهم على ما تقول؟ قال: نعم إلا نفر يسير، قال: لو لم يبق إلا ثلاثة أعلاج بهجر لم يكن لي فيها حاجة. قال فعلم أنه لا يريد القتال، قال: هل لك أن تبايع لمن قد كاد الناس أن يجتمعوا عليه ويكتب لك من الأرضين ومن الأموال ما لا تحتاج أنت ولا ولدك إلى ما بعده؟ فقال: أف لك اخرج من عندي، ثم لا

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٦٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٢٨.

تدخل علي، ويحك إن ديني ليس بديناركم ولا درهمكم وإني أرجو أن أخرج من الدنيا ويدي بيضاء نقية.

وبعد اجتماع الحكمين اقترح أبو موسى الأشعري ابن عمر ليلي الأمر كما سلف، فلعل ذلك حرك الغيرة في نفس معاوية ﵁ على ابن عمر، وهذا ما يفسر بعض المواقف التي اتخذها معاوية منه، فبعد تفرق الحكمين خطب معاوية فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به منه ومن أبيه [(١)] قال حبيب بن مسلمة لابن عمر فهلا أجبته قال عبدالله فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق به بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك فذكرت ما أعد الله في الجنان، قال حبيب حفظت وعصمت. [(٢)]

وفي موقف آخر أورده ابن سعد والذهبي بسند صحيح عن نافع قال لما قدم معاوية المدينة حلف على منبر رسول الله ﷺ ليقتلن ابن عمر، يعني

(١) ورد عند الذهبي هنا قوله يعرض بابن عمر. وكذا في المصنف لعبد الرزاق.

(٢) انظر صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب غزوة الخندق. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٨٢. عبدالرزاق: المصنف ٥/ ٤٦٥. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٥٨، ٥٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٢٦..

وكان ابن عمر بمكة [1] فجاء عبدالله بن صفوان، فدخلا بيتا، وكنت على الباب، فجعل ابن صفوان يقول: أفتتركه حتى يقتلك؟! والله لو لم يكن إلا أنا وأهل بيتي لقاتلته دونك، فقال: ألا أصير في حرم الله؟ وسمعت نحيبه تلك الليلة مرتين [2] فلما دنا معاوية تلقاه الناس وتلقاه عبدالله بن صفوان فقال: إيها، جئت لتقتل ابن عمر قال والله لا أقتله، وفي رواية قال: ومن يقول هذا ومن يقول هذا ومن يقول هذا؟ ثلاثا. [3]

ومع صحة سند هذه الرواية وتوثيق رواتها إلا أن الأمر يحتاج إلى شيء من التدبر والتحقق، فمعاوية لا شك يدرك منزلة ابن عمر ويعترف بتقدمه عليه في الفضل والسابقة، فذكر ابن كثير أن معاوية خطب وقال: يا أيها الناس ما أنا بخيركم وإن منكم لمن هو خير مني، عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم في عدوكم، وأدركم حلبا. [4] ومن المشهور عن معاوية الحلم واللين ورحابة الصدر في تعامله مع رعيته [5] ، وهو يدرك أن ابن

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: والله لا يبايعن أو لأقتلنه. ص: ٢١٤. وذلك حين ولى العهد لابنه يزيد.

(٢) هذا نص ما ورد عند الذهبي وعند ابن سعد أفلا أصبر في حرم الله؟ قال: وسمعت نحيه تلك الليلة. ولعل في ذلك تصحيف.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٨٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٢٥.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٣١.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٣٥، ١٣٦.

عمر من أبعد الناس عن المنافسة أو شق عصا الطاعة، لذا ترد عدة تساؤلات حول خبر حلف معاوية ليقتلن ابن عمر، فهل أراد معاوية في أول لقاء له بأهل الحجاز أن يظهر الحزم فهدد بالقتل من تسول له نفسه المنازعة والعودة بالأمة إلى الفتنة كائن من كان، دون أن يصرح بذكر شخص بعينه فحمل على أن هذا التهديد موجه لابن عمر فنقل الخبر إلى مكة على أن معاوية هدد ابن عمر بالقتل، أو أن معاوية ذكر اسم ابن عمر كمثل للتأكيد على أنه سيقتل من لا يرضخ لولايته ويفرق الكلمة كائن من كان ولو كان ابن عمر، فحمل ذلك على أنه تهديد منه بقتل ابن عمر، فلما قدم مكة وذكر له ذلك أنكره، أو أن معاوية يرمي بهذا التهديد ـ على القول بثبوت تصريحه بقتل ابن عمر ـ أمورا أخرى ليس المقصود منها ابن عمر، وكما أنه ليس من المستبعد أن يكون جاء هذا التهديد نتيجة نقول خاطئة عن الوضع في الحجاز لمعاوية.

وللسبب نفسه لقي ابن عمر بعض الإيذاء والمضايقات من الحجاج فقد ورد أن الحجاج كتب إلى عبدالله بن عمر: بلغني أنك طلبت الخلافة، وإن الخلافة لا تصلح لعيي ولا بخيل ولا غيور. فكتب إليه ابن عمر: أما ما ذكرت من أمرر الخلافة أني طلبتها فما طلبتها وما هي من بالي، وأما ما ذكرت من العي والبخل والغيرة، فإن من جمع كتاب الله عز وجل فليس بعيي ، ومن أدى زكاة فليس ببخيل، وأما ما ذكرت من الغيرة فإن أحق ما

غرت فيه ولدي أن يشركني فيه غيري. [1] وكان يقول الحجاج متهكما بابن عمر: إن هذا يزعم أنه يريد أن نأخذ بالعهد الأول. وفي رواية إن هذا يقول إني على الضرب الأول. [2]

ولذلك السبب نفسه حاول بعض الولاة التقرب إليه بالمال لكسب جانبه وكسب رضا الناس بالتقرب إليه وإحسان معاملته، فورد أن المختار بن أبي عبيد الثقفي كان بعث بمال إليه فقبله. [3] كما ورد أن عبدالعزيز بن مروان بعث إلى ابن عمر بمال في الفتنة فقبله. [4] ولكن قبوله المال من هؤلاء لم يكن ليؤثر على مواقفه وعزلته، فقد بعث له معاوية بمائة ألف درهم وأخذها، فلما دعا معاوية إلى بيعة ابنه يزيد قال ابن عمر: أترون هذا أراد. إن ديني إذا عندي لرخيص. [5]

---

(١) الأصفهاني: حلية الأولياء: ١/ ٢٩٣، ابن الجوزي: صفة الصفوة: ١/ ٢٣٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء:٣/ ٢١٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٨٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٥٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٢٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٥٧.

(٥) المصدر السابق: ١٨٢، الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٩٢.

منهج ابن عمر في الفتن.

ومع أن ابن عمر اختار لنفسه العزلة، واثر البعد عن المناصب، وأبى مداخلة الخلفاء والولاة إلا أنه مع ذلك لم يكن بمنأى عن الأحداث السياسية من حوله، بل كانت له نظراته وتحليلاته لتلك الأحداث والتي تنم عن بعد نظره وثاقب فكره ورسوخ ثوابته، وتميز ابن عمر بمواقفه في الفتن تميزا واضحا، فقد عايش عددا من الفتن التي ابتليت بها الأمة الإسلامية آنذاك، وقد كشفت تلك الفتن عن صحة مواقف ابن عمر وسلامة نظراته السياسية ما جعلته بحق مدرسة مليئة بالدروس المفيدة والآداب الجمة التي اهتدى بها كثير من الناس في عصره، وأصبحت بعده معلما يقتدي به من بعده، كما قال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: (يقتدي بعمر في الجماعة وبابنه في الفرقة). [١]

ومن خلال سبر مواقف ابن عمر وتعامله مع أحداث الفتن نجد أن من أبرز ما يميز منهجه في ذلك ما يلي:

١ـ تجنب القتال والحرص على حقن دماء المسلمين.

كان ابن عمر ﷺ يحرص أشد الحرص على تجنب إراقة دماء المسلمين، ولم يكن يقبل أي مسوغ للجوء إلى القتال بين المسلمين، أو اتخاذه

(١) محيي الدين مستو: عبدالله بن عمر: ٢١٢.

وسيلة لحل خلافاتهم، لذا فإنه عندما تطور الخلاف بين بعض فئات المسلمين في الفتنة الأولى بعد استشهاد عثمان بن عفان ﷺ إلى القتال كان ابن عمر ممن اعتزل القتال ولم يشارك في شيء منه، بل كان ينهى عن بيع السلاح لأن في ذلك تأجيجا لنار القتال ودفعا لاستمرارها. (١) ولما تجددت الفتنة مرة أخرى بوفاة معاوية واستمرت حتى اجتمع الأمر لعبدالملك بن مروان بعد مقتل عبدالله بن الزبير ﷺ نجد أن موقف ابن عمر ثابت لا يتغير فقد كره القتال في هذه الفتنة الجديدة ورفض الانحياز إلى أي طرف من الأطراف المتقاتلة، ورفض كل المحاولات الرامية إلى جره للقتال، وكان يرد على كل من اتهمه بالسلبية في نصرة الحق بأن القتال الحق لا بد أنه يوجه إلى ميادينه ويحصر في مهمته السامية، وذلك بإعلاء كلمة الله ونصرة دينه بقتال الكفار وجهادهم لنشر الإسلام وإماتة الكفر. وهذا ما يفسر سرعة استجابته للمشاركة في جهاد أعداء الإسلام وكفه عن قتال المسلمين، فقد كان من السابقين للمشاركة في الجيش الذي وجهه معاوية لغزو القسطنطينية سنة تسع وأربعين للهجرة. (٢) وقد وردت عدة روايات توضح موقف ابن عمر ﷺ من ذلك القتال الدائر في الفتنة الأولى والثانية،

---

(١) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة، تحقيق محمد رشاد سالم، ط: الأولى، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ: ٤/ ٣٩٢، ٣٩٣. مستو: عبدالله بن عمر: ٨٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٢٣٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٣٢.

فعن القاسم بن عبدالرحمن قال: قالوا لابن عمر في الفتنة الأولى ألا تخرج فتقاتل؟ فقال: قد قاتلت والأنصاب بين الركن والباب حتى نفاها الله عز وجل من أرض العرب، فأنا أكره أن أقاتل من يقول لا إله إلا الله. قالوا والله ما رأيك ذلك؛ ولكنك أردت أن يفني أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم بعضا، حتى إذا لم يبق غيرك قيل: بايعوا لعبدالله بن عمر بإمارة المؤمنين. قال: والله ما ذلك في، ولكن إذا قلتم حي على الفلاح أجبتكم، وإذا افترقتم لم أجامعكم، وإذا اجتمعتم لم أفارقكم. [(١)] وجاءه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس قد صنعوا ما ترى، وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي. قالا: ألم يقل الله:﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ ﴾ [(٢)] فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله، فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال فما قولك في علي وعثمان قال ابن عمر: ما قلي في علي وعثمان! لأما عثمان فكان

(١) الأصفهاني: حلية الأولياء: ١/ ٢٩٤.

(٢) وردت في سورة البقرة اية: ١٩٣ وهي بتمامها: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ كما وردت في سورة الأنفال: اية: ٣٩ وهي بتمامها ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

الله قد عفا عنه فكرهتم أن تعفوا عنه، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأشار بيده وهذه ابنته أو بنته [1] حيث ترون. [2]

ولم يكتف ابن عمر رضي الله عنه بالحرص على كف نفسه و تجنيبها إراقة دماء المسلمين ، بل سلك بعض السبل التي تؤدي إلى تجنب المسلمين إراقة الدماء فيما بينهم ، من ذلك محاولته الجادة ـ خلال الخلاف بين ابن الزبير وعبد الملك بن مروان ـ لإنهاء القتال بينهما حقنا لدماء المسلمين. فروى المدائني : أن عبدالله بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان يأمره بتقوى الله وأن يكف نفسه ، فكتب إليه عبد الملك أنه سيخرج نفسه ويجعل الأمر شورى ، فلما كتب ابن عمر إلى ابن الزبير بذلك لم يلتفت إليه. [3]

(١) في رواية أخرى: هذه بيته حيث ترون. ولعل هذا هو الأقرب لأن فاطمة وقت قول ابن عمر هذا قد توفيت. فيكون حدث تصحيف في هذه الرواية، واللفظتان ـ بيته وبنته ـ متقاربتان مما يجعل التصحيف وارد بشكل كبير.

(٢) صحيح البخاري: ٥/ ٢٠٠، تفسير سورة الأنفال باب: ٤.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف:٥/ ١٩٥. الخراشي: عبدالله ابن الزبير والأمويون ،بحث مكمل لمتطلبات رسالة الماجستير ،كلية الاداب ، جامعة الملك سعود ،١٤٠٨هـ ، بحث غير منشور: ١٧١.

٢- الحث على السمع والطاعة للإمام القائم ونهيه عن إثارة الفتنة وتفريق الكلمة.

يلحظ في منهج ابن عمر بشكل واضح حرصه الشديد على جمع كلمة المسلمين على إمامهم، ونهيه عن إثارة الفتنة، وتصديه للدعوات التي تؤدي إلى تصدع جدار العلاقة بين الراعي والرعية، وتفرق صفوف الأمة وتذهب ريحها، ففي أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه تصدى لشائعات أهل الفتنة والداعين إلى الثورة على عثمان رضي الله عنه فعنه قال: جاءني رجل في خلافة عثمان فإذا هو يأمرني أن أعتب على عثمان، فلما قضى كلامه قلت له: إنا كنا نقول و رسول الله ﷺ حي: أفضل أمة محمد بعده: أبو بكر وعمر ثم عثمان، وإنا والله ما نعلم عثمان قتل نفسا بغير حق، ولا جاء من الكبائر شيئا، ولكنه هذا المال، إن أعطاكموه رضيتم، وإن أعطاه قرابته سخطتم. إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم، لا يتركون أميرا إلا قتلوه، ففاضت عيناه بأربع من الدمع ثم قال: اللهم لا ترد ذلك. [1]

(١) الطبراني: المعجم الكبير: ١٢/ ٢٨٥. محيي الدين مستو: عبد الله بن عمر: ٨١، ٨٢.

وروى البخاري [1] عن ابن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا بن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، أما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه، و أما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان، فقال له ابن عمر اذهب بها الآن معك.

وروى سالم بن عبد الله بن عمر أن أباه قال: لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه. [2]

---

(١) الصحيح: ٤/ ٢٠٣، كتاب فضائل أصحاب النبي/ ٧.

(٢) ابن العربي: العواصم من القواصم: ١٠٤، ١٠٥. محيي الدين مستو: عبد الله بن عمر: ٨٣.

فانظر إلى أي مدى كان حرص عبد الله بن عمر رضي الله عنه في الدفاع عن عثمان والذب عن عرضه، والتصدي لما يثيره أهل الفتنة ضد عثمان بن عفان رضي الله عنه، لما كان يعلم من خطورة مثل هذا المنحى وما يؤدي إليه النيل من الخليفة والطعن فيه من فساد وفرقة، لذا فإن عثمان منحه ثقته فكان يستشيره إبان محنته مع الثوار، فحين دخل عليه ابن عمر قال له عثمان: انظر ما يقول هؤلاء. يقولون: اخلع نفسك أو نقتلك. قال له ابن عمر: أمخلد أنت في الدنيا؟ قال: لا. قال: هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا. قال: هل يملكون لك جنة أو نارا؟ قال: لا. قال: فلا تخلع قميص الله عليك فتكون سنة، كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه.[1]

وهذا الرأي من ابن عمر ينم عن بعد نظره وتقديره لعواقب الأمور، ومعرفته تلك جعلته ـ وهو الذي لا يرى حمل السلاح لقتال المسلمين في الفتن ـ جعلته يحمل السلاح للدفاع عن أمير المؤمنين والتصدي للثوار المحاصرين لعثمان في داره، فذكر ابن سعد[2] عن نافع أن ابن عمر لبس الدرع يوم الدار مرتين. ولما قتل عثمان رأى ابن عمر أن الأمة وقعت في محنة، وأن قتل الخليفة بهذه الصورة معصية شؤمها على الأمة خطير. لذا لما

(١) ابن العربي: العواصم من القواصم: ١٣٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ٤/١٥٦.

عـرض عليه الثوار الخلافة بعد مقتل عثمان قال: إن لهذا الأمر انتقاما و الله لا أتعرض له فالتمسوا غيري. (١)

ويسـتمر ابن عمر في عهد بني أمية سائرا على منهجه في النصح لولاة الأمـة، محذرا من الفرقة وشق العصا، فبعد أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد من بعـده وإجـباره لمعارضيه بالرضوخ للأمر. كان ابن عمر ممن قبل الأمر على كـره مـنه مـراعاة للمصلحة، فمما قاله لمعاوية : فإنه قد كانت قبلك خلفاء لهـم أبـناء لـيس ابنك خير من أبنائهم، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت أنت في ابـنك، ولكـنهم اخـتاروا للمسـلمين حيث علموا الخيار، وإنك تحذرني أن أشـق عصا المسلمين وأن أسعى في فساد ذات بينهم، ولم أكن لأفعل، إنما أنا رجـل مـن المسـلمين، فـإذا اجـتمعوا عـلى أمـر فإنمـا أنا رجل منهم. فقال معاويـة: يـرحمك الله. (٢) فلما توفي معاوية وأخذ يزيد البيعة لنفسه قال ابن عمر: إن كان خيرا رضينا وإن كان بلاء صبرنا. (١)

وحـين تمـت البيعة ليزيد بدا أن بعض الأقطار لم تكن راضية عن هذه البـيعة، وامتـنع بعـض الكارهين لولايته عن البيعة له، وأخذ بعضهم يسعى

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٤٣٢.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ٢١٣، ٢١٤. ابن كثير: البداية والنهاية ك ٨/ ٧٩.

لتغيير الوضع، وظهرت ملامح الثورة، وأخذ الحديث عن يزيد والتذمر من ولايته يظهر في بعض المجالس. وكان ابن عمر يرقب الوضع بحذر شديد، وكان يخشى أن تعود الفتنة للأمة من جديد، فحاول جهده أن يقنع الكارهين لولاية يزيد بمراعاة مصلحة الأمة وعدم إثارة الناس على يزيد، أو الخروج عليه. فعن حميد بن عبد الرحمن قال: دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حين استخلف يزيد بن معاوية فقال: أتقولون إن يزيد ليس بخير أمة محمد، لا أفقه فيها فقها و لا أعظمها فيها شرفا؟ قلنا نعم. قال: وأنا أقول ذلك، ولكن والله لئن تجتمع أمة محمد أحب إلي من أن تفترق، أرأيتم بابا لو دخل فيه أمة محمد وسعهم، أكان يعجز عن رجل واحد لو دخل فيه؟! قلنا: لا. قال: أرأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم لا أهريق دم أخي، ولا آخذ ماله، أكان هذا يسعهم؟ قلنا نعم. قال: فذلك ما أقول لكم. (٢) وقد ذكر بعض الكتاب أن هذا الرجل هو ابن

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٨٢، تاريخ خليفة بن خياط: ٢١٧.

(٢) خليفة بن خياط: المصدر السابق: ٢١٧. ابن العربي: العواصم من القواصم:٢٢٦.

عمـر.[(١)] وابن عمر حري بهذا الموقف، ويتفق مع منهجه ومواقفه. إلا أن ابن سعد[(٢)] ذكر بأن هذا الرجل هو "أسير" رجل من أصحاب رسول الله.

وكـان ابـن عمـر كثيرا ما يركز في نصائحه للعامة على لزوم الجماعة والإعـراض عن دماء المسلمين وأموالهم. فكتب له رجل: اكتب إلي بالعلم كلـه، فكتـب إلـيه: إن العـلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهـر مـن دمـاء الـناس، خميص الـبطن مـن أموالهـم، كافـا لسـانك عـن أعراضهم لازما لأمر جماعتهم فافعل، والسلام.[(٣)]

٣ـ استجابته لكـل مـن دعـاه إلى خـير وتعاونـه مـع أطراف الخلاف فيما يخدم المصلحة.

ومـمـا يمـيز مـنهج ابـن عمـر في الفتـنة والخـلاف، محاولة جمع الكلمة، والإصـلاح بـين الأطـراف المخـتلفة، ومده لجسور التعاون مع الجميع فيما يحقـق مصـلحة الأمـة، فكـان يحـاول الاتصـال بكل طرف من أجل نصحه وإقنـاعه بـرفع القـتال عـن الأمـة، فعـن جبير بن مطعم قال: قال ابن عمر

(١) ابن العربي: العواصم من القواصم: ٢٢٧. محيي الدين مستو: عبد الله بن عمر: ١٠١، ١٠٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٦٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: مخطوط: (من عبد الله بن عمران إلى عبد الله بن قيس): ١٢٥ أ. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٣/ ١٧٢.

كتبت إلى عبد الملك بن مروان، وكتبت إلى عبد الله بن الزبير، ولم يمنعني أن أكتب إلى مصعب بن الزبير إلا مخافة تزيد أهل العراق.[1] فلعل كتبه تلك كانت لحث كل من عبد الملك وابن الزبير على الصلح وعدم إراقة دماء المسلمين. ومما يؤكد ذلك أنه لما حانت له الفرصة بلقاء مصعب بن الزبير كلمه في ذلك، فورد أن مصعبا جاء إلى ابن عمر فسلم عليه فقال من أنت؟ قال: أنا ابن أخيك مصعب ابن الزبير. قال: صاحب العراق؟ قال: نعم. قال ابن عمر: أسألك عن قوم خالفوا وخلعوا الطاعة وقاتلوا، حتى إذا غلبوا دخلوا قصرا وتحصنوا فيه وسألوا الأمان على دمائهم فأعطوا، ثم قتلوا بعد ذلك. قال: وكم العدد؟ قال: خمسة آلاف. قال: فسبح، ثم قال: عمرك الله يا مصعب لو أن امرؤا أتى ماشية للزبير فذبح منها خمسة آلاف شاة في غداة، أكنت تعده مسرفا؟ قال: فسكت مصعب. فقال: أجبني قال: نعم، إني لأعد رجلا يذبح خمسة آلاف شاة في يوم مسرفا. قال: افتراه إسرافا في البهائم، لا تعبد الله ولا تدري ما الله، وقتلت من وحد الله؟ أما

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥٨. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤/ ٢٢٦.

كان فيهم مستكره يراجع به التوبة، أو جاهل ترجى رجعته؟ أصب يا ابن أخي من الماء البارد ما استطعت في دنياك. (١)

وورد أنه كان لا يأتي أميرا - في زمان الفتنة - إلا صلى خلفه وأدى إليه زكاة ماله. (٢) وقيل له أتصلي مع هؤلاء ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضا؟ فقال: من قال حي على الصلاة أجبته، ومن قال حي على الفلاح أجبته، ومن قال حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت لا. (٣) وهذه المواقف توضح حياد ابن عمر ﷺ من أطراف الخلافات التي قامت في عصره يتعاون مع من دعاه إلى خير، ويكف عن مواطن الشر والفرقة، وهذا ما جعله يتبوأ مكانة رفيعة في الأمة عند الخاصة والعامة، ولدى جميع أطراف الخلاف.

وعندما انكشفت تلك الفتن التي عاصرها ابن عمر اتضحت المواقف فندم من ندم، وتجلت الحقائق، فما زاد ذلك ابن عمر إلا قناعة بمنهجه، وثباتا عليه. فكان يقول: ما كنت بشيء بعد الإسلام أشد فرحا من أن قلبي

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف: ١٥/ ٨٥. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤/ ٣٢٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٤٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٧٠. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: مخطوط: (من عبد الله بن عمران إلى عبد الله بن قيس): ١٤٨ أ.

لم يشربه شيء من هذه الأهواء المختلفة. [1] وقال أيضا: إنما كان مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها فبين هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظلمة فأخذ بعضنا يمينا وبعضنا شمالا، فأخطأ الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك،حتى تجلى عنا ذلك، حتى أبصرنا الطريق الأول فعرفناه فأخذنا به، إنما هؤلاء فتيان قريش يتقاتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا، والله ما أبالي ألا يكون لي ما يقتل فيه بعضهم بعضا بنعلي. [2]

وبعد فرجل تلك مواقفه وآراؤه فإن في وجوده وأمثاله ـ ولا شك ـ أمان للأمة. أمان من الوقوع في الخلاف والفرقة، وأمان من التردي في هاوية التطاحن والاقتتال. ولقد صدق عبد الله بن محيريز ـ رحمه الله ـ حين قال عنه: " والله إن كنت أعد بقاء ابن عمر أمانا لأهل الأرض". [3]

ولذا استحق ابن عمر رضي الله عنه شهادة أهل العلم والتقى له بالثبات في الفتن ولزوم السنة النبوية لا يحيد عنها. فقالت فيه أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ " ما رأيت أحدا ألزم للأمر الأول من ابن عمر "[4]. وقال

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: مخطوط: (من عبد الله بن عمران إلى عبد الله بن قيس): ١٥٩.

(٢) المصدر السابق: ١٧١، ١٧٢. الأصفهاني: حلية الأولياء: ١/ ٣١٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٣٧.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٣١.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢١١.

عـنه موسى بن طلحة بن عبيد الله ﷺ والله إني لأحسبه على عهد رسول الله ﷺ الـذي عهـده إلـيه، لم يفتن بعده ولم يتغير، والله ما استغرقته قريش في فتنتها الأولى". [1]

الحسـن البصري رحمه الله:

يعـد الحسـن البصـري ـ رحمـه الله ـ واحدا من أولئك العلماء الذين اعـتزلوا القـرب مـن الـولاة والأمـراء، وابـتعدوا عن المناصب ورغبوا عن وجاهـتها، فقـد كـان يـنهى العـلماء عن طرق أبواب الأمراء والتزلف لهم، لأن في ذلـك إهانـة للعـلم وحطـا مـن قـدر العـلماء ومكانـتهم. [2] حتى منصـب القضـاء تهـرب مـنه وجهـد نفسـه في الـبعد مـنه، فذكـر ابـن الجـوزي[3]: أنـه لمـا ولـي ابن أرطأة البصرة [4] عزم على أن يولي الحسن القضـاء، فهـرب الحسـن واسـتتر وكتب إليه يتلطف في الاعتذار إليه ويلح عليه في إعفائه من القضاء حتى أعفاه.

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٤٦.

(٢) انظر: الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢ ١٥١،١٥٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء:٤/ ٥٨٦.

(٣) آداب الشيخ الحسن البصري: ١١٣.

(٤) هو عدي بن أرطاة الفزاري، تولى البصرة لعمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وبقي عليها حتى مات عمر فأقره يزيد بن عبد الملك وبقي على ولايتها حتى قتل سنة اثنتين ومائة للهجرة. (خليفة بن خياط: تاريخه: ٣٢٥،٣٢٢)

وبقي الحسن معتزلا القرب من الولاة بعيدا عن تولي مناصبهم حتى توفي - رحمه الله -. إلا أن ذلك لم يكن سببا في انزوائه عما يجري في عصره وقطره من أحدث سياسية، بل كان - رحمه الله - علما بارزا يهتدي الناس بتوجيهاته المفيدة وآرائه السديدة، لاسيما في أوقات الفتن وفترات الخلاف، لذا قال فيه الثقات: كان والله الحسن من رؤوس العلماء في الفتن والدماء والفروج [1]، فقد كان ينهج أسلوبا وسطا في التعامل مع الولاة والرعية إبان الفتن، فكان ينحى في نصحه للعامة إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف، حيث كان ينهى عن الإثارة والفرقة، ويدعو إلى السمع والطاعة للولاة، ويحذر من الدخول مع الأمراء في شقاق وخلاف يؤدي إلى حمل السلاح والخروج عليهم، ويلفت نظرهم إلى توثيق الصلة بالله واللجوء إليه في إزالة الظلم والجور الواقع من الولاة عليهم، وينهى الناس عن اتباع كل ناعق وثائر يريد أن يستغل عقول الناس ويستدر عواطفهم لتحقيق مصالحه الخاصة. وقد استفاضت الأخبار وتعددت المواقف التي تؤكد لزوم الحسن ذلك المسلك وثباته عليه. فقد دخل عليه رجل فقال: يا أبا سعيد إني أريد أن أسألك عن الولاة:فقال الحسن: سل عما بدا لك. فقال: ما تقول في أئمتنا هؤلاء؟ فسكت الحسن مليا ثم قال: وما عسى أن أقول فيهم، وهم

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٧٥. وفيه زيادة لفظة الفروج والمقصود بها الثغور.

يلـون مـن أمورنـا خمسـا: الجمعـة، والجماعـة، والفيء، والثغور، والحدود. والله مـا يسـتقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وإن ظلموا، والله لما يصلح الله بهـم أكـثر ممـا يفسـدون، والله إن طاعـتهم لغبطة، وإن فرقتهم لكفر. فقال الـرجل: يا أبا سعيد والله إني لذو مال كثير، وما يسرني أن يكون لي أمثاله وإني لم أسمع منك الذي سمعت فجزاك الله عن الدين وأهله خيرا. وحين سئل عن الحجاج قال: يتلو كتاب الله، ويعظ وعظ الأبرار، ويطعم الطعام، ويؤثـر الصـدق، ويـبطش بطـش الجـبارين. قـالوا فما ترى في القيام عليه؟ فقـال: اتقـوا الله، وتوبـوا إليه يكفكم جوره. [1] وكان إذا قيل له ألا تخرج فـتغير قـال: إن الله إنمـا يغـير بالـتوبة ولا يغـير بالسيف. [2] وقد عقد ابن الجـوزي فصـلا [3] وضـح فـيه معاملـة الحسـن للأمراء والولاة ومن ذلك موقفـه مـن جـور الولاة والخروج عليهم، وهو يدور على نهيه عن الخروج ويـرى أن جور الحكام بسبب ما يحدثه الناس من ذنوب ومعاصي، وإن من أهم أسباب دفع الجور والظلم هو الرجوع إلى الله.

كمـا كـان الحسـن يحـث الـناس عـلى تجنب الفتن والبعد عن أسباب إشـعالها، ولمـا كـان القتال وحمل السلاح السبب الأكبر والأخطر في إشعال

---

(١) ابن الجوزي: آداب الشيخ الحسن البصري: ١٢٠، ١٢١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧، ١٧٢.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق: ١١٩ ـ ١٢١.

الفتن واستمرارها، لذا كان الحسن ينهى العامة عن القتال وحمل السلاح حين تقبل الفتن، فأخبر سلم بن أبي الذيال قال: سأل رجل الحسن وهو يسمع وأناس من أهل الشام فقال: يا أبا سعيد ما تقول في الفتن مثل يزيد بن المهلب [1] وابن الأشعث؟ فقال: لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، فقال رجل من أهل الشام: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد؟ فغضب ثم قال بيده فخطر بها، ثم قال: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد، نعم، ولا مع أمير المؤمنين. [2]

وحين بلغ السخط على الحجاج أوجه وثار عليه الناس مع ابن الأشعث وكان من جملتهم عدد من العلماء لزم الحسن موقفه من الفتن فلم يخرج مع من خرج بل كان يكره ذلك وينهى الناس عنه. وكان أخوه سعيد

---

(١) هو يزيد بن القائد ـ المشهور بحرب الخوارج وقتالهم ـ المهلب بن أبي صفرة، وقد كان والده جعله واليا على خراسان بعده، سنة ثلاث وثمانين للهجرة، فعزله عبد الملك برأي الحجاج ومشورته، فأخذه الحجاج فعذبه وسجنه حتى تمكن من الهرب، فلما تولى سليمان بن عبد الملك ولاه على خراسان، فلما تولى عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ عزله بعدي بن أرطأة، فأوثقه عدي وبعث به إلى عمر فسجنه لتبذيره الأموال، ولكنه استطاع الهرب من السجن، فلما توفي عمر وتولى يزيد بن عبد الملك ثار عليه يزيد بن المهلب وتغلب على البصرة، فوجه له يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك فالتقوا، فقتل يزيد سنة اثنتين ومائة للهجرة وقد كان كريما مسرفا في إنفاق المال. (ابن قتيبة: المعارف:٤٠٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٠٣ ـ ٥٠٦)

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٤.

ممن يرى الخروج على الحجاج ويدعو له، فعن حماد بن زيد عن أبي التياح قال: شهدت الحسن وسعيد بن أبي الحسن [(١)] حين أقبل ابن الأشعث، فكان الحسن ينهى عن الخروج على الحجاج ويأمر بالكف، وكان سعيد بن أبي الحسن يحضض، فقال سعيد فيما يقول: ما ظنك بأهل الشام إذا لقيناهم غدا؟ فقلنا: والله ما خلعنا أمير المؤمنين ولا نريد خلعه ولكنا نقمنا عليه استعمال الحجاج فاعزله عنا. فلما فرغ سعيد من كلامه تكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إنه والله ما سلط الله عليكم الحجاج، إلا عقوبة فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ولكن عليكم السكينة والتضرع، وأما ما ذكرت من ظني بأهل الشام فإن ظني بهم أن لو جاؤوا فألقمهم الحجاج دنياه لم يحملهم على أمر إلا ركبوه، هذا ظني بهم. [(٢)]
وقدم عليه جماعة من العلماء يناقشونه في الخروج مع ابن الأشعث على الحجاج، ويحاولون إقناعه بالخروج، ولكنه رفض الخروج وقال: أرى أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما انتم برادي عقوبة الله بأسيافكم. ولكنهم لم يسمعوا كلامه ولم يأخذوا برأيه فخرجوا مع ابن الشعث فقتلوا جميعا. [(٣)]

---

(١) هو أخو الحسن البصري وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٤..

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٣، ١٦٤.

وفي عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك خرج يزيد بن المهلب بن أبي صفرة عليه، وكان ابن المهلب قبل ذلك أحد ولاة وقادة بني أمية، وأخذ يزيد بن المهلب يحاول كسب عواطف الناس بإظهاره عدم رضاه عن ظلم بني أمية ويعدهم بأن يسير فيهم سيرة عمر بن عبد العزيز إنهم ثاروا معه وناصروه، وقد كان للحسن موقف شجاع من هذه الثورة ينم عن سداد رأيه وبعد نظره، فكان ينهى الناس عن القتال مع ابن المهلب ويكشف لهم عن أهدافه ويسخر من ألاعيبه، فعن أبي بكر الهذلي أن يزيد بن المهلب قال: أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز، فخطب الحسن البصري وقال: اللهم اصرع يزيد بن المهلب صرعة تجعله نكالا، يا عجبا لفاسق غير برهة من دهره، ينتهك المحارم، يأكل معهم ما أكلوا، ويقتل من قتلوا ؛ حتى إذا منع شيئا، قال: إني غضبان فاغضبوا، فنصب قصبا عليه خرق، فاتبعه رجرجة [1] ورعاع، يقول أطلب بسنة عمر، إن من سنة عمر أن توضع رجلاه في القيد، ثم يوضع حيث وضعه عمر. [2] وهذه المواقف المشهورة عن الحسن التي توضح كرهه لأسلوب سب الولاة في عهده أو الخروج عليهم أو إثارة الناس ضدهم، كل هذا يرد على دعاوى بعض الكتاب ـ لاسيما المعتزلة منهم والذين يرمون الحسن بتهم التأليب على

(١) الرجاج: مهازيل الغنم، وضعفاء الناس والإبل. (القاموس المحيط: مادة: رج)

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٠٦.

الحكم الأموي والتهجم على ولاتهم، فمما قاله أحد معتزلة هذا العصر[1]: "والحسن البصري... كثيرا ما صرح بالهجوم على بني أمية وعمالهم..

هذا أسلوب الحسن فيما يخص تعامله مع العامة أما في جانب تعامله مع الولاة والحكام فقد كان رحمه الله ينطلق من منطلق وجوب النصح لهم ببذل النصيحة بصدق وأمانة، دون مجاملة أو مداهنة، خاصة إذا طلبت منه، لأنه يرى أن من أهم واجبات العلماء أداء الأمانة المنوطة بهم حيث هم ورثة الأنبياء، وقد سبقت الإشارة إلى موقفه مع عمر بن هبيرة [2] وفي ختام رسالته لعمر بن عبد العزيز - رحمه الله - التي وضح فيها - بطلب من عمر - صفة الإمام العادل في ختامها قال: ولولا أن الله افترض نصيحتك لكنت - لما منحك الله من هداية، ورزقك من توفيق وتسديد - في غنى عن موعظتك، ولكن الله جل ثناؤه أخذ ميثاقه على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. [3]

وهو عندما ينهى العامة عن الخروج على الولاة ويدعوهم إلى عدم شغل أنفسهم بسبهم لم يكن بذلك يدعو إلى مداهنة الولاة والسكوت على

---

(١) هو: محمد عمارة في كتابه: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ص: ١٩٦.

(٢) انظر ص:٢٧٧.

(٣) ابن الجوزي: آداب الحسن البصري: ١١٨.

منكراتهم، بل كان الناس من حوله يدركون عدم رضاه عما يحدث من تجاوزات بعض الولاة ويعلمون سخطه على ذلك، إما من خلال أقواله أو من بعض أعماله، فعندما أفتى رجلا بعدم جواز الخروج على الحجاج قال له الرجل: لقد كنت أعرفك سيء القول في الحجاج، غير راض عن سيرته. فقال الحسن: وأيم الله إني اليوم لأسوأ فيه رأيا، وأكثر عتبا، وأشد ذما. ولكن لتعلم عافاك الله أن جور الملوك نقمة من نقم الله تعالى، ونقم الله لا تلاقى بالسيوف، وإنما تتقى و تستدفع بالدعاء والتوبة والإنابة والإقلاع عن الذنوب. [1] ولما توفي الحجاج وجاء خبر وفاته الحسن سجد وقال: اللهم عقيرك وأنت قتلته فاقطع عنا سنته وأرحنا من سنته وأعماله الخبيثة.[2] وكان يوضح للناس حقيقة ما يعيشه بعض الولاة من تقلبه في عيش الفتنة بزخرف الحياة الفانية حتى لا يغتر بهم الناس فكان يقول: هؤلاء - يعني الملوك - وإن رقصت بهم الهماليج [3] ووطئ الناس أعقابهم. فإن ذل المعصية في قلوبهم، إلا أن الحق ألزمنا طاعتهم، ومنعنا الخروج عليهم، وأمرنا أن نستدفع بالتوبة والدعاء مضرتهم، فمن أراد به خيرا لزم ذلك، وعمل به، ولم يخالفه. [4]

---

(١) المصدر السابق: ١١٩.

(٢) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٥٩.

(٣) الهماليج: من البراذين، والكلمة فارسية معربة. (الفيروزآبادي: القاموس المحيط: مادة هملج)

(٤) ابن الجوزي: آداب الحسن البصري: ١٢١.

فالحسن إذا يرى أن على العلماء تسكين العامة وحثهم على السمع والطاعة لولاتهم والبعد عن الفتن، كما يرى وجوب بذل النصيحة للولاة والحكام، وتوجيههم نحو الأقوم، ماداموا يقبلون ذلك، أما إذا اشتهر عن بعضهم البطش والتجبر، وعدم قبول النصيحة وخشي منه الضرر، فمثل هذا يستدفع ضرره بالدعاء واللجوء إلى الله لكف شره عن الإسلام والمسلمين، فقد قيل للحسن ألا تدخل على الأمراء فتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر؟ قال: ليس للمؤمن أن يذل نفسه، إن سيوفهم لتسبق ألسنتنا، إذا تكلمنا قالوا بسيوفهم هكذا، ووصف بيده ذلك. (١) فمنهج الحسن بهذا منهج وسط معتدل، فهو مع نهيه عن الخروج على الولاة، وكرهه للمواجهة معهم لما يترتب على ذلك من مفاسد عظيمة، إلا أن ذلك لا يفهم منه تبريره لأخطاء الولاة أو عدم إنكارها. ولا شك أن هذا الأسلوب يحفظ للأمة أمنها وللشريعة هيبتها. لذا حري بأمة تسلك هذا المسلك أن لا تضل. وقد أحسن مسلمة بن عبد الملك القول عندما قدم البصرة فسأل عن الحسن فذكروا له أوصافه فقال: كيف يضل قوم هذا فيهم؟. (٢)

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٧٦.

(٢) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٤٧، ١٤٨.

وفيما سبق من بيان منهج الحسن البصري المتزن، الذي لا يرى فيه الخروج على السلطان، ويأبى فيه استخدام القوة لإنكار المنكر، في هذا رد على من يصنف الحسن البصري ـ رحمه الله ـ عكس اتجاه هذا المنهج الذي ارتضاه لنفسه، كالذين يتهمونه بالقدر ويحشرونه زورا مع القدرية والمعتزلة في محاربة الدولة الأموية [١] وهو ـ كما يدل منهجه ـ براء من كل ذلك.

****

(١) مثل محمد عمارة المعتزلي في كتابه: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ط: الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٧٢م: ٢٥.



الفصل الرابع: الخلاف بين العلماء والخلفاء والولاة في الدولة الأموية وآداب العلماء وأساليبهم في ذلك.

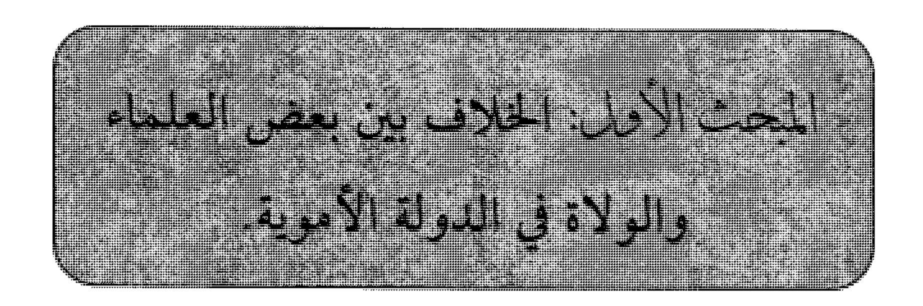
المبحث الأول:

* الخلاف بين بعض العلماء والخلفاء في الدولة الأموية.

المبحث الثاني:

* موقف العلماء من جور الولاة في الدولة الأموية.





تمهيد:

قبل البدء في بيان علاقة الخلاف بين العلماء والخلفاء في الدولة الأموية في هذا الفصل يجدر التقديم بتمهيد يشتمل على تنبيهين تمهد للموضوع وتكون مدخلا له:

التنبيه الأول: يتضمن الإشارة إلى ما رسخ في أذهان كثير من الكتاب والقراء، حول سعة الفجوة في التعامل بين العلماء والحكام في التاريخ الإسلامي بوجه عام وفي التاريخ الأموي بوجه خاص، وذلك من خلال إبراز مظاهر الخلاف التي حدثت بين بعض العلماء والخلفاء في الدولة الأموية، وتضخيم تلك المظاهر وتعميمها لتطغى على مظاهر العلاقات الأخرى بين جمهور العلماء والخلفاء وولاتهم.

وحين نتتبع الأسباب التي أدت إلى ترسيخ ذلك التصور نجد أن لكثير من الكتابات الشيعية أثرا في ترسيخ ذلك المفهوم لإظهار الحكم الأموي أمام المسلمين بأنه حكم مرفوض من قبل المسلمين لاسيما العلماء منهم.

ويتضح ذلك عند التدقيق في روايات وكتب أصحاب الميول والنزعة الشيعية، فمن قبيل الروايات يظهر ذلك في مرويات أبي مخنف [1] عن الدولة الأموية من خلال كتاب تاريخ الطبري، حيث يلحظ تركيزه في حديثه عن تاريخ بني أمية على جانب الثورات وحركات الخروج عليهم، وإهماله الحديث عن الجوانب الأخرى في تاريخهم ومنها حسن العلاقة والتعاون بينهم والعلماء، حتى ليبدو للمطلع على تلك الروايات بمجموعها أن تاريخ بني أمية مجرد تاريخ ثورات عليهم، ليوحي بذلك إلى عدم رضا جمهور المسلمين عن الحكم الأموي.

ففي عهد معاوية ورد لأبي مخنف في تاريخ الطبري إحدى وأربعون رواية، منها سبع عشرة رواية في حركة حجر بن عدي، وتسع عشرة رواية في الخوارج.

وفي عهد يزيد بن معاوية ورد له ثمان عشرة ومائة رواية، منها ثلاث ومائة رواية في مراسلة أهل الكوفة للحسين وخروجه إليهم ومقتله، وعشر روايات عن خروج أهل المدينة.

---

(١) أبو مخنف هو لوط بن يحيى الكوفي، أحد الرواة الإخباريين الشيعة. أجمع أرباب التصانيف في كتب الرجال من أهل الجرح والتعديل على تضعيفه واتهامه بالكذب وسوء المعتقد، وللاطلاع على كلام أهل الجرح والتعديل فيه انظر كتاب: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ليحيى بن إبراهيم اليحيى، ط: الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ ص: ٤٣ ـ ٤٦.

وفي خلافة عبد الملك بن مروان وبعد مقتل ابن الزبير ورد له سبع ومائة رواية منها حوالي خمس وأربعين رواية في حركة الخوارج، ومنها تسع عشرة رواية في حركة المطرف بن المغيرة بن شعبة و خروجه على عبد الملك والحجاج، ومنها ثلاثون رواية في حركة ابن الأشعث.

وفي عهد الوليد ليس له إلا روايتان، فهل عز عليه ذكر الفتوحات والإصلاحات في عهد الوليد ؟

وفي عهد سليمان لم يرد له سوى تسع روايات ليس منها ذكر لمكانة رجاء بن حيوة وأثره في الإشارة على سليمان باستخلاف عمر.

وأغرب من ذلك كله لم يرد له في عهد عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ سوى ثلاث روايات،

وفي عهد هشام ليس له سوى ثلاث روايات كلها في حركة زيد بن علي بن الحسين وخروجه على هشام. [1]

فهذه الحقبة الكبيرة من تاريخ بني أمية ـ وهي حقبة غنية بالشواهد على وجود علاقة تعاون ومشاركة بين العديد من العلماء وخلفاء وولاة بني أمية ـ لا نجد فيها ذكرا لشيء من ذلك في مرويات أبي مخنف، مما يدل على أثر الرواة والكتاب من غلاة التشيع في تشويه التاريخ الأموي، وذلك

(١) جميع هذه الإحصاءات السابقة اعتمدت فيها على يحيى بن إبراهيم اليحيى: في كتابه: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: ص ١٤ ـ ١٨.

بحرصهم على رصد الأخطاء وإبراز المساوئ الحادثة وتضخيمها أو الإضافة عليها، وإغفال الحسنات وإهمال الجوانب المشرقة والتعمية عليها.

ومن الكتابات الشيعية مثلا (تاريخ اليعقوبي) حيث رسخ اليعقوبي بنظرته الشيعية [(١)] المتعصبة ضد التاريخ الأموي وجود الفجوة الكبيرة في العلاقة بين العلماء والخلفاء الأمويين، وذلك من خلال التركيز على إبراز مواقف الخلاف بين بعض العلماء والخلفاء من بني أمية، في الوقت الذي يهمل فيه ذكر المواقف التي تبدو فيها العلاقة الحسنة بين العلماء وبين الخلفاء، فحين تطرق إلى موضوع تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب ﵄ لمعاوية بن أبي سفيان ﵄ [(٢)] أظهر أنه لم يتنازل إلا مضطرا مغلوبا على أمره، وليس تنازله ذلك إيثارا لمصلحة المسلمين بما فيهم أهل الشام وأهل العراق، كما أهمل أي ذكر لوصف تلك السنة التي اجتمع الأمر فيها لمعاوية بعام الجماعة وهو ما يصفه به علماء ومؤرخو أهل السنة والجماعة. وحين تطرق لذكر مقتل حجر بن عدي الكندي [(٣)] أظهره بصورة مشوهة توحي بخطأ معاوية الفادح وعامله على العراق زياد بن أبيه، حيث لم يوضح سبب مقتل حجر وحقيقته كما وقع، بل جعل السبب الرئيس

---

(١) عن عقيدة اليعقوبي الشيعية الإمامية، ومنهجه في كتابة التاريخ انظر: السلمي: محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ط: الأولى، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٦هـ. ص: ٤٢٦ ـ ٤٣١.

(٢) تارخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت: ٢ / ٢١٥،٢١٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٣٠.

لذلك مخالفة حجر الجماعة عند بني أمية في لعن أبي تراب، وحقيقة الأمر غير ذلك كما سيأتي بيانه [(١)]. وأوضح من ذلك حينما تعرض لخروج الحسين بن علي رضي الله عنهما ومقتله لم يشر إلى مواقف العلماء الصريحة في نصحهم الحسين بعدم الخروج خوفا عليه ومراعاة لمصلحة الأمة، لأن ذلك في صالح خلفاء بني أمية وهذا لا يرضي كتاب الشيعة أمثال اليعقوبي. هذا في الوقت الذي أسهب فيه في ذكر سوء العلاقة بين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ويزيد بن معاوية حيث ذكر رسالة مطولة زعم أن ابن عباس كتبها ردا على رسالة كتبها له يزيد ـ لما علم بعدم مبايعته لابن الزبير ـ يشكره فيها على احتفاظه بالبيعة له، وحيث صعب على اليعقوبي مثل هذا الموقف من ابن عباس لفق تلك الرسالة التي لم يذكر لها سندا، وذكر فيها من الشنائع على يزيد ما ينزه عنه لسان ابن عباس ويراعه وواقعه [(٢)]. وليس هذا مجال ذكرها والرد عليها. وفي المقابل فإنك حين تتبع تاريخه تجده قد أخفى مظاهر علاقة التعاون والمشاركة بين العلماء والخلفاء في الدولة الأموية، فليس لمكانة قبيصة بن ذؤيب في عهد عبد الملك ـ رحمهما الله ـ ذكر، وليس لأثر رجاء بن حيوة في تولية عمر بن عبد العزيز ـ رحمهما الله ـ ذكر، مع أنه لا مفر لمن يكتب عن البيعة لعمر عن ذكر ذلك الأثر

---

(١) انظر ص: ٣٩٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢٤٨، ٢٤٩

لـرجاء، وهـذا شأنه وشأن كثير من المؤرخين الذين لديهم ميول أو تعصب شـيعي في مـثل هـذه المواقف التي توضح وجود العلاقة الحسنة بين العلماء وخلفاء بني أمية.

وفي العصـر الحديـث ومـع زحـف التـيارات الفكـرية والسياسـية إلى الـبلاد العربـية والإسـلامية، زاد مـن ترسـيخ ذلـك المفهوم انتشار الأفكار الـثورية لـدى التكـتلات اليسـارية والقومـية في الـبلاد الإسلامية ـ لاسيما العربـية مـنها ـ والـتي تعتمد الأسلوب الثوري منهجا في الخطاب والتعامل مع الواقع السياسي.

ومـن أولـئك الكاتـب العـراقي علـي الـوردي، الـذي تغلب النزعة الـثورية عـنده عـلى الميول الشيعية لديه حيث يقول: ليس غريبا أن يشجب الـثورات رجـل عـاش في القـرون الوسـطى. إنمـا الغريـب كل الغرابة، أن يشجبها رجل يعيش في القرن العشرين !.[(١)]

ويدعـي هـذا الكاتـب زورا أن العداء كان مستحكما بين علماء أهل السنة وحكام الدولة الأموية نافيا أن تكون هناك أي علاقة حسنة أو تعاون بـين عـلماء أهـل السـنة وحكـام الدولة الأموية. حيث يقول: ".. ففي عهد الدولـة الأمويـة كـان الشـيعة وأهـل السـنة يؤلفـون حـزب الثورة. إذ كان الشـيعة يـثورون على الدولة بسيوفهم، بينما كان أهل السنة يثورون عليهم

(١) علي الوردي: وعاظ السلاطين: ٢٢٨. دار كوفان لندن، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

بأحاديثهم النبوية... ويقول أيضا معتمدا على قول بعض الكتاب الأجانب: " ومن يدرس سيرة أهل الحديث أثناء الحكم الأموي يجدهم كانوا على عداء مستحكم ضد ذلك الحكم الطاغي "(١) .

ويقول كذلك : " استطاع الرشيد، في فلتة من فلتات القدر، أن يجذب إليه أبا يوسف صاحب أبي حنيفة. فعينه قاضيا لبغداد، وقاضي بغداد في ذلك العهد كان بمثابة ما ندعوه اليوم بوزير العدلية. " ويضيف قائلا: " وتقع على أبي يوسف هذا مسؤولية انجراف الدين بالسياسة. فقد كان الرجل من كبار العلماء وكان وافر الذكاء نزيه القصد. ونحن لا نشك في أن قبوله الوظيفة كان عن حسن نية. وهو في الواقع قد نفع القضاء بانتمائه إليه. هذا ولكنه افتتح بتعاونه مع الرشيد عهد ا جديدا في تاريخ الإسلام لم يسبق إليه سابق ". (٢)

فانظر إلى إي حد بلغ به الكذب والتعمية ليؤيد بذلك نزعته الثورية، فادعى باستحكام العداء بين أهل الحديث ـ ويقصد بهم علماء أهل السنة والجماعة ـ والحكم الأموي، كما ادعى أن تعاون أبي يوسف القاضي في إدارة الدولة مع الرشيد كان أول سابقة في الإسلام. وقد كذب والله، فما سبق ذكره وبيانه في الفصل السابق والذي قبله يدحض ذلك كله، فقد

(١) المرجع السابق: ٢٣١، ٢٣٢.

(٢) المرجع السابق: ٢٤٠.

اتضح وجود علاقة تعاون ومشاركة بين العلماء وخلفاء بني أمية وولاتهم، كما اتضح أن كثيرا من العلماء عندما قدموا النصح لخفاء بني أمية وولاتهم كان يريدون بذلك ما فيه مصلحة الأمة حكاما ومحكومين، وكانوا أبعد ما يكونون عن إثارة الفتنة أو الدعوة إلى الثورة كما يزعم.

وقد امتد تأثير تلك التوجهات في الساحة العربية والإسلامية لتترك أثرها على بعض ذوي التوجهات الإسلامية [1]، حيث عمد هؤلاء ـ عن حسن قصد ـ إلى اختيار مواقف العلماء التي فيها الجرأة والقوة في تعاملهم مع الحكام، لتكون تلك المواقف الجريئة دروسا تربوية تقدم للناشئة في الجرأة في قول الحق وإنكار المنكر دون خوف أو لوم، وتقدم شواهد على الثورة على الطغيان وأهله فأدت تلك العوامل مجتمعة ـ ما كان منها عن سوء قصد أو حسنه ـ أدت إلى تضخيم جانب الخلاف والمواجهة بين بعض العلماء وخلفاء الدولة الأموية وولاتهم على حساب جوانب العلاقات الأخرى.

وكنت ـ عند كتابة مخطط الرسالة ـ أظن أن هذا النوع من العلاقة بين العلماء والحكام أثرى مادة وأكثر مظاهر من غيره، ولكن بعد الإطلاع

---

(١) كان ممن لفت نظري إلى تأثر بعض أصحاب التوجهات الإسلامية بتلك التيارات الثورية المسماة " باليسارية ": الأستاذ عبد الله ابن عبد المحسن الزامل، المحاضر بقسم التربية بكلية العلوم الاجتماعية بجا معة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

على كثير من المصادر وسبر علاقة العلماء بالخلفاء اتضح لي عكس ما كنت أظنه مما رسخ في أذهان الكثير، فوجدت أن هذا النوع من العلاقة أقل من غيره، وأن نماذج علاقة التعاون والمشاركة وإبداء النصح من العلماء للخلفاء أكثر بكثير من نماذج ومظاهر الخلاف بين العلماء والحكام.

التنبيه الثاني: ويتضمن الإشارة إلى أن مظاهر الخلاف لم تكن في الغالب تأخذ الطابع الاستمراري الدائم في علاقة الأفراد من العلماء بالخلفاء، بل غالبا ما تكون مؤقتة أو محصورة في جانب معين نتيجة لموقف من المواقف أو لسبب من الأسباب لا تلبث أن تزول بزوال ذلك السبب أو الموقف، وقد تتحول العلاقة بعد ذلك إلى علاقة مشاركة وتعاون أو اعتزال مع أداء النصح، كما أن مظاهر الخلاف كانت محصورة في زاوية الخلاف وأسبابه، دون أن تمتد لتأثر على نظرة ذلك العالم أو العلماء للخليفة أو الخلافة بشكل عام، لذا نجد أنه قد يحدث خلاف وجفاء بين عالم من العلماء في جانب من الجوانب ولكن هذا العالم من جهة أخرى يشارك في مجريات الأحداث في جوانب أخرى فتراه يشارك في الغزو تحت قيادة أمراء الخليفة وعماله، كما يعترف ببيعته للخليفة وما يترتب عليها من واجبات وحقوق، فلا يؤثر خلافه في موقف معين على جميع مواقفه من الخليفة والخلافة، وهذا خلاف مواقف أصحاب المذاهب المنحرفة عن مذهب أهل السنة والجماعة كالخوارج والشيعة، حيث يقوم خلاف أولئك مع الخلافة على أساس عدم الاعتراف بشرعية الخليفة والخلافة.

- أسباب الخلاف بين بعض العلماء والخلفاء في الدولة الأموية.

حين نتتبع بواعث وأسباب ظهور الخلاف بين بعض العلماء والخلفاء الأمويين فسنجد أن السبب الرئيس الذي تدور وتتمحور حوله جميع الأسباب هو تلك النقلة التي شهدتها الدولة الإسلامية في العهد الأموي، مقارنة بالعهد الراشدي السابق، وما صاحب هذه النقلة من تحولات في مسار الدولة الإسلامية في بعض المناحي السياسية.

فحين كان يتم اختيار من يشغل منصب الخلافة عن طريق الشورى وتقديم الأفضل والأصلح من بين القرشيين،تغير الوضع في العهد الأموي حيث أصبح يتم اختياره على أساس الوراثة منذ عين معاوية ابنه يزيد وليا للعهد من بعده. وفي الحين الذي كان الخلفاء الراشدون يختارون ولاتهم وعمالهم على أساس التقوى والصلاح فحسب، أصبح اختيار العمال والولاة في الدولة الأموية على أساس القرابة والعصبية أمرا له اعتباره لدى عدد من خلفاء الأمويين، كما أصبح اختيار بعض الولاة باعتبار قدرته على توطيد الملك والسلطان لبني أمية وتطويع الناس لهم، بغض النظر عما يسلكه هذا الوالي من تعسف أو ظلم يتنافى مع تعاليم الإسلام التي حث عليها في جانب العلاقة بين الراعي والرعية.

كما تغيرت سير بعض خلفاء بني أمية وحياة أسرهم وبلاطهم من حولهم عما كان عليه الخلفاء الراشدون، فقد كان الخليفة الراشدي لا يرى لنفسه أي حق في مال الدولة وممتلكاتها إلا ما فرض له من مرتب له ولأسرته، أما في العهد الأموي أصبح كثير من الخلفاء يعيشون عيشة الملوك

والأباطرة، كما كان لأسرهم النصيب الأوفى في امتلاك الأموال والضياع دون غيرهم.

فهذا التغير الذي حدث في الدولة الأموية أدى إلى وجود بعض مواقف الخلاف بين بعض العلماء والخلفاء، إذ جاء هذا الخلاف نتيجة لمحاولة العلماء الوقوف في وجه تلك التحولات، وحرصهم على إبقاء الدولة الإسلامية مرتبطة في كل سياساتها بالكتاب والسنة، وردها إلى المسار و المنهج الذي كان عليه الخلفاء الراشدون في السابق قدر المستطاع. وإن اختلفت تلك المواقف من العلماء في قوتها فيرجع ذلك لاختلافهم في تقدير المصالح وعواقب الأمور، ومراعاتهم للمتغيرات في هذا العهد الجديد. وفي التالي نستعرض بعض الأمثلة التي توضح ما سبق إجماله.

ففي عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ وفي النصف الثاني منه [1] سعى معاوية إلى أخذ البيعة بولاية العهد من بعده لابنه يزيد، ورغم أن معاوية قد انطلق في اجتهاده هذا من منطلق الحرص على مصلحة الأمة والدولة الإسلامية، و الحفاظ على وحدة كلمتها [2] إلا أن هذا الاجتهاد منه لم يلق

(١) ذكر خليفة بن خياط في تاريخه ص: (٢١٣) أن ذلك كان في سنة إحدى وخمسين للهجرة.وذكر الطبري في تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣٠٣. أن ذلك في سنة ست وخمسين للهجرة. ووافقه على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية:٨ / ٧٩.

(٢) قد اعتذر لمعاوية في عقده البيعة لابنه يزيد عدد من المؤرخين والكتاب في القديم والحديث: كابن خلدون، فمما قاله في ذلك: ((.. والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما

=

موافقة عدد من العلماء لاسيما في المدينة حيث لم يبايع لوالي المدينة بولاية

هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية ؛ إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصبة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم، فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل = = عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع. وفي موضع آخر قال: وكذلك عهد معاوية إلى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كانت بنو أمية لم يرضوا بتسليم الأمر إلى من سواهم فلو قد عهد إلى غيره اختلفوا مع أن ظنهم كان به صالحا ولا يرتاب أحد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد إليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاشا لمعاوية من ذلك....) تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر، مؤسسة جمال، بيروت، ١٣٩٩هـ: ١/ ١٧٥، ١٧٦. وممن اعتذر لمعاوية أيضا أبو بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، ط: الثالثة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٧هـ. ص/ ٢٢٢، وفي العصر الحديث دافع عن خطوة معاوية هذه عدد كبير من الكتاب منهم: محب الدين الخطيب محقق كتاب العواصم من القواصم هامش ص/ ٢٢٢. ومنهم محمد ضياء الدين الريس في كتابه النظريات السياسية الإسلامية ص/ ١٩٠، ١٩١. حيث قال: ((وقد عرفنا الأسباب والمبررات التي حملت معاوية على اللجوء إلى ذلك ـ أي البيعة ليزيد ـ وخلاصتها خوفه ومن أشار عليه بذلك من حدوث الفتنة ووقوع النزاع الذي يؤدي إلى سفك الدماء كما حدث في الفتنة التي وقعت منذ مقتل الخليفة عثمان ـ رضي الله عنهما ـ وكانت ذكرياتها الأليمة لا تزال حاضرة في الأذهان، وقد صرح معاوية في بعض أحاديثه ((بأنه يكره أن يترك أمة محمد بعده كالضان لا راعي لها)) قال الريس: وهذه أسباب يقبلها العقل..)) ولمزيد من الاطلاع على مثل هذا الدفاع عن سياسة معاوية هذه انظر: تاريخ العرب في الإسلام لمحمد حسن دروزة، المكتبة العصرية، صيدا: ص/ ٤٣. ويزيد بن معاوية لهزاع الشمري، ط: الأولى، دار أمية، الرياض، ١٤١٣هـ: ص/ ٤٠ ـ ٤٧. ويزيد بن معاوية لعمر سليمان العقيلي: ص/ ١٥ ـ ٢٦، ومواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية لمحمد الشيباني،ط: الأولى المكتبة المكية، ١٤١٧ هـ: ١٢٦.

العهد ليزيد كل من عبد الله بن عمر ، و عبد الله بن الزبير، و الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس [1]، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ حيث أخذوا على معاوية تركه طرائق من كان قبله في التعيين والاختيار ، بتوليته ولده وعدوله عن أبناء المسلمين الذين يفضلون يزيد ويكبرونه سنا. [2] وقد كان معاوية يحسب لهؤلاء حسابه من قبل، لذا حاول التودد والتلطف بهم، فقد كان بعث إلى عبد الله بن عمر بمائة ألف قبل إعلانه البيعة ليزيد، فلما أعلن ذلك فطن ابن عمر لذلك فقال: أرى ذاك أراد، إن ديني عندي إذا لرخيص. [3] ولما حج تلك السنة حرص على إنهاء خلافهم ومعارضتهم لخطوته تلك، فحرص على الاجتماع بهم والتلطف بهم أول الأمر [4] إلا أنه فشل في إقناعهم بوجهة نظره وموافقتهم له على اجتهاده، ومع ذلك فقد نجح في أخذ البيعة ليزيد من عامة الناس حين ألزم هؤلاء

---

(١) بعض المصادر لا تذكر عبد الله بن عباس مع الذين امتنعوا عن البيعة ليزيد في عهد معاوية، مثل: خليفة بن خياط في تاريخه / ٢١٣. ولكن بعضها ذكره من ضمنهم مثل الطبري: في تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣٠٤،٣٠٣. ابن كثير: البداية والنهاية:٨ / ٧٩.ولكنه لم يذكر في وقائع أحداث أخذ البيعة ليزيد عندما قدم معاوية الحجاز لها الأمر، ولعل هذا يؤيد أنه لم يكن معهم.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢١٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤ / ١٨٢ ، الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٤٩٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٢٥.

(٤) خليفة بن خياط: المصدر السابق: ٢١٥، اليعقوبي: تاريخه: ٢٢٩. ابن العربي: العواصم من القواصم: ٢١٩. من رواية وهب بن جرير.

النفر بالاحتفاظ بآرائهم وحضور الاجتماع الذي سيعقده ولا يبدون معارضة. [(1)] وهذا ما حدث، حيث لما قام معاوية صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه قال: "إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر الصديق لم يبايعوا يزيد، قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له" فلما خرج الناس قالوا بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر، وهم يقلون لا والله ما بايعنا. [(2)] وجاء في رواية أخرى: "إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا نستبد بأمر دونهم ولا نقضي أمرا إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده، فبايعوا بسم الله" [(3)] فبايعه الناس ظنا منهم مبايعة أولئك النفر.

على أن خلاف أولئك النفر من العلماء في عهد معاوية ظل في نطاق ضيق لم يتعد دائرة الخلاف في الرأي وتعدد وجهات النظر، حيث احتفظ هؤلاء بوجهات نظرهم، كما لم يجبرهم معاوية على التحول عنها بعد أن

---

(1) فجاء في آخر كلام معاوية لعبد الرحمن بن أبي بكر حين أصر على الامتناع عن البيعة ليزيد قوله "على رسلك لا تعرض نفسك للهلاك أمام أهل الشام، وانتظر حتى أخطب الناس وأقول أنك دخلت فيما دخل فيه الناس ثم كن على ما بدا لك من أمرك". خليفة بن خياط: المصدر السابق: ٢١٤ بسند حسن. تاريخ أبي زرعة: ١ / ٢٢٩. بإسناد صحيح وفيه "كن على ما في نفسك". وانظر الشيباني: موقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية: ١٠٧.

(2) خليفة بن خياط: المصدر السابق: ٢١٤. بسند حسن.

(3) خليفة بن خياط: المصدر السابق: ٢١٥. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٨٠.

ضمن ـ بتصرفه السابق ـ حصر خلافهم في أشخاصهم دون تأثيرهم على غيرهم، كما ضمن مبايعة أهل الأمصار على ذلك.

إلا أنه بعد وفاة معاوية وتولي ابنه يزيد الخلافة تطور هذا الخلاف، وكانت له آثار كبيرة في المجال السياسي في حياة الأمة. وقد انحصر الخلاف في اثنين من هؤلاء النفر هما: الحسين بن علي و عبد الله بن الزبير،حيث قد توفي عبد الرحمن بن أبي بكر، والتزم ابن عمر بما تعهد به لمعاوية حين تعهد له أن يبايع ليزيد إذا رأى الناس بايعوا له فلما تحقق ذلك بايع [1].

فأما الحسين وابن الزبير فحين طلب منهما والي المدينة البيعة تعللا حتى يجتمع الناس ثم خرجا متسللين ليلا إلى مكة، ولم يلبث الحسين برهة حتى وردت عليه رسائل أهل العراق يدعونه للقدوم عليهم، ويعدونه مناصرته والخروج معه على بني أمية، و ما زالوا يغرونه بالخروج إليهم حتى خرج، كما سيأتي ذكر ذلك وبيان مواقف العلماء منه [2]، وأما ابن الزبير فقد بقي في مكة لم يبايع، وقوي أمره بعد لجوء عدد كبير من أهل المدينة بعد موقعة الحرة إلى مكة، فأظهر بعد ذلك ذم يزيد واحتدم الخلاف بينهما مما دعا يزيد أن يبعث له جيشا في مكة كما سيأتي بيان ذلك أيضا [3]

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٣٤. محيي الدين مستو: عبد الله بن عمر: دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ: ص / ٩٨،٩٩.

(٢) انظر المبحث الثاني من الفصل الخامس.

(٣) انظر المبحث الرابع من الفصل الخامس.

ومن الأمثلة على تصرفات الخلفاء التي أدت إلى وقوع الخلاف بينهم وبين بعض العلماء تولية بعض ولاة الجور والعسف، مما جعل العلماء يوضحون خطأ الخليفة في تسليطه هؤلاء الظلمة على رقاب الأمة يسيرون فيهم بالظنة لا بالسنة، وذلك مثل تولية الحجاج على الحجاز ثم على العراق، وما سبب تسلطه وعنته من نفرة بعض العلماء منه ولوم الخليفة على تولية مثله، بل كان لسوء سيرته أثر كبير في انضمام عدد من العلماء إلى حركة ابن الأشعث التي كادت أن تطيح بالخلافة الأموية. وكذلك كان لسوء تعامل هشام بن إسماعيل عامل المدينة في عهد عبد الملك أثر في سوء علاقة العالم الجليل سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ مع الدولة الأموية [1]،

ومن الأسباب التي أدت إلى ظهور الخلاف بين بعض العلماء والخلفاء سوء سيرة بعض الخلفاء ومحاولة العلماء إصلاح ذلك، فقد سبقت الإشارة إلى ما حدث من توتر في العلاقة بين الإمام الزهري ـ رحمه الله ـ و الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولي عهد هشام بن عبد الملك، وذلك بسعي الزهري عند هشام بخلع الوليد لما اشتهر عنه من سوء السيرة مما لا يصلح معه إلى تولي أمور الأمة، وقد كان لذلك الموقف من الزهري

(١) ابن قتيبة: المعارف: ٤٣٧، ٤٣٨. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥ / ١٢٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٢٣٠.

أثـر في إساءة الوليد له في التعامل وتهديده له إذا ما انتقلت إليه الخلافة، [1] ولـولا أن أجـل الزهري سبق تولي الوليد لحدث ـ فيما يبدو ـ من الخلاف بينهما الشيء الكثير، والله أعلم وأحكم.

نماذج من علاقة الخلاف بين العلماء والخلفاء في الدولة الأموية.

ـ المسور بن مخرمة رضي الله عنه [2].

كـان المسـور بن مخرمة ممن ينقم على معاوية ويطعن في ولايته، ولعل مـرد ذلـك بسـبب مـا رأى من منازعة معاوية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وما وقـع بسبب ذلك من قتال وحروب بين المسلمين، كما كان ينتقد معاوية في بعـض اجـتهاداته إبـان خلافـته، إلا أن المسـور تـراجع عـن انتقاده لمعاوية وطعـنه فـيه، وذلـك بسـبب إقـناع معاويـة له بخطأ مسلكه ذلك، فقد أخبر المسـور بـن مخـرمة رضي الله عنه أنـه قـدم وافدا على معاوية بن أبي سفيان، فقضى حاجـته، ثم دعاه فأخلاه، فقال: يا مسور، ما فعل طعنك على الأئمة ؟ قال المسـور: دعـنا مـن هذا وأحسن فيما قدمنا له.قال معاوية: لا والله لتكلمني بـذات نفسك بالذي تعيب علي . قال المسور: فلم أترك شيئا أعيبه عليه إلا بينـته له.فقـال معاويـة: لا بـراء مـن الذنـب، فهل تعد يا مسور مما نلي من الإصـلاح في أمـر العامـة، فـإن الحسنة بعشر أمثالها، أم تعد الذنوب وتترك

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦ / ٣٦٥، ٣٦٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٣٤١، ٣٤٢. ابن كثير: المصدر السابق: ١٠/ ٣.

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

الإحسان؟ قال المسور: لا والله ما نذكر إلا ما نرى من هذه الذنوب.فقال له معاوية: فإنا نعترف لله بكل ذنب أذنبناه، فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلك إن لم يغفرها الله لك ؟ قال المسور:نعم.قال: فما يجعلك برجاء المغفرة أحق مني ؟ فوالله لما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي،ولكن والله لا أخير بين أمرين بين الله وغيره إلا اخترت الله على سواه، وإني لعلى دين يقبل فيه العمل،ويجزى فيه بالحسنات، ويجزى فيه بالذنوب، إلا أن يعفو الله عنها، وإني أحتسب كل حسنة عملتها بأضعافها من الأجر، وألي أمورا عظاما لا أحصيها ولا يحصيها من عمل لله بها في إقامة الصلاة للمسلمين، والجهاد في سبيل الله، والحكم بما أنزل الله، والأمور التي لست أحصيها عددا فيكفي في ذلك.

قال المسور: فعرفت أن معاوية قد خصمني حين ذكر ما ذكر. قال عروة بن الزبير: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه. (١)

والذي يظهر أن المسور لم يكن على قناعة بتولية يزيد لولاية العهد من بعد والده، ويدل على ذلك أنه بمجرد وفاة معاوية كره ولاية يزيد وانضم إلى الداعين إلى خلعه بالمدينة، فلما كانت وقعت الحرة وانهزم أهل المدينة انضم إلى ابن الزبير في مكة وأصبح من مستشاريه الذين لا يقطع

---

(١) ابن منظور:مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٤/ ٣٠٨،٣٠٧. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/ ٢٠٩،٢٠٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٥١، ٣٩١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٣٤.

ابن الزبير أمرا دونهم [1]، فلما قدم الحصين بن نمير لحصار مكة أخرج المسور سلاحا ودروعا ـ كان قد حملها معه من المدينة ـ ففرقها على موال له ليدافعوا بها معه جيش يزيد، فلما كان القتال أحدق به مواليه وهو يضرب بسيفه، و قد أصابه قطعة من حجر (المنجنيق) وهو يصلي فمرض منها ومات بعد خمسة أيام في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بن معاوية. [2]

ولقد جاء هذا الخلاف والقتال من المسور ليزيد بن معاوية من منطلق اجتهاده بعدم أحقية يزيد في الخلافة مع وجود من هو أفضل منه في الديانة والعلم، لاسيما وقد حدث في مستهل خلافته من الأحداث ما يؤكد لديه عدم أهليته ـ في نظره ـ كمقتل الحسين بن علي ﵄،إلا أن اجتهاد المسور في الخروج مع من خرج على يزيد يخالف ما رآه كبار العلماء في ذلك العصر كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهما ممن رأوا أن البيعة ليزيد والرضا بولايته ـ مع وجود من هو أفضل منه ـ أولى وأسلم في إبعاد الفتنة عن الأمة.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٩١، ٣٩٣. الشمري: يزيد بن معاوية: ١١٦،١٠٥.

(٢) ابن منظور: المصدر السابق نفسه / ٣٠٩، الذهبي: المصدر السابق نفسه / ٣٩٣٣٩٤.

- سعيد بن المسيب ـ رحمه الله. [1]

إن المتتبع لسيرة الإمام الجليل سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ يرى بوضوح توتر العلاقة بينه وبين خلفاء بني أمية، ويدرك أن بينه وبينهم فجوة كبيرة في جانب التعامل، ويبدو ذلك واضحا في أقواله وأحواله، وسنستعرض أهم تلك الأقوال والأفعال التي توضح بعض مظاهر تلك العلاقة.

فقد ورد في بعض أقوال سعيد بن المسيب ما يؤكد كرهه لبني أمية ـ لاسيما ـ بني مروان منهم، فعن الحكم بن أبي إسحاق قال: كنت جالسا إلى سعيد بن المسيب فقال لمولى له: اتق الله ولا تكذب علي كما كذب مولى ابن عباس على ابن عباس. فقلت لمولاه ذاك أني لا أدري ابن الزبير أحب إلى أبي محمد ـ يعني سعيد بن المسيب ـ أو أهل الشام ؟ قال: فسمعها سعيد فقال: يا عراقي أيهما أحب إليك ؟ قلت: ابن الزبير أحب إلى من أهل الشام. قال: أفلا أضبث [2] بك الآن فأقول هذا زبيري ؟ فقلت: سألتني فأخبرتك، فأخبرني أيهما أحب إليك. قال: كلا لا أحب [3].

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) ضبث به يضبث: قبض عليه بكفه. (القاموس المحيط: مادة ضبث.)

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٣٥

وذكر ابن سعد [1] أنه كان لسعيد بن المسيب في بيت المال بضعة وثلاثون ألفا عطاؤه، فكان يدعى إليها فيأبى ويقول: لا حاجة لي فيها حتى يحكم الله بيني وبين بني مروان.

وفي موضع آخر [2] ذكر عن علي بن زيد أنه قال: قلت لسعيد بن المسيب يزعم قومك أن ما منعك من الحج أنك جعلت لله عليك إذا رأيت الكعبة أن تدعو الله على ابن مروان [3]. قال: ما فعلت وما أصلي صلاة إلا دعوت الله عليهم، وإني قد حججت واعتمرت بضعا وعشرين سنة، وإنما كتبت علي حجة واحدة وعمرة.. إلا أن في هذه الرواية ما يعكر صفوها من حيث أن في سندها علي بن زيد وقد ضعفه أهل الجرح والتعديل واتهموه بالتشيع والغلو فيه [4].

وذكر ابن كثير [5] أنه كان لسعيد مال يتجر فيه ويقول: اللهم إنك تعلم أني لم أمسكه بخلا ولا حرصا عليه، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان حتى ألقى الله فيحكم في وفيهم، وأصل منه رحمي، وأؤدي من الحقوق التي فيه.

---

(١) المصدر السابق: ١٢٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٢٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٢٥.

(٣) هكذا وردت عند ابن سعد وكذا نقلها الذهبي، ولعل الأصح بني مروان كما يدل السياق على ذلك.

(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٧/ ٣٢٢ ـ ٣٢٤.

(٥) البداية والنهاية: ٩/ ١٠١.

وإضافة إلى هذه الأقوال هناك عدد من المواقف التي تؤكد طبيعة تلك العلاقة بين سعيد بن المسيب وخلفاء بني أمية، ومن أهم هذه المواقف ما يلي:

رفض سعيد مجالسة خلفاء بني أمية والدخول عليهم، وعدم قبوله لدعواتهم له بالحضور إليهم ومحادثتهم. فعن ميمون بن مهران قال: قدم عبد الملك بن مروان المدينة فامتنعت منه القائلة واستيقظ، فقال لحاجبه: انظر هل في المسجد أحد من حداثنا من أهل المدينة ؟ قال: فخرج فإذا سعيد بن المسيب في حلقة له، فقام حيث ينظر إليه ثم غمزه وأشار إليه بإصبعه، ثم ولى، فلم يتحرك سعيد ولم يتبعه فقال: أراه فطن. فجاء فدنا منه ثم غمزه وأشار إليه وقال: ألم ترني أشير إليك ؟ قال: وما حاجتك ؟ قال استيقظ أمير المؤمنين فقال: انظر هل في المسجد أحد من حداثي، فأجب أمير المؤمنين. فقال: أرسلك إلي ؟ قال: لا ولكن قال: اذهب فانظر بعض حداثنا من أهل المدينة، فلم أر أحدا أهيأ منك. فقال سعيد: اذهب فأعلمه أني لست من حداثه. فخرج الحاجب وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلا مجنونا. فأتى عبد الملك فقال له: ما وجدت في المسجد إلا شيخا أشرت إليه فلم يقم فقلت له إن أمير المؤمنين قال انظر هل ترى في المسجد أحدا من حداثي، فقال إني لست من حداث أمير المؤمنين، وقال لي أعلمه، فقال عبد الملك: ذاك سعيد بن المسيب فدعه. [1] وقد يبدو هذا

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٣٠.

الموقف طبيعيا من سعيد حيث هو مشغول في حلقته بالعلم وتعليمه ثم يدعى إلى ترك ذلك ليشغل وقت الخليفة بحديث ليس هو من أهله، كما إن الدعوة لم تكن موجهة إليه ابتداء إنما كان ذلك من اجتهاد الحاجب.

إلا أنه جرى لسعيد موقف آخر مع عبد الملك اتضح فيه إصراره على رفض مجالسة عبد الملك ولقياه. فقد حاول عبد الملك أن يلتقي بسعيد قبل أن يغادر الحجاز بعد منصرفة من حجه (١) لعله يستل ما في نفس سعيد من كره لهم، فذكر ابن سعد (٢) أن عبد الملك حج فلما قدم المدينة أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلا يدعوه ولا يحركه. قال: فأتاه الرسول وقال: أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك. فقال: ما لأمير المؤمنين إلي حاجة وما لي إليه حاجة وإن حاجته إلي لغير مقضية. قال: فرجع الرسول فأخبره فقال: ارجع إليه فقل إنما أريد أن أكلمك، ولا تحركه. قال فرجع إليه فقال له: أجب أمير المؤمنين، فقال له سعيد ما قال له أولا.قال فقال له الرسول: لولا أنه تقدم إلي فيك ما ذهبت إليه إلا برأسك، يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذه المقالة ؟ فقال: إن كان يريد أن

---

(١) لعل ذلك كان في سنة خمس وسبعين للهجرة حيث لم تذكر المصادر لعبد الملك حجا بعد قضائه على ابن الزبير إلا في هذه السنة. (تاريخ خليفة بن خياط: ٢٧٢، الطبري: ٦/ ٢٠٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٢٧. وانظر: البدري: الإسلام بين العلماء والحكام، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٦٦م. ص: ١١٨، ١١٩.

يصنع بي خيرا فهو لك وإن كان يريد غير ذلك فلا أحل حبوتي حتى يقضي الله ما هو قاض. فأتاه فقال: رحم الله أبا محمد، أبى إلا صلابة.

ويتكرر مثل هذا الموقف مع الوليد بن عبد الملك، فعندما استخلف قدم المدينة فدخل المسجد فرأى شيخا قد اجتمع الناس عليه فقال: من هذا؟ فقالوا سعيد بن المسيب. فلما جلس أرسل إليه فأتاه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: لعلك أخطأت باسمي أو لعله أرسلك إلى غيري. قال فأتاه الرسول فأخبره فغضب وهم به. قال وفي الناس يومئذ بقية فأقبل عليه جلساؤه فقالوا: يا أمير المؤمنين، فقيه أهل المدينة وشيخ قريش وصديق أبيك لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه. قال فما زالوا به حتى أضرب عنه [1].

وبلغ من شدة نفور سعيد من بني مروان أنه يغضب على من ذكره عندهم حتى ولو كان ذلك في مجال مدحه وذكر حسناته. فذكر ابن كثير [2] أن بن شهاب الزهري سأله بعض بني أمية عن سعيد بن المسيب فذكر علمه بخير وأخبره بحاله، فبلغ ذلك سعيدا، فلما قدم ابن شهاب المدينة جاء فسلم على سعيد فلم يرد عليه ولم يكلمه، فلما انصرف سعيد مشى

---

(١) ابن سعد: المصدر السابق نفسه: ١٣٠،١٢٩. الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٢٢٧

(٢) البداية والنهاية: ٩ / ٣٤٥.

الزهـري معه فقال: ما لي سلمت عليك فلم تكلمني ؟ ماذا بلغك عني و ما قلت إلا خيرا ؟ قال له: ذكرتني لبني مروان ؟

وكـان لموقـف سـعيد من البيعة للوليد وسليمان بني عبد الملك بولاية العهـد مـن بعد والدهما [1] و أسلوب والي المدينة في تعامله مع سعيد كان لذلك أثر كبير في اتساع الفجوة في العلاقة بين سعيد وبني مروان.

وقـد تعددت الروايات التي ذكرت موقف سعيد بن المسيب من البيعة لكـل مـن الولـيد وسـليمان والمحـنة التي لحقت به بسبب ذلك الموقف، وقد أجمعـت هـذه الـروايات ـ عـلى تعددهـا وكـثرة طرقها ـ على أمرين هما: صلابة موقف سعيد في رفضه البيعة مهما كلفه الأمر، والأمر الثاني تعرضه للعقوبـة بسبب ذلك الموقف، ولكنها اختلفت فيمن أمر بإيقاع تلك العقوبة علـيه، فـتذكر بعـض هـذه الروايات أن والي المدينة (هشام بن إسماعيل) هو الذي ضربه وطاف به وأمر بسجنه لما أبى أن يبايع، ثم كتب فيه إلى عبد

---

(١) تم أخذ البيعة للوليد وسليمان بولاية العهد بعد والدهما سنة أربع وثمانين للهجرة بعد وفاة عبد العزيز بن مروان وكان والده مروان قد جعله وليا للعهد من بعد أخيه عبد الملك.(تارخ خليفة بن خياط / ٢٨٩)

الملـك ، فجاءه كتاب عبد الملك يلومه فيما صنع به ويقول: سعيد كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه، وإنا لنعلم ما عنده خلاف [(١)].

وأمـا بعض الروايات فذكرت أن عبد الملك هو الذي أمر والي المدينة بما صنع بسعيد،حيث إن هشام بن إسماعيل لما دعا سعيدا للبيعة فأبى كتب فـيه إلى عـبد الملك. فكتب إليه عبد الملك: مالك ولسعيد، ما كان علينا منه شـيء نكـرهه، فأمـا إذا فعلـت فاضـربه ثلاثـين سـوطا وألبسـه تبان شعر، وأوقفـه للـناس لـئلا يقـتدي بـه الـناس.فدعـاه هشـام فأبى وقال: لا أبايع لاثنين. فألبسه تبان شعر، وضربه ثلاثين سوطا، وأوقفه للناس [(٢)].

وأجدنـي أميل لما في الروايات الأولى من أن هشاما وليس عبد الملك هو الذي ضرب سعيدا وطاف به وسجنه من تلقاء نفسه، وذلك لعد أمور منها:

١ـ أن في سـند بعـض تلـك الروايات من الاتصال والقوة أكثر مما في الـروايات الأخرى فمنها ما رواه الفسوي [(٣)] عن الربيع بن روح الحمصي

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٥، ١٢٦، خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٩،٢٩٠. ابن قتيبة: المعارف: ٤٣٧، ٤٣٨. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٧٨. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٧/ ٨١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٣٠.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٧٣. الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٧١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٣١.

(٣) المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٧٨.

ـ وهو ثقة ـ [(١)] عن إسماعيل بن عياش ـ وهو صدوق ثقة فيما يرويه عن أصحابه من أهل الشام وهو هنا روى عن أحد أهل الشام وهو عمر بن محمد بن زيد نزيل عسقلان ـ [(٢)] عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو ثقة كذلك [(٣)].وأما أغلب الروايات التي ذكرت أن عبد الملك هو الذي أمر هشاما ففيها مجاهيل، حيث ورد في بعضها عن بعض أهل المدينة كما في رواية الفسوي عن زيد بن بشر [(٤)]، أو عن غير واحد كما ذكر الذهبي [(٥)] عن أبي المليح الرقي قال: حدثني غير واحد أن عبد الملك ضرب سعيد بن المسيب خمسين سوطا...

٢ـ إن الروايات التي ذكرت أمر عبد الملك لهشام اختلفت في تحديد نوع العقاب وعدده، فمنها ما ذكر انه أمر أن يضربه خمسين سوطا، ومنها ما ذكر ثلاثين سوطا [(٦)] ومنها ما ذكر أنه أمره بضربه مائة جلدة، بل وزاد على ذلك بحلق رأسه ولحيته[(٧)]. بل ذهب بعض الروايات إلى أبعد من ذلك

---

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣/ ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق: ١/ ٣٢٤،٣٢٣.

(٣) الرازي: الجرح والتعديل: ٦/ ١٣١. ابن حجر: المصدر السابق: ٧/ ٤٩٥، ٤٩٦.

(٤) المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٧٣.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٣٢.

(٦) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٧١.

(٧) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٧٣.

حيث ورد فيها أن عبد الملك لما بلغه ما صنع هشام بسعيد قال: بئس ما صنع هشام ! مثل سعيد لا يضرب بالسياط، كان ينبغي أن يضرب عنقه أو يدعه. [1] ومثل هذا التضارب بين هذه الروايات يضعفها.

٣ـ سبقت الإشارة إلى أن قبيصة لما قرأ كتاب هشام بن إسماعيل وجه اللوم إلى عبد الملك بتركه هشاما يصنع بسعيد ما صنع، ولو كان عبد الملك هو الذي أمر بذلك لعلم به قبيصة،حيث كان على البريد والخاتم لعبد الملك، وتصل إليه الكتب قبل عبد الملك. [2] وعندئذ سيكون لوم قبيصة لعبد الملك على أمره وتوجيهه لهشام بذلك، لا على تركه يصنع ما صنع من تلقاء نفسه.

وسواء أكان هشام هو الذي عرض سعيدا للعقوبة أو كان ذلك بأمر عبد الملك فالذي يهمنا هنا هو أن موقف سعيد هذا وتعرضه للعقوبة والمحنة زاد من حدة الخلاف بينه وبين بني مروان وأسهم في توسيع الفجوة في علاقته بهم وولاتهم.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ٢٩٠.

(٢) انظر ص: ١٢٥.

أسباب حدة الخلاف بين سعيد بن المسيب وبني أمية و عوامل استمراره.

وحين نحاول تلمس الأسباب التي أدت إلى استمرار ذلك النوع من العلاقة بين سعيد وخلفاء بني أمية فسنجد أن أهم تلك الأسباب يرجع إلى ما يلي:

أ ـ ما رآه سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ من الأخطاء التي وقع فيها خلفاء بني أمية في حقه وحق الأمة بالبعد عن السنة في معالجتهم لبعض الأمور في نظره. فقد روى عنه أنه انتقد معاوية حين استلحق زياد بن أبيه. فعن ابن حرملة قال: ما سمعت سعيد بن المسيب سب أحدا من الأئمة قط، إلا أني سمعته يقول قاتل الله فلانا كان أول من غير قضاء رسول الله ﷺ وقد قال النبي ﷺ ((**الولد للفراش وللعاهر الحجر**)) [١] وذكر ابن عساكر [٢] أن سعيد بن المسيب قال: أول قضية ردت من قضاء رسول الله ﷺ علانية قضاء فلان في زياد. [٣] ولعل هذا وغيره مما رآه سعيد من تغير نسبي في

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوصايا، باب قول الموصي لوصيه تعاهد ولدي، ٣/ ١٨٧. وانظر الخبر في: الأصفهاني: حلية الأولياء ٢/ ١٦٧. الزحيلي: سعيد بن المسيب سيد التابعين: ١٤٨،١٤٩.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٩/ ٧٨.

(٣) وقد دافع بعض المؤرخين عن معاوية في هذه القضية، مثل ابن العربي في كتابه: العواصم من القواصم: ٢٣٥. ومما قال: ((..إذ أن أبا سفيان اعترف لعلي بن أبي طالب بأبوته لزياد، فكان

=

بداية الدولة الأموية في عهد معاوية لعله هو الذي دفعه إلى أن يحجم عن البيعة ليزيد بعد وفاة معاوية ويشترط السير بسيرة أبي بكر وعمر. فبعد وقعة الحرة جيء بسعيد إلى مسلم بن عقبة [1] فقال له: بايع. فقال: أبايع على سيرة أبي بكر وعمر، فأمر مسلم بضرب عنقه، فشهد له رجل: أنه مجنون، فخلى سبيله. [2] وجاء هذا الاشتراط حرصا منه على بقاء الدولة الإسلامية مرتبطة بالكتاب والسنة في مسيرتها. ولكنه لاحظ استمرار الخلفاء من بني مروان ـ بعد يزيد ـ على الاستئثار ببعض أمور المسلمين دون غيرهم، فلعله أراد باستمراره في البعد عنهم والجفاء لهم إشعارهم بعدم رضاه عن سياستهم، فعن المطلب بن السائب قال: كنت جالسا مع سعيد بن المسيب بالسوق، فمر بريد لبني مروان، فقال له سعيد: من رسل بني مروان أنت ؟ قال: نعم. قال: فكيف تركتهم ؟ قال: بخير. قال: تركتهم يجيعون الناس، ويشبعون الكلاب. قال: فاشرأب الرسول، فقمت إليه، فلم

كلدة ـ مالك الجارية سمية التي ولد منها زياد ـ لم يدع زيادا ولا كان إليه منسوبا، وإنما كان ابن أمته ولد على فراشه ـ أي في داره ـ فكل من ادعاه فهو له، إلا أن يعارضه من هو أولى به منه، فلم يكن على معاوية في ذلك مغمز، بل فعل فيه الحق على مذهب مالك. ثم إن هذه المسألة موضع خلاف بين العلماء، وحكم القاضي في مسآئل الخلاف بأحد القولين يمضيها ويرفع الخلاف فيها)).

(١) هو مسلم بن عقبة المري، عينه يزيد بن معاوية على الجيش المتجه إلى المدينة ثم إلى مكة لمحاربة ابن الزبير، وقيل إن معاوية قبيل وفاته أوصى ابنه بتعيين مسلم القيادة. (تاريخ خليفة بن خياط: ٢٣٨)

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨ ٢٢١.

أزل أرجيه حتى انطلق. ثم قلت لسعيد: يغفر الله لك، تشيط بدمك بالكلمة هكذا تلقيها، قال: اسكت يا أحيمق، فوالله لا يسلمني الله، ما أخذت بحقوقه.[1] فمواقفه تلك إذا نابعة من نظرته لخلفاء بني أمية وكما قال الذهبي[2]: كان عند سعيد بن المسيب أمر عظيم من بني أمية وسوء سيرتهم.

ب ـ ومن أسباب استمرار موقف سعيد من بني مروان، فإنه كما يرى أنهم انحرفوا عن النهج المنشود ـ في تعاملهم في حق الأمة ـ يرى كذلك أنهم أخطأوا في حقه وأن عمالهم أساؤوا في تعاملهم معه. فتذكر بعض المصادر أن عبد الملك بن مروان خطب من سعيد بن المسيب ابنته لابنه الوليد، فأبى عليه، فلم يزل يحتال عبد الملك عليه حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد، وصب عليه جرة ماء، وألبسه جبة صوف[3]. فإذا صح هذا الخبر فلا شك أن فيه ظلما وهضما لحق سعيد بن المسيب يستحق أن يغضب له ويقاطع عليه عبد الملك. ولكن الأمر يحتاج إلى وقفة تأمل للتحقق من أن ما حدث لسعيد من الضرب وغيره هنا هو غير ما سبقت الإشارة إليه عند رفضه البيعة للوليد وسليمان. فحين ننظر في سياق بعض

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام: ٤/ ٦، تذكرة الحفاظ: ١/ ٥٥. الزحيلي: سعيد بن المسيب: ١٤٨.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٢٨.

(٣) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٦٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٣٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٠١،١٠٠.

من ذكر هذا الحادث نظن بأنهما حدثان مختلفان، ولكن الذي يظهر لي أنهما حدث واحد، ذلك أننا لو افترضنا أنهما حدثان مختلفان، فإما أن يكون ضرب سعيد ـ بسبب عدم تزويجه ابنته من الوليد ـ حدث قبل ضربه لعدم بيعته للوليد وسليمان، أو أن يكون ذلك بعده، وسواء أكان ذلك قبل أو بعد فلا بد أن تشير إلى ذلك المصادر، فضرب مثل سعيد بن المسيب ليس بالأمر السهل تجاهله والسكوت عنه، ولكننا لا نجد له ذكرا في أغلب المصادر التي ترجمت لسعيد وتحدثت عن ضربه بسبب عدم بيعته للوليد وسليمان. كابن سعد في طبقاته، والفسوي في المعرفة والتاريخ، مع أنهما من أقدم من ترجم لسعيد، بالإضافة إلى استرسالهما في ترجمته، كما أن المؤرخين الذين دونوا الحوادث بحسب السنين كخليفة بن خياط والطبري لم يذكروا هذه الحادثة مع أنهم دونوا حوادث أقل منها أهمية، وحتى المصادر التي ذكرت ضرب سعيد بسبب عدم تزويجه لابنته لم تذكر متى وقع ذلك،كما لم تذكر من قام بتنفيذ ذلك وهذا أمر مهم، وكل ذلك يشكك في وقوع الحادثة.

ولعل تزامن رفض سعيد تزويج ابنته مع ضرب والي المدينة له ـ بسبب رفضه البيعة ـ جعل بعض الناس يقرن بينهما كعادة كثير منهم في تحليلاتهم واستنتاجاتهم لبعض الأحداث، فمما يدل على تزامن الحدثين

قول الأصفهاني [1]: "وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك لابنه الوليد حين ولاه العهد." ويكفي أن يكون ما لقيه سعيد من والي المدينة ـ ولو مرة واحدة ـ سببا لجفائه وانقطاعه عن عبد الملك وابنه الوليد، لاسيما وأن والي المدينة استمر في مضايقة سعيد وإزعاجه، فيذكر بعض الرواة أن هشام بن إسماعيل إذا خطب الناس يوم الجمعة يحول إليه سعيد بن المسيب وجهه مادام يذكر الله حتى إذا رفع يمدح عبد الملك ويقول فيه ما يقول أعرض عنه سعيد بوجهه، فلما فطن له هشام أمر حرسيا أن يعطف وجهه إذا تحول عنه [2]. وإذا أضفنا إلى ذلك ما سبقت الإشارة إليه من أن مسلم بن عقبة بعد وقعة الحرة طلب منه أن يبايع ليزيد وكاد أن يضرب عنقه لولا شهادة بعض الرجال له بأنه مجنون، وكذلك تهديد طارق بن عمرو [3] ـ والي المدينة لعبد الملك ـ لسعيد بضرب عنقه إن لم يبايع لعبد الملك، مما دعا علي بن الحسين بن علي وبعض العلماء للتدخل لدى طارق بن عمرو. ولعل الذي منع سعيدا من المبايعة عدم اجتماع الأمة على عبد الملك حيث لم يزل أمر ابن الزبير قائما في مكة.

---

(١) حلية الأولياء: ٢/ ١٦٨.

(٢) الفسوي:المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٧٤. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر:٢/ ٨٢.

(٣) هو طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه غلب على المدينة سنة اثنتين وسبعين للهجرة وأخرج منها والي ابن الزبير (طلحة بن عبد الله بن عوف) ودعا إلى بيعة عبد الملك، فأقره عليها.(تاريخ خليفة بن خياط:٢٦٨. تاريخ الطبري:٦/ ١٦٦.)

ج ـ ومما يساعد على إدراك طبيعة الخلاف بين سعيد وبني أمية واستمراره، معرفة ما يتمتع به سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ من صفات وخلال جعلته يقتنع بمواقفه ويزداد ثباتا عليها، فمن تلك الصفات ما يتعلق بجبلته وطبيعته، فقد كان ـ رحمه الله ـ يتمتع بنوع من الحزونة في الطبع [(١)] التي كانت من طباع بعض آبائه فورثها عنهم ، فروى البخاري [(٢)] عن سعيد بن المسيب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال ما اسمك ؟ قال: حزن. قال: أنت سهل. قال: لا أغير اسما سمانيه أبي. قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد. وفي رواية، قال: ما أنا بمغير اسما سمانيه أبي. قال ابن المسيب: فما زالت فينا الحزونة بعد.[(٣)] لذا كان سعيد مهابا عند الناس لا يجرؤ كثير منهم على مخاطبته والتحدث معه، فعن عبد الرحمن بن حرملة قال: ما كان إنسان يجترئ على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير. [(٤)] وذكر الذهبي [(١)] عن عمران

---

(١) الحزن: ما غلظ من الأرض، وهو ضد السهل، واستعمل في الخلق ؛ يقال: فلان حزون، أي في خلقه غلظة وقساوة. (الفيروزآبادي القاموس المحيط: ما دة حزن. وانظر سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٢١/ هامش٢.)

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب / باب ١٠٧، ١٠٨.

(٣) ورواه مسلم: ٥/ ٤٣٣. وابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١١٩. وانظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، محمد عبد الباقي ومجموعة من المستشرقين، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٢م: ١/ ٤٦١: أو لفظة حزن.

(٤) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٧٣.

بن عبد الله ـ من أصحاب سعيد بن المسيب ـ قال: ما علمت فيه لينا. وعن علي بن زيد أنه قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك و لا يؤذيك ؟ قال: و الله لا أدري إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد فصلى صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها فأخذت كفا من حصى فحصبته بها، زعم أن الحجاج قال: ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة. [٢]
وقد جعلت تلك السجية من سعيد رجلا صعب المراس مع خصومة، فكلما ازدادوا في القسوة عليه ازداد صلابة في مواقفه وثباتا عليها. وقد كان قبيصة بن ذؤيب مدركا لهذه الخصلة عند سعيد عندما قال: والله لا يكون سعيد أبدا أمحل و لا ألج منه حين يضرب.[٣] وعندما خرج أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ـ أحد فقهاء المدينة ـ بعد حواره لسعيد في السجن ـ كما سيأتي ـ سأله هشام بن إسماعيل: هل لان سعيد بن المسيب منذ ضربناه ؟ فقال أبو بكر: والله ما كان أشد لسانا منه منذ فعلت به ما فعلت فاكفف عن الرجل. [٤]

ومن تلك الصفات غزارة علم سعيد وسعة فقهه، مما يجعله يرى أنه في صلابته في مواقفه على حق وعلم فلا يهمه أن يكون وحيدا في ذلك،

---

(١) سير أعلام النبلاء:٤/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٣٠

(٤) ابن سعد: المصدر السابق نفسه: ١٢٧.

كما أورد الفسوي [1] قول القائل : " وكان سعيد لا يبالي من خالفه في الناس لعلمه". لذا كان رده شديدا على من انتقد مواقفه من العلماء أو حاول معه التنازل عن بعضها، فروى الفسوي [2] أن علي بن الحسين دخل على طارق بن عمرو ـ والي المدينة ـ فقال طارق: لأرسلن إلى سعيد بن المسيب فإما أن يبايع و إما أن أضرب عنقه، فانصرف علي ومر بأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث فذهبا إلى سعيد بن المسيب فقالا له: تبايع ؟ فقال: لا ألعب بديني كما لعبتما بدينكما قالا له: فاخرج إلى البادية لعله ينساك. فقال: لا. فقالا: فتجلس في بيتك. فقال: اسمع المنادي يدعو إلى الفلاح فما أجيبه ! قالا: فتحول عن موضعك فإنه مقابل له فإذا خرج رآك. قال: أتحول لمكان غيره ؟ هذا موضع نحن نجلس فيه منذ كذا وكذا.

وبعد ضرب هشام له وسجنه دخل عليه السجن أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث فقال له: أنك خرقت به [3]ـ أي هشام ـ فقال: يا أبا بكر اتق الله و آثره على ما سواه. فجعل أبو بكر يردد عليه: إنك خرقت به ولم ترفق. فجعل سعيد يقول: إنك والله أعمى البصر أعمى القلب. [4] وكان أبو بكر أعمى البصر. كما حاول معه العلماء الأجلاء: سليمان بن

---

(١) المعرفة و التاريخ: ١/ ٤٧٦.

(٢) المصدر السابق: ٤٧٢.

(٣) الخرق بالضم وبالتحريك: ضد الرفق. (القاموس المحيط: مادة خرق.)

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٧.

يسـار،و عـروة بـن الـزبير، وسـالم بـن عـبد الله، للتخفيف من تصلبه على موقفه ولكنه لم يتزحزح عن رأيه. (١)

ومـمـا كـان يتمتع به سعيد (رحمه الله) هوان نفسه عليه و إرخاصه لها في ذات الله، كمـا حـدث بذلـك عمـران الخـزاعي حيث قال: إني أرى أن نفـس سـعيد بـن المسيب كانت أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب. (٢) وهـذا جعلـه لا يبالي بتهديدات خصومه وإيذائهم له، فأقصى ما سيفعلونه معه القتل وهو على استعداد لذلك.وهذا ما دعاه يقول لرسول عبد الملك: إن كـان يـريد أن يصنع بي خيرا فهو لك، وإن كان يريد غير ذلك فلا أحل حبوتي حتى يقضي ما هو قاض. (٣) وهذا ما جعله لا يأبه بما أظهره هشام مـن عـزمه عـلى قـتله إن لم يـبايع للولـيد وسليمان، حيث انقاد لحرسه إلى مكـان تنفـيذ القـتل لا يشـك أنـه سـيقتل وكـان قد لبس تبان شعر ليستر

---

(١) الأصفهاني:حلية الأولياء: ٢/ ١٧٢،١٧١. وقد أورد الفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٤٧٦. وكذلك الأصبهاني في الحلية ٢/ ١٧٠. أن عبد الرحمن بن عبد القاري طرح على سعيد عدة حلول ليجنب نفسه المحنة، ولكن سعيدا رد عليه بمثل رده على أبي بكر بن الحارث. ولكني أشك في صحة ذلك. حيث توفي عبد الرحمن هذا سنة ٨٠ هـ كما ذكره ابن سعد في الطبقات ٥/ ٧٥،والذهبي في السير٤/ ١٥. والبيعة للوليد كانت في سنة ٨٤ هـ

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٧، الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٦٤.

(٣) ابن سعد: المصدر السابق: ١٢٩.

عورتـه إذا قـتل، فلما ضرب وسجن قال: والله لولا أنني ظننت أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبدا [(١)].

مما سبق كله ندرك طبيعة الخلاف بين سعيد وبني أمية وأسباب وعوامل استمراره.

من آداب خلاف الإمام سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ

يلحظ المتمعن في خلاف سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ لبني أمية وولاتهم ـ التزامه بآداب جمة يجدر الوقوف عندها وتأملها للإفادة منها، ومن أهم تلك الآداب ما يلي:

١ـ إنه على الرغم مما حدث بينه وبين بعض خلفاء بني أمية وولاتهم، فإنه يعترف بإمامتهم وشرعية خلافتهم، فهو يعترف لعبد الملك بن مروان وابنه الوليد بإمرة المؤمنين، كما ورد ذلك في قوله لحاجب عبد الملك حين دعاه لمقابلة عبد الملك فقال له سعيد: ما لأمير المؤمنين إلي حاجة...[(٢)] وكذلك قالها للوليد حين قدم الوليد المدينة ودخل المسجد مع عمر بن عبد العزيز ودار فيه مع عمر حتى قربا من سعيد بن المسيب ووقفا عليه، فقال الوليد لسعيد كيف أنت أيها الشيخ ؟ فقال سعيد: خير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ قال الوليد: خير والحمد لله.

(١) ابن سعد: المصدر السابق: ١٢٦، ١٢٧. الفسوي: ١/ ٤٧٧، ٤٧٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء:٤٢٢٧.

فانصرف وهو يقول لعمر هذا بقية الناس، فقال عمر: أجل يا أمير المؤمنين. "[1]، كما أنه على الرغم من ما صنع به والي المدينة ـ هشام بن إسماعيل ـ فإنه كان يصلي خلفه، وكل ما فعله مقابل إساءته له أن قال: "الله بيني وبين من ظلمني" أو "اللهم انصرني من هشام"[2]، وكان يمتثل أوامرهم فيه، فحين أخرج من السجن نهوا أن يجالسه أحد، فكان إذا أراد أحد أن يجالسه قال: إنهم قد جلدوني، ومنعوا الناس أن يجالسوني.[3]

٢ـ ومن أدب خلافه أنه لم يشغل نفسه بسب بني أمية أو ولاتهم، أو التعرض لهم بالقدح وإثارة الناس عليهم، ولم يكن ليستجيب لكل من يستثيره عليهم، فحين قيل له: ادع على بني أمية، قال: اللهم أعز دينك وأظهر أولياءك وأخز أعداءك في عافية لأمة محمد ﷺ[4].

٣ـ كما لم يدفعه كرهه لبني أمية أن يضع يده مع كل معارض لهم ويسعى لتأييده، بل إنه لما بلغه خروج الحسين بن علي رضي الله عنه على يزيد بن

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٤٦٦. الذهبي: تاريخ الإسلام:٤/ ٦.

(٢) ابن سعد: المصدر السابق نفسه:١٢٦.

(٣) ابن سعد: المصدر السابق نفسه ك ١٢٨. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٧٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء ك٤/ ٢٣٢.

(٤) ابن سعد: المصدر السابق نفسه: ١٢٦، الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٢٣٢.

معاوية قال: "لو أنه لم يخرج لكان خيرا له". [1] كما لم يسارع في تأييد عبد الله بن الزبير ـ نكاية للأمويين ـ حين أعلن معارضته ليزيد وسيطرته على مكة، بل حتى بعد وفاة يزيد وامتداد نفوذ ابن الزبير إلى المدينة وغيرها رفض أن يبايع له على الرغم من محاولة والي ابن الزبير على المدينة انتزاع البيعة منه بالقوة. [2] فلم يتخذ ـ رحمه الله ـ من خلافه مع بني أمية مبررا لتصحيح أخطاء معارضيهم، أو قاسما مشتركا يدفعه لتأييد خصومهم ضدهم.

٤ـ كما أنه على الرغم من كرهه للقرب من خلفاء بني أمية ـ لاسيما بني مروان منهم ـ وربما انتقاده لبعض العلماء الذين خالطوهم كقبيصة بن ذؤيب والزهري [3]، على الرغم من ذلك إلا أن كرهه لهذا العمل من العلماء لم يمتد ليشمل نظرته وتقويمه لهم، بل كان يقدر لهم علمهم واجتهادهم، فروى عنه قوله في الزهري: "ما مات من ترك مثلك" [4] فانظر إلى هذا الأدب في الخلاف بين العلماء حين يختلفون في قضية من القضايا أو موقف من المواقف، فإنه لا يمتد هذا الخلاف ليفسد ذات بينهم أو يشعل فتيل التهم فيما بينهم.

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ١٤٠، الذهبي: المصدر السابق: ٣/ ٢٩٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦٣.

(٢) ابن سعد: المصدر السابق نفسه: ١٢٢. ابن قتيبة: المعارف: ٤٣٧.

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٥٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٣٧.

ومن كل ما سبق من معرفة مظاهر الخلاف بين سعيد بن المسيب وبين بني أمية وولاتهم، ومعرفة أهم أسبابه، وبعد الوقوف عند أبرز الآداب التي تأدب بها سعيد في خلافه هذا، من ذلك كله يمكن القول بأنه كان بالإمكان تلافي هذا الخلاف، أو التخفيف كثيرا من حدته واستمراره، وذلك لو أنه قدر لولاة بني أمية أن يعرفوا طبيعة سعيد بن المسيب، ويقدروا له علمه ومكانته فيحسنوا التعامل معه، ويكسبوا جانبه ويستفيدوا من علمه، ذلك أنه على الرغم من صلابة سعيد فإنه يمكن لمن أحسن التعامل معه وقدر له مكانته أن يكسبه ويفيد من علمه، فانظر إلى عمر بن عبد العزيز حين تولى الحجاز وأحسن التعامل مع العلماء بشكل عام وقدر لهم قدرهم وجعلهم مستشاريه، وخص سعيدا بمزيد من التقدير والاحترام، فمما ذكره ابن كثير [1] أن عمر بن عبد العزيز كان لا يقطع أمرا دون العلماء أو من حضر منهم، وكان لا يخرج عن رأي سعيد بن المسيب. وكان عمر يقول ما كان بالمدينة عالما إلا يأتيني بعلمه وأوتى بما عند سعيد بن المسيب [2]. ونتيجة لهذه المعاملة تجاوب سعيد معها، فقال عنه ابن كثير[3]: وكان سعيد لا يأتي أحدا من الخلفاء، وكان يأتي عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة. ومرة أرسل عمر بن عبد العزيز رسولا إلى سعيد

(١) البداية والنهاية: ٩ / ١٩٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٢٢. الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٢٢٥.

(٣) المصدر السابق:الجزء والصفحة نفسهما.

ليسـأله في مسـألة، فأخطـأ الرسـول فدعاه فلما جاء سعيد قال عمر: أخطأ الرسـول، إنمـا أرسلناه يسألك في مجلسك [١]. فانظر كيف كان حرص عمر على تقديره، وانظر أيضا كيف سارع سعيد إلى المجيء إليه تقديرا له.

وكذلـك الشأن في علاقة سعيد بن المسيب مع جابر بن الأسود - والي ابن الـزبير عـلى المديـنة - من جهة وعلاقته مع طلحة بن عبد الله بن عوف من جهـة أخرى، فقد ساءت علاقته مع جابر بسبب سوء معاملته لسعيد حيث ضربه ليبايع لابن الزبير. [٢] ولما عزل ابن الزبير جابرا وولى طلحة بن عبد الله بـن عـوف وأحسـن معاملـته لسـعيد وغـيره قـال عـنه سـعيد: ما ولينا مثله. [٣]

حجر بن عدي الكندي.

هـو حجـر بـن عـدي بـن جـبلة الكـندي رضي الله عنه معـدود عند عدد من الكتاب في الصحابة [٤] وذكره البعض في عداد التابعين. [١] من أهل العبادة والصلاح، أمارا بالمعروف، مقدما على الإنكار [٢].

---

(١) ابن سعد: المصدر السابق:الجزء والصفحة نفسهما.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٦٥. ابن قتيبة: المعارف: ٤٣٧.

(٣) ابن سعد: المصدر السابق نفسه: ١٦١.

(٤) منهم ابن الأثير في أسد الغابة: ١/ ٣٨٥. وابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب: /. والذهبي: سير أعلام النبلاء:٣/ ٤٦٣.

وكان حجر من أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشيعته، شهد معه الجمل وصفين، فلما انتهى الأمر لمعاوية بايعه واعترف بإمرته، ولكنه كان فيما يبدو غير راض تمام الرضا عما يحدث في الدولة الأموية لاسيما عن تعامل ولاة العراق مع شيعة علي، ولم يكتف حجر بإبداء عدم رضاه وكرهه لتصرفات ولاة معاوية على العراق، بل تعدى ذلك إلى مواجهتهم بالإنكار بالكلام أمام الناس، ووصل الأمر إلى المواجهة بينه وبينهم بالسلاح كما سيبدو ذلك من خلال استعراض مواقف حجر تلك وما انتهت به إليه.

فبعد استقرار الأمر لمعاوية ولى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه على العراق، وكان المغيرة بن شعبة كغيره من ولاة بني أمية قد اعتادوا إذا خطبوا أن يترحموا على عثمان بن عفان رضي الله عنه ويذكرون مآثره، ويثنون على من سعى للأخذ بثأره ممن قتله، وفي المقابل يشتمون من ثار عليه ومن قام بقتله ومن آواهم ودافع عنهم، ونحو ذلك. وقد كان أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشيعته يتضايقون من ذلك ـ لاسيما ـ وأن عددا ممن ثار على عثمان قد انضم مع علي وناصره ضد معاوية وخلطوا أنفسهم بجيشه وعدوا أنفسهم من شيعته وأنصاره، حتى أصبح كل انتقاد وشتم لمن ثار على عثمان

---

(١) منهم البخاري وابن حبان و خليفة بن خياط وابن أبي حاتم. انظر ابن حجر: الإصابة: ١/ ٣٢٩. والبستي في مشاهير علماء الأمصار:٨٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٦٣.

وسعى في قتله يفهمه الكثير من أنصار على أنه موجه لشيعة علي وأنصاره، وكل مدح وثناء لمعاوية ومن سعى معه للأخذ بثأر عثمان، يفهم منه انتقاص لعلي بن أبي طالب وأنصاره، وقد يكون لمثيري الفتنة على عثمان أثر كبير لترسيخ هذا المفهوم لدى شيعة علي وأنصاره، ولعل مداومة ولاة بني أمية على ذلك وحرصهم عليه من الأخطاء التي وقعوا فيها ـ لا سيما في العراق ـ فقد ظنوا أنهم بهذا يسعون إلى تقريب خلفاء بني أمية لقلوب الناس ورفع مكانتهم في نفوسهم، وما دروا أنهم بذلك أسهموا في ترسيخ الفرقة وتوسيع الفجوة في مجال العلاقة بين أنصار علي رضي الله عنه وبني أمية. وكان الأحرى تناسي ذلك كله وفتح صفحة جديدة يشعر الجميع أنهم في صف واحد وفي ميدان واحد يسعون للبناء والإصلاح، دون إثارة للأحقاد والإحن.

وكان مما ينكره حجر بن عدي علي بني أمية وولاتهم في العراق تكرارهم وإغراقهم في تلك المسألة لاسيما إذا لحظ أن في ذلك ذكرا لعلي بن أبي طالب بشيء من التلميح أو التصريح، وكان كلما تكلم المغيرة بشيء من ذلك غضب حجر وأظهر الإنكار عليه، وكان المغيرة ذا حلم وأناة، فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه، ويحذره غب هذا الصنيع، فإن معارضة السلطان شديد وبالها، فلم يرجع حجر عن ذلك، فلما كان في آخر أيام المغيرة قام حجر يوما، فأنكر عليه في الخطبة وصاح به وذمه بتأخيره العطاء عن الناس، وقام معه فئام من الناس لقيامه يصدقونه ويشنعون على المغيرة. وقد أثارت تصرفات حجر هذه عددا من أعيان

الناس وأمرائهم، وخافوا من وقوع الفتنة، فدخلوا على المغيرة في قصره بعد الصلاة فأشاروا عليه بردع حجر عما يتعاطاه من شق العصا والقيام على الأمير، وحثوه على التنكيل به، لكن المغيرة لم يسمع منهم فصفح عنه وحلم به. وكتب معاوية إلى المغيرة أن يمده بمال من بيت المال، فبعث إليه عيرا تحمل المال، فاعترض لها حجر وأصحابه، فأمسك بزمام أولها وقال: لا والله حتى يوفى كل ذي حق حقه. فقال شباب من ثقيف للمغيرة: ألا نأتيك برأسه ؟ فقال: ما كنت لأفعل ذلك بحجر. (١)

ولما توفي المغيرة ولى معاوية بن أبي سفيان زياد بن أبيه ـ بعد أن استلحقه في نسبه ـ الكوفة وجمع له معها البصرة (٢) فلم يكن لزياد هم إلا حجر، وكان زياد وحجر من أصحاب علي قبل ذلك، فلما قدم الكوفة زياد وخطب خطبته الأولى وذكر في آخرها فضل عثمان وذم من قتله أو أعان على قتله. فقام حجر كما كان يقوم في أيام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وتكلم بنحو مما كان يقوله للمغيرة، فلم يعرض له زياد. (٣) ودعا زياد بحجر بن عدي فقال: تعلم أني أعرفك، وقد كنت أنا و إياك على ما

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٥٠.

(٢) يذكر البعض أن معاوية عزل المغيرة عن الكوفة لضعفه. انظر: ابن منظور: مختصر مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢٣٦. ولكن الصحيح أنه لم يعزله بل توفي وهو أمير عليها. انظر: تاريخ خليفة بن خياط ك ٢١٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣١، ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٥٠.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٥٠، ٥١.

قد علمت، يعني من حب علي بن أبي طالب، وإنه قد جاء غير ذلك، وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله، املك عليك لسانك وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضية لدي فاكفني نفسك فإني أعرف عجلتك، فأنشدك الله يا أبا عبد الرحمن في نفسك، وإياك وهذه السفلة وهؤلاء السفهاء أن يستزلوك عن رأيك فإنك لو هنت علي أو استخففت بحقك لم أخصك بهذا من نفسي. فقال حجر: قد فهمت. ثم انصرف إلى منزله، فأتاه إخوانه من الشيعة فقالوا: ما قال لك الأمير ؟ قال: قال لي كذا وكذا. قالوا: ما نصح لك. فأقام وفيه بعض الاعتراض. وكانت الشيعة يختلفون إليه ويقولون: إنك شيخنا وأحق الناس بإنكار هذا الأمر، وكانوا إذا جاء إلى المسجد مشوا معه [(1)] ولما أراد زياد الخروج إلى البصرة رأى أن يأخذه معه فقال له: يا حجر إنك قد رأيت ما صنعت بك، و إني أريد البصرة فأحب أن تشخص معي، فإني أكره أن تخلف بعدي، فعسى أبلغ عنك سيئا فيقع في نفسي، فإذا كنت معي لم يقع في نفسي من ذلك شيء . فقال له حجر: إني مريض ولا أستطيع الشخوص معك. فقال زياد: صدقت والله إنك مريض الدين، مريض القلب، مريض العقل، وأيم الله إن بلغني عنك شيء أكرهه لأحرضن على قتلك، فانظر لنفسك أو دع. فلما خرج زياد أناب عنه على الكوفة عمرو

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢١٨.

بـن حريـث، فاجـتمع إلى حجـر أصـحابه وأخـذوا ينكرون على عمرو بن حريـث، وحصـبوه وهـو عـلى منبره، وكان لا ينفذ الأمر ولا يريد شيئا إلا مـنعوه إياه. [1] فكتب إلى زياد: إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعجل. فأغذ زيـاد السير حتى قدم الكوفة فأرسل إلى عدي بن حاتم [2] وجرير بن عبد الله الـبجلي [3] وخـالد بـن عـرفطة العـذري [4] رضي الله عنه وإلى عدة من أشراف الكوفة فأرسلهم إلى حجر بن عدي ليعذر إليه وينهاه عن هذه الجماعة وأن يكـف لسـانه عمـا يتكلم به، فأتوه فلم يجبهم إلى شيء ولم يكلم أحدا منهم وجعـل يقـول: يـا غلام اعلف البكر.فقال له عدي بن حاتم: أمجنون أنت ؟ أكـلمك بمـا أكـلمك بـه وأنـت تقـول يـا غـلام أعلف البكر ؟ فقال عدي لأصـحابه: مـا كنـت أظـن هذا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى. فنهض

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ابن منظور: ٦/ ٢٣٨، ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٥١.

(٢) عدي بن حاتم الطائي، كان نصرانيا فأسلم سنة تسع وقيل عشر للهجرة، وثبت على إسلامه أيام الردة، وشهد فتح العراق، وسكن الكوفة، وشهد الجمل وصفين مع علي رضي الله عنه توفي سنة ثمان وستين. (ابن سعد: الطبقات الكبرى:٦ / ٢٢. ابن حجر: الإصابة: ٤ / ٢٢٨)

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) هو خالد بن عرفطة العذري، صحب النبي ﷺ وروى عنه، وولاه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه القتال يوم القادسية، نزل الكوفة وابتنى بها دارا له، توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة أربع وستين للهجرة. (ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦ / ٢١. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣ / ١٠٦.)

القـوم عنه وأتوا زيادا فأخبروه ببعض وخزنوا بعضا، وحسنوا أمره وسألوا زيادا الرفق به. [1]

ودخـل زيـاد المسـجد وحجـر جـالس وحوـله أصحابه أكثر ما كانوا يومـئذ، وكـان مـن لـبس منهم يومئذ نحوا من ثلاثة آلاف جلسوا حوله في المسـجد في الحديـد والسـلاح، فخطـب زيـاد خطـبة توعد فيها وهدد فمما قـال: إن هؤلاء أمنوني فاجترؤوا علي، وأيم الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم، ثم قال: ما أنا بشيء إن لم أمنع ساحة الكوفة من حجر وأصحابه وأدعـه نكالا لمن بعده.. وأطال زياد في الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر: الصلاة فمضى في خطبته فلما خشي حجر من فوات الصلاة عمد إلى كف مـن حصـباء ونـادى الصـلاة، وثـار الـناس معـه، فلما رأى ذلك زياد نزل فصـلى بالـناس، فـلما انصـرف مـن صـلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه، فكتب إليه معاوية: أن شده في الحديد واحمله إلي. [2]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢١٨، ٢١٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣ / ٤٦٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٢٥٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٥١. جاءت أخبار خلاف حجر مع ابن زياد ومقتله عند ابن سعد في الطبقات دون إسناد ونقلها عنه الذهبي، كما جاءت عند الطبري في تاريخه من عدة طرق لا تخلو من ضعف ونقل عنه ابن كثير في البداية والنهاية، بينما تقتضب بعض المصادر في ذكر أمر الخلاف بين حجر وزياد وتحصر ذلك في المشهد الأخير حين أعترض حجر على تأخير زياد للصلاة وحصبه أو بعض أصحابه لزياد، كما في الزهد للإمام أحمد، والمستدرك للحاكم كما أورده ابن حجر في الإصابة: ١ / ٣٢٩ في ترجمة حجر.

فبعث زياد شرطه وحدث بينهم وأصحاب حجر بعض المناوشات، وانتهى الأمر على أن يؤمن زياد حجرا ولا يقتله و يبعثه إلى معاوية، فقبل حجر، فلما أتي به إلى زياد قال له زياد ويلك مالك ؟ فقال: إني على بيعتي لمعاوية لا أقيلها ولا أستقيلها [١]. فبعث به إلى معاوية ومعه نفر من أصحابه، وأشهد عليهم زياد سبعين رجلا من أهل الكوفة كتب شهادتهم وأوفدهم شهودا إلى معاوية، وكتب زياد إلى معاوية كتبا يعظم فيها أمر حجر ويزين له أمر قتله حتى ألهفه عليه. [٢] فلما قدموا على معاوية وقرأت عليه الكتب وشهد الشهود أمر بحجر وأصحابه أن يردوا إلى عذراء [٣] ، واستشار معاوية الناس فيهم فمن مشير بقتلهم، ومن مشير بتفريقهم في البلاد [٤]. فأمر معاوية بقتلهم، ثم بعث رسولا بالعفو فما قدم إلا وقد قتل نصفهم منهم حجر وستة معه، ونجا الباقون وهم ستة [٥].

وهكذا وصلت علاقة حجر مع ولاة بني أمية في العراق إلى طريق مسدود، وانتهى به الأمر إلى تلك النهاية المؤلمة، التي لم يتوقعها حجر فيما

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢١٩،

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ابن منظور: ٦/ ٢٣٨.

(٣) عذراء من قرى غوطة دمشق، في الشمال الشرقي منها، على بعد خمسة عشر ميلا، وبها قبور حجر وأصحابه ولا تزال إلى يومنا هذا. (من كلام محقق كتاب سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٦٤ هامش "١")

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٥٢.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٦٥.

يبدو، ولم يرضها العلماء ولا أهل الرأي والعقل لا لحجر ولا لمعاوية ' فكانت أم المؤمنين عائشة لما علمت ببعث حجر وأصحابه أرسلت إلى معاوية عبد الرحمن بن الحارث المخزومي تسأله أن يخلي سبيلهم، ولكنه لما قدم على معاوية وجد أمر معاوية بالقتل قد نفذ فيهم، فقال: يا أمير المؤمنين أين عزب عنك حلم أبي سفيان ؟ فقال: غيبة مثلك عني من قومي [(١)] وظلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ واجدة على معاوية تصرفه هذا في حجر ومن معه، فوردت عدة روايات تذكر غضبها من ذلك ولومها معاوية لما قدم عليها خلال سفره للحج.وتفيد تلك الروايات أن عائشة حجبت معاوية ولم تأذن له بالدخول عليها، فلم يزل يتلطف حتى دخل فلامته على مقتل حجر وأصحابه، وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" **سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء** " [(٢)] فلم يزل يعتذر حتى عذرته، وكان مما اعتذر به قوله: يا أم المؤمنين أني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خيار من استحيائه في فسادهم. [(٣)]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣٢١, ٣٢٠. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٥٥. وقال: هذا اسناد ضعيف منقطع. وكذلك عند ابن حجر في الإصابة: ١/ ٣٢٩. وقال في سنده انقطاع.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ابن منظور: ٦/ ٢٤٢،٢٤١.) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٥٤، ٥٥.

وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ حين انطلق بحجر يتخبر عنه، فأخبر بقتله وهو السوق فأطلق حبوته وولى وهو يبكي.[١]

كما عاتب العالم الجليل مالك بن هبيرة السكوني معاوية حين بلغه قتل حجر فمما قال له: "يا أمير المؤمنين، أسأت في قتلك هؤلاء النفر، ولم يكونوا أحدثوا ما استوجبوا به القتل." فقال معاوية: قد كنت هممت بالعفو عنهم إلا أن زياد رد علي يعلمني أنهم رؤساء الفتنة، وأني متى قتلتهم اجتثثت الفتنة من أصلها.[٢]

ولما بلغ الربيع بن زياد وكان عاملا لمعاوية على خراسان [٣] مقتل حجر دعا الله عز وجل وقال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل، فلم يبرح من مجلسه حتى مات.[٤]

وكان زياد قد سأل شريحا القاضي عن حجر وما كان منه فقال شريح إنه كان صواما قواما، ورأى زياد أن مجرد سؤاله لشريح - بصرف النظر عن الجواب - مبرر له في إدراج اسم شريح في جملة الشهود، لكن عندما علم شريح بذلك كتب إلى معاوية قائلا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من شريح بن هانئ أما بعد ؛ فبلغني أن زيادا كتب

---

(١) ابن حجر: الإصابة: ١/ ٣٢٩. وانظر ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٥٥.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، مراجعة حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م:١٧٠.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة: ١ /٣٨٦.

إليك بشهادتي على حجر بن عدي، وأن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال، فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه. (١)

وورد أن معاوية ندم على قتله حجر، فروي عن سفيان الثوري: أن معاوية قال: ما قتلت أحدا إلا وأنا أعلم فيم قتلته، وما أردت به، إلا حجر بن عدي، فإني لا أعرف فيم قتلته. (٢) وقال معاوية لعبد الله بن يزيد بن أسد حين دخل عليه في مرض موته: رحم الله أباك إن كان لنا ناصحا، نهاني عن قتل ابن الأدبر يعني حجرا. (٣)

وقد كان يزيد بن أسد القسري (٤) ممن أشار على معاوية بتفريق حجر وأصحابه في قرى الشام ولا يقتلهم. (٥)

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٢٧٢.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ابن منظور: ٦/ ٢٤٢.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ابن منظور: ٦/ ٢٤٢، ٢٧/ ٣١٧.

(٤) هو يزيد بن أسد البجلي القسري وجد خالد بن عبد الله القسري - أمير العراق لهشام بن عبد الملك - قيل له صحبه لحديث يرويه خالد القسري عن أبيه عبد الله عن جده يزيد أن رسول الله ﷺ قال: يا يزيد أحب للناس ما تحب لنفسك، وشهد يزيد بن أسد صفين مع معاوية، وغزا أرض الروم ففتح قيسارية. (ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ابن منظور: ٢٧/ ٣١٦،٣١٧، ابن الأثير أسد الغابة: ٥/١٠٣.)

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٢٧٢.

ولعل السبب الرئيس في إنهاء موقف حجر رحمه الله بهذه النهاية المؤسفة هو حرص زياد في آخر الأمر على أن ينتهي الحل بمقتل حجر وكبار أصحابه، ويبدو ذلك من حرصه على إظهار أمر حجر لمعاوية بالأمر الخطير الذي يهدد سلطان معاوية، ليقنعه بأن الحل الأمثل هو القتل. فمما ورد في بعض كتبه: إن كان لك في سلطانك حاجة أو في الكوفة حاجة فاكفني حجرا، وجعل يرفع الكتب إلى معاوية حتى ألهفه على حجر.[1] كما حرص على تكثير الشهود على حجر وأصحابه، وصاغ شهادتهم بأسلوب لا يقل عن كتبه في تعظيم أمر حجر، فأورد الطبري[2] أن زيادا طلب من رؤساء الأرباع يومئذ وهم: عمرو بن حريث، وخالد بن عرفطة، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة، وأبو بردة بن أبي موسى. طلب من هؤلاء الشهادة فشهدوا أن حجر بن عدي جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه أهل حربه، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه، وعلى مثل رأيه وأمره. وأورد ابن كثير[3] صيغة مقتضبة لهذه الشهادة حيث قال: وبعث معه ـ أي حجر ـ جماعة

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦ / ٢٣٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٢٦٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٥١.

يشهدون أنه سب الخليفة، وأنه حارب الأمير، وأنه يقول: إن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل علي بن أبي طالب.ولعل ابن كثير وقف على ما أورده الطبري ولكنه اقتصر على هذه التهم الثلاث لكونه يرى أن غيرها مبالغ فيه أو مزيد فيه. ومع ما في تلك الشهادة من مبالغة فقد أورد الطبري [1] أن زيادا لم يقتنع من تلك الشهادة وعدد الشهود فقال: ما أظن هذه الشهادة قاطعة، وإني لأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة. ثم أورد تلك الصيغة التي طلب من الشهود أن يشهدوا على مثلها وهي: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله عز وجل كفرة صلعاء. والمطلع على هذه الصيغة يجزم بأن بعض العبارات لم تكن فيها أصلا وإنما أدخلت عليها وزيدت فيها، إذ لا يتصور مسلم في أي عصر أن يشهد مسلم على مسلم من عامة المسلمين بأنه خرج من الإسلام وكفر كفرة صلعاء، فكيف يجوز أن يشهد بهذا رجال من أهل الفضل والشرف على حجر وقد شهد له بالصلاح والاستقامة والورع، ويتأكد الجزم بتلك الزيادات إذا علم بأن الطبري أورد صيغة تلك الشهادة عن أبي مخنف وهو راو معهود عنه

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٢٦٨، ٢٦٩.

الكـذب وفسـاد الاعـتقاد [(١)]، ولكنه مع قولنا بوجود دس في عبارات هذه الشـهادة أو تلـك أو الشـك في أصـلها فـإن ملابسـات الأحـداث تشير إلى وجـود تدخـل مـن زياد في شهادة الشهود وصياغتها بما يضمن له الوصول إلى النتـيجة الـتي يأملها، ومن ذلك ما ورد في بعض الروايات أن حجرا لما أتـي بـه إلى معاويـة قـال له: السـلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال له معاوية مسـتنكرا: أو أمـير المؤمـنين أنـا ؟ قـال نعـم ثلاثا. [(٢)] ومن ذلك أن زيادا كتـب وحشـر بعـض الأسماء دون علم أصحابها كشريح القاضي وشريح بـن هانئ، أما شريح القاضي فقد سبقت الإشارة إلى موقفه من ذلك ببعث رسـالة إلى معاويـة يوضـح فـيها حقيقة شهادته، وأما شريح بن هانئ فكان يقـول: مـا شـهدت، ولقـد بلغـني أن قـد كتبت شهادتي، فأكذبته ولمته. [(٣)] فـزياد بـتلك الكتـب و الإجراءات تحقق له ما أراد من استثارة معاوية على حجر ودفعه لاتخاذ قرار قتل حجر وأصحابه.

ويـأتي كسبب ثان لنهاية حجر تلك عدم استشارة معاوية لأهل العلم والأخـذ بـرأيهم في هذا الأمر الخطير، فهو وإن كان صاحب رأي وذا حلم وأنـاة إلا أن مقتل حجر عد ثلمة في حلمه كما قال عبد الرحمن بن الحارث رسـول أم المؤمـنين رضـي الله عـنها إلى معاويـة: " والله لا تعـد لك العرب

(١) انظر القول في أبي مخنف ص: ٣٥٢ في الحاشية .

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ابن منظور: ٦ / ٢٣٨.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٢٧٠.

حـلما بعدهـا ولا رأيـا " [1] فمـا كـان أحـوج معاويـة هـنا لمشورة العلماء والأخـذ برأيهم. فكان رأي عبد الرحمن بن الحارث وهو من خيار المسلمين عـلما ودينا [2] أن يحبس حجر وأصحابه. [3] فإبعاد حجر عن أهل العراق كفيل بإطفاء نار الفتنة. والله أعلم.

(١) ابن الأثير: أسد الغابة: ١ / ٣٨٣٨٦.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة: ٣/ ٢٨٣.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة:١/ ٢٨٦.

المبحث الثاني: موقف العلماء من جور الولاة في الدولة الأموية.

ظهر في ميدان الإدارة في الدولة الأموية بعض الولاة الذين اصطبغت سيرهم أو بعض جوانبها بشيء من الجور و الظلم في سياساتهم وتعاملهم مع الرعية، وخاصة في تلك الأقاليم التي عمد بعض خلفاء بني أمية إلى تعيين ولاة عهد عنهم الشدة والبطش، طمعا في إخضاع تلك الأقاليم لسلطانهم، دون النظر إلى أساليبهم ووسائلهم في تحقيق ذلك. وفي مقدمة أولئك الولاة الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي اشتهر عنه التسرع في سفك الدماء وقتل النفوس التي حرم الله بأدنى شبهة [1]، وامتلأت سجونه بالسجناء بحق وبغير حق، [2] وقد أثر عنه بعض التجاوزات الشرعية،

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٤٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٢٣، ١٣٣. ابن حجر: فتح الباري: ١٠/١٤٢. يحيى اليحيى: الخلافة الراشدة و الدولة الأموية من فتح الباري: ٦٧٤، ٦٧٥.

(٢) وكما وردت مبالغات في أعداد الذين قتلهم الحجاج وردت كذلك مبالغات في أعداد من سجنهم، فقد ورد أن سليمان بن عبد الملك أطلق في غداة واحدة واحدا وثمانين ألفا كانوا في سجن

=

كتأخير الصلاة [1]، واحتقار بعض صحابة رسول الله ﷺ وتطاوله عليهم، كإساءته الكلام في عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه حين قال فيه: يا عجبا من عبد هذيل، يزعم أنه يقرأ قرآنا من عند الله، والله ما هو إلا رجز من رجز الأعراب، والله لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه. والسبب في ذلك كون عبد الله بن مسعود خالف القراءة على مصحف الإمام الذي جمع الناس عليه عثمان رضي الله عنه. [2] وكذلك إساءته لخادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه عدة مرات حتى اضطر إلى أن يشكوه إلى عبد الملك و إلى ابنه الوليد من بعده [3].

وقد سار على نهج الحجاج في الشدة والبطش بعض الولاة خاصة أقرباءه الثقفيين، كأخيه محمد بن يوسف والي اليمن فقد كان غشوما ظالما

الحجاج، وقيل لبث في سجن الحجاج ثمانون ألفا منهم ثلاثون ألف امرأة، (ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢٢٦ ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٣٦.) ولكن مهما كانت هذه المبالغة إلا أنها تشير إلى جانب من شدة الحجاج واستخدامه السجن كوسيلة لإخضاع الناس لحكمه.

(١) صحيح الإمام مسلم: ١/ ٤٤٧.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢١٥، ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٢٨،١٢٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٠٤، ابن حجر: فتح الباري: ٧/ ١١٨. وسيأتي الحديث بالتفصيل عن تجاوزات الحجاج تلك، انظر: المبحث الخامس من الفصل الخامس.

يتطاول على علي بن أبي طالب رضي الله عنه [1]. ويوسف بن عمر الثقفي الذي كان مع جوده وكرمه جبارا عسوفا، ومن عسفه سجنه للعالم الجليل وهب بن منبه ـ رحمه الله ـ وضربه له حتى مات. [2] ومن هؤلاء الولاة والي مصر للوليد بن عبد الملك قرة بن شريك، قال عنه الذهبي [3]: ظالم جبار عات فاسق. وقال عنه ابن عساكر [4]: كان سيء السيرة، من أظلم خلق الله. وهؤلاء الولاة وإن كان لهم إصلاحات في بعض الجوانب والميادين كالفتوحات وإخماد الثورات إلا أن لهم عددا من التجاوزات التي أساءت للإسلام والدولة الإسلامية بل ولبني أمية أنفسهم. وقد كان للعلماء مواقف واضحة تجاه جور أولئك الولاة وتجاوزاتهم، ومن الملاحظ أن مواقفهم مع الحجاج كانت أكثر ورودا في المصادر من غيرها، ولعل ذلك يرجع إلى عدة عوامل من أبرزها: طول مدة الحجاج في الولاية إذا ما قورن بغيره من الولاة، إذ بلغ مجموع ولايتيه على الحجاز والعراق ما يقرب من ثنتين وعشرين سنة، كما يعود ذلك إلى أن الحجاز والعراق ـ مجال حكم الحجاج ـ يوجد بهما أكبر عدد من العلماء في الدولة الإسلامية، وأدى ذلك إلى تعدد مواقفهم مع الحجاج، كما أن هذين

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٣٦٨، ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٨٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٤٢، ٤٤٣.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٩.

(٤) مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢١/ ٧٧، ٧٨.

الإقليمين يمثلان المجال الحي والمسرح النشط للأحداث في الدولة الأموية، ونتيجة لما يحدث من أخطاء وتجاوزات في التعامل مع هذه الأحداث تتعدد مواقف العلماء كذلك. وقد سلك العلماء في موقفهم من جور الولاة وتجاوزاتهم عدة أساليب يمكن ذكرها بحسب ما تيسر لي الوقوف عليه فيما يلي:

أساليب العلماء في التعامل مع ولاة الجور:

١ـ رفع أمرهم إلى الخليفة وإبداء النصح له بشأن ظلمهم وتجاوزاتهم.

يرى العلماء أن الخليفة هو المسؤول الأول عن تعيين الولاة، وهو الجهة العليا التي لها النفوذ على الولاة أمرا و نهيا، لذا فإن أقصر طريق وأسلمه لكف تجاوزات الولاة وجورهم هو الخليفة، وقد سبق ذكر نماذج من تلك المواقف التي أبدى فيها بعض العلماء النصح للخلفاء بشأن بعض ولاة الجور وتجاوزاتهم، كموقف إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، ومعاوية بن قرة مع عبد الملك بن مروان تجاه الحجاج وسياسته في الحجاز و العراق [١] وكان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ممن حرص ـ قبل أن يلي الخلافة ـ على محاربة سياسة الجور والبطش التي يسلكها بعض ولاة بني أمية، وذلك عن طريق إقناع الخلفاء بخطأ تلك السياسة، وقد سبقت

(١) انظر ص: ٢٧٠، ٢٧٤.

الإشـارة إلى نصحه للوليد في هذا الشأن وقد جاء فيها: إنه ليس بعد الشرك إثـم أعظـم عـند الله مـن الدم، وإن عمالك يقتلون ويكتبون إن ذنب فلان المقـتول كـذا وكـذا ، وأنـت المسـؤول عنه والمأخوذ به. فاكتب إليهم أن لا يقـتل أحـد منهم أحدا حتى يكتب بذنبه ثم يشهد عليه ثم تأمر بأمرك على أمـر قـد وضـح لـك. قـال: بـارك الله فيك يا أبا حفص ومنع فقدك. علي بكـتاب، فكتـب إلى أمـراء الأمصار كلهم فلم يحرج من ذلك إلا الحجاج، فإنـه أمضـه، وشـق عليه وأقلقه، لذا تحايل على أن يتخلص من قرار الوليد هذا [1].

فـلما رأى عمـر أن الحجـاج مـاض في سياسـته تلـك رفـع ـ وهو في المديـنة ـ كتابا إلى الوليد بن عبد الملك يخبره عن حال أهل العراق وأنهم في ضـيم وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشمه [2] ومع أن الوليد لم يعمل شيئا يحد من جور الحجاج لقناعته وميله إلى أسلوب الشدة والجبروت، فإن عمر أدى ما عليه من البلاغ والنصح للخليفة فيما يراه.

وقـد كـان لهـذه الوسـيلة الـتي سـلكها بعض العلماء أثر في الحد من تجـاوزات وجـور بعـض الولاة، وإن كان أثرها محدودا لدى بعض الخلفاء، فإنهـا نجحت إلى حد كبير لدى بعضهم الآخر، فقد استجاب عبد الملك بن

---

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز: ١١٩ ـ ١٢١. وانظر ص: ١٦٣، ١٦٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٨٨.

مروان لنصيحة إبراهيم بن محمد بن طلحة فعزل الحجاج عن الحجاز وخلص أهله من ظلمه وسوء تعامله. (١) كما استجاب سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز فعزل عددا من الولاة الذين أساؤا السيرة وفي تعاملهم عنف وعسف، فعزل ولاة الحجاج الذين هم على نهجه وطريقته، (٢) ومنهم والي المدينة عثمان بن حيان عن المدينة. (٣)

وفي عهد هشام بن عبد الملك تم عزل خالد بن عبد الملك بن الحارث المخزومي الذي كان يسيء التعامل مع آل البيت ولقي بعض العلماء منه ضيقا وعنتا، مما جعل العالم الجليل عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٤) يشتكيه إلى هشام فعزله. (٥)

٢- هجرهم لولاة الجور وعدم قبول أعطياتهم.

ومن الأساليب التي اتخذها بعض العلماء في تعاملهم مع من يرونهم ولاة جور وظلم أسلوب الهجر والإعراض وعدم قبول عطاياهم أو

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤/ ١٢١. الذهبي: سير أعلام النبلاء:: ٤/ ٥٦٣.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٥.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ٣١٧.

(٤) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) انظر الزبيري: نسب قريش: ٢٨٠، ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ٣٨٧.

هداياهم، ورفض العمل لهم، ولعلهم أرادوا بذلك إشعار هؤلاء الولاة والناس من حولهم بعدم رضاهم عن منهجهم وما يقع منهم من ظلم، فقد مر طاووس بن كيسان مع ابنه في طريقهما إلى الحج ببعض القرى التي يحكمها ابن نجيح لوالي اليمن ـ وكان ابن نجيح هذا من أخبث عمال اليمن ـ فلما صلى طاووس صلاة الصبح في المسجد ورآه ابن نحجيح جاءه فقعد بين يديه، فسلم عليه، فلم يجبه، ثم كلمه فأعرض عنه، ثم عدل إلى الشق الآخر، فأعرض عنه، فلما رأى ابنه موقف والده مع ابن نجيح أنحرج لذلك فقام إليه ومدّ يده إليه وجعل يسائله، ويعتذر لوالده قائلا: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك، فقال العامل: بلى معرفته بي فعلت ما رأيت.ثم مضى طاووس وهو ساكت لا يقول لابنه شيئا، ثم قال له بعد ذلك: أي لكع، بينما أنت زعمت تريد أن تخرج عليهم بسيفك، لم تستطع أن تحبس عنه لسانك.[1] ونلحظ أن ابن نجيح قد فهم موقف طاووس وإعراضه عنه، و أن ذلك بسبب معرفة طاووس بسيرته وعدم رضاه عنها. وللسبب نفسه كان طاووس يعرض عن قبول أعطيات وهدايا والي اليمن محمد بن يوسف، الذي كان يحاول أن تكون تلك الأعطيات يدا له على طاووس تساعد على كسبه وإغضائه عما يرى من تجاوزات في ولايته. فورد أن والي اليمن محمد بن يوسف مر وطاووس يصلي في غداة باردة فأمر بإلقاء

---

(١) انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤١.

ساج أو طيلسان عليه، فلم يرفع طاووس رأسه حتى فرغ من صلاته، فلما سلم نظر فإذا عليه الساج، فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله. (١)
كما ورد أن محمد بن يوسف بعث إلى طاووس بسبع مائة دينار أو خمس مائة، وقيل للرسول: إن أخذها الشيخ منك، فإن الأمير سيحسن إليك ويكسوك، فقدم بها على طاووس، فأراده على أخذها، فأبى، فغفل طاووس فرمى بها الرجل في كوة البيت، ثم ذهب وقال لهم: قد أخذها، ثم بلغ محمد بن يوسف عن طاووس شيء يكرهه فقال: ابعثوا إليه، فليبعث إلينا بمالنا، فجاءه الرسول، فقال: المال الذي بعث به الأمير إليك، قال: ما قبضت منه شيئا، فرجع الرسول، وعرفوا أنه صادق، فبعثوا إليه الرجل الأول فقال: المال الذي جئتك به أبا عبد الرحمن، قال: هل قبضت منك شيئا ؟ قال: لا، ثم نظر حيث وضعه، فمد يده فإذا بالصرة قد بنى العنكبوت عليها، فذهب بها إليهم. (٢)

ولعل من قبيل هجر العلماء وكرههم للتعامل مع ولاة الجور ما ورد عن كره الإمام الجليل محمد بن سيرين للتعامل بالدراهم الحجاجية (٣).

---

(١) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٤ / ٤، ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٣٦٧ ، الذهبي: سير أعلام النبلاء:: ٥/ ٤٧.

(٢) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٤٠.

(٣) كان الحجاج قد قام بضرب عملة من النقود سنة أربع وسبعين وقيل خمس وسبعين (ابن خلدون: تاريخه العبر: ١/ ٢١٨) وقد يكون ابن سيرين كره التعامل بالدراهم الحجاجية بسبب أن

=

فعن ميمون بن مهران قال: قدمت الكوفة وأنا أريد أن أشتري البز، فأتيت محمد بن سيرين وهو يومئذ بالكوفة فساومته، فجعل إذا باعني صنفا من أصناف البز قال: هل رضيت ؟ فأقول نعم، فيعيد ذلك علي ثلاث مرات، ثم يدعو رجلين ثم يشهدهما على بيعنا ثم يقول انقل متاعك، وكان لا يشتري ولا يبيع بهذه الدراهم الحجاجية فلما رأيت ورعه ما تركت شيئا من حاجتي أجده عنده إلا اشتريته حتى لفائف البز [(١)]

وقد اشتهر عن سعيد بن المسيب قوله في التحذير من مجالسة أعوان الظلمة ومداومة النظر لهم نظر إعجاب وإكبار فكان يقول ـ رحمه الله ـ: " لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكيلا تحبط أعمالكم " [(٢)]

وقد يرى البعض أن مفارقة بلد من اشتهر بالجور أسلم لدينه وعاقبته، فقد ورد [(٣)] عن عبد الله بن حسن بن حسن [(٤)] قال: كان علي

الحجاج كان قد كتب على هذه الدنانير " الله أحد الله الصمد " لأن في ذلك نوعا من عدم تعظيم القرآن الكريم.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٠٢ ، ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٢/ ٢٢٣.

(٢) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٧٠ ، ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٢/ ٤٤ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٢ / ٣٧٨ ، الذهبي:سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٣٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٨١، ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٢١.

(٤) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير [1] في مؤخرة مسجد رسول النبي ﷺ بعد العشاء الآخرة، فكنت أجلس معهما، فتحدثا ليلة فذكرا جور من جار من بني أمية والمقام معهم، وهما لا يستطيعون تغيير ذلك، ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهم، فقال عروة لعلي: يا علي، إن من اعتزل أهل الجور، والله يعلم منه سخطة لأعمالهم، فإن كان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رجي له أن يسلم مما أصابهم. قال: فخرج عروة فسكن العقيق [2]. قال عبد الله: وخرجت أنا فنزلت سويقة [3].

وتجدر الإشارة إلى أن بعض العلماء قد يجد نفسه مجبرا على تولي بعض أعمال من اشتهر عنهم الجور والظلم، كتولي العرافة وجمع الصدقات وغير ذلك من الأعمال التي يرى الولاة أن مصلحتهم لا تتحقق إلا بتولي العلماء لها.

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) العقيق: العرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق، و يطلق على عدة أماكن، والمراد به هنا عقيق المدينة.(ياقوت: معجم البلدان: ٤/ ١٣٨، ١٣٩)

(٣) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب. (ياقوت: معجم البلدان: ٣/ ٢٨)

٣ـ إنكارهم على ولاة الجور وردهم على تجاوزاتهم.

من الأساليب التي اتخذها العلماء في تعاملهم مع من يرونهم من ولاة الجور إنكارهم عليهم وردهم على تجاوزاتهم، وذلك حين يصدر من أولئك الولاة بعض التجاوزات والأخطاء التي تؤدي إلى التهاون بشيء من تعاليم الإسلام أو تفضي إلى النيل من مقام أصحاب رسول الله ﷺ.

فعندما تولى عبيد الله بن زياد العراق وظهر منه التسرع في سفك الدماء، وبعض التجاوزات، أنكر عليه بعض العلماء ذلك، فأورد ابن عساكر [(١)] عن الحسن قال: قدم علينا عبيد الله بن زياد أميرا، أمره علينا معاوية، فقدم علينا غلاما سفيها يسفك الدماء سفكا شديدا، وفينا عبد الله بن مغفل المزني ـ صاحب النبي ﷺ وكان من التسعة رهط الذين بعثهم عمر بن الخطاب يفقهون أهل البصرة في الدين، فدخل عليه ذات يوم فقال له: انته عما أراك تصنع، فإن شر الرعاء الحطمة، فقال له: ما أنت وذاك، إنما أنت حثالة من حثالات أصحاب محمد ﷺ فقال له: وهل كان فيهم حثالة لا أم لك ؟! بل كانوا بيوتات وشرف مما كانوا منه، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: (**ما من إمام ولا وال بات ليلة سوداء غاشا**

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥ / ٣١٧.

لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[1]. ثم خرج من عنده حتى أتى المسجد فجلس فيه.

وبعد مقتل الحسين رضي الله عنه أحضر ابن زياد رأسه عنده ثم أخذ ينكت بقضيب معه أنفه وثناياه، ويتساءل متهكما عن ذلك الحسن الذي يذكره الناس فيه ، وكان أنس بن مالك رضي الله عنه[2] حاضرا فأنكر على ابن زياد عبثه ونيله من ابن بنت رسول الله ﷺ فروى الترمذي والبخاري واللفظ له عن أنس رضي الله عنه قال: أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي فجعل ينكت وقال: في حسنه شيئا فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوبا بالوسمة.[3] وفي رواية أنه لما رأى ابن زياد ينكت بالقضيب في ثنايا الحسين رضي الله عنه قال والله لأسوءنك، إني رأيت رسول الله ﷺ يلثم حيث يقع قضيبك قال: فانقبض ابن زياد.[4]

---

(١) انظر: القضاعي: أبو عبد الله محمد بن سلامة: مسند الشهاب، مراجعة حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ: ٢/ ٢٢. وأخرج مسلم في صحيحة عن معقل بن يسار نحوا من معنى هذا الحديث: ١/ ١٢٥، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار.

(٢) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) صحيح البخاري: ٤/ ٢١٦، مناقب أصحاب النبي: باب ٢٢ ، سنن الترمذي: مناقب / باب: ١٠٩.

(٤) مسند الإمام أحمد: ٢ / ٧٨٤ ..الإمام أحمد: فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط: الأولى، دار العلم، جدة، ١٤٠٣ هـ. مسند أبي يعلى: ٧/ ٦١.

وبعدما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وتمت له السيطرة على مكة خطب الناس، وكان مما قال: "إن ابن الزبير حرف كتاب الله وفي رواية غير كتاب الله، فقام ابن عمر وقال: كذبت كذبت كذبت، ما يستطيع ذلك ولا أنت معه. [1]

وخطب الحجاج الناس يوم الجمعة فأطال حتى كاد يذهب وقت الصلاة، فقام ابن عمر فقال: أيها الناس قوموا إلى صلاتكم فقام الناس، فنزل الحجاج فصلى، فلما انصرف قال لابن عمر ما حملك على ذلك قال: فقال: إنما نجيء للصلاة فصل الصلاة لوقتها، ثم بقبق [2] بعد ذلك ما شئت من بقبقة. [3]

كما أنكر ابن عمر على الحجاج تهاونه في إشاعة حمل السلاح في مكة وتركه لرجال جيشه يضايقون به المسلمين ويعرضون حياتهم بذلك للخطر، ففي الصحيح عن سعيد بن جبير قال: كنت مع ابن عمر حين أصابه سنان الرمح في أخمص قدمه فلزقت قدمه بالركاب فنزلت فنزعتها

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٨٤، ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦ / ٢٠٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٣٠، وقال المحقق: إسناده صحيح. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٢١.

(٢) في اللسان: بق الرجل: أي كثر كلامه. و في القاموس المحيط: رجل بقاق: مكثار.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر:٦/ ٢٠٤، ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٢١.

وذلك بمنى فبلغ الحجاج فجعل يعوده، فقال الحجاج: لو نعلم من أصابك فقال ابن عمر: أنت أصبتني. قال وكيف قال: حملت السلاح في يوم لم يكن يُحمل فيه، وأدخلت السلاح الحرم ولم يكن السلاح يدخل الحرم. وفي رواية عن إسحاق بن سعيد عن أبيه قال: دخل الحجاج على ابن عمر وأنا عنده فقال: كيف هو فقال: صالح. فقال: من أصابك. قال: أصابني من أمر بحمل السلاح في يوم لا يحل فيه حمله يعني الحجاج. [1]

وحدث أن الحجاج أراد أن يضع رجله على المقام فزجره ابن الحنفية. [2]

ولما شاع عن الحجاج الإسراف في القتل بعد توليه العراق دخل عليه عبد الرحمن بن أبي نعم [3] فأنكر عليه كثرة القتل فهدده الحجاج بالقتل فقال له: من في بطنها أكثر ممن على ظهرها. [4]

ومن ذلك إنكار يزيد الضبي [5] على الحكم بن أيوب ـ والي البصرة للحجاج ـ [1] تأخيره للصلاة، وقد طالت مواقف يزيد مع الحكم حتى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتب العيدين باب: ٩. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٨٥،١٨٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٣٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١١٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ١٢٦.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٥٧٤ ، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٣.

(٥) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

انتهى به الأمر إلى ضربه وسجنه، وكان الحسن البصري - رحمه الله - ينهى يزيد عن تعريض نفسه لإذلال الحكم له، فحين خرج يزيد من السجن جاء إلى الحسن فقال يا أبا سعيد غلبنا على كل شيء، أنغلب على صلاتنا ؟ فقال يا عبدالله إنك لم تصنع شيئا، إنك تعرض نفسك لهم.[2] ولكن يزيد لم يأخذ برأي الحسن البصري، فكرر الموقف حيث أنكر على الحكم تأخيره للصلاة واسترساله في الخطبة مما جعل يزيد يقف معترضا عليه وقال: رحمك الله الصلاة. فأمر به الحكم فأخذ، فلما جاء به الشرط إلى الحكم، قال له الحكم: أمجنون أنت ؟ فقال يزيد: هل من كلام أفضل من كتاب الله؟ قال: لا، فقال يزيد: أصلح الله الأمير، أرأيت لو أن رجلا نشر مصحفا يقرؤه من غدوة إلى الليل، أكان ذلك قاضيا عنه صلاته ؟ قال: والله إني لأحسبك مجنونا. ثم كتب الحكم فيه إلى الحجاج: أن رجلا من بني ضبة قام يوم الجمعة قال: الصلاة، وأنا أخطب، وقد شهد الشهود عندي أنه مجنون.

ولعل بعض من حضر شهد عليه بذلك ليخلصه من بطش الحجاج خوفا من قتله له أو التنكيل به. وقد جاء في رد الحجاج: أن كانت قد

---

(١) ولاه الحجاج البصرة عندما قدم العراق واليا سنة خمس وسبعين، فلم يزل فيها حتى قدمها ابن الأشعث في ثورته أول سنة ثنتين وثمانين، فلحق الحكم بالحجاج، فلما هزم ابن الأشعث أعاده الحجاج على البصرة. (تاريخ خليفة بن خياط: ٢٩٢)

(٢) بدران: تهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤/ ٣٩٤،٣٩٣.

قامت الشهود العدول عندك أنه مجنون فخل سبيله، وإلا فاقطع يديه ورجليه واسمر عينيه واصلبه. فشهدوا عند الحكم أنه مجنون فخلى سبيله.

ثم وجده الحكم بعد ذلك في مجموعة من أصحابه قد اجتمعوا بعد دفن صاحب لهم قد مات فجلسوا يذكرون الله ويتذاكرون معادهم، فلما أقبل الحكم في رجاله انسل أصحاب يزيد وبقي بمفرده، فكلمه الحكم وساءله عن سبب اجتماعهم فأخبره بأمرهم، وذكره صاحب شرطته بمواقف يزيد، فقال الحكم ليزيد أما إنك لجريء، ثم أمر بضربه وسجنه، فمكث في السجن حتى توفي الحجاج.[1]

ومن ذلك إنكار أبي شريح الخزاعي[2] على عمرو بن سعيد ـ والي المدينة ـ عندما قطع بعثا لغزو ابن الزبير في مكة فقال له: أبو شريح: يا هذا إني سمعت رسو الله ﷺ يقول: إن مكة حرام حرمها الله ولم يحرمها الناس، وإن الله إنما أحل لي القتال ساعة من النهار، ولعله أن يكون من بعدي رجال يستحلون القتال بها، فمن فعل ذلك منهم فقولوا: إن الله أحلها لرسوله ولم يحلها لك، وليبلغ الشاهد الغائب، ولولا أن رسول الله ﷺ قال: ليبلغ الشاهد الغائب ما حدثتك بهذا الحديث. قال عمرو بن

---

(١) تفرد بذكر مواقف يزيد الضبي مع الحكم بن أيوب ابن عساكر في تارخ مدينة دمشق. انظر ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ٢١٤ ـ ٢١٧. بدران: تهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤/ ٣٩٢ ـ ٣٩٥.

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم .

سعيد: إنك شيخ قد خرفت، وقد هممت بك، قال أما والله لتتكلمن بالحق وإن شددت رقابنا. [1]

وكان الإمام محمد بن المنكدر قد تعرض إلى إيذاء والي المدينة - عثمان بن حيان المري - وضربه، وذلك بسبب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. [2]

٤ ـ إظهارهم للناس عدم رضاهم عما يحدث من الجور والظلم.

إن جميع الأساليب التي سبق ذكرها تشير إلى عدم رضا العلماء عما يحدث من جور وظلم من قبل بعض الولاة، ولكن أحب أن أشير هنا إلى ما سلكه بعض العلماء من أسلوب مباشر أوضحوا فيه للناس عدم رضاهم عما يحدث من بعض الولاة من تجاوزات وجور وظلم، وصل في بعض الأحيان إلى الجهر بذلك علانية أمام الناس، ومن هؤلاء الإمام الحافظ يحيى بن أبي كثير [3] فقد ذكر الذهبي في ترجمته [4] عن أبي حاتم الرازي بأنه نالته محنة وضرب لكلامه في ولاة الجور.

---

(١)صحيح البخاري: ١/ ٣٤. العلم / ٣٧ . ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة:٧ / ٩٨. الطحاوي: أبو جعفر حمد بن محمد بن سلامة: شرح معاني الآثار: مراجعة محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ٣/ ٣٢٧.

(٢)الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦٦٠. وانظر ترجمة محمد بن المنكدر في ملحق التراجم .

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٨.

وقد كان الإمام الفقيه عبد الله بن محيريز يجهر بسب الحجاج في الشام، وكان ذلك يسوء الحجاج فكتب يشكوه إلى عبد الملك، فقال عبد الملك لابن محيريز: ما بال الحجاج يشكوك ؟ قال: لقد ذكرت فيه قولا ما أحب أني لم أقله. (١) ويبدو أن عبد الله بن محيريز قد استمر في مجاهرته بعيب الحجاج في عهد الوليد بن عبد الملك، ولكن الوليد لم يرض بذلك وحذر ابن محيريز من مغبة ذلك، فقد ورد في عدد من المصادر (٢): أنه لم يكن أحد بالشام يستطيع أن يعيب الحجاج علانية إلا ابن محيرز وأبو الأبيض العنسي (٣). فقال الوليد لابن محيريز لتنتهين عنه أو لأبعثن بك إليه. كما قال الوليد لأبي الأبيض: ما للحجاج كتب يشكوك ؟ لتنتهين أو لأبعثنك إليه.

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢ / ٣٦٦.

(٢) انظر مثلا: الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٣٦٧، الأصفهاني: حلية الأولياء: ٥ / ١٤١، ١٤٢، ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٦/ ٢٣.

(٣) هو أبو الأبيض العنسي الشامي ويقال المدني، وثقه العجلي، وكان قد خرج للغزو في الصائفة مع العباس بن الوليد فتوفي بالطوانة، سنة ثمان وثمانين هـ. (ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٢/)

وكـان العـالم الفقيه إبراهيم النخعي [(١)] ـ رحمه الله ـ أحد الساخطين عـلى سياسـة الحجـاج بن يوسف وسيرته أشد السخط، وربما عبر عن هذا السـخط في مجالسه بأقواله و فتاويه، فأورد ابن سعد [(٢)] ما يشير إلى ذلك في عـدد مـن الروايات، فعن منصور بن المعتمر عن إبراهيم النخعي قال: كفى بـه عمـى أن يعمـى الـرجل عـن أمر الحجاج. [(٣)] وعن منصور أيضا قال: ذكـرت لإبراهـيم لعـن الحجاج أو بعض الجبابرة فقال: أليس الله يقول ألا لعـنة الله عـلى الظـالمين ؟ [(٤)] كمـا ورد عنه أنه كان يسب الحجاج. [(٥)] ولما تـوفي الحجـاج أظهـر إبراهيم النخعي فرحه بذلك، فحينما بشره حماد بموت الحجـاج سجد من الفرح، وقال حماد ما كنت أرى أن أحدا يبكي من الفرح

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٧٩.

(٣) رواه عن محمد بن عبد الله الأسدي ـ وهو ثقة إلا أنه قد يخطئ في حديث الثوري، عن سفيان الثوري وهو ثقة، عن منصور بن المعتمر وهو ثقة ثبت، (ابن حجر: تقريب التهذيب: ٢/ ١٧٦، ٢٧٧. ١/ ٣١١)

(٤) رواه ابن سعد بالسند السابق نفسه .

(٥) رواه ابن سعد عن الفضيل بن دكين ـ وهو ثقة ثبت ـ عن سفيان الثوري عن زيد شيخ من من محارب. (ابن حجر: تقريب التهذيب: ٢ / ١١٠)

حتى رأيت إبراهيم يبكي من الفرح.[1] ولعل هذه المواقف تفسر لنا مطاردة الحجاج لإبراهيم النخعي والتضييق عليه، مما أضطره إلى التخفي عن الحجاج وشرطه[2]. كما تؤكد معاملة الحجاج هذه بدورها مواقف إبراهيم النخعي السالفة.

وعلى الرغم من بغض إبراهيم النخعي للحجاج، و كرهه لسيرته، وسوء معاملة الحجاج له إلا أنه لم يجوز لنفسه الخروج عليه، بل كان ينهى عن ذلك، ويعيب من فعله.[3]

وتجدر الإشارة إلى أن لجوء العلماء لهذا الأسلوب والنوع من التعامل مع ولاة الجور كان نادرا إذا ما قورن بغيره، إذ كانوا يفضلون مناصحة مثل هؤلاء الولاة والإنكار عليهم أمامهم وفي مجالسهم بعيدا عن أنظار الناس وأسماعهم.

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٨٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٨٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٢١.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٥٢٦.

٥ ـ حثهم الناس على الصبر على الجور واللجوء إلى الله بالدعاء.

ومن الأساليب التي كان العلماء ينصحون العامة بها تجاه جور الولاة الصبر على ذلك، وعدم اللجوء إلى استخدام القوة وحمل السيف لمواجهة ذلك، خوفا مما قد يترتب على ذلك من مفاسد عظيمة، وآثار لا تحمد عواقبها، كما يوجهونهم إلى اللجوء إلى الله بدعائه وسؤاله كشف ما يقع عليهم من ظلم أو جور، فلما قدم أناس إلى أنس بن مالك ﵁ يشكون إليه ما يلقى الناس من ظلم الحجاج قال: اصبروا فإنه لا يأتي عليكم عام إلا والذي بعده شرمنه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم.[١]

وللحسن البصري ـ رحمه الله ـ في هذا المجال توجيهات جليلة ومواقف كثيرة إبان ثورة ابن الأشعث على الحجاج، منها قوله موجها العامة: يا أيها الناس إنه والله ما سلط الله الحجاج عليكم إلا عقوبة فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ولكن عليكم السكينة والتضرع. وقال أيضا: لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه.[٢] وحين استفتاه رجل في

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢٢١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٤، ١٦٥.

الخروج على الحجاج كان مما قال له: إن جور الملوك نقمة من نقم الله تعالى، ونقم الله لا تلاقى بالسيوف، وإنما تتقى وتستدفع بالدعاء والتوبة والإنابة والإقلاع عن الذنوب، إن نقم الله متى لقيت بالسيوف كانت هي أقطع .[1]

ولما بلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية: أني قد ضبطت العراق بيميني، وشمالي فارعة، وسأله أن يوليه الحجاز، دعا ابن عمر ربه قائلا: اللهم إنك تجعل في القتل كفارة، فموتا لابن سمية لا قتلا، فخرج في أصبعه طاعون فمات.[2]

ولما سجن الحجاج مورق العجلي وحاول بعض إخوانه من العلماء إخراجه فلم يحصل لهم دعوا له ففرج الله له، فروى غيلان بن جرير قال حبس الحجاج مورقا العجلي في السجن، قال: فلقيني مطرف [3] فقال: ما فعلتم بصاحبكم ؟ قلنا: ما صنعنا شيئا، طلبنا فأعيانا. قال: تعال فلندع. فدعا مطرف وأمنا ؛ فلما كان من العشي أذن الحجاج للناس فدخلوا،

---

(١) ابن الجوزي: آداب الشيخ الحسن البصري: ١١٩.

(٢) بدران: تهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٥ / ٤٢٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٦.

(٣) هو العالم الجليل مطرف بن عبد الله الشخير. انظر ترجمته في ملحق التراجم.

ودخل أبو مورق فيمن دخل، فلما رآه الحجاج قال لحرسي: اذهب مع هذا الشيخ إلى السجن فادفع إليه ابنه.[1]

وفي نهاية الحديث عن الأساليب التي سلكها العلماء مع ولاة الجور تجدر الإشارة إلى أن أسلوب تغيير الجور والظلم بالقوة وحمل السلاح لم يكن من الأساليب التي انتهجها جمهور العلماء وتبنوها بأنفسهم، بل كانوا لا يرون ذلك وينهون عنه ولا يجوزونه كما سلفت الإشارة إلى كلام بعضهم في ذلك، وسيأتي ما يؤكد ذلك في ثنايا الحديث عن المواقف العملية للعلماء من الحركات السياسية المعارضة للدولة الأموية[2] وما كان من ثورات قامت ضد بني أمية وشارك فيها بعض العلماء فقد جاءت مشاركة العلماء فيها نتيجة اجتهاد من هؤلاء المشاركين عندما غلب على ظنهم زوال المفاسد المترتبة على ذلك، وغلب عندهم تحقق المصالح المرجوة، وكان ذلك قبل أن يتقرر مذهب جمهور أهل السنة على عدم الخروج والقتال في الفتنة، كما قال ابن تيمية رحمه الله: ولهذا استقر أمر

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢١٦. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤/ ٣٤٩.

(٢) انظر الفصل الخامس.

أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم. [1] وقال ابن حجر في الإنكار بالسيف على أئمة الجور: " وهذا مذهب للسلف قديم لكن استقر الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى أشد منه ففي وقعة الحرة ووقعة ابن الأشعث عبرة لمن تدبر ". [2]

****

(١) ابن تيمية: منهاج السنة:١ / ٤٢٩. الدميجي: عبد الله بن عمر: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، ط: الأولى، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٧هـ ص: ٥١٢.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢ / ٢٨٨.

الفصل الخامس: موقف العلماء من الحركات السياسية المعارضة للدولة الأموية.

تمهيد: هدي العلماء في الفتن.

تعرضت الدولة الأموية ـ منذ قيامها وحتى سقوطها ـ لظهور عدد من الحركات المعارضة للحكم الأموي. وإن اختلفت بواعث هذه الحركات ومنطلقاتها إلا أنها تجتمع على مواجهة الحكم الأموي وإشهار السيف ضد بني أمية وأعوانهم. و قد أسهمت تلك الحركات مجتمعة في إضعاف الدولة الأموية وتقويض كيانها، ولقي خلفاء بني أمية عنتا، وأمضوا وقتا طويلا، وبذلوا جهدا كبيرا للقضاء على بعض هذه الحركات أو تخفيف حدة بعضها وكسر شوكة أصحابها. و حيث إن قيام تلك الحركات المعارضة للدولة الأموية وخروجها على الحكم الأموي أحدث نوعا من الاضطراب في الأحوال السياسية والأمنية آنذاك فهو نوع من الفتن. لذا يجدر في مقدمة هذا الفصل التعرف على هدي العلماء في الفتن بشكل عام.

و من خلال تتبع مواقف عدد من العلماء أرى أن هدي العلماء في الفتن يظهر في ثلاثة معالم هي:

أولا: البعد عن الفتنة والهروب عن مواطنها.

ثانيا: تسكين الناس وحثهم على الاجتماع ونهيهم عن الفرقة.

ثالثا: السعي لجمع الكلمة وإنهاء الخلاف بين أطراف الفتنة وأهل النزاع.

وسنتحدث عن هذه المعالم بشيء من الإيجاز.

أولا: البعد عن الفتنة والهروب عن مواطنها.

يلحظ أن كثيرا من العلماء ـ حين تهيج الفتنة ويقتتل الناس إبان الفتن ـ يحاولون إبعاد أنفسهم من الوقوع في هذه الفتن، إما باعتزال الناس في منازلهم وعدم مخالطتهم حتى تنهي تلك الفتنة، أو بالخروج من الإقليم الذي قامت فيه الفتنة، فعن بشير بن عقبة قال: قلت ليزيد بن عبدالله الشخير: ما كان مطرف يصنع إذا هاج في الناس هيج ؟ قال: كان يلزم قعر بيته ولا يقرب لهم جمعة ولا جماعة حتى تنجلي لهم عما انجلت. (١)

وورد أن الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه لما وقعت الفتن في الكوفة خرج منها هو وعدي بن حاتم وحنظلة الكاتب، وسكنوا قرقيسياء. (٢) وكان الشعبي ـ رحمه الله ـ (٣) قد خرج من الكوفة أيام فتنة المختار إلى المدينة وأقام بها ثمانية أشهر. (٤) وبلغ من كرهم للفتن أن

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٤٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٩١.

(٢) مشاهير علماء الأمصار: ٤٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢ /٥٣٦. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢/ ٧٣.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ٢٩٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٩.

بعضهم كان يفضل الموت على العيش في أيام الفتن، فروي أن مجمع بن يسار التيمي كان - قبيل خروج زيد بن علي - يدعوا ربه أن يميته قبل الفتنة، فمات من ليلته وخرج زيد بن علي من الغد.[(١)]

ويطول المجال بذكر الأمثلة على اعتزال العلماء للفتن والبعد عن مواطنها، فهذا منهج جمهور العلماء و كبارهم، ومنهم عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس ﷺ وسعيد بن المسيب و شريح القاضي وغيرهم كثير، وستمر أمثلة كثيرة خلال التعرف على مواقف العلماء من الحركات المعارضة للدولة الأموية.

ثانيا: تسكين الناس وحثهم على الاجتماع ونهيهم عن الفرقة.

وكما حرص العلماء على إبعاد أنفسهم عن الفتن ومواطنها، كذلك حرصوا على حث الناس على ذلك، حيث دعوهم للاجتماع والألفة، ونهوهم عن الخلاف والفرقة، وذلك محاولة منهم للتخفيف من ضراوة نار الفتنة إذا اشتعلت، بالتقليل قدر الإمكان من عدد المحركين لها. كما يجتهدون في بيان ما للزوم الجماعة من أثر عظيم على الفرد المسلم والأمة، وما للفرقة والاقتتال من أثر سيء، وهناك العديد من مواقف العلماء في هذا المجال نذكر طرفا منها.

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٣/ ٦٠.

فأخرج البخاري عن زياد بن علاقة قال: سمعت جرير بن عبدالله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة، قام فحمد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير فإنما يأتيكم الآن، ثم قال استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو، ثم قال أما بعد: فإني أتيت النبي ﷺ قلت أبايعك أبايعك على الإسلام فشرط علي النصح لكل مسلم فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لكم ناصح، ثم استغفر ونزل "[1] فلا شك إن هذا الموقف من جرير بن عبدالله رضي الله عنه سيكون له أثر حميد في تسكين الناس وقطع الطريق على دعاة الفرقة ومثيري الفتن، في بلد الناس فيه أسرع إلى الفتنة ولهم فيها باع طويل.

وكان محمد بن الحنفية ـ رحمه الله ـ يقول: " رحم الله من كف يده ولسانه وجلس في بيته، فإن ذنوب بني أمية أسرع إليهم من سيوف المسلمين. "[2] وقد سبق ذكر مواقف الحسن البصري ـ رحمه الله ـ واجتهاده في حث العامة على عدم اللجوء إلى السيف في تغيير منكرات الحجاج الثقفي.[3] وحين أخذ مروان بن المهلب يدعو الناس ويحثهم للخروج مع

(١) صحيح البخاري: ١/ ٢٠، إيمان / ٤٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٩٧. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٣ / ١٠٣، ١٠٥.

(٣) انظر ص: ٣٣٩ وما بعدها.

أخيه يزيد كان الحسن يثبط الناس ويقول: "أيها الناس الزموا منازلكم وكفوا أيديكم، واتقوا الله ربكم، لا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة وطمع فيها يسير ليست لأهلها بباقية، وليس الله عنهم فيما كسبوا براض، واعلموا بأنه لم تكن فتنة قط إلا وأكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منهم إلا المجهول الحقير والمعروف التقي، فمن كان منكم تقيا فليلزم منزله، وليحبس نفسه عما يتنافس فيه الناس من هذه الدنيا الدنية." فلما بلغ مروان بن المهلب أن الحسن يثبط الناس غضب فقام في الناس خطيبا وعاب الحسن وهدده ومما قال: "ليكفن عنا وعن ذكرنا... وإلا ناله منا ما يكره" فغضب عامة الناس للحسن البصري وهموا بالوثوب على مروان بن المهلب، ولكن الحسن نهاهم وقال: "مهلا ! فإني نهيتكم أن تقتلوا أنفسكم مع غيري، ولست أحب أن

يقتل بعضكم بعضا لأجلي، فالزموا منازلكم، فإني أكره أن يكرمني ربي بهوان مروان بن المهلب". [(1)]

وكان الشعبي ـ رحمه الله ـ يقول محذرا من عواقب الاختلاف والفرقة في الأمة: " ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل

---

(1) ابن أعثم: الفتوح، ط: الأولى، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٩٥ هـ: ٨/ ١٣، ١٤.

حقهـا."[1] ومما يوضـح حـرص العـلماء على الجماعة وحث الناس على لزومها ما روي عن مطرف الشخير أنه قال: قال لي عمران بن حصين: ألا أحدثـك حديثا لعل الله ينفعك به في الجماعة، إني أراك تحب الجماعة، قال قلت: لأنا أحرص على الجماعة من الأرملة لأني إذا كانت الجماعة عرفت وجهـي.[2] وكـانوا يتلمسـون أنجـع الوسـائل لإبعـاد أسـباب الفـرقة والـتحزبات، فذكـر ابـن عسـاكر أن عـثمان بن صالح قال: كان أهل مصر ينتقصـون عثمان بن عفان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد، فحدثهم بفضائل عـثمان، فكفـوا عـن ذلـك، وكان أهل حمص ينتقصون عليا حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش[3] فحدثهم بفضائله، فكفوا عن ذلك.[4]

ثالـثا: السـعي لجمـع الكـلمة وإنهـاء الخـلاف بين أطراف الفتنة وأهل النزاع.

لم يكـتف العلماء بالبعد عن الفتن واعتزال أطراف الخلاف، بل سعى بعضـهم لجمـع الكـلمة وإطفـاء نـار الفتـنة بقـدر ما أوتوا من قوة، وذلك

---

(١) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٤/ ٣١٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣١١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٤٣.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢١/ ٢٥١.

بمناصحة أطراف الخلاف وعناصر الفتنة، مرة بالمشافهة وأخرى بالمكاتبة، فسبق ذكر مواقف ابن عمر وحرصه على مناصحة كل من عبدالملك وابن الزبير لجمع الكلمة وإنهاء النزاع القائم بينهما.[1] وفي هذا المجال يسجل للعالم الجليل محمد بن جبير ـ رحمه الله ـ [2] موقف عظيم في محاولة جمع الكلمة، ففي سنة ثمان وستين وافى موسم الحج أربعة ألوية مختلفة متنازعة، فلواء محمد بن الحنفية ومعه أربعة آلاف من الخشبية.[3] ولواء ابن الزبير وأتباعه، ولواء نجدة الحروري ومعه الخوارج، ولواء بني أمية، كل قوم معهم سلاحهم، ويروي محمد بن جبير موقفه قائلا: " خفت الفتنة فمشيت إليهم جميعا، فجئت محمد بن علي في الشعب، فقلت يا أبا القاسم، اتق الله فإنا في مشعر حرام، وبلد حرام، والناس وفد الله إلى هذا البيت، فلا تفسد عليهم حجهم، فقال: والله ما أريد ذلك، وما أحول بين أحد وبين هذا البيت، ولا يؤتى أحد من الحاج من قبلي، ولكني رجل أدفع عن

---

(١) انظر ص: ٣٣٤ .

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) الخشبية اسم يطلق على أتباع المختار بن عبيد الثقفي، وهم فرقة من الروافض، وسموا بالخشبية لأن جيش المختار بن عبيد بقياد إبراهيم بن الأشتر ـ لما لقي جيش عبيد الله بن زياد ـ كان كثير من أفراده يحملون الخشب. انظر: (أبو الحسين محمد الملطي الشافعي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع،تحقيق يمان بن سعد الدين المياديني، ط: الأولى، رمادي للنشر، الدمام، ١٤١٤هـ ص: ١٧٣. ابن قتيبة: المعارف: ٦٢٢)

نفسي من ابن الزبير، وما يروم مني، وما أطلب هذا الأمر إلا ألا يختلف علي فيه اثنان ! ولكن ائت ابن الزبير فكلمه، وعليك بنجدة، قال: محمد بن جبير: فجئت ابن الزبير فكلمته بنحو ما كلمت به ابن الحنفية، فقال: أنا رجل قد اجتمع علي الناس وبايعوني، وهؤلاء أهل خلاف، فقلت أرى خيرا لك الكف، قال: أفعل، ثم جئت نجدة الحروري.... فدخلت فعظمت عليه وكلمته كما كلمت الرجلين، فقال: أما أن أبتدئ أحدا بقتال فلا، ولكن من بدأ بقتال قاتلته، فقلت فإني رأيت الرجلين لا يريدان قتالك، ثم جئت شيعة بني أمية فكلمتهم بنحو ما كلمت به القوم، فقالوا: نحن على أ لا نقاتل أحدا إلا أن يقاتلنا... "[1] فانظر لهذا الموقف الكبير من ابن جبير - رحمه لله - وكيف أسهم في - تحقيق الأمن والاطمئنان لحجاج بيت الله الحرام بسعيه الجليل لأخذ العهد من كل واحد من الأطراف بعدم الاعتداء.

وسبق ذكر موقف أبي شريح الخزاعي حين بدأ عمرو بن سعيد بن العاص - والي المدينة - يبعث البعوث لحصار ابن الزبير في مكة بعد وفاة يزيد بن معاوية فحاول أن يثنيه عن ذلك مذكرا إياه بحرمة مكة.[2]

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠٤ . الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ١٣٨، ١٣٩. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ١٠٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٢٠.

(٢) انظر ص: ٢٥٩.

ومن هذا القبيل تدخل كل من جابر بن عبدالله [1] وعبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ لإطفاء فتنة كادت أن تحصل في المدينة بين مروان بن الحكم والحسين بن علي رضي الله عنه، حيث أوصى الحسن بن علي ﷺ أخاه الحسين أن يدفن مع رسول الله ﷺ إلا أن يكون في ذلك قتال أو شر فليدفن بالبقيع. فلما توفي الحسن وأراد الحسين ومن معه دفن أخيه مع رسول الله ﷺ منعه مروان وكادت تحدث فتنة، فقد لبس الحسين ومن معه السلاح، وتدرع مروان بالحديد والسلاح، ولكن تدخل عدد من العلماء فأطفأوا الفتنة منهم أبو هريرة ﷺ [2] وجابر بن عبدالله فقد جاء إلى الحسين وقال له: يا أبا عبدالله اتق الله ولا تثر فتنة فإن أخاك كان لا يحب ما ترى، فادفنه بالبقيع مع أمه ففعل، وكذلك قال له عبدالله ابن عمر مثل هذا القول. [3]

هذه أبرز ملامح هدي العلماء في الفتن بشكل عام، أما عن مواقفهم من الحركات المعارضة للدولة الأموية على اختلاف أنواعها، ومناهجها، وظروفها، فهذا ما سيتضح من خلال استعراض المباحث التالية:

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٧٩.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٤٤.

المبحث الأول: موقف العلماء من حركات الخوارج.

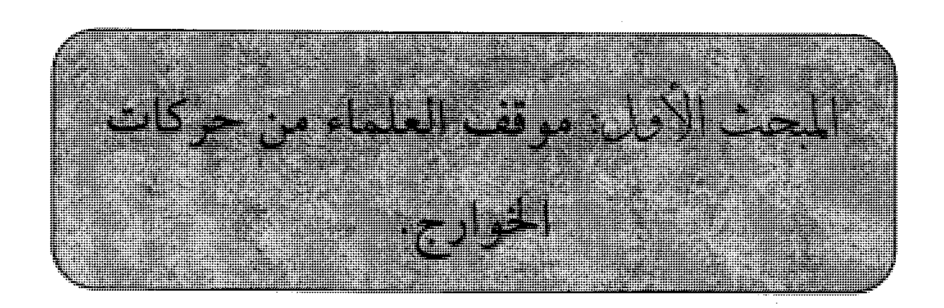
المبحث الثاني: موقف العلماء من حركات العلويين.

المبحث الثالث: موقف العلماء من حركة أهل المدينة.

المبحث الرابع: موقف العلماء من حركة عبدالله بن الزبير.

المبحث الخامس: موقف العلماء من حركة ابن الأشعث.

المبحث السادس: موقف العلماء من الدعوة العباسية.



المبحث الأول: موقف العلماء من حركات الخوارج.

كـان ظهـور حـركة الخوارج سابقا لقيام الدولة الأموية حيث خرجوا علـي بـن أبـي طالـب رضي الله عنه وقاتـلهم في معـركة الـنهروان.[1] وهـم الذين خططـوا لمقـتل كـل من علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بـن العـاص رضي الله عنهم فلم ينجحوا إلا في قتل علي رضي الله عنه فلما استقر الأمر لمعاوية وبايعـته الأمـة بعـد تـنازل الحسـن بن علي رضي الله عنه لم يعترف الخوارج بخلافة معاويـة وخلفاء بني أمية، فهم بحسب معتقدهم لا يثبتون إلا خلافة أبي بكر وعمر وشطرا من خلافة عثمان وخلافة علي قبل أن يحكم.[2] لذا واصلوا حـروبهم وهجمـاتهم لتغـيير المـنكر بإزالـة الحكـم الأمـوي وإقامة الخلافة الشـرعية مـن مـنظورهم. وقد اتسعت دائرة الخوارج في الدولة الأموية مع مـرور الوقـت لاسـيما في خراسان والجزيرة الفراتية، كما كان لهم ظهور في

(١) عن ظهور الخوارج انظر: الشهرستاني: الملل والنحل: ١١٤.

(٢) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١ هـ: ١/ ٢٠٤. ناصر العقل: الخوارج، ط: الثانية، دار القاسم، الرياض، ١٤١٧هـ: ٣٤.

اليمن ومصر ونجد، وفي أواخر الدولة الأموية أصبح لهم شأن في شمال أفريقية.ورغم الجهود وكثرة المعارك التي خاضها ولاة بني أمية وقوادهم ضد الخوارج لم يستطيعوا القضاء على حركتهم إذ استمرت حركات الخوارج بعد سقوط الدولة الأموية. كما لم يستطع الخوارج ـ على الرغم من استمرار ثوراتهم ضد الدولة الأموية وتعدد فرقهم وميادينهم ـ أن يقضوا على الخلافة الأموية ولكنهم استطاعوا أن يلحقوا بها خسائر كبيرة، ويصبحوا مصدر قلق لخلفائها وولاتها طوال الحكم الأموي، لذا فهم من أبرز عوامل الضعف التى أسهمت بقدر كبير في سقوط الدولة الأموية.

وحركات هذا حجمها وتلك خطورتها من الضرورة بمكان معرفة موقف العلماء منها، وما من شك في أن موقف العلماء سيكون موقف المعارض لحركات تلك الفرقة بحكم أنها فرقة تنطلق من معتقد مخالف لمعتقدات أهل السنة والجماعة، ولكن ما مظاهر معارضة العلماء لحركات هذه الفرقة، وإلى أي مدى وقفوا ضدها ؟.

اتضح لي من خلال تتبع مواقف العلماء من حركات الخوارج في الدولة الأموية أن محاربة العلماء لها جاءت في مظهرين هما:

أولهما: محاربة العلماء لمعتقدات الخوارج، وعيب منهجهم، والتحذير من فرقهم.

ثانيهما: المشاركة العسكرية في قتال الخوارج.

وسنستعرض لكل مظهر من المظهرين على حدة.

أولا: محاربة العلماء لمعتقدات الخوارج وعيب منهجهم والتحذير من فرقهم.

تنطلق حركات الخوارج كما أسلفت من معتقدات وتصورات خاصة بهم استمدوها من مفاهيمهم وتفسيراتهم الخاصة لآيات القرآن العظيم، واستحلوا بتلك المعتقدات والمفاهيم تكفير مخالفيهم وإراقة دمائهم ورأوا وجوب قتالهم.[1] وقد قام العلماء ـ من منطلق مسؤوليتهم في الحفاظ على الدين والذب عن العقيدة الإسلامية الحقة ـ بمناهضة مفاهيم الخوارج وبيان انحراف منهجهم حتى لا ينخدع أحد بسلوكياتهم في مجال العبادة وحماستهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد استفاضت الأخبار بمواقف العلماء في هذا المجال، وسنذكر منها ما يوضح أثر العلماء على حركات الخوارج في الدولة الأموية.

فكان عبدالله بن عمر ﷺ يراهم شرار الخلق ويقول عنهم: مبينا انحرافهم وضلال منهجهم: "انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها

---

(١) حول معتقدات الخوارج هذه انظر: البغدادي: الفرق بين الفرق، ط، الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧، ص: ٥٤ ـ٥٦. ابن تيمية: الفتاوى: ١٩/ ٧١ـ ٧٥. ناصر العقل: الخوارج: ٣٠.

على المؤمنين". [1] وقال نافع ـ مولى عبدالله بن عمر ﷺ: "إن ابن عمر كان يرى قتال الحرورية حقا واجبا على المسلمين" [2]

ولما ذكر لعبدالله بن عباس ﷺ الخوارج واجتهادهم وصلاحهم قال: "ليسوا بأشد اجتهادا من اليهود والنصارى، وهم على ضلالة" [3].

وحين خرج خارجي بالكوفة وقتل سئل العالم الجليل أبو وائل [4] عن هذا الخارجي فقال: "والله ما أعز هذا لله من دين ولا دفع عن مظلوم.." [5]

وعن شريك بن شهاب قال كنت أتمنى أن ألقي رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحدثني عن الخوارج فلقيت أبا برزة [6] في يوم عرفة في نفر من أصحابه فقلت يا أبا برزة حدثنا بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله في الخوارج فقال أحدثك بما سمعت أذني ورأت عيناي: أتى رسول الله ﷺ بدنانير فكان يقسمها وعنده رجل أسود

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: استتابة، ٦:٨/ ٥١. وانظر ابن حجر: فتح الباري: ١٢/ ٢٨٢.

(٢) عبدالله بن أحمد:السنة، ط، الثانية، الدار العلمية، دلهي، ١٤٠٤ هـ ص: ٢٤٩.

(٣) الأجري: الشريعة، تحقيق عبدالله الديجي، ط: الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ: ١/ ٣٤٤.

(٤) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) عبدالله بن أحمد: السنة: ٢٥٠.

(٦) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثر السجود فتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه من قبل وجهه فلم يعطه شيئا ثم أتاه من خلفه فلم يعطه شيئا فقال: والله يا محمد ما عدلت منذ اليوم في القسمة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ثم قال: والله لا تجدون بعدي أحدا أعدل عليكم مني قالها ثلاثا، ثم قال يخرج من قبل المشرق رجال كان هذا منهم هديهم هكذا، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يرجعون إليه، ووضع يده على صدره سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم فإذا رأيتموهم فاقتلوهم قالها ثلاثا، شر الخلق والخليقة قالها ثلاثا.[1]

وعن أبي غالب قال كنت بالشام فبعث المهلب ستين رأسا من الخوارج فنصبوا على درج دمشق وكنت على ظهر بيت لي إذ مر أبو أمامة[2] فنزلت فاتبعته فلما وقف عليهم دمعت عيناه وقال سبحان الله ما يصنع الشيطان ببني آدم ثلاثا، كلاب جهنم كلاب جهنم شر قتلى تحت ظل السماء ثلاث مرات، خير قتلى من قتلوه طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، ثم ألتفت إلي فقال يا أبا غالب أعاذك الله منهم قلت: رأيتك بكيت حين

(١) مسند الإمام أحمد: ٤/ ٤٢١. تهذيب الكمال: ١٢/ ٤٦٠.

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

رأيتهم. قال: بكيت رحمة رأيتهم كانوا من أهل الإسلام، هل تقرأ سورة آل عمران قلت نعم فقرأ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب حتى بلغ وما يعلم تأويله إلا الله وإن هؤلاء كان في قلوبهم زيغ وزيغ بهم ثم قرأ ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [(1)] قلت هم هؤلاء يا أبا أمامة قال نعم قلت من قبلك تقول أو شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني إذا لجريء بل سمعته لا مرة ولا مرتين حتى عد سبعا ثم قال إن بني إسرائيل تفرقوا على إحدى وسبعين فرقة وإن هذه الأمة تزيد عليهم فرقة كلها في النار إلا السواد الأعظم، قلت يا أبا أمامة ألا ترى ما يفعلون قال عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم. [(2)]

وأتى أبو سلمة وعطاء بن يسار أبا سعيد الخدري [(3)] فسألاه عن الحرورية أسمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لا أدري ما الحرورية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة ـ ولم يقل

---

(1) سورة آل عمران: آية: ١٠٥، ١٠٧.

(2) سنن البيهقي الكبرى: ٨/ ١٨٨. المعجم الصغير للطبراني، مراجعة محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ: ١/ ٤٢. مسند الحميدي، مراجعة حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨١هـ: ٢/ ٤٠٤.

(3) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافة فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء.[1]

وحين سأل رجل مسلمة بن أبي بكرة هل سمع في الخوارج من شيء فقال: سمعت والدي أبا بكرة [2] يقول عن نبي الله ﷺ: ألا إنه سيخرج من أمتي أقوام أشداء أحداء ذليقة ألسنتهم بالقرآن لا يجاوز تراقيهم، ألا فإذا رأيتموهم فأنيموهم ثم إذا رأيتموهم فأنيموهم [3] فالمأجور من قتلهم.[4]

وعن سعيد بن جمهان قال أتيت عبدالله بن أبي أوفى [5] وهو محجوب البصر فسلمت عليه قال لي من أنت ؟ فقلت أنا سعيد بن جمهان قال: فما فعل والدك ؟ قال قلت: قتلته الأزارقة قال: لعن الله الأزارقة لعن الله الأزارقة. حدثنا رسول الله ﷺ أنهم كلاب النار قال: قلت:

---

(١) صحيح البخاري: استتابة، ٦، ٨/ ٥٢. صحيح مسلم: الزكاة، ١٤٧، ٢/ ٧٤٣.

(٢) وأبو بكرة أحد فقهاء الصحابة رضي الله عنه سكن البصرة وتوفي سنة إحدى وخمسين. (الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٥-٩)

(٣) أنامه: أي قتله: الفيروزآبادي:القاموس المحيط: نوم.

(٤) مسند الإمام أحمد: ٥/ ٤٤. سنن البيهقي الكبرى: ٨/ ١٨٧.

(٥) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها قال بل الخوارج كلها قال قلت: فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم قال: فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة ثم قال: ويحك يا بن جمهان عليك بالسواد الأعظم عليك بالسواد الأعظم إن كان السلطان يسمع منك فائته في بيته فأخبره بما تعلم فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه. [(1)]

وأتى أبو السليل القيسي صلة بن أشيم العدوي الزاهد العابد القدوة[(2)] فقال له: علمني مما علمك الله. فقال له: "انتصح القرآن، وانصح للمسلمين، وكثر في دعاء الله ما استطعت، ولا تكونن قتيل العص قتيل عمية جاهلية، فإني لا أبالي أبرجل خنزير جررت أو برجله، **وإياك وقوما يقولون نحن المؤمنون وليسوا من الإيمان على شيء ، وهم الحرورية، ثلاث مرات**. [(3)]

وذكر الحسن البصري الخوارج في مجلس من مجالسه فقال عنهم: "حيارى سكارى، ليسوا بيهود ولا نصارى ولا مجوس فيعذرون". وقيل له

(١) مسند الإمام أحمد: ٤/ ٣٨٢.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٣٤.

يا أبا سعيد خرج خارجي بالخريبة [1] فقال: "المسكين رأى منكرا فأنكره، فوقع فيما هو أنكر منه" [2]

وكان أبو العالية الرياحي - رحمه الله - [3] يقول: قد أنعم الله علي بنعمتين لا أدري أيهما أفضل: أن هداني للإسلام أم لم يجعلني حروريا. [4]

وكان أبو قلابة الجرمي - رحمه الله - يظهر كرهه للخوارج، فاستأذنه رجل في مصاحبته إلى مكة فقال: نعم إن لم تكن حروريا. [5]

ومما سبق ذكره من تلك النصوص يلحظ أنه كان لأفكار الخوارج وحماسهم وتضحيتهم لمبادئهم مقرونا ذلك بكثرة عبادتهم كان لذلك كله أثر في اجتذاب عواطف بعض الناس إليهم وربما أدى ذلك إلى الشك في انحراف الخوارج والظن بأن الدولة اعتدت في محاربتها لهم، كما نلحظ أن أكثر التساؤلات عن الخوارج التي وردت على العلماء جاءت من أهل العراق لقربهم من مواطن الخوارج واحتكاكهم ببعض فرقهم. ويظهر جليا من هذه النصوص ما للعلماء من أثر كبير في تجلية حقيقة الخوارج لهؤلاء

---

(١) الخريبة: موضع بالبصرة، وقعت فيه موقعة الجمل المشهورة. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٣٦٣)

(٢) الآجري: الشريعة: ١/ ٣٤٤، ٣٤٥.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١١٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٩٥.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٨٥.

المتشككين أو المعجبين بهم، وبيان انحرافهم بإيراد أقوال الرسول ﷺ في ذلك، وأوضح العلماء أن ما قد يقع من أخطاء من قبل الولاة ليس مبررا للتعاطف مع الخوارج وتأييدهم كما ورد ذلك في جواب أبي أمامة وعبدالله بن أوفى رضي الله عنه .

ولقد كان لأجوبة أولئك العلماء على تلك التساؤلات التي ترد عن الخوارج، وكان لتحذيراتهم من معتقداتهم، وتعليقاتهم على مسالكهم ومزالقهم، وإظهار كراهتهم لهم، كان لذلك كله أثر كبير في صرف كثير من الناس عن التردي في مناهج الخوارج ومسالكهم، بل وإقناع كثير منهم بضرورة محاربتهم وقتالهم.

فيروي يزيد الفقير أنه قد شغفه رأي من رأي من آراء الخوارج فأجمع ونفر من أصحابه على الخروج على المسلمين، ولكن أجلوا خروجهم حتى ينتهوا من أداء حجهم ثم يخرجون بعده، فمروا على المدينة فوجدوا الصحابي العالم جابر بن عبدالله رضي الله عنه في مجلس له يحدث الناس، فجلسوا إليه واستمعوا لحديثه عن رسول الله ﷺ ثم جادلوه في بعض آراء الخوارج مما تحدث فيه كقولهم بتخليد كل من في النار ، فبين لهم فساد معتقداتهم. فرجعوا عن رأيهم في الخوارج، وقال يزيد فرجعنا فقلنا: أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد.[(١)]

(١) انظر صحيح مسلم: ١/ ١٧٩، الإيمان/ ٣٢٠.

وفي اليمن كان لوهب بن منبه أثر كبير في تحذير الناس من الخوارج وانتشال من وقع في براثنهم، وسأذكر جهوده تلك في حديث ذكره كل من ابن عساكر [1] والذهبي [2] وسأقتصر على ذكر رواية الذهبي لأنها أوجز، وسأوردها على طولها لأنها تدل بجلاء على أثر العلماء في تحذير الناس من أفكار الخوارج وصدهم عن الانزلاق في مزالقهم. فعن داود بن قيس قال كان لي صديق يقال له أبو شمر ذو خولان، فخرجت من صنعاء أريد قريته، فلما دنوت منها وجدت كتابا مختوما إلى أبي شمر، فجئته فوجدته مهموما حزينا، فسألته عن ذلك فقال: قدم رسول من صنعاء فذكر أن أصدقاء كتبوا لي كتابا فضيعه الرسول، قلت فهذا الكتاب، فقال: الحمد لله، ففضه فقرأه، فقلت أقرئنيه، فقال: إني لأستحدث سنك، قلت: فما فيه ؟ قال: ضرب الرقاب. قلت: لعله كتبه إليك ناس حرورية في زكاة مالك ؛ قال: من أين تعرفهم ؟ قلت: إني وأصحاب لي نجالس وهب بن منبه، فيقول لنا: احذروا أيها الأحداث الأغمار الحروراء لا يدخلونكم في رأيهم المخالف، فإنهم عرة [3] لهذه الأمة فدفع إلي الكتاب فقرأته فإذا فيه: سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله، ونوصيك بتقواه، فإن دين الله رشد وهدى،

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦/ ٣٨٨_ ٣٩٢.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٥٣ _ ٥٥٥.

(٣) العرة: عذرة الناس وذرق الطير، والجرب، ويقال فلان عرة أهله، أي شرهم. (الفيروزابادي: القاموس المحيط: عرر)

وإن ديـن الله طاعة الله ومخالفة من خالف سنة نبيه، فإذا جاءك كتابنا فانظر أن تـؤدي ـ إن شـاء الله ـ مـا افـترض الله علـيك مـن حقه، تستحق بذلك ولاية الله، وولاية أوليائه والسلام.

قلت له فإني أنهاك عنهم ؛ قال: فكيف أتبع قولك وأترك قول من هو أقدم منك ؟ قلت فتحب أن أدخلك على وهب حتى تسمع قوله ؟ قال: نعم. فنزلنا إلى صنعاء، فأدخلته على وهب فوجدنا عند وهب نفرا، فقال لي بعض النفر: من هذا الشيخ ؟ قلت له حاجة، فقام القوم، فقال وهب، ما حاجتك يا ذا خولان ؟ فهرج وجبن ؛ فقال لي وهب: عبر عنه، قلت: إنه من أهل القرآن والصلاح، والله أعلم بسريرته، فأخبرني أنه عرض له نفر من أهل حروراء فقالوا له زكاتك التي تؤديها إلى الأمراء لا تجزئ عنك، لأنهم لا يضعونها في مواضعها فأدها إلينا، ورأيت يا أبا عبدالله أن كلامك أشفى له من كلامي: فقال: يا ذا خولان، أتريد أن تكون بعد الكبر حروريا تشهد على من هو خير منك بالضلالة ؟ فما ذا أنت قائلا لله غدا حين يقفك الله ومن شهدت عليه ؟ فالله يشهد له بالإيمان، وأنت تشهد عليه بالكفر، والله يشهد له بالهدى وأنت تشهد له بالكفر، فأين تقع إذا خالف رأيك أمر الله، وشهادتك شهادة الله ؟ أخبرني يا ذا خولان ما ذا يقولون لك ؟ فتكلم عند ذلك وقال لوهب: إنهم يأمروني أن لا أتصدق إلا على من يرى رأيهم ولا أستغفر إلا له، فقال: صدقت، هذه محنتهم الكاذبة، فأما قولهم في الصدقة، فإنه قد بلغني أن

رسول الله ﷺ ذكر أن امرأة من أهل اليمن دخلت النار في هرة ربطتها، أفإنسان ممن يعبد الله يوحده ولا يشرك به أحب إلى الله أن يطعمه من جوع، أو هرة ؟ والله يقول: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (١)

وأما قولهم لا يستغفر إلا لمن على رأيهم، أهم خير أم الملائكة، والله يقول: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢) فوا لله ما فعلت الملائكة ذلك حتى أمروا به: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) وجاء ميسرا: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (٤)

يا ذا خولان إني قد أدركت صدر الإسلام، فو الله ما كانت الخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالاتهم، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، ولو مكن الله لهم من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت

---

(١) سورة: الإنسان: آية: ٨.

(٢) سورة: الشورى: آية ٥. والآية بتمامها: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(٣) الأنبياء: آية: ٢٧.

(٤) سورة: غافر: أية ٧. والآية بتمامها: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾

السبل والحج، ولعاد أمر الإسلام جاهلية، وإذا لقام جماعة كل منهم يدعو إلى نفسه الخلافة، مع كل واحد منهم أكثر من عشرة آلاف، يقاتل بعضهم بعضا، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح المؤمن خائفا على نفسه ودينه وأهله وماله، لا يدري مع من يكون، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [1] وقال:﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [2] فلو كانوا مؤمنين لنصروا؛ وقال:﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [3] ألا يسعك يا ذا خولان من أهل القبلة ما وسع نوحا من عبدة الأصنام، إذ قال له لقومه: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [4]

إلى أن قال : فقال ذو خولان فما تأمرني ؟ فقال: انظر زكاتك فأدها إلى من ولاه الله أمر هذه الأمة، وجمعهم عليه، فإن الملك لله وحده

(١)سورة البقرة: آية: ٢٥١. والآية بتمامها ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(٢) سورة: غافر: آية: ٥١. والآية بتمامها ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾

(٣) سورة: الصافات.آية: ١٧٣.

(٤) سورة: الشعراء. آية:١١١. والآية بتمامها: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ .

وبيده،يؤتيه من يشاء، فإذا أديتها إلى ولي الأمر برئت منها، وإن كان فضل فصل به أرحامك ومواليك وجيرانك والضيف ؛ فقال: أشهد أني نزلت عن رأي الحرورية. [1]

فانظر إلى أي مدى كان العلماء ـ رحمهم الله ـ يجتهدون في محاربة الفرق المنحرفة وفي مقدمتهم الخوارج، ويسعون لتنبيه الناس على فساد معتقدهم، ويحرصون أشد الحرص على إنقاذ من أوقعوه في شركهم. والعلماء إنما يفعلون ذلك أداء لواجب الأمانة الملقاة على عواتقهم في حفظ الدين والذب عنه، لا من أجل إرضاء مخلوق يطمعون في عرض من دنياه، ولا بدافع الانتقام ممن خالفهم في رأي رأوه.

ولقد كان لموقف العلماء هذا من حركة الخوارج أثر كبير، حيث أسهمت تلك التنبيهات و التحذيرات من معرفة الناس لفرقة الخوارج على حقيقتهم وبالتالي لم يغتروا بحماسهم وعواطفهم في خروجهم على الدولة الأموية، لذا نجد أن جل أتباع الخوارج كانوا من البوادي حيث ينتشر الجهل ويقل العلماء، أما في حواضر الأقاليم حيث العلماء فلم يكن لحركة

---

(١) هذاما أورده الذهبي وقد اختصر بعض أقوال وهب واستشهاداته من القرآن، ومما أورده ابن عساكر بعد تلك الاستشهادات المطولة التي اختصرها الذهبي قول وهب: فبمن نقتدي إذا لم نقتد بكتاب الله وقول أنبيائه ورأيهم ؟ وأعلم أن دخولك علي رحمة لك إن قبلت مني، وحجة عليك غدا عند الله إن تركت كتاب الله وعدت إلى رأي الحروراء.

الخوارج بها رواج أو أتباع إلا القلة التي تلحق بالخوارج في مواطنهم في البوادي. ويؤكد ذلك أن حركة الخوارج وجدت لها رواجا في أقصى المغرب حيث يقل العلم والفقه في الدين نتيجة لقلة العلماء، ولذلك تنبه الخليفة العالم عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ حيث بعث عشرة من الفقهاء إلى إفريقية لنشر العلم وتفقيه الناس في دينهم.(١)

وقد كان الخوارج يدركون ما للعلماء من أثر على حركتهم، لذا كانوا يحاولون جهدهم لو استطاعوا كسب بعض العلماء إليهم ولو بالرضا عن حركتهم والسكوت عن ذمها وتحذير الناس منها، ولكنهم يدركون صعوبة ذلك، فروى حميد بن هلال قال: أتت الحرورية مطرف بن عبدالله الشخير يدعونه إلى رأيهم فقال: يا هؤلاء، لو كان لي نفسان تابعتكم بإحداهما وأمسكت الأخرى، فإن كان الذي تقولون هدى أتبعتها الأخرى، وإن كان ضلالة هلكت نفس وبقيت لي نفس، ولكنها نفس واحدة وأنا أكره أن أغرر بها.(٢).

وحيث لم ينجح الخوارج في كسب العلماء أو بعضهم ' فإنهم يلجؤون إلى الإشاعة في ادعاء ميل بعض العلماء لمذهبهم علهم يغررون

---

(١) أبو العرب: طبقات علماء أفريقية: ٨٤. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ١٨٤. المالكي: رياض النفوس: ١/ ٩٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٤٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٩٥.

بتلك الشائعات بعض الناس ويكسبونهم لصفهم. وذلك مثل إشاعتهم أن العالم الجليل جابر بن زيد الأنصاري منهم، وهو منهم براء. فعن عزرة قال: قلت لجابر بن زيد: إن الإباضية [1] يزعمون أنك منهم، قال: أبرأ إلى الله منهم. وروى ثابت البناني أنه زار مع الحسن البصري جابر بن زيد في مرضه، فقال له الحسن: إن الإباضية تتولاك: قال: أبر إلى الله منهم. [2] فانظر إلى حرص هؤلاء الخوارج على انتحال جابر إليهم والترويج لذلك على الرغم من تبرئه منهم.

ثانيا: مشاركة العلماء في قتال الخوارج.

لم يقتصر العلماء في وقوفهم ضد حركات الخوارج على بيان ضلال الخوارج والتحذير منهم، بل تعدى ذلك إلى حث الناس على قتالهم وتقدم الصفوف المتجهة لقتالهم. راغبين في ذلك تحصيل الأجر بامتثال أحاديث المصطفى ﷺ التي تحث على قتال الخوارج، وتصف من قاتلهم بالخيرية وتعده بالأجر على ذلك كما سبق ذكره.

(١) الإباضية: فرقة من الخوارج نسبة إلى زعيمها عبدالله بن أباض من بني مرة. وعن نشأة الإباضية ومعتقداتهم، انظر كتاب الخوارج لناصر العقل: ص: ٤٥ وما بعدها.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٨١، ١٨٢. الأصبهاني: الحلية/ ٣/ ٨٩.

ففـي الوقـت الـذي خرج فيه زريق الحروري في اليمن جاء رجل من أهـل الجـند [1] إلى عالم اليمن طاووس بن كيسان ـ رحمه الله ـ فقال: يا أبا عـبدالرحمن ! علـي غـزوة في سـبيل الله. فقـال: عـندك هؤلاء، فاحمل على هؤلاء الخبثاء ؛ فإن ذلك يؤدي عنك. [2].

وكان العالم والصحابي الجليل سمرة بن جندب رضي الله عنه [3] شديدا على الخـوارج وقـتل مـنهم جماعـة، وذلـك أن زيـاد بـن أبيه كان يستخلفه على الكوفـة إذا كـان في البصـرة ويستخلفه على البصرة إذا كان في الكوفة، فإذا أتـي له بواحـد مـن الخـوارج قـتله وهـو يقول: شر قتلى تحت أديم السماء يكفرون المسلمين، ويسفكون الدماء. [4]

(١) الجند: أحد أقسام اليمن المشهورة في الإسلام، قال ياقوت: وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة: فوال على الجند ومخاليفها،وهو أعظمها، ووال على صنعاء ومخاليفها، وهو أوسطها، ووال على حضرموت ومخاليفها، وهو أدناها. (معجم البلدان: ٢/ ١٦٩)

(٢) الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: ١٩٣. عواجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية، ط: الأولى، دمنهور، ١٤١٨ هـ:٥٣٠.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة: ٢/ ٣٥٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٨٦.ابن حجر: تهذيب التهذيب:٤/ ٢٣٦.

ولما علم عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن نجدة الحروري [1] قد أقبل، وأنه يريد المدينة، وأنه يسبي النساء ويقتل الولدان قال:إذا لا ندعه وذاك، وهم بقتاله وحرض الناس، فقيل له إن الناس لا يقاتلون معك ونخاف أن تترك وحدك فتقتل، فتركه. [2]

ومن الذين شاركوا في قتال الخوارج الصحابي الجليل أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه [3] فعن الأورق بن قيس قال: كنا بالأهواز نقاتل الخوارج وفينا أبو برزة الأسلمي. [4]

ومنهم الصحابي الجليل رضي الله عنه عائذ بن عمرو [5] فعن معاوية بن قرة قال: خرج محكم في زمن أصحاب رسول الله ﷺ فخرج عليه بالسيف رهط من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عائذ بن عمرو. [6]

ومنهم عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه فعن سعيد بن جمهان قال كنا نقاتل الخوارج وفينا عبدالله بن أبي أوفى وقد لحق له غلام بالخوارج وهم من ذلك الشط ونحن من ذا الشط فناديناه: أبا فيروز أبا فيروز ويحك هذا

---

(١) هو نجدة بن عامر الحروري أحد زعماء الخوارج المشهورين.

(٢) عبدالله بن أحمد: السنة:٢٤٩. ناصر العقل:الخوارج: ٣٥.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) عبدالله بن أحمد: السنة:٢٥٠. ناصر العقل: الخوارج: ٣٥.

(٥) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٦) عبدالله بن أحمد: السنة: ٢٥٠.

مـولاك عبدالله بن أبي أوفى قال: نعم الرجل هو لو هاجر. قال: ما يقول عـدو الله. قـال: قلـنا يقـول نعم الرجل لو هاجر. قال: فقال: أهجرة بعد هجـرتي مـع رسـول الله صـلى الله عليه وسلم . ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول طوبى لمن قتلهم وقتلوه [1].

ومـنهم عـبدالله بن رباح الأنصاري [2] فقد شارك مع المهلب بن أبي صفرة في قتال الخوارج. [3]

ومـنهم أبـو الأحوص عوف بن مالك الجشمي [4] فورد أنه خرج إلى الخوارج فقاتلهم فقتلوه. [5]

وفي أواخر الدولة الأموية وحين قدم أبو حمزة الخارجي متوجها لغزو المديـنة بعدمـا اسـتولى عـلى مكـة خـرج إلـيه أهـل المديـنة وفيهم عدد من عـلمائهم وأهـل الصلاح منهم، ووقعت بينهم وبين الخوارج موقعة بقديد سـنة ثلاثـين ومائة للهجرة، وانكسر فيها أهل المدينة وقتل عدد من العلماء

(١) مسند الإمام أحمد: ٤/ ٣٥٧.

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٢٠٧. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٢/ ١٤٦.

(٤) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٥. ـ ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨/ ١٦٩.

- رحمهم الله - [1] منهم الفقيه الحجة سمي مولى أبي بكر عبدالرحمن بن الحارث. [2] وممن قتل في يوم قديد كذلك القاسم بن عباس القرشي، وصفي بن زياد بن صهيب، وغيرهم. [3]

أما في أفريقية فقد كان أثر العلماء كبيرا في قتال الخوارج، فحين ثار الخوارج على حنظلة بن صفون بطنجة [4]، جمع علماء أفريقية فكتبوا له رسالة إلى عموم المسلمين يوضحون فيها ما يجب على المسلم أن يلتزمه من الاعتقاد الصحيح، ثم بعثها إلى جميع أهل أفريقية. [5]

وممن شارك في قتالهم هناك الإمام القدوة قاضي أفريقية خالد بن أبي عمران التجيبي - رحمه الله - [6] فذكر الذهبي [7] أنه لما خرجت الصفرية بأفريقية يوم القرن، برز خالد بن أبي عمران للقتال، فبرز إليه رئيس القوم، فقتله خالد.

---

(١) عن وقعة قديد انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ٣٩١.

(٢) البخاري: التاريخ الكبير: ٤/ ٢٠٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٦٢. وانظر ترجمة سمي في ملحق التراجم.

(٣) البخاري: التاريخ الصغير: ٢/ ١٦.

(٤) ولاه هشام بن عبدالملك أفريقية سنة أربع وعشرين ومائة. (تاريخ خليفة بن خياط: ٣٥٦)

(٥) المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٠٣.

(٦) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٧) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٧٨. ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠/ ٣٥.

وبعد سقوط دولة بني أمية استمر العلماء في قتالهم للخوارج والوقوف ضد حركتهم، فلما ثارت الخوارج في أفريقية بقيادة عاصم بن جميل سنة تسع وثلاثين ومائة للهجرة، خرج إليهم والي القيروان حبيب بن عبدالرحمن فقاتلهم فهزم ومن معه، فلما وصل الخوارج القيروان أمر العالم الجليل وقاضي القيروان أبو كريب المعافري [1] بقتال الخوارج فاجتمع إليه ألف رجل فخرج يقودهم فلقي الخوارج على وادي أبي كريب وقاتلهم فقتل وجميع من معه ـ رحمهم الله ـ. [2]

ولما رأى العلماء استفحال خطر الخوارج بعثوا جماعة منهم إلى أبي جعفر المنصور في المشرق يستنجدون به، وكان رئيس الوفد العالم الجليل عبدالرحمن بن زياد بن أنعم، فوجه معهم المنصور جيشا كبيرا. [3]

فمما سبق اتضح لنا ما قام به العلماء من أثر كبير في قتال الخوارج والتصدي لهم، وقد كان لذلك أثر كبير في إثارة حماس المسلمين لمحاربة الخوارج وقتالهم، وهذا ما ساعد الولاة والقادة في حروبهم ضد الخوارج.

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) أبو العرب: تاريخ علماء أفريقية وتونس: ٢١٩. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٧١، ١٧٢. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ١٢٩.

(٣)المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٦٠. وانظر ترجمة عبدالرحمن في ملحق التراجم.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض العلماء قد حاول الدخول مع الخوارج في حوار لدعوتهم وإقامة الحجة عليهم قبل قتالهم، فورد أن العالم الجليل إبراهيم التيمي بعث إلى الخوارج يدعوهم، فقال له إبراهيم النخعي: إلى من تدعوهم ؟ إلى الحجاج. [1] إذ من العسير إقناع الخوارج بالدخول في الجماعة وترك الخروج والحجاج وأمثاله في الولاية، حيث كانت سيرة الحجاج من أكبر ما يتخذه الخوارج وغيرهم ذريعة للثورة والخروج على الدولة.

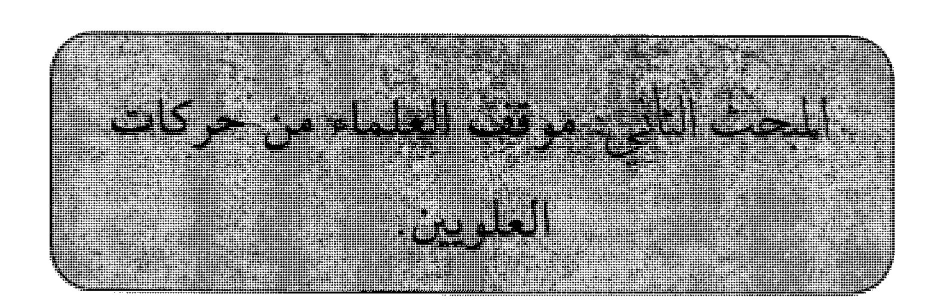
ولما تولى عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ فتح باب الحوار مع الخوارج في خلافته وكاتبهم يستحثهم على الدخول في الطاعة ولزوم الجماعة، واستطاع إقناع بعضهم فلم يخرجوا في عهده، [2] ولكنه سلك أسلوب القوة والشدة مع من أخاف المسلمين منهم واعتدى عليهم، حيث جرد جيشا بقيادة مسلمة بن عبدالملك فقاتلهم وكسر شوكتهم. [3]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٧٩.

(٢) عن محاورة عمر بن عبدالعزيز للخوارج ومكاتبته لهم انظر: ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز:ص ص: ٧٥، ٧٩، ١١٢، ١٤٧، الشافعي: التنبيه والرد: ١٩٦، ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز:ص ص:٥٠، ٦٢، ٦٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى:: ٥/ ٣٥٨. وأورد الخبر الطبري برواة ابن سعد أنفسهم عن محمد بن عمر عن أبي الزناد: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٥٥٥. ولكن المشهور في المصادر الأخرى أنه لم يقع قتال مع الخوارج في عهد عمر بن عبدالعزيز.



علـى أثر الخلاف الذي نشب بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بعـد مقـتل أمـير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أصبح لكل من علـي ومعاويـة أنصـار ومؤيـدون يدافـع بهـم عن رأيه وينصر بهم قضيته، وبعـد مقـتل أمـير المؤمـنين علي رضي الله عنه انتقلت قيادة أنصاره ومؤيديه إلى ابنه الحسـن رضي الله عنه عـلى إثـر مبايعـتهم له، وبعد تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة عـام واحـد وأربعين للهجرة دخل أتباعه فيما دخل فيه، وأنهى بذلك حالة الانقسـام الـتي عاشـتها الأمـة الإسـلامية، وتحقـق قـول جده المصطفى ﷺ حيـث قـال فـيه: **(ابـني هـذا سـيد ولعـل الله أن يصـلح بـه بـين فئتين من المسلمين)** [1].

---

(١) صحيح البخاري: ٣/ ١٦٩، الصلح، ٩.

وعلى الرغم من مبايعة الحسن ودخوله وجموع أتباعه في طاعة معاوية، إلا أن أعدادا كبيرة منهم لم يرضهم الأمر الواقع على اختلاف بينهم في دوافعهم، ما بين دوافع عاطفية لأهل البيت، أو إقليمية عراقية، أو عنصرية فارسية، أو دينية يهودية، لكن جمعهم الكره لبني أمية. وقد أعطى بعض ولاة بني أمية مبررات لهؤلاء لاتخاذ تلك المواقف ضد بني أمية، بإثارتهم أمورا كان من الواجب تناسيها لرأب الصدع، وكسب القلوب النافرة، حيث دأب هؤلاء الولاة في خطبهم على إثارة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه والثناء على من ناصره وسعى للأخذ بثأره ـ مشيرين في ذلك إلى معاوية ومن آزره ـ وسب وشتم من ثار عليه وقتله ومن آوى قتلته، فبمجرد سماع هذا السب والشتم يشعر أهل العراق أنهم المعنيون به حيث كان من ضمنهم من ثار ضد عثمان وألب عليه والذين يجتهدون في إقناع أنصار علي بصفة عامة أنهم هم المعنيون بهذا السب والشتم.

وأصبح الاسم الجامع لهؤلاء لفظة الشيعة، وظلوا يتحينون الفرص كلما سنحت لتغيير الواقع الذي لم يرضوه بنزع الحكم من بني أمية، فكانوا من وراء دفع حجر بن عدي إلى التحرش بولاة العراق في عهد معاوية بن أبي سفيان [1]، وهم الدافع الرئيس لخروج الحسين بن علي رضي الله عنه في عهد يزيد بن معاوية كما سيأتي بيانه. وهم الذين جمعوا الجيوش فيما يسمى

---

(١) انظر ص: ٣٩٤ وما بعدها.

بحركة التوابين للأخذ بالثأر من قتلة الحسين [1]، وكان جلهم من أتباع حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي ومؤيدا له أيام فتنة ابن الزبير، وهم مدد جيش زيد بن علي بن الحسين حين خرج في عهد هشام بن عبدالملك.

وفي هذا المبحث سنحاول التعرف على موقف العلماء من الحركات العلوية، وهي الحركات التي تولى قيادتها أحد أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو أحفاده. أما تلك الحركات التي أثارها الشيعة ودعموها دون أن يتولى قيادتها أحد العلويين مثل حركة التوابين، وحركة المختار فهما حركتان ظهرتا في وقت الفتنة وانتقاض الحكم الأموي وظهور أمر ابن الزبير فموقف العلماء هنا داخل ضمن الحديث عن مواقفهم من الفتنة كما سبق ذكره، لذا سيقتصر الحديث هنا عن موقفهم من حركتي الحسين بن علي رضي الله عنه، وزيد بن علي بن الحسين ـ رحمه الله ـ.

موقف العلماء من حركة الحسين بن علي رضي الله عنه.

بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه بايع الحسين بن علي رضي الله عنه لمعاوية بالخلافة تبعا لبيعة أخيه الحسن، وكان بعض شيعة علي وأنصاره غير راضين عن تنازل الحسن وبيعته

---

(١) كانت حركة التوابين سنة٦٤ هـ وسببها اجتماع زعماء الشيعة وندمهم على خذلانهم الحسين بن علي رضي الله عنه وتحقيقا لتوبتهم من هذا الخطأ الذي وقعوا فيه قاموا بتحريض الشيعة للأخذ بالثأر من قتلة الحسين. انظر (الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٥٥١ ـ ٥٦٣).

لمعاوية، وكانوا يرون الحسين معقد الأمل الذي سيحقق تطلعاتهم في الاستمرار في مناهضة معاوية بعد تخلي أخيه الحسن عن ذلك، لذا حاول بعضهم استثارة الحسين لينقض بيعته ويقودهم لحرب معاوية، لكن الحسين رضي الله عنه قال: "إنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا"(1) وظل الحسين رضي الله عنه ملتزما ببيعته وطاعته طوال عهد معاوية رضي الله عنه. ولما عهد معاوية لابنه يزيد من بعده و سعى لأخذ البيعة على ذلك في الأقاليم رفض الحسين الموافقة على ذلك ولم يبايع، ولكنه لم يعلن معارضته وآثر السكون.

فلما توفي معاوية وتولى يزيد الخلافة أمر واليه على المدينة ـ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ بأخذ البيعة من أهلها لاسيما من المعارضين وفي مقدمتهم الحسين، فلما بعث إليه الوليد وطلب منه البيعة قال: نصبح وننظر ثم خرج مع ابن الزبير إلى مكة (2). فلما سمع أهل الكوفة بعدم مبايعته وخروجه إلى مكة بعثوا إليه الكتب المتتابعة يحثونه فيها بالقدوم عليهم ليبايعوه، فبعث الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل ليطمئن له ويأخذ البيعة له من أهل الكوفة، فقدم مسلم الكوفة وبدأ في أخذ البيعة حتى بايع له جمع كثير بلغ عددهم ثمانية عشر ألف، فكتب مسلم إلى الحسين بالقدوم

(1) الدينوري: الأخبار الطوال: تحقيق عبدالمنعم عامر: القاهرة ١٩٦٠م ص: ٢٢٠.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٩٥.

فقد تمهدت له الأمور وتمت له البيعة، فأخذ الحسين يتجهز للمسير إلى العراق [1].

وسنقف هنا لنتعرف على موقف العلماء من رفض الحسين البيعة ليزيد وعزمه على الخروج لأهل الكوفة، فمن خلال تتبع أهم المصادر التي أوردت أحداث خروج الحسين ومقتله تبرز مواقف كثير من العلماء المعاصرين لذلك، ومن الضروري في حركة الحسين هذه التفريق بين أمرين هما: عدم مبايعة الحسين ليزيد ورفضه توليه الخلافة، والأمر الثاني استجابته لأهل الكوفة وخروجه إليهم.

فأما عن موقف العلماء من رفضه البيعة ومعارضته ليزيد فنجد أن الروايات تشير إلى أن جمهور العلماء المعاصرين له قد نصحوه بعدم اتخاذ هذا الموقف وأمروه بالدخول فيما دخل فيه عامة الناس، ويتضح هذا من خلال استعراض أقوال ونصائح أولئك العلماء للحسين رضي الله عنه.

فأما أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فإنه لما بلغه خروج الحسين جاءه فقال له: يا أبا عبدالله ! إني لكم ناصح، وإني عليكم شفيق، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم،

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٥١، ١٥٢.

وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر، ولا صبر على السيف. ولكن الحسين لم يأخذ برأي أبي سعيد فخرج فلما بلغه خروجه قال: غلبني الحسين على الخروج، وقلت له اتق الله في نفسك والزم بيتك ولا تخرج على إمامك.[1]

وممن نصح له بذلك الصحابي الجليل جابر بن عبدالله رضي الله عنه حيث قال: كلمت حسينا فقلت: اتق الله، ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فوا لله ما حمدتم ما صنعتم. فعصاني.[2]

ومنهم الإمام القدوة عبدالله بن عمر رضي الله عنهما حيث نصح الحسين في أكثر من موقف، فحين بلغه خروج ابن الزبير والحسين إلى مكة رافضين بيعة يزيد لقيهما وقال: أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس وتنظران، فإن اجتمع عليه الناس لم تشذا، وإن افترق عليه

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) تحقيق محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ: ١/ ٤٤٥. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ١٣٧، ١٣٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٩٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦١، ١٦٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) تحقيق السلمي: ١/ ٤٤٥. ابن منظور: المصدر السابق نفسه: ١٤٠. ابن كثير: المصدر السابق نفسه: ١٦٣.

كان الذي تريدان. [(١)] ولما قدم المدينة وبلغه خروج الحسين لأهل الكوفة لحقه ابن عمر على مسيرة ليلتين فقال: أين تريد ؟ قال: العراق، ومعه طوامير وكتب، فقال: لا تأتهم. قال: هذه كتبهم وبيعتهم. فقال: إن الله خير نبيه بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنكم بضعة منه، لا يليها أحد منكم أبدا، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، فارجعوا، فأبى، فاعتنقه ابن عمر، وقال: أستودعك من قتيل. [(٢)] وكان ابن عمر يقول بعد ذلك: غلبنا الحسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه و أخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له ألا يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس، فإن الجماعة خير. [(٣)]

وكان من بين الناصحين للحسين العالم الحبر عبدالله بن عباس رضي الله عنه فقد كتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس في أمر الحسين يخبر فيه بخروج الحسين إلى مكة وأن رجالا من أهل المشرق أتوه فمنوه الخلافة، قال:

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) تحقيق السلمي: ١/ ٤٤٤. ابن منظور: المصدر السابق نفسه: ١٣٩ الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٢٩٦. ابن كثير: المصدر السابق نفسه: ١٦٣.

(٢) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٢٩٢. ابن كثير: المصدر السابق نفسه: ١٦٠.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ١٣٨.

وعندك منهم خبرة وتجربة، فإن كان فعل فقد قطع واشج القرابة. وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه فاكففه عن السعي والفرقة.

فكتب ابن عباس ليزيد: إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست أدع النصيحة له في كل ما يجمع الله به الألفة ويطفئ به الثائرة. [1]

ولعل ابن عباس كتب ذلك قبل أن يتأكد لديه خروج الحسين إلى العراق، كما كان يعتقد أن بإمكانه إقناعه بعدم الخروج إلى العراق أو الدخول مع يزيد في مصادمة تثير الفتنة. فلما كثر الكلام حول خروج الحسين وأظهر الحسين عزمه على الخروج جاءه ابن عباس فقال: يا بن عم إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع، فقال: إني قد أجمعت على المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: أخبرني إن كان دعوك بعدما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم، وإن كان أميرهم حي وهو مقيم عليهم، قاهر لهم وعماله تجبي بلادهم فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال، ولا آمن عليك أن

---

(١)ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) تحقيق السلمي: ١/ ٤٤٩، ٤٥٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٠٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦٤.

يستفزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك، فيكون الذي دعوك أشد الناس عليك. فقال الحسين: إني أستخير الله وأنظر ما يكون.

ولكن ابن عباس أدرك من كلام الحسين واستعداده أنه عازم على الخروج ولكنه يحاول إخفاء الأمر عنه لعلمه بعدم رضاه عن ذلك، لذا جاء ابن عباس إلى الحسين من الغد فقال: يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر، وإني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم اقدم عليهم، و إلا فسر إلى اليمن فإن به حصونا وشعابا، ولأبيك به شيعة، وكن عن الناس في معزل، واكتب إليهم وبث دعاتك فيهم، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب. فقال الحسين: يا ابن عم ! و الله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير. فقال له: فإن كنت ولا بد سائرا فلا تسر بأولادك ونسائك، فوا لله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه، إلى أن قال: فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علي وعليك الناس أطعتني وأقمت لفعلت ذلك. [1]

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٥٩، ١٦٠.

وهكـذا نجـد أن محـاولات ابـن عـباس لم تجـد في إقـناع الحسين على الـرغم مـن أنـه أظهر له ـ لما علم تصميمه على عدم رضاه بيزيد وضرورة العمـل عـلى تغـييره ـ أنه لا يقف ضد فكرة الحسين تماما، ولكنه يوضح له عوامـل فشـل ما هو سائر لتحقيقه، ويطرح له البدائل التي ربما تكون أقرب لتحقـيق مـا يصـبوا إلـيه. وذلك بالانتظار حتى يقوم أهل العراق بالسيطرة التامة على إقليمهم ويحرروه من سلطان بني أمية. وهو يدرك أنهم عاجزون عـن ذلـك فبالـتالي هم عاجزون عن حماية الحسين. أو أن يذهب إلى اليمن ويعمـل بمـا أرشده إليه فإن عوامل النجاح فيه أكثر وعوامل الفشل فيه أقل مـن رحـيله إلى العـراق. ولعـل ابـن عباس قد لا يريد للحسين لا هذا ولا ذاك ولكـن أراد تـأخير الحسـين عن اتخاذ تلك الخطوة السريعة بخروجه إلى العـراق والـتي لا يـنفع معها تدارك الأمر، أما لو اقتنع برأي ابن عباس من الانـتظار حـتى يتهـيأ له الأمـر في العـراق، أو يعـدل عـنه إلى الـيمن وهذا سـيأخذ وقتا طويلا لترتيب الأمور هناك، وبهذا أو ذاك فإنه يمكن أن يكون لعامل الوقت أثر في حل الوضع و إطفاء الفتنة.

ومن أولئك الصحابي الجليل أبو واقد الليثي رضي الله عنه حيث قال: ' بلغني خـروج الحسـين فأدركـته بملل [1] فناشدته ألا يخرج، فإنه يخرج في غير وجه خروج، إنما يقتل نفسه، فقال: لا أرجع. " [1]

(١) ملل: واد بين المدينة المنورة وبدر على نحو أربعين كيلا جنوب المدينة (البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ٢٠٩)

وهناك عدد من علماء التابعين الذين أبدو معارضتهم لخروج الحسين، منهم أخوه محمد بن علي (ابن الحنفية) فإن الحسين لما عزم على الخروج بعث إلى بني عبدالمطلب في المدينة يدعوهم للخروج معه، فقدم عليه من خف منهم، وتبعهم محمد بن الحنفية فأدرك الحسين بمكة، فأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل، فحبس محمد ولده ومنعهم من الخروج مع الحسين، فوجد في نفسه على أخيه محمد وقال: ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه ؟ فقال: محمد وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك، وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم.[2]

ومنهم التابعي الفقيه أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف [3] فكان يقول: (قد كان ينبغي للحسين أن يعرف أهل العراق، ولا يخرج إليهم.) [4]

ومنهم الإمام الكبير سعيد بن المسيب فإنه روي عنه أنه قال: (لو أن حسينا لم يخرج لكان خيرا له.)[5]

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ١٣٩. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) تحقيق السلمي: ١/ ٤٥١. ابن منظور: المصدر السابق: ١٤٣. الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٣٠٤. ابن كثير: المصدر السابق: ١٦٥.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن منظور:المصدر السابق: ١٤٠. ابن كثير: المصدر السابق نفسه: ١٦٣.

(٥) ابن منظور: المصدر نفسه. ابن كثير: المصدر السابق نفسه.

أما أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث فقد أتى إلى الحسين فقال له: "يا ابن عم إن الرحم تظأرني عليك، وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك، قال: يا أبا بكر: ما أنت ممن تستغش ولايتهم فقل. قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك و أخيك، وأنت تريد أن تسير إليهم، وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره، فأذكرك الله في نفسك. فقال: جزاك الله يا ابن عم خيرا، فقد اجتهدت، ومهما يقض الله من أمر يكن، فقال أبو بكر: إنا لله وإنا إليه راجعون، نحتسب أبا عبدالله." (١)

ومنهم كذلك يزيد بن الأصم (٢) فقد كتب إلى الحسين حين خرج: "أما بعد فإن أهل الكوفة قد أبوا إلا أن يبغضوك، وقل من أبغض إلا قلق، و إني أعيذك بالله أن تكون كالمغتر بالبرق، وكالمهريق ماء السراب، ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ﴾ أهل الكوفة ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾. (٣)

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ١٤٠، ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦.

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) سورة الروم: آية: ٦٠. وانظر الخبر في: ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٧/ ٣٢٥.

وورد أن عمـرة بنـت عبدالرحمن [1] كتبت إليه تعظم عليه ما يريد أن يصـنع، وتأمـره بالطاعـة ولـزوم الجماعـة وتخـبره إنمـا يسـاق إلى مصـرعه، وتقـول: أشـهد لحدثـتني عائشـة أنهـا سمعت رسول الله يقول: ﷺ (**يقتل الحسـين بـأرض بـابل**). [2] فـلما قـرأ كـتابها قـال: (فـلا بـد لـي إذن مـن مصرعي). [3]

فمـن تلك النصوص السابقة يتبين لنا أن جمهور العلماء في الحجاز قد عارضـوا الحسـين في خروجه وعدم مبايعته ليزيد، ونصحوه بعدم الخروج، وفعلوا ما في وسعهم لصده عن ذلك.

---

(١) هي عمر بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية، تابعية عالمة، من أعلم الناس بحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقد كتب عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ إلى واليه على المدينة أن يكتب له أحاديث عمرة. توفيت سنة ثلاث ومائة وقيل غير ذلك. (ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٢/ ٤٣٨، ٤٣٩)

(٢) لم أعثر على لفظ هذا الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، ولكن ورد بلفظ آخر عن أم سلمة أنه يقتل بأرض العراق. انظر: الحاكم: المستدرك على الصحيحين: ٤/ ٤٤٠. وقال صحيح على شرط الشيخين ـ البخاري ومسلم ـ ولم يخرجاه، الطبراني: المعجم الكبير:٣/ ١٠٩. أبو عاصم: الآحاد والمثاني: ١/ ٣٠٨.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ١٤٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٩٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦٣.

ووردت بعض الروايات التي تشير إلى وجود بعض العلماء الذين لم يروا بأسا من خروج الحسين على يزيد ورفض بيعته، كعبدالله بن الزبير، والمسور بن مخرمة رضي الله عنه لأنهما على رأي الحسين في ذلك. وفي رواية أوردها الذهبي تفيد تأييد عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه لخروج الحسين. حيث ذكر أن الفرزدق قال: "لما خرج الحسين لقيت عبدالله بن عمرو فقلت: إن هذا ـ أي الحسين ـ قد خرج فما ترى ؟ قال: أرى أن تخرج معه، فإنك إن أردت دنيا أصبتها، وإن أردت آخرة أصبتها،، فرحلت نحوه، فلما كنت في بعض الطريق، بلغني قتله، فرجعت إلى عبدالله وقلت: أين ما ذكرت ؟ قال: كان رأيا رأيته" ثم علق الذهبي على ذلك قائلا: قلت: هذا يدل على تصويب عبدالله بن عمرو للحسين في مسيره، وهو رأي ابن الزبير وجماعة من الصحابة شهدوا الحرة.[(١)]

إلا أن القول بتصويب عبدالله بن عمرو لخروج الحسين ليس مسلم به لأمرين: أولهما أنه ورد ما يشير إلى خلاف ذلك من معارضة عبدالله بن عمرو لخروج الحسين، فعن يحي بن معين قال: حدثنا أبو عبيدة ثنا سليم بن حيان عن سعيد بن مينا قال: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: "عجل حسين قدره، والله لو أدركته ما تركته يخرج إلا أن يغلبني، ببني هاشم فتح

---

(١) الذهبي: المصدر السابق: ٢٩٣.

هـذا الأمـر، وبـبني هاشـم يختـم، فـإذا رأيـت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان. "[1]

والأمر الآخر هو أنه ورد أن الفرزدق كان قد قدم من العراق ووافى الحسـين في الطـريق فاستشـاره الحسـين. ويقـول الفـرزدق في ذلك: لقيت الحسـين بـذات عـرق [2] وهـو يـريد الكوفـة فقال لي: ما ترى أهل الكوفة صـانعين ؟ معـي حمل بعير من كتبهم. قلت: لا شيء، يخذلونك، لا تذهب إلـيهم، فـلم يسـمعني. [3] وفي خـبر آخـر أنـه قـال له: قلـوب الناس معك وسـيوفهم مـع بـني أمـية، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء. [4] فـإذا كـان هـذا رأي الفـرزدق في أهل الكوفة، وإدراكه للوضع في العراق، فهل من العقل أن يقرر اللحاق بالحسين ليقاتل معه ؟

ومـن الملحوظ إجمـاع كـل مـن نصـح الحسـين ـ حـتى من لم ير بأسا برفضه البيعة ـ على أن لا يخرج للعراق ولا يثق في أهل الكوفة، فقد كتب إلـيه المسور بن مخرمة رضي الله عنه بأن لا يغتر بكتب أهل العراق، ونصحه بأن لا يـبرح الحـرم فـإن كانت لهم حاجة فسيضربون إليه آباط الإبل حتى يوافوه،

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦٠، ١٦١.

(٢) هي ميقات أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة. (الحموي: معجم البلدان: ٤/ ١٠٧)

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ١٤٥.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ك ٥/ ٣٨٦، ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦٦.

فيخرج في قوة وعدة.[1] ومما يلفت الانتباه ـ زيادة على إجماع الناصحين للحسين على خيانة أهل الكوفة ووجوب عدم الثقة بوعودهم ـ كذلك يلفت الانتباه إجماعهم في توقعهم لمقتل الحسين كما يبدوا ذلك من أسفهم عليه وكلمات التوديع له. وما ذاك إلا دليل على معرفة أولئك الناصحين من العلماء بالأوضاع، ووعيهم لما سبق من أحداث جرت إبان الفتنة بين علي ومعاوية عرفوا من خلالها الدوافع والأهواء التي تدفع ببعض الأقوام للاستفادة من إثارة الإحن ودوام الفتن.

ولقد صدقت كل توقعات الناصحين ومخاوفهم، فقد اختلفت الأمور تماما في العراق بعد عزل يزيد بن معاوية للنعمان بن بشير رضي الله عنه عن الكوفة وضمها إلى والي البصرة عبيد الله بن زياد، حيث حزم الأمر وفرق الشيعة عن مسلم بن عقيل ـ ممثل الحسين ـ وضيق عليه حتى تم القبض عليه وانتهى الأمر بقتله، وكان قد بعث إلى الحسين ـ بعد أن رأى تفرق الناس عنه وتبدل الحال ـ من يخبره بأن أهل العراق قد غروه وكذبوه، فجاء الرسول الحسين فأخبره الخبر فهم بالرجوع وأذن لمن معه بالتفرق، إلا أن أخوة عقيل قالوا: لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل. فقال الحسين: لا خير في الحياة بعدكم[2]. فسار بمن معه والتقى بجيش عبيد الله بن زياد

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ١٤٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٠٠. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٥٢.

فلما وقف الحسين على حقيقة الأمر أدرك ما ذكره له الناصحون فعرض على جيش ابن زياد ثلاثة عروض كانت كفيلة بإنهاء الخلاف وإطفاء الفتنة لو قبلت منه وهذه العروض كما جاءت في حديث الحسين لقائد جيش ابن زياد ـ عمر بن سعد بن أبي وقاص ـ حيث قال له: يا عمر اختر مني ثلاث خصال: إما أن تتركني أرجع كما جئت، فإن أبيت هذه فسيرني إلى يزيد، فأضع يدي في يده فيحكم في ما رأى، فإن أبيت هذه فسيرني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت.[1]

ولكن ابن زياد بمشورة من بطانة السوء وعلى رأسهم شمر بن الجوشن حذروه من مغبة إفلات فرصة تمكنه من الحسين، وأشاروا عليه بأن لا يقبل من الحسين إلا النزول على أمره يحكم فيه بما شاء، وكان لقبول ابن زياد لذلك إشعال لنار الفتنة التي أوشكت أن تخمد، فرفض الحسين أن يستسلم لابن زياد بتلك الصورة المهينة التي أرادها أصحاب السوء.

لقد حاول الحسين أن يحول دون القتال بينه وبين جيش ابن زياد بعد أن أدرك غدر أهل العراق به فمما قاله لعمر بن سعد وجيشه: لا تعجلوا والله ما أتيتكم حتى أتتني كتب أماثلكم بأن السنة قد أميتت، والنفاق قد نجم، والحدود قد عطلت، فاقدم لعل الله يصلح بك الأمة، فأتيت، فإذا

(١) ابن منظور: المصدر السابق نفسه: ١٤٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٧٥.

كرهتم ذلك، فأنا راجع. فقال له عمر: لو كان أمرك إلي لأجبت: فقال الحسين: يا عمر ! ليكونن لما ترى يوم يسوؤك. ثم قال: "اللهم إن أهل العراق غروني، وخدعوني، وصنعوا بأخي ما صنعوا. اللهم شتت عليهم أمرهم، و أحصهم عددا ".(١)

فيتضح مما سبق حرص العلماء على جمع الكلمة وإطفاء الفتنة، بمحاولاتهم الجادة في إقناع الحسين رضي الله عنه بالتخلي عن رأيه واجتهاده الذي دعاه إليه غيرته على الدين وعدم قناعته بالطريقة التي تم بها اختيار يزيد مع وجود من هو أفضل منه. وكان العلماء يقدرون للحسين هذه الغيرة ولكن خوفهم من الفتنة وتفرق الكلمة، و إراقة الدماء، مع معرفتهم بأهل العراق وحبهم للفتن، كل ذلك دفعهم إلى الإلحاح على الحسين بعدم الخروج، ولو أنه سمع منهم وفعل لما حدث ما حدث، ولكن قدر الله ماض.

ولما حدث القتال بين فئتين غير متكافئتين وقتل الحسين شهيدا، لم يكن العلماء راضين على ما حدث من ابن زياد وجيشه، لذا كانت ردود أفعالهم وأقوالهم غاضبة عندما جاء الخبر بمقتل الحسين ونهايته الأليمة. فهذا فقيه الأنصار زيد بن أرقم (٢) لما حضر عند ابن زياد وقد جيء برأس

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٠٢،٣٠١.

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

الحسين إليه فنكت بقضيب بين ثناياه فقال زيد: ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الثنيتين يقبلهما، ثم انفضح يبكي فقال له ابن زياد: أبكى الله عينك، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فنهض وخرج، فلما خرج قال الناس: والله لقد قال زيد بن أرقم كلاما لو سمعه ابن زياد لقتله، فمما قاله للناس لما مر بهم: ملك عبد عبيدا، فاتخذهم تليدا، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فبعدا لمن رضي بالذل. [1]

وهذا عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما دخل مكة حين أدبر جيش الحصين بن نمير بعد حصاره لابن الزبير، ورأى منظر الكعبة وقد احترقت فقال بعد أن بكى: أيها الناس ! والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلو ابن نبيكم، ومحرقو بيت ربكم، لقلتم: ما أحد أكذب من أبي هريرة. فقد فعلتم، فانتظروا نقمة الله فليلبسنكم شيعا، ويذيق بعضكم بأس بعض. [2]

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٤٥٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٩٠. وقال: وري من طريق أبي داود بإسناده عن زيد بن أرقم بنحوه، ورواه الطبراني من طريق ثابت عن زيد.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٩٤.

ولقد صدق عبدالله بن عمرو فقد جر فعل ابن زياد بمقتل الحسين على يزيد من الفتن ما جعله لا يهنأ بالخلافة، فثار عليه أهل المدينة، وخرج عليه ابن الزبير في مكة، ومات ولم تستقر له حال، وعاشت الأمة الإسلامية في فتنة عمياء أهريقت فيها الدماء، وتناثرت فيها الأشلاء، وعطل الجهاد أكثر من عشر سنوات.

موقف العلماء من حركة زيد بن علي بن الحسين رحمه الله.

بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه أدرك أفراد البيت العلوي أن لا جدوى من منازعة بني أمية أمر الحكم وأن ذلك سيجر عليهم وعلى بيتهم من المصائب ما هم في غنى عنه، لذا آثر كبار البيت العلوي اعتزال السياسة وانصرفوا إلى العلم يتعلمون ويعلمون، واستقروا في المدينة حيث كانت مركز العلم وملتقى العلماء، كما كانت أنسب مكان لإقامتهم، فالشام غير مناسب لكونه مركز الحكم الأموي، والعراق لا يناسب كذلك لوجود الشيعة الناقمين على بني أمية، وسيستغلون وجود أفراد البيت العلوي لو كانوا بينهم وسيدفعون بهم إلى الخروج على بني أمية دفعا، وهؤلاء لا يريدون ذلك، ومن أبرز العلويين الذين استقروا في المدينة معتزلين السياسة ومشتغلين بالعلم كبيرهم زين العابدين علي بن الحسين ـ رحمه الله ـ وسار على منهجه كل من ابنه محمد الباقر وحفيده جعفر الصادق بن محمد الباقر، وعبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله، وهذان الأخيران

في سن الإمام زيد بن علي.[1] وقد قال ابن الجوزي[2] عن جعفر الصادق: كان مشغولا بالعبادة عن حب الرياسة، وذكر أن سفيان الثوري - رحمه الله - طرق عليه الباب فأمر بالإذن له فدخل، فقال جعفر: يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان وأنا اتقي السلطان قم فاخرج غير مطرود، فقال سفيان حدثني حتى اسمع وأقوم... وهذا ما يؤكد رغبة العلويين في اعتزال السياسة وعدم مصادمة الأمويين.

ولكن زيد بن علي بن الحسين - رحمه الله - خرج عن هذا المنهج الذي ارتضاه كبار أفراد البيت العلوي لأنفسهم إبان تلك الحقبة، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب دفعت بزيد في النهاية إلى الخروج على بني أمية ومصادماتهم، ومن ذلك بعد العهد بزيد عن أحداث خروج جده الحسين ومقتله، لذا لم يكن يدرك ما كان يدركه والده ومن هو أكبر منه سنا من عواقب مخالفة بني أمية، كما أن ما كان يتمتع به زيد من تطلعات وما يتسم به من صفات وما يحمله من آراء جعلته يبرز على مسرح الأحداث من بين أفراد البيت العلوي المعاصرين له، فلم يكن زيد يلتزم كغيره بالبقاء في

---

(١) محمد أبو زهرة: الإمام زيد: ٣٠، ٣١. أحمد الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني، دار الفكر العربي:٤٥٢، ٤٥٣.

(٢) صفة الصفوة: ٢/ ٩٤، ٩٥.

الحجاز بل خرج إلى العراق وكثر تنقله إليها مما جعله على صلة قوية بالشيعة هناك وجعلهم يطمعون في إخراجه وإثارته ضد بني أمية حين عجزوا عن غيره، وقد كان من آراء زيد بن علي أنه كان يرى خروج الإمام داعيا لنفسه شرطا في كون الإمام إماما. [1] كما لم يكن راضيا عن هشام بن عبدالملك تمام الرضا، فورد أن زيد بن علي جاء إلى جماعة من القرشيين ذات يوم فقال لهم: أي قوم ! أنتم أضعف من أهل الحرة ؟ فقالوا: لا. فقال: فأنا أشهد أن يزيد ليس شرا من هشام بن عبدالملك، فما لكم ؟ فقال سعد بن إبراهيم القرشي لأصحابه: مدة هذا قصيرة. [2] إن كل هذه الأمور تجمعت لتجعل من زيد بن علي خصما يراه هشام بن عبدالملك خطرا على خلافته خاصة والحكم الأموي بعامة، وعلى الرغم من أن زيد بن علي لم يكن حين خرج يرى أن الوقت قد حان للخروج، ولكن هشام بن عبدالملك دفعه لذلك دفعا، وتتعدد الروايات في ذكر السبب المباشر لخروج زيد بن على، ولكنها تفيد على اختلافها تعمد هشام وولاته مضايقة زيد وإحراجه، فتذكر بعض المصادر أن والي المدينة خالد بن عبدالملك بن الحارث حاول إثارة الخصومة بين زيد بن علي وابن عمه

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل: ١٥٦.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٩/ ١٥٥.

عبدالله بن الحسن، مستغلا الخلاف بينهما حول نظارة بعض الأوقاف، إلا أن زيدا قطع الطريق على خالد بتنازله عن حقه لابن عمه عندما خاف ازدياد شقة النزاع بينهما واستغلال خالد لذلك، ولكن خالد بن عبدالملك واصل مضايقته لزيد مما دعاه إلى أن يشكوه إلى هشام بن عبدالملك، فلم يستقبل هشام زيدا بما يليق به بل أهانه وضايقه. مما جعل زيدا ينفر منه ويعزم على الخروج [1] كما تذكر بعض المصادر أن والي العراق يوسف بن عمر كتب إلى هشام يذكر أن والى العراق قبله خالد القسري قد أجاز زيد بن علي وداود بن علي بن عبدالله بن عباس ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أموالا حين قدموا عليه وحازوها معهم إلى المدينة، وأنه ابتاع من زيد بن علي أرضا بالمدينة، وأنه أودعهم ودائع، فكتب هشام إلى والي المدينة بأن يبعث بهم إليه، فلما قدموا عليه أقروا بالجوائز وأنكروا ما سوى ذلك، فبعث بهم هشام على كره منهم إلى يوسف بن عمر للتحقيق معهم بحضور خالد القسري، فساروا مكرهين إلى العراق. وانتهى التحقيق باعتراف خالد القسري بأن ليس لديهم ودائع له وإنما ادعى ذلك ليرفع

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٢٥. ابن منظور: المصدر السابق نفسه: ١٥٥، ١٥٦. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٤/ ٢٤٠، ٢٤١.

التعذيب عنه، فخلى عنهم يوسف بن عمر. فأراد أصحاب زيد الرجوع للمدينة ولكن زيدا عزم على المقام بالكوفة واتصل به شيعتها وأغروه بالخروج ووعدوه بالمساعدة، ونصحه محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب بأن لا يثق في أهل الكوفة فلم يقبل. وأقام بالكوفة يبايع الشيعة فيها على الخروج، وكانت صيغة بيعته لهم: " إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم الفيء بين أهله بالسواء، ورد المظالم، ونصر أهل البيت. تبايعون على ذلك ؟ " فإذا قالوا نعم وضع يده على أيديهم.. [(١)] فبايعه أربعون ألفا من أهل الكوفة وغيرهم. فلما تكامل استعداد زيد حدد لأتباعه موعدا للخروج، ولكن يوسف بن عمر علم بذلك فقطع عليه الطريق بحبس الناس في المسجد قبيل الموعد [(٢)]، كما أعاد الشيعة نكثهم العهد وفي هذه المرة التمسوا لهم مخرجا حيث جادلوا زيدا في أبي بكر وعمر فلما تولاهما رفضوه وتخلوا

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٤/ ٢٤٢. محمد أبو زهرة: الإمام زيد: ٥٧.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٩/ ١٥٧.

عنه، فواجه جيش بني أمية في جمع يسير لا يزيد عن أربعمائة رجل. [(١)]
فهزم زيد وقتل سنة اثنتين وعشرين ومائة للهجرة رحمه الله. [(٢)]

هذا مجمل الحديث عن خروج زيد بن علي في عهد هشام بن عبدالملك. فما موقف العلماء من خروجه هذا ؟

يقول محمد أبو زهرة [(٣)]: " ولقد كان العلماء يعتبرون ثورة زيد على الطغيان الأموي ثورة أهل العلم والزهادة والنسك عليهم، حتى إن بعض المؤرخين يذكر أن الذين قاتلوا مع زيد كانوا من القراء والفقهاء." ويقول أيضا: " ولقد كان رضي الله عنه عظيم الثقة في الفقهاء والمحدثين، لأنه منهم، ولذلك لما اشتدت الشديدة، ورأى تخاذل الناس عنه كان يرسل إليهم يستنصر بهم، ولذا كان أكثر المجاهدين معه من شبابهم، وقد كان سفيان الثوري محدث الكوفة وواعظها إذا ذكر زيدا بكى على ما فقده من العلم بفقده، وعلى ما فقده التقى والفضل بإصابته وقد خرج معه بعض القضاة" ثم

(١) ابن منظور: المصدر السابق نفسه: ١٥٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٩٠. أبو زهرة: الإمام زيد:٥٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ٣٥٣. ابن منظور:المصدر السابق نفسه: ١٥٩.

(٣) الإمام زيد، دار الفكر العربي: ٧٢، ٧٣.

قال أبو زهرة: "وهكذا نرى ثورته كانت ثورة الفقهاء والقراء والمحدثين، وأهل التقى.

والمطلع على كلام أبي زهرة هذا يظن أن موقف العلماء أو جلهم كان مؤيدا لخروج زيد بن علي على هشام بن عبدالملك، ويوحي كلامه بأنه لم يكن هناك معارض لخروج زيد من العلماء وكاره له. ولكن المتتبع بتجرد لحركة زيد سيجد أن الأمر على غير ما حكم به أبو زهرة وجزم به، وقبل أن أذكر موقف العلماء مفصلا عن هذه الحركة أقول إن كلام أبى زهرة ينقصه الدليل المقنع لما توصل إليه، فلم يستطع أن يذكر على مشاركة العلماء لزيد في ثورته غير مثال واحد هو أبو حنيفة النعمان، ولجأ بعده إلى التعميم الذي لم يعزه إلى مصدر معين مثل قوله: وكان أكثر المجاهدين معه من شبابهم، وقوله: وخرج معه بعض القضاة. فلم يذكر اسما واحدا من شباب العلماء ولا واحدا من الفقهاء المشاركين، وفوق ذلك لم يذكر مصدره الذي اعتمد عليه في هذا التعميم. وما ذكره من بكاء سفيان وحزنه على موت زيد ليس دليلا على مشاركة سفيان أو تأييده لحركة زيد فكل العلماء بل والمسلمين جميعا أحزنهم ويحزنهم موت زيد ومقتله، ولكن هذا الحزن ليس دليلا على المشاركة أو الموافقة، فكثير من العلماء ومنهم العلويون أحزنهم نهاية زيد وإن كانوا لم يؤيدوه على الخروج بل نهوه عن ذلك كما سيأتي ذكره. لذا فإن أبا زهرة في نظري غير محق في هذا الجزم وهذا التعميم بتأييد العلماء لخروج زيد وهذه أدلته.

وقد ذكر ناجي حسن [(١)] أن عددا من الفقهاء والمحدثين انضموا لحركة زيد بن علي ـ رحمه الله ـ وهم بحسب ترتيبه لهم: زبيد اليامي، هلال بن خباب، يحيى بن دينار الواسطي، هاشم بن البريد، مسعر بن كدام، عبدالله بن شبرمة، قيس بن الربيع، منصور بن المعتمر، عثمان بن عمير أبو اليقظان، محمد بن عبدالملك بن أبي ليلى، معاوية بن أبي إسحاق، سعيد بن خيثم، الحسن بن سعد المعتزلى، هارون بن سعد.

ولكن عند التحقيق نجد أن الأمر ليس كما ذكره ناجي حسن، وذلك أن مصادره ـ في ذكر مشاركة هؤلاء العلماء في حركة زيد ـ تنحصر في مصدرين هما "مقاتل الطالبين" لأبي الفرج الأصفهاني، و "الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية" لأبي عبدالله حميد بن أحمد البحراني (ت:٦٥٢هـ) [(٢)]. وكلا المصدرين غير معتمد ولا موثوق به في هذا الموضوع لما يحمله مؤلف كل منهما من توجه مضاد للدولة الأموية وبغض لبني أمية، فأبو الفرج الأصبهاني وإن اشتهر بسعة معلوماته في معرفة الأخبار والأشعار إلا أنه معروف بتشيعه، واتهمه البعض بالكذب [(٣)] وهو

(١) ثورة زيد بن علي، ط: الأولى، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٦ هـ، ص ص: ١٥ ـ ١٠٧.

(٢) ذكر ناجي حسن في فهرس مراجع كتابه ثورة زيد. أنه مخطوط لدى مكتبة آل كاشف الغطاء في النجف.

(٣) قال الحسن بن الحسين النوبختي: "كان أبو الفرج من أكذب الناس، كان يشتري شيئا كثيرا من الصحف ثم تكون رواياته كلها منها." ابن حجر: لسان الميزان: ٤/ ٢٢١.

معروف بتحيزه في كتاباته ضد بني أمية، لهذا ليس من الدقة قبول روايته في مثل هذا الأمر، وكذلك الشأن فيما يتضح مع صاحب كتاب الحدائق الوردية، كما أن ناجي حسن نفسه يسير على نهجهما كما يبدوا من كتابه، حيث يعمد إلى انتقاء الأقوال التي تصور تاريخ الدولة الأموية على أنه فساد لا صلاح فيه، وظلم كله بلا عدل، دون تحري منه أو تحقق في معرفة صحيح تلك الأقوال من سقيمها. لهذا فحكم ناجي ومن اعتمد عليهم في نقله يحتاج إلى شيء من الحذر قبل قبول ما نقلوه، ويؤكد ذلك عدة أمور من أهمها:

أولا: أنه ثبت عدم مشاركة بعض هؤلاء العلماء الذين ذكر ناجي مشاركتهم، ومنهم زبيد اليامي [١] فورد أن منصور بن المعتمر جاء إليه يدعوه إلى الخروج مع زيد فقال له زبيد: "ما أنا بخارج إلا مع نبي، وما أنا بواجده" [٢] فرفض زبيد بذلك الانضمام إلى حركة زيد.

وكذلك عبدالله بن شبرمة فقد ثبت أنه تولى قضاء الكوفة ليوسف بن عمر ـ والي هشام بن عبدالملك على الكوفة وقت خروج زيد ـ ثم عزله

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) بحشل: تاريخ واسط: ١٩٧، الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٢٩٧. "ووقع في تاريخ واسط تصحيف فذكر زبير بيدل زبيد.

وولاه بيت المال بسجستان. [1] وهذا يؤكد تعاون عبدالله بن شبرمة مع والي بني أمية على الكوفة وتوليه عمله وقت خروج زيد، فلو كان يرى الخروج على بني أمية والثورة عليهم ما عمل لهم، ولو كان خرج مع زيد لعزلوه عن عملهم، وكذلك الأمر مع محمد بن أبي ليلى [2] فقد ولاه يوسف بن عمر قضاء الكوفة بعد ابن شبرمة وبقي فيه حتى وفاة هشام وأقره الوليد. [3] ومثل ذلك يقال في ما ادعاه الأصفهاني من تعاطف العالم الجليل الأعمش مع حركة زيد بن علي حيث أورد أن الأعمش قال لأبى اليقظان عندما دعاه للخروج مع زيد: "ما أعرفني بفضله، أقرياه مني السلام، وقولا له: يقول لك الأعمش: لست أثق لك ـ جعلت فداك ـ ولو أنا وجدنا ثلاثمائة رجل أثق بهم لغيرنا لك جوانبها" [4] ولكن أورد الذهبي ما يكذب ما أورده الأصفهاني، فعن حفص بن غياث قال: قيل

---

(١) ابن خياط: تاريخه:٣٦١. وكيع: أخبار القضاة: ٣/ ٣٦، ٣٧.

(٢) قد أخطأ ناجي حسن وحرف في اسمه من عنده فليس اسمه محمد بن عبدالملك، بل الذي ذكر الأصفهاني أنه محمد بن أبي ليلى، وهو محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، بدليل أن ناجي نفسه عندما قال وهو من فقهاء العراق أحال إلى المعارف لابن قتيبة، وفي موضع إحالته ص:٤٩٤، نجد محمد بن عبدالحمن بن أبي ليلى. وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) ابن خياط: تاريخه:٣٦١. وكيع: أخبار القضاة: ٣/ ١٣٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣١٢.

(٤) مقاتل الطالبيين: ١٤٨.

للأعمش أيام زيد: لو خرجت ؟ قال: ويلكم ! والله ما أعرف أحدا أجعل عرضي دونه. فكيف أجعل ديني دونه. [(١)]

ثانيا: أن ناجي حسن ذكر أشخاصا وأحال على مقاتل الطالبيين للأصفهاني، وبالرجوع لمحل الإحالة والموضوع في الكتاب لم أجد أسماء هؤلاء الأشخاص. [(٢)] مثل معاوية بن أبي إسحاق، وسعيد بن خيثم. فإما أن يكون ناجي اعتمد على مصدر آخر لم يذكره وخطأ ذكر مقاتل الطالبيين ولكن ذكره لرقم الصفحة في الموضعين يقلل هذا الاحتمال، وهذا يوضح عدم الدقة عنده مما يؤكد عدم الاعتماد على حكمه.

ثالثا: أن بعضا ممن ذكر اشتهر عنهم التشيع والغلو فيه، ومنهم عثمان بن عمير أبو اليقظان فقد اشتهر عنه أنه يؤمن بالرجعة وقال عنه ابن عدي: "رديء المذهب غال في التشيع يؤمن بالرجعة." [(٣)] وهشام بن البريد، فقد قال عنه عدد من أصحاب الجرح والتعديل: "هاشم بن البريد وابنه علي بن هاشم غاليان في سوء مذهبهما" وقيل عنه "ليس له كثير حديث وإنما

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٣٤.

(٢) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين،تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٥ هـ: ص ص: ١٤٤ ـ ١٤٨.

(٣) العقيلي: ضعفاء العقيلي، مراجعة،:عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤ هـ: ٣/ ٢١١. الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال،مراجعة يحيى غزاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ هـ: ٥/ ١٦٦. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٧/ ١٤٦)

يذكر بالغلو في التشيع "[1] وكذلك هارون بن سعد، فاشتهر قول أهل الجرح والتعديل عنه بأنه كوفي يغلو في الرفض، [2]، فقال ابن حبان "كان غاليا في الرفض وهو رأس الزيدية، وكان داعيا إلى مذهبه، ولا يحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال من الأحوال" [3] ومنهم الحسن بن سعد المعتزلي، فقال عنه أبو القاسم بن الطحان: "ضعيف وله كتاب في قراءات أهل البيت فيه أشياء أنكرت عليه. [4] فهؤلاء لا يعتد بمواقفهم لكونهم بهذا الغلو في التشيع لا يرون شرعية الدولة الأموية أصلا.

لما سبق فإنه ليس بإمكاننا أن نثبت مشاركة أحد من العلماء في حركة زيد بن علي وتأييده لها إلا ما ذكر في المصادر الأخرى غير مقاتل الطالبيين والحدائق الوردية.

ومن خلال تتبعي لحركة زيد بن علي واستقراء موقف العلماء منها اتضح لي أن هناك بعض العلماء الذين أيدوا حركة زيد وحرضوا عليها وهم قلة نادرة، وهناك عدد آخر لم يؤيد خروج زيد ونصحه بعدم الخروج وهؤلاء هم الأكثر. فمن العلماء الذين اشتهر عنهم أنهم أيدوا زيد بن

---

(١) الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال: ٧/ ١١٦. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١١/ ١٦، ١٧.

(٢) ضعفاء العقيلي: ٤/ ٣٦٢. ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء المتروكين، مراجعة محمود زايد، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦ هـ: ٣/ ٩٤. الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال:٧/ ١٢٦. ابن حجر: تهذيب التهذيب:١١/ ٦.

(٣). ابن حبان: المجروحين من المحدثين: ٣/ ٩٤

(٤) ابن حجر: لسان الميزان: ٢/ ٢١٠.

علي في خروجه أبو حنيفة النعمان [1] فقد ورد أنه كان يصرح بتأييده لحركة زيد ويحض عليها ولكنه مع هذا لم يشارك في القتال، فذكر أن زيد بن علي أرسل إليه يدعوه إلى البيعة فقال: لو علمت أن الناس لا يخذلونه كما خذلوا أباه لجاهدت معه لأنه إمام حق، ولكن أعينه بمالي فبعث إليه بعشرة آلاف درهم وقال للرسول: ابسط عذري عنده. [2]

وممن ذكر انه أيد زيد بن علي العالم الجليل منصور بن المعتمر [3] فقد ورد أنه يحرض على الخروج مع زيد، فعن عقبة بن إسحاق قال: كان منصور بن المعتمر يأتي زبيد بن الحارث، فكان يذكر له أهل البيت، ويعصر عينيه يريده على الخروج أيام زيد بن علي. [4]

فهذان العالمان ـ أبو حنيفة ومنصور بن المعتمر ـ قد ورد في كثير من المصادر ذكر تأييدهما لخروج زيد بن علي بن الحسين ـ رحمه الله ـ. ولعل أهم ما دفع هذين العالمين على تأييد خروج زيد بن علي هو ميلهما إلى

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) المكي: مناقب أبي حنيفة: ٢٣٩. حافظ الدين بن محمد الكردي: مناقب أبي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م: ٢٦٧.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٩٧.

التشيع للعلويين [1] ورأيهما في أحقية أبناء علي بالخلافة من بني أمية، فأبو حنيفة اشتهر عنه صلته القوية بآل علي بن أبي طالب العلمية والسياسية، ومناصرته لهم في خروجهم على الدولة الأموية والعباسية. [2] وكذلك كان لدى منصور بن المعتمر ميل قليل إلى التشيع الذي لا غلو فيه. [3]

أما العلماء الذين لم يؤيدوا حركة زيد ونصحوه بعدم الخروج فهم أكثر ممن أيده على ذلك. وممن لم ير خروجه من العلماء ابن عمه عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فقد كتب إلى زيد كتابا جاء فيه "أما بعد فإن أهل الكوفة نفخ في العلانية، خور في السريرة، هرج في الرخاء، جزع في اللقاء، تقدمهم ألسنتهم، ولا تشايعهم قلوبهم، ولقد تواترت إلي كتبهم بدعوتهم، فصممت أذني عن ندائهم، وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم يأسا منهم، و إطراحا لهم، وما لهم مثل إلا ما قال علي

(١) المقصود بالتشيع هنا الميل إلى تفضيل علي وتقديمه على عثمان في الترتيب بعد أبي بكر وعمر، وهذا خلاف ما ذهب إليه جمهور أهل السنة، من ترتيب الخلفاء الأربعة في الأفضلية بحسب توليهم الخلافة.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل: ١٥٨. أبو زهرة: أبو حنيفة حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي: ١٨٠ـ ١٨٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٠٨.

بـن أبـي طالـب: " إن أهملتم خضتم وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاقة نكصتم "(١)

وكذلـك كـان موقـف الإمـام جعفـر الصـادق بـن محمد بن علي بن الحسـين من حركة عمه زيد بن الحسين، حيث لم ينضم إلى حركته و نصحه بأن لا يثق في أهل الكوفة. (٢)

وحـين قـيل للإمـام العـالم الأعمـش أيام خروج زيد: لو خرجت ؟ قال: ويلكـم ! والله مـا أعـرف أحـدا أجعـل عرضـي دونـه. فكـيف أجعـل ديـني دونه ؟!(٣)

وأمـا الإمـام الزهري فإنه لما علم بمقتل الإمام زيد بكى وقال: " أهلك أهـل هـذا البيـت العجلـة "(٤) فـيفهم مـن ذلك أن الزهري لم يكن يصوب خروج زيد بل يراه من الاستعجال.

ومـنهم سـلمة بن كهيل (٥) فورد أنه نصح زيدا لما عزم على الخروج قـائلا له: " ننشدك الله كم بايعوك ؟ قال: أربعون ألفا. قال: فكم بايع جدك

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٤/ ٢٤٣.

(٢) أبو زهرة: الإمام الصادق، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي: ٤٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٣٤.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٩/ ١٥٨.

(٥) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

؟ قال: ثمانون ألفا. قال: فكم حصل معه ؟ قال: ثلاثمائة. قال: أنشدك الله أنت خير أم جدك ؟ قال: جدي. قال: فهذا القرن خير أم ذلك القرن؟ قال: ذلك القرن. قال: أفتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك ؟ قال: قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم. قال: أفتأذن لي أن أخرج من هذا البلد فلا آمن أن يحدث حدث فلا أملك نفسي ؟" فأذن له فخرج إلى اليمامة.[1] ويفهم من نصح سلمة حبه لزيد وميله إليه ولكنه لم ير أن الصواب في خروجه وثقته بأهل العراق.

وكما نصح هؤلاء العلماء زيدا بعدم الخروج أو الثقة بأهل الكوفة كذلك نصحه أهل الرأي من قرابته كمحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب.[2] وداود بن علي بن عبدالله بن عباس بذلك أيضا.[3]

وحين ترجم الإمام الذهبي للإمام زيد بن علي ـ رحمه الله ـ قال:" كان ذا علم، وصلاح، هفا وخرج، فاستشهد." وقال في موضع آخر:" خرج متأولا، وقتل شهيدا، وليته لم يخرج."[4]

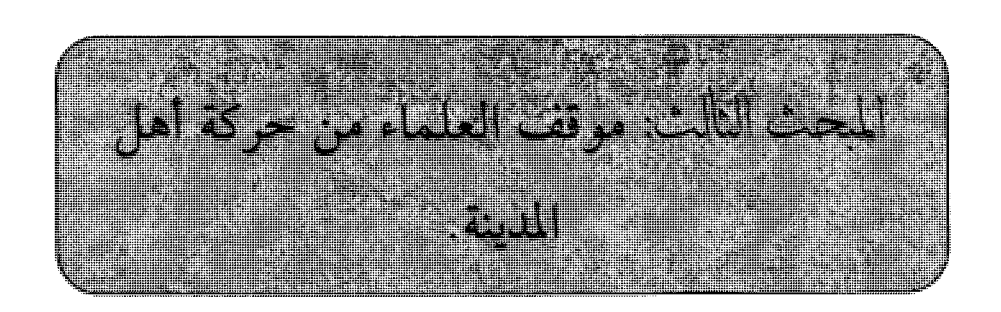
(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٣٢٧.

(٣)ابن الأثير: المصدر السابق نفسه: ٢٤٢.

(٤): الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٨٩، ٣٩١.

ومما سبق ندرك أن العلماء الذين لم يرو خروج زيد أكثر ممن أيده على خروجه، كما يتضح بعد هذا العرض خطأ من حكم بأن ثورة زيد ثورة العلماء والفقهاء، إذ لا دليل يصح يعتمد عليه في ذلك. بل عكس ذلك أولى بالصحة.



المبحث الثالث: موقف العلماء من حركة أهل المدينة.

كانت نقطة البداية لظهور الخلاف بين أهل المدينة وبني أمية إقدام معاوية بن أبي سفيان ﷺ على تولية العهد من بعده لابنه يزيد، فقد رفض أهل المدينة تصرف معاوية هذا ولم يقبلوا اجتهاده فيه، الأمر الذي جعل معاوية يأخذ أمر خلافهم بجد فحج تلك السنة وقدم المدينة واجتمع بأهلها، ووجد مواجهة قوية من أعيان أهل المدينة كعبدالله بن الزبير والحسين بن علي وعبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن عمر ﷺ ولكنه واجه الموقف بحزم واستطاع أخذ البيعة لابنه يزيد من أهل المدينة، وأجبر رؤوس المعارضين حين لم يفلح في إقناعهم برأيه على السكوت وعدم معارضته كما سبق ذكره.[1]

(١) انظر ص: ٣٦٣.

وبمجرد وفاة معاوية رضي الله عنه ظهرت بوادر خلاف أهل المدينة وعدم رضاهم عن البيعة ليزيد، حيث ظهر ذلك في خروج الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير من المدينة إلى مكة هربا من البيعة ليزيد. كما تجلت مظاهر ذلك الخلاف في تحركات بعض قادة أهل المدينة الذين بدؤوا في العمل لخلع يزيد، وهذا ما جعل يزيد يحاول تدارك الأمر فأرسل إلى واليه على المدينة أن يبعث عددا من أعيان أهل المدينة ورجالها، ليتسنى له إكرامهم والتلطف بهم عله يستل ضغينتهم عليه، ويقضي على معارضتهم لتوليه الخلافة، ويردهم إلى الطاعة، واجتهد في تحقيق ذلك حين قدموا عليه، فأغدق عليهم الأعطيات، وتودد لهم، وبسط لهم نفسه وماله [(١)]، ولكن يزيد فشل في تحقيق ما كان يصبو إليه، حيث لم يزدد أفراد هذا الوفد بوفودهم عليه إلا سخطا وإصرارا على خلعه، فأظهروا شتم يزيد ودعوا إلى خلعه وإقامة الشورى لتولية من يرضاه المسلمون.

وقد تزعم أمر الدعوة إلى ذلك عدد من أهل العبادة والصلاح والغيرة على الدين من أبناء الصحابة، منهم عبدالله بن حنظلة الأنصاري رضي الله عنه [(٢)] ومعقل بن سنان الأشجعي [(١)] وعبدالله بن مطيع العدوي، [(٢)]

(١) عن أسماء الوفد ومقدار أعطياتهم انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) هو عبدالله بن حنظلة الغسيل رضي الله عنهما بن أبي عامر الأنصاري، من صغار الصحابة، كان فاضلا صالحا عظيم الشأن كبير المحل شريف البيت والنسب، توفي الرسول صلى الله عليه =

وتطورت الأمـور إلى إعـلان خلـع يـزيد بن معاوية، ومحاصرة والي المدينة وجميـع مـن فيها من بني أمية، ثم إخراجهم من المدينة، فلما جاءت الأخبار إلى يـزيد بما فعله أهل المدينة غضب وأعد جيشا أسند قيادته لمسلم بن عقبة المـري (٣)، وأمـره بالـتوجه إلى المديـنة وأن يدعوهـم للبـيعة والدخـول في الطاعة، فإن أبوا قاتلهم. وتوجه مسلم بجيشه ووصل المدينة وعرض عليهم الطاعـة والبـيعة لـيزيد، فرفضـوا فقاتلهم و وقعت بينهم وقعة عظيمة هزم فـيها أهـل المدينة وقتل منهم خلق عظيم، وسميت هذه الوقعة بوقعة الحرة وكان ذلك في سنة ثلاث وستين للهجرة. (٤)

وسلم وهو ابن سبع سنين مات في الحرة. ابن الأثير/أسد الغابة/ ٣/ ١٤٧، ١٤٨.وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٢١.

(١) معقل بن سنان الأشجعي صحابي جليل شهد فتح مكة، وكان فاضلا تقيا قتل يوم الحرة رضي الله عنه. ابن الأثير: أسد الغابة:٤/ ٣٩٧.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٣٧. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٧٠.وعبدالله بن مطيع بن الأسود العدوي المدني، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فجاء به والده إلى الرسول فحنكه بتمرة وسماه عبدالله ودعا له بالبركة، وهو من رجال قريش نجدة وشجاعة وجلدا، وكان أمير أهل المدينة من قريش في الحرة، فلما هزم أهل المدينة لحق بابن الزبير فكان معه إلى أن قتل في حصار الحجاج لمكة. ابن حجر: الإصابة:٥/ ٦٥، ٦٦.

(٣) المصدر السابق نفسه: ٢٣٧، ٢٣٨.

(٤) للاستزادة عن أخبار خروج أهل المدينة و موقعة الحرة انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ٢٣٦-٢٥١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٤٨٢ ـ ٤٩٥. الخراشي: عبدالله بن الزبير والأمويون: ٥٩ =

هـذا موجـز عـن أحـداث خـروج أهـل المدينة وموقعة الحرة، وبعده نـتعرف عـلى موقـف العـلماء مـن تلك الأحداث، ويتضح من خلال تتبع أحـداث خـروج أهـل المدينة أن غالب أهل المدينة قد شاركوا في خلع يزيد بـن معاويـة وانضموا إلى جيش أهل المدينة للوقوف ضد جيش يزيد القادم مـن الشـام، وتجـدر الإشـارة هـنا إلى أن الدافع الذي حرك هؤلاء لم يكن ـ كمـا يـراه بعـض الكتاب ـ يكمن في غضب أهل المدينة على بني أمية الذين حولـوا عاصـمة الخلافـة عـن مدينـتهم إلى دمشـق ورغبتهم في إعادة مركز الخلافة إليهم. [1] و إنما الدافع الحقيقي من وراء حركة أهل المدينة تلك هو الغضـب لله وعـدم رضاهم بالمنكر ـ المتمثل ـ كما يرون ـ في تولية يزيد مع وجـود مـن هـو أفضـل منه وأولى من الصحابة و أبنائهم، ويدل على ذلك تصـريحات زعمـاء أهـل هـذا الـرأي، فقـد ورد أن عـبدالله بن حنظلة قال لأصـحابه في وقعـة الحرة: " أيها الناس إنما خرجتم غضبا لدينكم، فأبلوا الله

ـ ٦٨. محمد الشيباني: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ط: الأولى، المكتبة المكية، ١٤١٧ هـ ص: ٣٥٧.

(١) فلهاوزن: الدولة العربية وسقوطها: ٢٣٣. ترجمة يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٦هـ. عبدالعزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام: ٦٤. المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١. يوسف العش: الدولة الأموية: ١٨٣. دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ. عبدالشافي محمد عبداللطيف: العالم الإسلامي في الدولة الأموية، ط: الأولى دار الوفاء، مصر، ١٤٠٤هـ: ٤٩٣.

بلاء حسنا ليوجب لكم به مغفرته و يحل به عليكم رضوانه."[1] وكما روي أنه كان في شدة القتال كان ينشد:

بعدا لمن رام الفساد وطغى وجانب الحق وآيات الهدى

لا يبعد الرحمن إلا من عصى [2]

وكان محمد بن عمرو بن حزم يقول يوم الحرة رافعا صوته: "يا معشر الأنصار اصدقوهم الضرب فإنهم قوم يقاتلون على طمع الدنيا وأنتم تقاتلون على الآخرة"[3].

وأما القسم الآخر من أهل المدينة فهم الذين لم يرضوا بما فعله إخوانهم من خلع يزيد والخروج عليه، ولم يؤيدوهم على تصرفاتهم وحاولوا كف إخوانهم ونهيهم عن الخروج فلما لم يسمع منهم اعتزلوا الفتنة. وأغلب أصحاب هذا الرأي من أهل العلم والفقه في الدين.وسنذكر أبرز أصحاب هذا القسم وموقفهم من حركة أهل المدينة تلك.

وفي مقدمة هؤلاء العالم الجليل والإمام القدوة عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد اشتهر عنه إنكاره على الذين رفضوا البيعة ليزيد وسعوا

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٦٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٦٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٧٠. الخراشي: عبدالله بن الزبير: ٦٦، ٦٧.

في خلعة،[1] فعندما أراد عبدالله بن مطيع الفرار من المدينة تهربا من البيعة ليزيد وسمع ذلك عبدالله بن عمر خرج إليه حتى جاءه فقال له: أين تريد يا ابن عم ؟ فقال: لا أعطيهم طاعة أبدا. فقال: يا ابن عم لا تفعل فإني أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من مات ولا بيعة عليه مات ميتة جاهلية.)**[2]

ولما دخل ابن مطيع فيما دخل فيه أهل المدينة من خلع يزيد وإعلان الخروج عليه وأصبح من أمرائهم في ذلك، دخل عليه ابن عمر وهو جالس في أصحابه فقال ابن مطيع: مرحبا بأبي عبدالرحمن، ضعوا له وسادة، فقال: إنما جئتك لأحدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ يقول:**(من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)**[3]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٢٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٤٤. ورد في مسلم هذا الحديث بلفظ " ما مات وليس في عنقه بيه.." صحيح مسلم: إمارة، ٥٨.

(٣)صحيح مسلم: ٣/ ١٤٧٨، إمارة/ ٥٨. مسند الإمام أحمد: ٢/ ٨٣. سنن البيهقي الكبرى: ٨/ ١٥٦. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٨/ ٢٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٢٣.

وعـندما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقـال إنـي سمعـت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:(ينصب لكل غادر لـواء يـوم القـيامة) وإنـا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإني لا أعـلم غـدرا أعظـم مـن أن يـبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القـتال، وإنـي لا أعـلم أحـدا مـنكم خلعه ولا تابع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه. (١)

ومـن هـؤلاء العـلماء عـبدالله بـن عـباس رضي الله عنه فإنـه لما رأى الأقطار الإسـلامية بايعت ليزيد بن معاوية بايع مع من بايع (٢)، ولم يكن ذلك عن قناعة تامة بأفضلية يزيد على من سواه، بل كان منه ذلك درءا للفتنة وحقنا للدمـاء وجمعـا لكلمة المسلمين، ولم يلبث بعد بيعته حتى انتقل إلى الطائف، فـلما جاءتـه أخـبار أهل المدينة وخروجهم على يزيد ظهر منه ما يدل على عـدم تأيـيده لفعـلهم فعـن أيـوب عن عكرمة أن ابن عباس سأل عن أهل المديـنة وهـو بالطـائف، فقـيل له: اسـتعملوا عـبدالله بن مطيع على قريش وعبدالله بن حنظلة على الأنصار. فقال: أميران هلك القوم. (٣)

---

(١) صحيح البخاري:٨/ ٩٩، فتن/ ٢١. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٨/ ٢٨.

(٢) البلاذرى: أنساب الأشراف: القسم الرابع: ١/ ٢٨٩. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣٤٣

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ٢٣٧.

كما ورد عن جابر بن عبدالله ﷺ ما يوضح عدم موافقته لخروج أهل المدينة، فحين رأى استعداد هم للحرب وأن المعركة أوشكت استرجع وقال: "ستذهب هذه الوقيعة بخيار الناس" [(١)]

ومنهم العالم الورع محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية) ـ رحمه الله ـ فإنه لم ير خروج أهل المدينة على يزيد ولم يستجب لدعوتهم إياه بالخروج معهم بل جادلهم في نفي التهم التي أشاعوها عن يزيد، فذكر ابن عساكر [(٢)] أنه لما رجع وفد أهل المدينة من يزيد مشى عبدالله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية، فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر، ويترك الصلاة، ويتعدى حكم الكتاب. فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته، وأقمت عنده، فرأيته مواظبا على الصلاة، متحريا للخير، يسأل عن الفقه، ملازما للسنة. قالوا: فإن ذلك كان منه تصنعا لك، فقال: وما الذي يخاف مني ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. وزاد ابن كثير [(٣)] قالوا: إنه عندنا حق وإن لم نكن رأيناه. فقال لهم أبى الله ذلك على أهل

---

(١) أبو العرب التميمي: المحن، تحقيق عمر العقيلي، ط: الأولى، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤ هـ: ١٧٤.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٨/ ٢٧، ٢٨.

(٣)البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٣.

الشهادة، فقال: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [1] ولست من أمركم في شيء. قالوا: فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك أمرنا. قال: ما أستحل القتال على ما تريدونني عليه تابعا ولا متبوعا. قالوا فقد قاتلت مع أبيك، قال: جيئوني بمثل أبي أقاتل على ما قاتل عليه، فقالوا: فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا، قال: لو أمرتهما قاتلت. قالوا: فقم معنا مقاما تحض الناس فيه على القتال، قال: سبحان الله آمر الناس بما لا أفعله و لا أرضاه إذا ما نصحت لله في عباده. قالوا إذا نكرهك. قال: إذا آمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق.

ولما رأى محمد ابن الحنفية الأمور تسير في الاتجاه الذي لا يريده، وبدا يظهر له سوء عاقبة تصرفات المخالفين له من أهل المدينة حينما ترامى إلى الأسماع قدوم جيش أهل الشام إلى المدينة، لذلك قرر ترك المدينة وتوجه إلى مكة. [2]

فتبين لنا مما سبق موقف العالم الورع محمد بن الحنفية من خروج أهل المدينة وشدة معارضته للقرار الذي اتخذه بعض أهل المدينة وحملوا الناس عليه. ولكن قد يرد الشك في موقف محمد بن الحنفية هذا بحجة أن سياق

---

(١) سورة: الزخرف آية: ٨٦. والآية بتمامها ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠٠.

الأخبار التي نقلت لنا موقفه هذا يفهم منها وفود محمد ابن الحنفية على يزيد، وذلك في قوله ردا على الذين اتهموا يزيد بما اتهموه به حيث قال: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته، وأقمت عنده... فيتعلل أولئك بعدم ثبوت وفود محمد بن الحنفية على يزيد في خلافته، وبالتالي إذا لم تثبت زيارته له فتبطل تلك الأخبار التي جاء فيها موقف محمد المعارض للخروج على يزيد. [1] ولاشك أن زيارة ابن الحنفية ليزيد لم تثبت، بل دلت الأخبار على عدم قدومه على يزيد. فذكر ابن سعد عن الواقدي أنه لما جاء نعي معاوية بن أبي سفيان إلى المدينة كان بها يومئذ الحسين بن علي، ومحمد بن الحنفية، وابن الزبير، وكان ابن عباس بمكة. فخرج الحسين وابن الزبير إلى مكة، وأقام ابن الحنفية بالمدينة حتى سمع بدنو جيش مسرف وأيام الحرة فرحل إلى مكة فأقام مع ابن عباس. وفي رواية أخرى عند ابن عساكر ورد هذا الخبر بالسياق المذكور. [2] فمن هذين الخبرين يتبين عدم قدوم ابن الحنفية على يزيد في خلافته. ولكن نلفت النظر إلى أن ذلك لا يؤثر على صحة ما اشتهر من موقف ابن الحنفية من بيعة يزيد وخروج أهل المدينة عليه، وذلك أن قول ابن الحنفية لمتهمي يزيد

---

(١) التباني: تحذير العبقري من محاضرات الخضري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ: ٢/ ٢٣٧.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٩٨.

والخارجين عليه: وقد حضرته، وأقمت عنده.. لم يصرح فيه أن هذا كان في خلافة يزيد، فيحمل لقاؤه بيزيد قبل خلافته حيث ثبت أنه وفد على معاوية وأقام عنده.[1]

وممن عاب على أهل المدينة خروجهم وعارضه العالم القدير والصحابي الجليل النعمان بن بشير الأنصاري ﷺ وقد كان إبان خروج أهل المدينة في الشام، فاستغل يزيد فرصة وجوده فبعثه إلى أهل المدينة عله يفلح في صدهم عن الخروج ويعيدهم إلى الطاعة ولزوم الجماعة، فاستجاب النعمان لذلك وقدم المدينة فجمع عامة الناس، وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة، وخوفهم الفتنة، وقال لهم: إنه لا طاقة لكم بأهل الشام، فقال له عبدالله بن مطيع: ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا، وفساد ما أصلح الله من أمرنا ! فقال النعمان: أما والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو إليها، وقامت الرجال على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف، ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جبينها إلى مكة، وقد خلفت هؤلاء المساكين ـ يعني الأنصار ـ يقتلون في سككهم ومساجدهم، وعلى أبواب دورهم، فعصاه الناس،

(١) ابن منظور المصدر السابق: ٩٣.

فانصرف، وقال الطبري وابن كثير تعليقا على ذلك: (وكان والله كما قال)[1]

ومنهم العالم الكبير والتابعي الجليل سعيد بن المسيب - رحمه الله - فإنه قد اعتزل فتنة خروج أهل المدينة ولم يدخل فيما دخلوا فيه، ولم يكن يحضر لهم أمرا من أمورهم إلا الجمعة والعيد، وقد لزم المسجد نهاره لا يبرحه إلى الليل والناس في قتالهم أيام الحرة. [2]

ومنهم السيد العالم عبدالله بن جعفر بن أبي طالب [3] - رحمه الله - فإنه كان بالشام عندما عزم يزيد أن يبعث جيشا إلى المدينة، فحاول عبدالله بن جعفر أن يتدخل في الأمر ليجنب أهل المدينة شر القتال، فكلم يزيد وطلب منه الرفق بأهل المدينة ورققه عليهم، وقال: إنما تقتل بهم نفسك. وقد تجاوب معه يزيد حين قال: فأني أبعث أول جيش وآمرهم أن يمروا بالمدينة إلى ابن الزبير، فإنه قد نصب لنا الحرب، ويجعلونها طريقا ولا يقاتلهم فإن أقر أهل المدينة بالسمع والطاعة تركهم وجاز إلى ابن الزبير، وإن أبوا أن يقروا قاتلهم. وقد وجد عبدالله بن جعفر في هذا مدخلا لكف

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٤٨١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢١٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٣٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٢٨، ٢٢٩. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٢١.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

القتال والأذى عن أهل المدينة، فكتب على الفور إلى زعماء أهل المدينة يخبرهم بذلك ويقول: استقبلوا ما سلف واغنموا السلامة والأمن، ولا تعرضوا لجنده ودعوهم يمضون عنكم. [1] وكان يمكن أن يكون لتدخل عبدالله أثر في إطفاء الفتنة لو استجاب زعماء الخارجين من أهل المدينة على يزيد لرأي عبدالله بن جعفر، ولكنهم أصروا على رأيهم ولم يسمعوا منه كما لم يسمعوا من غيره، فكان ردهم عليه: لا يدخلها علينا أبدا.

ويتبين من موقف عبدالله بن جعفر السابق مبايعته ليزيد وعدم موافقته لمن خرج عليه من أهل المدينة، ومحاولته كفهم عن ذلك، وحماية المدينة من مغبة الفتنة وشر القتال.

كما لم يدخل علي بن الحسين بن علي ـ زين العابدين ـ [2] في شيء من أمر أهل المدينة، بل اعتزلهم وأبى أن يخلع يزيد، ولذلك أجله يزيد وأوصى قائد جيشه مسلم بن عقبة أن يستوصي به خيرا. [3] وبشكل عام لم يخرج مع أهل المدينة على يزيد أحد من آل أبي طالب ولا أحد من بني عبدالمطلب. [4]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٤٥. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤/ ٢٩٣.

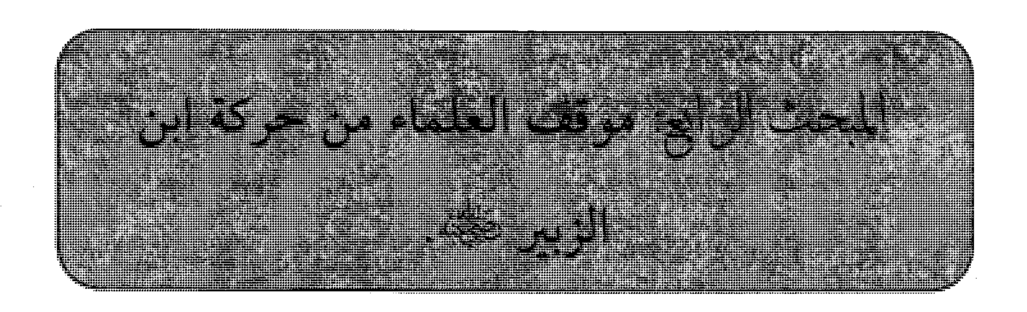
(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٤٨٤، ٤٨٥. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢١٨، ٢١٩.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢١٥. وانظر الشيباني: مواقف المعارضة:٤٥٨.

ومن كل ما سبق ندرك أن أهل المدينة انقسموا تجاه البيعة ليزيد والدخول في طاعته إلى قسمين، القسم الأول منهم تزعمه عدد ممن دفعه الحماس والغيرة على الدين إلى خلع يزيد والخروج عليه اجتهادا منهم، وقد استطاع هؤلاء بحماسهم جر كثير من أهل المدينة إلى صفهم، إلا أن الأحداث سارت في الاتجاه المعاكس لما يريده هؤلاء.

والقسم الثاني من أهل المدينة وتزعمه كبار الصحابة والتابعين ممن لهم طول باع في العلم والفقه في الدين، وهؤلاء بايعوا يزيد ولم يروا الخروج عليه، ليس قناعة منهم بأحقية يزيد وأفضليته على غيره بالخلافة، وإنما من منطلق مصلحة الأمة، وجمع الكلمة، والرضا بالمفضول مع وجود من هو أفضل منه مراعاة لوحدة الأمة وخشية تفرقها. وقد أثبتت نتائج الأحداث وعواقب الأمور صحة اجتهاد هؤلاء وبعد نظرهم.



المبحث الرابع موقف العلماء من حركة ابن الزبير ﷺ

تـتفق حـركة عـبدالله بـن الـزبير ﷺ مـع حـركة أهل المدينة وحركة الحسين بن على ﷺ في المنطلقات والبواعث والأهداف، ولكن تختلف عن مثيلتيها في الظروف والنتائج.

فمـن حيـث البواعـث فـإن الأسباب التي دعت الحسين بن علي ﷺ للامتـناع عن بيعة يزيد والخروج عليه، هي الأسباب نفسها التي أملت على عـبدالله بـن الـزبير ﷺ الامتـناع عـن بيعة يزيد ومفارقته، وهي التي انطلق منها أهل المدينة في حركتهم كذلك، وهذه الأسباب تكمن في اجتهاد هؤلاء المعارضـين لبـيعة يـزيد من منطلق حرصهم على الحفاظ على شعائر الدين، الـتي يـرون أنها انتهكت بتولية يزيد الخلافة مع وجود من هو أولى بها منه، وقـد سـبقت الإشـارة إلـي مـا يؤيـد ذلـك من أقوال زعماء أهل المدينة في المبحـث السابق، ومن أقوال ابن الزبير في ذلك ما ورد عنه في إحدى خطبه

أنه قال: " والله لا أريد إلا الإصلاح وإقامة الحق، و لا ألتمس جمع مال ولا ادخاره. "(1)

ولكن اختلفت ظروف و نتائج حركة ابن الزبير حيث توفر لها من الظروف ما جعلها تشكل خطرا أكثر على الدولة الأموية، وتهيأ لها من الأسباب ما جعلها تمتد زمنا أطول، وتحقق لابن الزبير ما لم يتحقق لغيره حيث تمت له البيعة بالخلافة في أغلب أقطار البلاد الإسلامية بعد وفاة يزيد، وهذا ما لم يتحقق لغيره. وسنستعرض - بإيجاز - المراحل التي مرت بها حركة عبدالله بن الزبير، ثم نتعرف على مواقف العلماء من هذه الحركة في أطوارها المختلفة.

سبقت الإشارة إلى أن عبدالله بن الزبير كان من النفر الذين عارضوا خطوة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بتوليته العهد لابنه يزيد بالخلافة من بعده، لكنه لم يحرك ساكنا في عهد معاوية، فلما توفي معاوية وتمت البيعة ليزيد وأراد واليه على المدينة أخذ البيعة من ابن الزبير ليزيد استمهله حتى الصبح، ومن ليلته خرج إلى مكة تهربا من البيعة، وكان الحسين رضي الله عنه قد فعل مثل ذلك قبل ليلة من خروج ابن الزبير، فاجتمعا في مكة، وكانت

(1) البلاذري: أنساب الأشراف: القسم الرابع: ١/ ٣١٥. وانظر الخراشي: عبدالله بن الزبير: ٦٧. (رسالة ماجستير)

الأنظار متجه إلى الحسين بن علي في مكة أكثر من ابن الزبير لمكانته من رسول الله ﷺ، وقد اتهم ابن الزبير ـ في بعض الروايات ـ بتحريض الحسين على الخروج إلى العراق حيث قال له: ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك، لو أن لي مثلهم لذهبت إليهم. [1] ولكن هذه الروايات مردودة بروايات أخرى تفيد أن ابن الزبير كان من جملة من نصح الحسين بالبقاء في مكة. [2] وهذا ما يتفق مع مكانة عبدالله بن الزبير وتقواه.

وقد كان لخروج الحسين رضي الله عنه إلى العراق ومقتله في كربلاء سنة إحدى وستين للهجرة أثر كبير على حركة عبدالله بن الزبير، فقد أسهم مقتل الحسين رضي الله عنه كثيرا في ازدياد كره الناس ليزيد وولاته، ودفع كثيرا من الناس إلى تأييد ابن الزبير الذي أصبح بعد مقتل الحسين الرجل البارز من بين المعارضين للبيعة ليزيد. فقد ورد أن ابن الزبير رضي الله عنه قام في أهل مكة خطيبا بعد مقتل الحسين رضي الله عنه فعظم مقتله، وعاب أهل العراق الذين خذلوه، وترحم عليه ودعا على قاتليه، فثار الناس بعد هذه الخطبة إلى ابن الزبير

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٣٣. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣٨٣. المسعودي: مروج الذهب: ٣/ ٦٥.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف: ١٥/ ٩٥. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥٣. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣٨٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦١. وانظر الخراشي: عبدالله بن الزبير: ٧٣.

وقالوا: أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر. [1] وعلق الطبري [2] في ختام حديثه عن مقتل الحسين قائلا: وعلا أمر ابن الزبير بمكة، وكاتبه أهل المدينة، وقال الناس: أما إذ هلك الحسين فليس أحد ينازع ابن الزبير.

ولم يكتف ابن الزبير بمعارضته السلبية ليزيد بل اتخذ خطوات عملية عندما قام بعزل والي يزيد على مكة ـ الحارث بن خالد المخزومي ـ عن الصلاة بالناس وأمر مصعب بن عبدالرحمن بن عوف أن يصلي بالناس، وضيق على الحارث حتى اعتزل الناس وانحاز إلى داره. [3]

وأمام تصرفات ابن الزبير تلك حاول يزيد أن يدخله في طاعته بالطرق السلمية فبعث له وفدين أولهما برئاسة النعمان بن بشير الأنصاري ﷺ [4]، ثم بعث وفدا آخر [5] في مقدمتهم الضحاك بن قيس الفهري ﷺ

(١) البلاذري: أنساب الأشراف: القسم الرابع: ١/ ٣٠٤. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٤٧٤، ٤٧.

(٢) المصدر السابق: ٤٧٥.

(٣) الزبيري: نسب قريش: ٣٩٠. ابن قتيبة: عيون الأخبار، شرح وتعليق يوسف الطويل، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ: ١/ ٢٩٥. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٤٩.

(٤) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٥٢.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف: القسم الرابع الجزء الأول، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٤٠هـ: ٣٠٨. الخراشي: عبدالله بن الزبير: ٨٦.

[1] ولكن لم تستطع تلك الوفود إقناع ابن الزبير بالتخلي عن رأيه. فلجأ يزيد إلى استخدام القوة، فأرسل واليه على المدينة قوة بقيادة عمرو بن الزبير ـ أخي عبدالله ـ و قد تمكن عبدالله بن الزبير دحر هذه القوة وهزيمتها. [2]

وبعد إعلان أهل المدينة خلع يزيد قوى جانب ابن الزبير حيث فتح أهل المدينة ثغرة جديدة على يزيد أشغلته عن ابن الزبير، كما كثر ـ بموقفهم ذلك ـ الموافقون لرأيه في عدم مبايعة يزيد ووجوب النظر في خلعه وتولية من هو أولى منه، وزاد من علو شأن ابن الزبير أن أهل المدينة يرون أنه هو الأولى من يزيد بالخلافة خاصة بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه كما جاء ذلك في حوار عبدالله بن مطيع ـ أحد زعماء أهل المدينة ـ مع مبعوث يزيد ـ النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه. [3] ولئن كان لهزيمة أهل المدينة في موقعة الحرة أثر سلبي على حركة ابن الزبير حيث انفتح الطريق أمام جيش

---

(١) الضحاك بن قيس الفهري: الأمير المشهور، وعداده في صغار الصحابة، شهد فتح دمشق، وكان مع معاوية، وضبط دمشق بعد وفاة معاوية حتى قدم يزيد فبايعه، فلما توفي يزيد بايع لابن الزبير وقاد أنصاره في الشام ضد أنصار بني أمية في معركة مرج راهط وقتل فيها سنة ٦٥ هـ. (الزبيري: نسب قريش: ٤٤٧. ابن خياط: الطبقات: ٣٠١، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٤١.)

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣٤٤ ـ ٣٤٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٤٨.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف: القسم الرابع: ١/ ٣٠٧. الخراشي: عبدالله بن الزبير: ٩٨.

يـزيد لحصـار ابـن الـزبير وتهـيأت لهم الفرصة للتفرغ للقضاء عليه، إلا أنه كان لذلك أثر إيجابي من جانب آخر تمثل في لجوء الكثير من أهل المدينة إلى مكة وانضمامهم إلى ابن الزبير فتقوى بهم ضد خصمه يزيد. (١)

كانـت المهمة الثانية أمام جيش عقبة بن مسلم المري المتجه نحو المدينة لإنهـاء خـلاف أهـلها ـ هـي القضـاء على عبدالله بن الزبير وإنهاء خلافه، فـلما تم لهـذا الجـيش إنهـاء خـلاف أهـل المدينة، توجه إلى مكة لحصار ابن الـزبير، وكـان مسـلم بن عقبة توفي في الطريق فتولى القيادة الحصين بن نمير السـكوني، ولكـن هـذا الجـيش لم يستطع تحقيق هدفه حيث جاء الخبر أثناء الحصـار بوفـاة يزيد، فاضطر جيش الشام إلى فك الحصار عن مكة والعودة إلى الشام. (٢)

وبوفـاة يـزيد دخلـت حـركة ابـن الـزبير طـورا جديدا، وانتقلت إلى مـرحلة مهمـة، حيـث أخـذ ابـن الزبير يبايع لنفسه فتسارع الناس إلى بيعته دون تـردد، ودخلـت سائر الأقاليم الإسلامية في طاعته، وبعث عماله على الأقالـيم، فعـين ولاتـه عـلى المديـنة، والكوفـة، والبصرة، ومصر، واليمن، وخراسـان، والشـام، فـأخذ عمالـه البـيعة له مـن أهل تلك الأقاليم، حتى الشـام بـايع عامة أهله سوى طائفة منهم كان عليها مروان بن الحكم وأهل

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٥.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٥٣، ٢٥٥.

بيته. [1] ولهذا رأى معظم العلماء والمؤرخين أن بيعة ابن الزبير هذه تعد بيعة شرعية، وأنه أصبح الخليفة الشرعي بعد وفاة يزيد. [2]

إلا أن الأمر لم يستقر لابن الزبير طويلا، حيث استطاع بنو أمية جمع شتاتهم بتولية مروان بن الحكم أمرهم، والتف حولهم مؤيدوهم من القبائل، فحدثت موقعة بينهم و بين أنصار ابن الزبير في مرج راهط سنة خمس وستين للهجرة انتصر فيها بنو أمية وأنصارهم، فعادة لهم السيطرة على الشام، ثم استولى مروان على مصر، وبعد وفاته تولى أمر بني أمية ابنه عبدالملك الذي واصل منازعة ابن الزبير، فاستولى على العراق بعد انتصاره على مصعب بن الزبير وقتله له سنة ثنتين وسبعين للهجرة. ثم وجه الحجاج إلى مكة للقضاء على عبدالله بن الزبير فتم له ذلك بعد مقتل ابن الزبير ﵁ في جمادى الآخر سنة ثلاث وسبعين للهجرة. [3]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) تحقيق السلمي: ٢/ ٦٩،٧٠. خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٥٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) تحقيق السلمي: ٢/ ٨٩. ابن حزم: جوامع السيرة: تحقيق إحسان عباس و ناصر الدين الأسد نشر حديث أكاديمي، فيصل آباد، باكستان، ١٤٠١هـ ص: ٣٥٩.السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٧١هـ: ٢١٢ الخراشي: عبدالله بن الزبير: ١١٦، ١١٧.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٦٩.

ومن خلال ما سبق اتضح لنا أن حركة عبدالله بن الزبير ﷺ مرت بمرحلتين: المرحلة الأولى رفضه البيعة ليزيد وخروجه عليه، واستمرت تلك المرحلة من سنة ستين حتى وفاة يزيد سنة أربع وستين. والمرحلة الثانية مبايعته بالخلافة ومنازعة مروان بن الحكم وابنه عبدالملك له، واستمرت تلك المرحلة حتى جمادى الآخرة من سنة ثلاث وسبعين للهجرة.

وسنحاول التعرف على مواقف العلماء من حركة عبدالله بن الزبير في تلك المرحلتين السابقتين كلتيهما.

لم تلق حركة عبدالله بن الزبير في مرحلتها الأولى تأييدا من غالبية العلماء المعاصرين لها باستثناء من انضموا إليه بعد موقعة الحرة ومنهم المسور بن مخرمة، ومصعب بن عبدالرحمن بن عوف حيث كان يستشيرهما ولا يقطع أمرا دونهما [(١)]. حيث رأى أغلب العلماء أن ابن الزبير في هذه المرحلة خارجا على يزيد الذي اجتمعت عليه الأمة، وعدوا خروجه هذا ورفضه بيعة يزيد مخالفا لعموم نصوص الشريعة الآمرة بلزوم الجماعة والناهية عن الفرقة، وفيه إشعال لفتيل الفتنة من جديد، لذا فقد صرح عدد من العلماء بمواقفهم تلك من ابن الزبير وما قاده إليه اجتهاده في هذه المرحلة، وفي مقدمة هؤلاء العلماء الإمام الجليل عبدالله بن عمر ﷺ فإنه

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٦٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٩١، ٣٩٣.

لم يوافق ابن الزبير على اجتهاده بالامتناع عن بيعة يزيد وترك الدخول في طاعته، فحين بلغه رفض ابن الزبير والحسين مبايعة والي المدينة ليزيد واستعداد هما للخروج إلى مكة قال لهما: أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس وتنظران، فإن اجتمع عليه الناس لم تشذا، وإن افترق عليه كان الذي تريدان. [(١)] ولما لم يسمع ابن الزبير منه وخرج إلى مكة واعتصم بالحرم وبدأ في إظهار معارضته ليزيد، وخاف ابن عمر الفرقة، حذر ابن الزبير فنهاه، وكرر تحذيره له من مغبة فعله هذا [(٢)] ومن ذلك ما روي أنه أتى ابن الزبير فقال له: يا بن الزبير إياك والإلحاد في حرم الله تبارك وتعالى فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه سيلحد فيه رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت قال فانظر لا تكونه. [(٣)]

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) تحقيق السلمي: ١/ ٤٤٤. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣٤٣. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ١٣٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٩٦.: ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦٣.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٥/ ١٤٣.

(٣) الإمام أحمد: المسند: ٢/ ١٦٣. المستدرك على الصحيحين: ٢/ ٢٤٠ ابن أبي شيبة: المصنف: ١٥/ ٨٤..

وورد في بعض الروايات أن ابن عمر كان يعتبر ابن الزبير باغيا في قتاله لأهل الشام.[1] كما ورد في روايات أخرى أنه كان يعد الصراع بين ابن الزبير وبني أمية من قبيل النزاع على السلطان و الدنيا. حيث روي عنه أنه قال: إنما هؤلاء فتيان قريش يتقاتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا.[2] وليس بمستغرب ما ورد في الرواية الأولى من الحكم على ابن الزبير بأنه باغ على أهل الشام إذ يؤيد ذلك النصوص الشرعية والواقع، حيث تمت البيعة ليزيد. ولكن من الصعب قبول الحكم عليه بأنه إنما عمل ما عمل من أجل الدنيا، حيث يعارض ذلك مكانة ابن الزبير وفضله، وشهادة المؤمنين له بالتقى والورع وفي مقدمتهم ابن عمر.[3] ولعل ابن عمر قصد بوصفه ما دار بين ابن الزبير وبني أمية بالتقاتل على الدنيا بالنسبة لما يراه لنفسه، ويد ل على ذلك ما ورد في آخر الرواية من كلامه حيث قال: والله ما أبالي ألا يكون لي ما يقتل فيه بعضهم بعضا بنعلي.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٧٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٧١، ١٧٢. الأصفهاني: حلية الأولياء: ١/ ٣٠٩، ٣١٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٣٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) تحقيق السلمي: ٢/ ١١٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٧٨.

ومن العلماء الذين عارضوا اجتهاد ابن الزبير في حركته تلك في مرحلتها الأولى العالم القدير والصحابي الجليل عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقد كان ممن بايع ليزيد بعد وفاة معاوية، وبعثه يزيد إلى ابن الزبير حين رفض البيعة ولجأ إلى مكة، فقدم عليه عبدالله بن عمرو وكان مما قال له: "...وتدعي الخلافة ولست بخليفة، وإني أجد الخليفة يزيد."[1] ولعل عبدالله قصد بادعاء ابن الزبير الخلافة هنا دعوى الحال وليست دعوى المقال، فلم يدع ابن الزبير ـ على المشهور ـ الخلافة إلا بعد وفاة يزيد ولكن المتتبع لأحوال ابن الزبير قد يفهم أن في معارضته ليزيد وحثه الناس على ذلك، ونزعه لوالي يزيد في مكة، قد يفهم من ذلك ترشيحه نفسه للخلافة. وورد في بعض الروايات أن عبدالله بن عمرو قدم مكة ثانية ولقي ابن الزبير وحذره من الإلحاد في الحرم.[2]

ومنهم الصحابي الجليل النعمان بن بشير رضي الله عنه فقد كان في الشام فبايع ليزيد، وبعثه يزيد في وفد إلى ابن الزبير لمناقشته ودعوته للبيعة والدخول في الطاعة[3]، وهذا دليل على أن النعمان بن بشير لم يكن راضيا

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٩.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل: المسند: ٢/ ٢١٩

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٥٢. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٧/ ١٤١.

عن اجتهاد ابن الزبير فاستجاب ليزيد ليكون مبعوثا له لابن الزبير عله ينجح في إقناعه بأن يتخلى عن رأيه ويدخل فيما دخل فيه الناس.

وأما بقية العلماء وإن لم ترد لهم مواقف صريحة في معارضتهم لحركة ابن الزبير في مرحلتها الأولى إلا أن أحوالهم ومواقفهم فيما بعد من بيعته بالخلافة توضح معارضتهم لحركة ابن الزبير في هذه المرحلة كعبدالله بن عباس رضي الله عنه ومحمد بن الحنفية، وسعيد بن المسيب، وأبو برزة الأسلمي، وشريح القاضي [1] ومطرف بن عبدالله بن الشخير - رحمهم الله - وغيرهم، فدخول هؤلاء في بيعة يزيد، واعتزالهم ابن الزبير، ورفضهم لبيعته بعد وفاة يزيد، يدل ذلك كله على عدم موافقتهم لاجتهاد ابن الزبير في رفضه البيعة ليزيد والدعوة إلى خلعه.

وأما عن موقف العلماء من حركة ابن الزبير في مرحلتها الثانية بعد وفاة يزيد وأخذ ابن الزبير البيعة له، فإن الأمر هنا اختلف كثيرا، فلم يعد هناك خليفة شرعي بعد وفاة يزيد، ودخلت جل الأقطار الإسلامية تحت طاعة ابن الزبير، فهذا الوضع الجديد أعطى ابن الزبير الفرصة لتغيير كثير من العلماء مواقفهم السابقة من حركته. وبتتبع مواقف العلماء من حركة ابن الزبير في هذه المرحلة نجدها تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

فأصحاب القسم الأول هم الذين بايعوا لابن الزبير واعتبروه الخليفة الشرعي في تلك المدة، وعدوه أمير المؤمنين، وسنستعرض عددا من هؤلاء العلماء وما يوضح مواقفهم تلك.

فمنهم النعمان بن بشير رضي الله عنه فقد كان عاملا على حمص لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ثم ليزيد من بعده، فلما توفي يزيد بايع لابن الزبير ودعا له بالبيعة، ولكن ثار أهل حمص عليه بعد هزيمة أنصار ابن الزبير في معركة مرج راهط، فهرب منهم وطلبوه حتى قتلوه. (١)

ومنهم خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك رضي الله عنه فقد كان في البصرة فدخل في طاعة ابن الزبير، وتولى بأمر منه الصلاة بالناس في البصرة أربعين يوما حتى عين عليهم ابن الزبير واليا من قبله. (٢)

وذكر في بعض المصادر أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قد بايع لابن الزبير فلما بعث مروان بن الحكم أهل الشام في جيش بقيادة حبيش بن دلجة القيني إلى المدينة أجبر حبيش أبا سعيد على البيعة لمروان فبايع مجبرا. (٣) فدل ذلك على أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه كان قد بايع لابن الزبير.

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٥٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤١٢.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٥٩. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٥/ ٧٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٨

(٣)الإمام أحمد: المسند: ٣/ ٢٩. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥/ ١٦٥. وعن خبر جيش حبيش بن دلجة انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٦١١، ٦١٢.

ومـنهم الفقـيه الشـامي ربـيعة بـن عمرو الجرشي [1] فقد كان زبيريا وقـاتل الأمويـين مـع جيش الضحاك بن قيس في مرج راهط وكان ممن قتل فيها. [2]

ومـنهم العـالم الفقيه عبدالله بن الحارث بن نوفل [3] فقد كان له قبول ورضـا عـند العامة في البصرة، فعندما توفي يزيد وثار أهل البصرة بعبيد الله بـن زيـاد وطـردوه ولـوا علـيهم الحارث وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأقره، وأخذ الحارث يبايع لابن الزبير في البصرة. [4]

ومـنهم الإمـام القاضـي طـلحة بن عبدالله بن عوف الزهري [5] فقد ولـي المديـنة لابـن الـزبير، [6] وفي هـذا دلالـة عـلى مبايعـته لابـن الـزبير والدخول في طاعته.

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٢٠٢. وانظر: الذهبي: تهذيب الكمال: ٩/ ١٣٧. ابن حجر: تقريب التهذيب:١/ ٢٤٧.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم .

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٥. خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٥٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٥٣٠، ٥٣١.

(٥) انظر ترجمته في ملحق التراجم .

(٦) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٦٨. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ١٦٦. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٦١.

وكان فقيه اليمن الضحاك بن فيروز الديلمي [١] أحد أصحاب عبدالله بن الزبير وتولى له بعض أعماله. [٢] وكذلك الفقيه حنش بن عبدالله الصنعاني. [٣]

ومنهم العالم المفتي عبدالله بن أبي مليكة القرشي [٤] فقد بايع لابن الزبير وبعثه على القضاء والأذان بالطائف. [٥]

وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة على خراج العراق لابن الزبير [٦] وهذا يدل على دخوله في طاعة ابن الزبير ومبايعته.

ومن هذا الاستعراض السابق يتضح أن كثيرا من العلماء بايعوا لابن الزبير وعدوه الخليفة الشرعي واعتبروه أمير المؤمنين.ولم يقتصر وجود هؤلاء العلماء على قطر دون قطر بل شمل غالب الأقطار الإسلامية، في الحجاز والشام والعراق.

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢)الجعدي: طبقات فقهاء اليمن: ٥٨.

(٣) الجعدي: طبقات فقهاء اليمن: ٥٧.

(٤) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٤٧٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٨٩.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٥٢. الزبيري: نسب قريش: ٢٨٣. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤/ ١٢٢،، ١٢٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٢.

ولكن هناك قسم آخر من العلماء لم يتعجلوا بالبيعة لابن الزبير بل تريثوا ببيعتهم حتى تستقر الأمور تماما له، حيث اعتبروا ذلك الوضع داخل في الفتنة فأجروا عليه أحكامها. ولعل هؤلاء نظروا في تطور الأحداث السريع بعد البيعة لابن الزبير، فبقدر سرعة تجاوب الأقطار الإسلامية في الدخول في بيعة ابن الزبير كانت هناك أحداث أخرى تسير في الاتجاه المعاكس بالسرعة نفسها أو أشد، فلم يمكث ابن الزبير دون منازع سوى أربعة أشهر، فقد تمت له البيعة في شهر رجب من سنة ٦٤ هـ، وفي ذي القعدة من السنة نفسها اجتمع بنو أمية وأنصارهم في الجابية [(١)] واتفقوا على مروان بن الحكم فبايعوه زعيما عليهم، فتولى معارضة ابن الزبير [(٢)]، وبعد أيام من هذا الاتفاق وقعة موقعة مرج راهط بين أنصار بن الزبير وأنصار بني أمية، وحلت الهزيمة فيها بأنصار ابن الزبير وقتل رجل ابن الزبير الأول في الشام الضحاك بن قيس الفهري، وترتب على ذلك عودة الشام ونواحيه إلى سيطرة بني أمية وخروجه من طاعة ابن الزبير،

(١) الجابية: قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان، قرب مرج الصفر، شمالي حوران. (ياقوت: معجم البلدان: ٢/ ٩١، البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: ٧٧)

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٥٨. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٥٣٤.

وبعد حوالي أربعة أشهر ضم مروان إلى سيطرته مصر، وولى عليها ابنه عبدالعزيز. [1] ففي حوالي نصف سنة خرج من طاعة ابن الزبير إقليما الشام ومصر، وازداد نفوذ بني أمية بتولي عبدالملك زعامتهم بعد وفاة والده. كل هذه الأحداث وسرعة تطورها جعلت عددا من العلماء يتخذون موقف التريث بالبيعة، و لهذا الوضع أشار الذهبي في ترجمته لابن الزبير حيث قال [2]: "وبويع بالخلافة عند موت يزيد سنة أربع وستين، وحكم على الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وخراسان، وبعض الشام، ولم يستوثق له الأمر، ومن ثم لم يعده بعض العلماء في أمراء المؤمنين، وعد دولته زمن فرقة، فإن مروان غلب على الشام ومصر، وقام عند مصرعه ابنه عبدالملك بن مروان، وحارب ابن الزبير، وقتل ابن الزبير ـ رحمه الله ـ، فاستقل عبدالملك بالخلافة وآله، واستوثق لهم الأمر ".

وسنستعرض بعض مواقف أصحاب هذا القسم من العلماء الذين اعتزلوا ولم يبايعوا لابن الزبير، وفي مقدمة هؤلاء العلماء عبدالله بن عمر رضي الله عنه فقد امتنع عن البيعة لابن الزبير، وقد ورد في بعض الروايات ما يفيد

---

(١) دخل مروان مصر في هلال ربيع الآخر من سنة ٦٥ هـ. (خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٦١)

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٦٤.

أن ابـن عمـر لم يـبايع لابن الزبير لأن بيعته لم تتم بالشورى، حيث ورد أنه كتـب إلى ابـن الـزبير: إنـك انبريت على رقاب الناس بغير شورى، فدع ما أنـت فـيه، فـإنك لست في شيء.[1] ولكن كثيرا من الدلائل تخالف مفهوم هـذه الـرواية، وتؤكـد على أن امتناع ابن عمر عن البيعة لابن الزبير كان بسـبب تقديـره للوضـع الـذي يـراه، وهـو كمـا سبق استمرار الفتنة وعدم استقرار الأمـر لابـن الـزبير. فقد سئل أكثر من مرة عن سبب امتناعه عن البـيعة لابـن الـزبير، فكان جوابه " والله ما كنت لأعطي بيعتي في فرقة، ولا أمنعها في جماعة".[2] ومر ابن عمر بابن الزبير وعبدالله بن صفوان بن أمية، فقـال له عـبدالله بـن صـفوان: ما يمنعك أن تبايع أمير المؤمنين ؟ ـ يعني ابن الزبير ـ فقد بايع له أهل العروض، وأهل العراق، وعامة أهل الشام. فقال: والله لا أبـايعكم وأنـتم واضـعون سـيوفكم على عواتقكم، تصيب أيديكم مـن دمـاء المسـلمين ![3] وممـا يؤكـد ذلـك أن ابن عمر بايع لعبدالملك بن

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر من عبدالله بن عمران ـ عبدالله بن قيس (مخطوط)، مصور من دار الكتب الظاهرية، دمشق. ص: ١٥٢. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٣/ ١٧٩.

(٢) البيهقي: السنن الكبرى: ٨/ ١٩٣. البلاذري: أنساب الأشراف: القسم الرابع: ١/ ٣٥٢.ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر من عبدالله بن عمران ـ عبدالله بن قيس (مخطوط): ١٤٩.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر من عبدالله بن عمران ـ عبدالله بن قيس (مخطوط): ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٣ م ١٧٨.

مروان بعد أن استقر له الأمر مع أن البيعة لعبدالملك لم تكن بطريق الشورى، ولكن لأن الأمر استقر له ولم يكن له منازع.

ومن الجدير ذكره أن ابن عمر كان يعتب على بعض الذين بايعوا في تلك الفتنة، ويدافع عن رأيه في ذلك. فعن بشر بن حرب قال: أن بن عمر أتى أبا سعيد الخدري فقال يا أبا سعيد ألم أخبر أنك بايعت أميرين من قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد قال نعم بايعت ابن الزبير، فجاء أهل الشام فساقوني إلى جيش ابن دلجة فبايعته. فقال بن عمر إياها كنت أخاف، إياها كنت أخاف. قال أبو سعيد يا أبا عبدالرحمن أو لم تسمع أن النبي ﷺ قال:(**من استطاع أن لا ينام نوما ولا يصبح صباحا ولا يمسي مساء إلا وعليه أمير**) قال نعم ولكني أكره أن أبايع أميرين من قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد.[1]

ومن هؤلاء العلماء الإمام الحبر عبدالله بن عباس رضي الله عنه فإنه لم يبايع لابن الزبير من أجل السبب الذي منع ابن عمر، وهو عدم اجتماع الأمة على ابن الزبير، وأن الفرقة لا تزال قائمة، مع أن ابن الزبير حرص على أخذ البيعة من ابن عباس ومحمد بن الحنفية، ولكنهما امتنعا حتى تجتمع

(١) الإمام أحمد: المسند: ٣/ ٢٩. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥/ ١٦٥، ١٦٦.

عليه البلاد ويتسق له الناس.[1] وعلى الرغم من عدم مبايعة ابن عباس لابن الزبير إلا أنه يرى فيه من الصفات ما يؤهله للخلافة، فروى البخاري[2] أنه قال: قال الناس بايع لابن الزبير، فقلت: وأين بهذا الأمر عنه، أما أبوه فحواري النبي ﷺ أما جده فصاحب الغار ـ يريد أبا بكر ـ وأما أمه فذات النطاق ـ يريد أسماء ـ وأما خالته فأم المؤمنين ـ يريد عائشة ـ وأما عمته فزوج النبي ﷺ ـ يريد خديجة أما عمة النبي فجدته ـ يريد صفية ـ ثم عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن.

كما ورد أنه كان يشد من أزر ابن الزبير[3]. وكانت علاقتهما حسنة حيث كان ابن الزبير يسأل ابن عباس في بعض القضايا ويفتيه فيها فيأخذ بفتواه.[4] ولكن ابن الزبير لم يقنعه موقف ابن عباس هذا مع امتناعه عن البيعة، خاصة وأن الأمر سيطول، حيث شرط ابن عباس لبيعته اجتماع الناس على ابن الزبير وسير الأحداث يدل على تأخر ذلك حيث أخذ أمر ابن الزبير يزداد حرجا بخروج بعض الأقطار من طاعته، لذا بدأ ابن الزبير يشعر ابن عباس بعدم رضاه عن موقفه هذا، وأدى ذلك إلى تعكر صفو

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠٠. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٣٠٥.

(٢) صحيح البخاري: ٥/ ٢٠٤، تفسير، ٩:.

(٣) ابن حجر: فتح الباري: ٨/ ٣٢٨.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف: ٢/ ١٧٠.

العلاقة بينهما، وظهر ذلك في إعراض ابن الزبير عن ابن عباس وتأخيره في مجلسه والدخول عليه وتقديم غيره عليه ممن يرى ابن عباس أنه أولى منهم، و لم ترض تصرفات ابن الزبير ابن عباس فبدأ يبادله الإعراض والجفاء. وقد وردت بعض النصوص التي تشير إلى توتر العلاقة بين الاثنين، فمن ذلك ما رواه البخاري في تمام الحديث السابق عن ابن عباس قوله في ابن الزبير: " فآثر علي التويتات، والأسامات، والحميدات. [(١)]
وكذلك روى البخاري [(٢)] عن أبي ملكية قال: دخلنا على ابن عباس فقال: ألا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هذا فقلت لأحاسبن نفسي له، ما حاسبتها لأبي بكر وعمر، ولهما كانا أولى بكل خير منه، وقلت: ابن عمة النبي ﷺ وابن الزبير، وابن أبي بكر، وابن أخي خديجة، وابن أخت عائشة، فإذا هو يتعلى عني ولا يريد ذلك، فقلت: ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي فيدعه، وما أراه يريد خيرا، وإن كان لابد لأن يربنى بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم.

---

(١) التويتات: نسبة إلى تويت بن أسد ويقال تويت بن الحارث بن عبدالعزى بن قصي، والأسامات: نسبة إلى بني أسامة بن أسد عبدالعزى. والحميدات: نسبة إلى بني حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى. وكان ابن الزبير إذا دعا الناس في الإذن بدأ ببني أسد على بني هاشم وغيرهم. (ابن حجر: فتح الباري: ٨/ ٣٢٩)

(٢) صحيح البخاري: تفسير القرآن، ٩: ٥/ ٢٠٥.

ومن ذلك ما أورده ابن أبي شيبة [1] عن عطاء أن ابن الزبير سأل ابن عباس قال: كيف أصنع في هذا اليوم يوم عيد - وكان الذي بينهما حسن - فقال: لا تؤذن ولا تقم وصل قبل الخطبة، فلما ساء الذي بينهما، أذن و أقام وخطب قبل الصلاة.

وأشار ابن سعد [2] إلى أن ابن الزبير غلظ على ابن عباس ومحمد بن الحنفية، وحصرهم وضيق عليهم. إلا أن هذا لم يزد ابن عباس إلا تمسكا برأيه في عدم البيعة لابن الزبير، فذكر سليم أبو عامر: أن محمد بن الحنفية لما ضيق عليه ابن الزبير في أمر البيعة وحصره في زمزم بعثه إلى ابن عباس يسأله عن رأيه، فلما ذهب أبو عامر إلى ابن عباس وأخبره بحال ابن الحنفية وقوله، قال ابن عباس: قل له لا تطعه ولا نعمة عين إلا ما قلت. [3] كما ورد أنه أوصى بنيه إذا دفنوه أن يلحقوا ببني أمية ويتركوا ابن الزبير. [4]

مما سبق يتضح أن عبدالله بن عباس لم يبايع لابن الزبير بحجة عدم اجتماع الناس عليه، ولكنه لم يظهر في بداية الأمر مخالفته، بل كان يظهر التقرب إليه، ولكن شدة معاملة ابن الزبير وتضييقه على ابن عباس أدى

---

(١) المصنف: ٢/ ١٧٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠٠، ١٠١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠١.

(٤) ابن حجر: فتح الباري: ٨/ ٣٢٨.

إلى سوء العلاقة بينهما. مما جعل ابن عباس يخرج إلى الطائف ويعتزل فيها حتى توفي سنة ثمان وستين للهجرة رضي الله عنه. (١)

أما محمد بن الحنفية ـ رحمه الله ـ فإنه نهج نهج ابن عمر وابن عباس، فلم يبايع لابن الزبير حتى يجتمع عليه الناس. (٢) وقد نال ابن الحنفية بسبب موقفه هذا من الشدة أكثر من غيره، فقد أغلظ له ابن الزبير، وحصره وبني هاشم في شعبهم بمكة، وجعل عليهم الرقباء، وأوعدهم وعيدا شديدا إن لم يبايعوا. وهذا ما جعل بعض بني هاشم يبعث إلى المختار بن أبي عبيد في الكوفة يستنجد به، فاستغل المختار هذه الفرصة ليرفع من شأنه، ويصدق بها دعواه في مناصرته لآل البيت، فبعث المختار حملة استطاعت أن تفك الحصار عن محمد بن الحنفية وبني هاشم. (٣)

وبعد انتصار مصعب بن الزبير على المختار وقتله رأى عبدالله بن الزبير أن الوقت حان لمعاودة الضغط على محمد بن الحنفية لانتزاع البيعة منه، فبعث إليه أخاه عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ فجاء إليه عروة وقال له: إن أمير المؤمنين يقول لك إني غير تاركك أبدا حتى تبايعني أو أعيدك

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠٢.

(٢) المصدر السابق: ١٠٠. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨، ٣٠٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠١، خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٦٢.

في الحبس، وقد قتل الله الكذاب الذي كنت تدعي نصرته، وأجمع علي أهل العراقيين، فبايع لي وإلا فهي الحرب بيني وبينك إن امتنعت، فقال ابن الحنفية لعروة: ما أسرع أخيك إلى قطع الرحم والاستخفاف بالحق، وأغفله عن تعجيل عقوبة الله، ما يشك في الخلود، و إلا فقد كان أحمد للمختار ولهدية مني، والله ما بعثت المختار داعيا ولا ناصرا، وللمختار كان أشد انقطاعا منه إلينا، فإن كان كذابا فطال ما قربه على كذبه، وإن كان غير ذلك فهو أعلم به،[1] وما عندي خلاف، ولو كان خلاف ما أقمت في جواره ولخرجت إلى من يدعوني فأبيت ذلك عليه، ولكن ههنا لأخيك قرينا يطلب مثل ما يطلب أخوك، كلاهما يقاتلان على الدنيا، عبدالملك بن مروان، والله لكأنك بجيوشه قد أحاطت برقبة أخيك، وإني لأحسب جوار عبدالملك خير لي من جوار أخيك، وقد كتب إلي يعرض علي ما قبله ويدعوني إليه. قال عروة: فما يمنعك من ذلك ؟ قال: استخير الله، وذلك أحب إلى صاحبك. قال عروة أذكر ذلك له. فانصرف عروة وأخبر أخاه بما قاله ابن الحنفية، ونصح أخاه بأن يدعه ولا يعرض له، فعبدالملك أمامه،

(١) لعله يشير هنا إلى ما ورد في بعض الروايات من تزلف المختار لابن الزبير وتظاهره له بمناصرته ونصحه له، وإذن ابن الزبير له بالذهاب إلى العراق وكتب يوصي واليه على العراق به، ثم إقراره للمختار عندما تغلب على الكوفة وكتب إليه في ذلك. (الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٥٤٠، ٥٤)

لا يتركه حتى يبايع، وابن الحنفية لا يبايع له حتى يجتمع له الناس. فأخذ عبدالله بنصيحة أخيه وترك ابن الحنفية فخرج إلى عبدالملك.(١)

ولعل السبب الذي جعل ابن الزبير يحرص على مبايعة كل من ابن عباس وابن الحنفية ويغلظ لهما في ذلك يرجع إلى أنهما أصبحا أكبر بني هاشم، ويأخذون برأيهما في ذلك، علاوة على أن في وجودهما في مكة ـ مع مكانتهما ـ دون مبايعتهما له عامل ضعف لدعوته. وزاد من خوفه من محمد بن الحنفية ـ خاصة ـ ما يتطلع إليه بعض أهل العراق وما يرونه فيه من أهلية لزعامة البيت العلوي، فورد أنه قدم سبعة عشر رجلا من أهل العراق إلى ابن الحنفية، فعرف ابن الزبير أنهم من أنصاره فطلب منهم البيعة فأبوا، فحبسهم في زمزم.(٢) وفي سنة ست وستين للهجرة كان الناس في الحج على أربعة ألوية، لواء ابن الزبير، ولواء بني أمية، ولواء الخوارج، ولواء محمد بن الحنفية ومعه أربعة آلاف رجل.(٣)

وممن ذكر من العلماء الذين لم يبايعوا لابن الزبير بعد وفاة يزيد الإمام الكبير سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ فإنه لما استعمل ابن الزبير على المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري دعا الناس إلى البيعة لابن الزبير، فلما دعا سعيد ابن المسيب قال: لا حتى يجتمع الناس. فضربه ستين

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠٥، ١٠٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤، ١١٢٣، ١٢٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف: تحقيق المحمودي: ٣/ ٢٧٩. الخراشي: عبدالله بن الزبير: ١٢٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٠٣. خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٦٣.

سوطا، فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إلى جابر يلومه ويقول: ما لنا ولسعيد، دعه.[1]

وممن اعتزل جميع الأطراف أيام بيعة ابن الزبير العالمان الجليلان، شريح القاضي ومطرف بن عبدالله الشخير - رحمهما الله - فروى عن ميمون بن مهران أنه قال: لبث شريح في الفتنة تسع سنين لا يخبر ولا يستخبر.[2] كما ورد عن مطرف أنه قال: لبثت في فتنة ابن الزبير تسعا ما أخبرت فيها بخبر ولا استخبرت فيها من خبر.[3] ويفهم مما ورد عن هذين العالمين أنهما يريان عهد ابن الزبير عهد فتنة وأن الأمور لم تستقر له بعد، لذا اعتزلا الناس ولم يخوضا في هذه الفتنة بتأييد أو معارضة لهذا الطرف أو ذاك.

أما أصحاب القسم الثالث فهم الذين لم يبايعوا لابن الزبير وبايعوا لخصمه عبدالملك بن مروان، ولكن أصحاب هذا القسم من العلماء قلة لا يعدون شيئا مع أصحاب القسمين السابقين، وانحصر وجود هؤلاء في إقليم

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى:٥/ ١٢٢، ١٢٣. ابن قتيبة: المعارف: ٤٣٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء:٤: ٢٢٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى:٦ ١٤١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٠٦. ابن كثير: البداية والنهاية:٩/ ٢٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٤٢.

الشام، وقد ذكر من هؤلاء العالم الجليل قبيصة بن ذؤيب ـ رحمه الله ـ فكان من المبايعين لعبدالملك وأحد المقربين إليه. [1] ومنهم يزيد بن الأسود الجرشي ـ رحمه الله ـ [2] فورد أنه كان مع عبدالملك في خروجه لقتال مصعب بن الزبير، وروي عنه أنه حين رأى الجيشين قد التقيا قال: اللهم احجز بين هذين الجبلين وول الأمر أحبهما إليك. [3]

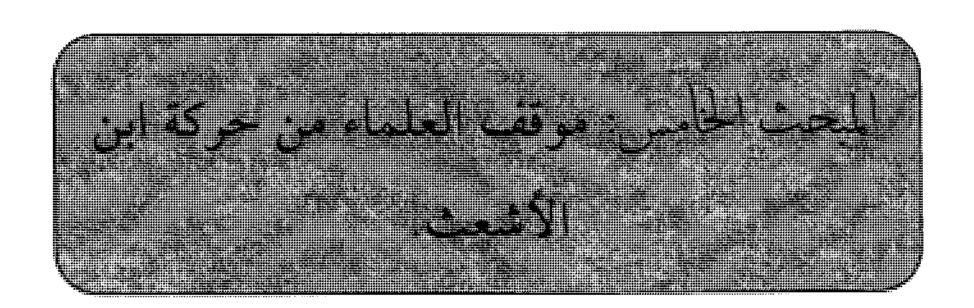
ولعل هذين العالمين نظرا إلى تقييم الأحداث من خلال وجودهما في الشام حيث قد استقر الأمر لعبدالملك وأصبح أمره نافذا فيها.

---

(١) قد سبقت الإشارة إلى مكانة قبيصة وأثره في عهد عبدالملك بن مروان في الفصل الثاني.

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٣) أبو زرعة: تاريخه: ٢٣٥. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٧/ ٣٢٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٣٧.



المبحث الخامس: موقف العلماء من حركة ابن الأشعث

قائد هذه الحركة هو عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أحد الأشراف والأمراء، كان بينه وبين الحجاج بن يوسف ـ والي العراق كره متبادل، فكان الحجاج كعادته يكره كل من يرى فيه خصلة من شرف أو علم أو سيادة تجعل له مكانة بين الناس، وقد بلغ من كره الحجاج لابن الأشعث أنه كان يقول عنه: "ما رأيته قط إلا أردت قتله". وعندما نقل إلى ابن الأشعث قول الحجاج فيه قال: وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزيله عن سلطانه.[1] وتهيأت لابن الأشعث أسباب الثورة على الحجاج حينما ولاه قيادة الجيش المتجه لحرب رتبيل ملك سجستان، وذلك أن الحجاج كان قد بعث جيشا إلى رتبيل بقيادة عبيد الله بن أبي بكرة سنة تسع وسبعين للهجرة، وأمره الحجاج أن يتوغل في بلاد رتبيل وأن يدك حصونهم وقلاعهم، ففعل ما أمر به الحجاج، وتمكن من هزيمة

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٣٢٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٣٥.

رتبيل واجتاح بلاده وغنم غنائم كثيرة، ولكن رتبيل أخذ في التقهقر فأطمع المسلمين في اللحاق به حتى وصلوا قريبا من مدينته العظمى، عند ذاك بدأ الترك يغلقون على المسلمين الطرق والشعاب وحصروهم وقتل عامة جيش المسلمين. (١)

فأراد الحجاج تأديب رتبيل وعقابه، فاستأذن عبدالملك بن مروان في أن يبعث جيشا كبيرا إلى رتبيل فأذن له، فأعد الحجاج جيشا كبيرا بلغ عدده أربعين ألف مقاتل من أهل الكوفة وأهل البصرة،وانفق عليه ألفي ألف (مليونين) سوى أعطيات المقاتلين، وجهزه وبالغ في تجهيزه حتى سمي جيش الطواويس. (٢) وأسند قيادته إلى عبدالرحمن بن الأشعث.

والحجاج بإسناده قيادة هذا الجيش الكبير عدة وعددا لابن الأشعث وهو يعلم موقفه منه، يهيء للثورة عليه وعلى الدولة الأموية. وقد نبه الحجاج إلى هذا الخطأ الفادح، حيث قال له عم ابن الأشعث إسماعيل بن الأشعث: " لا تبعثه فإني أخاف خلافه، والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطانا". (٣) لكن الحجاج لم يسمع قول

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٧٧. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٢٢، ٣٢٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٢٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٢٨، ٣٢٩.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٢٨. ابن الأثير: الكامل: ٤/ ٧٤.

إسماعيل، وأنفذ أمره، ولعل الحجاج كان يقصد التخلص من عبدالرحمن بن الأشعث بتوليته القيادة، إما نهائيا بموته في القتال، أو وقتيا بغيابه عنه مدة القتال.

سار عبدالرحمن بن الأشعث بالجيش إلى سجستان والتقى مع رتبيل في عدة معارك انتصر فيها وغنم وتقدم في بلاد الترك، و أراد رتبيل تكرار الخدعة مع ابن الأشعث، فأخذ يتقهقر أمامه ليغريه بالتقدم ثم ينقلب عليه، ولكن ابن الأشعث قد استفاد درسا مما حدث لجيش المسلمين قبله، فوضع خطة استشار فيها كبار رجاله، وتقضي بعدم المضي في الفتح حتى يوطد أقدامه وسلطانه في البلاد المفتوحة.[1]، ولكن الحجاج ـ ودون أن يستشير أحد من أهل الحرب ـ رفض هذا الرأي واستهجنه وكتب إلى ابن الأشعث ثلاثة كتب على التوالي، سفه فيها رأي ابن الأشعث وهدده فيها بالعزل إن لم يفعل ما يأمره به، ورماه فيها ببعض الأوصاف المقذعة.[2]

وما من شك في أن خطة ابن الأشعث كانت أحكم وأسلم، والقريب من الميدان أدرى به و أعلم من البعيد النائي عنه.

---

(١) انظر وصف تلك الخطة: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٢٨، ٣٢٩. ابن الأثير: الكامل: ٤/ ٧٤.

(٢) انظر نصوص هذه الكتب في: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٣٤، ٣٣٥. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٣٥.

و إن الحجاج برفضه رأي ابن الأشعث، وبأسلوبه القاسي، وتعامله السيء أذكي نار الفتنة وعجل بأسباب الثورة عليه، وقد أعماه فرط ثقته بنفسه واحتقاره لغيره عما ستؤدي إليه تلك التصرفات الهوجاء من عواقب خطيرة.

أثارت مكاتبات الحجاج حفيظة عبدالرحمن بن الأشعث، وحركت ما في نفسه من كره للحجاج فجمع الناس وخطبهم مبينا لهم نصحه لهم، ومعرضا برأي الحجاج، وطلب منهم الرأي، فثار إليه الناس فقالوا: بل نأبى على عدو الله، ولا نسمع له ولا نطيع. [1] وانفتح الباب لكل من أراد أن يتكلم، فتكلم عامر بن واثلة الكناني وكان شاعرا خطيبا فكان مما قال: فإن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القائل الأول إذ قال لأخيه: احمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك، وإن نجا فلك. وبعد كلامه دعا الناس إلى خلع الحجاج ومبايعة عبدالرحمن بن الأشعث، فبايعهم ابن الأشعث على خلع الحجاج والقتال معه حتى ينفي الله الحجاج من العراق، ولم يذكر خلع عبدالملك. [2]

---

(١) انظر نص خطبته: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٩/ ٣٣٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٩/ ٣٣٧، ٣٣٨.

ومن هنا بدأت ثورة ابن الأشعث، وهذه الثورة وإن لم تكن لها جذور بعيدة، وإن لم تسبقها خطوات إعداد كبيره، إلا أنها كانت من أخطر الثورات التي قامت على الدولة الأموية أو أخطرها، حيث هددت كيان الخلافة بالزوال واضطرت الخليفة إلى مساومة أصحابها بما لم يساوم به غيرهم من أصحاب الثورات السابقة.

انحدر ابن الأشعث بجيشه وانضم إليه خلق كبير في طريقه إلى العراق قاصدا الحجاج، فلما جاء الخبر الحجاج أصيب بالهلع والذعر، فكتب إلى عبدالملك يخبره بالأمر ويطلب منه المدد، فتوالت الكتب بينه وبين عبدالملك، وتوالى إرسال الجيوش من عبدالملك في كل يوم إلى الحجاج.

وكان المهلب بن أبي صفرة قد نهى ابن الأشعث عن فعلته قائلا: إنك وضعت رجلك يا ابن محمد في غرز طويل الغي على أمة محمد ﷺ. الله الله فانظر لنفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها. فإن قلت: أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه عليها من الناس، فلا تعرضها لله في سفك دم، و لا استحلال محرم. وكتب المهلب كذلك إلى الحجاج بما يجب عليه أن يفعله في مواجهة ابن الأشعث حيث قال: فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك مثل السيل المنحدر من عل، وليس شيء يرده حتى ينتهي إلى قراره، و إن لأهل العراق شرة في أول مخرجهم، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء

يـردهم حتى يسقطوا إلى أهليهم، ويشموا أولادهم، ثم وافقهم عندها، فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله. (١)

ولكـن لم يعـر ابـن الأشـعث نصـح المهلـب أدنى اهتمام، فتقدم نحو العـراق، وفي وسط الطريق أقدم ابن الأشعث ومن معه على خطوة خطيرة وهي خلع الخليفة عبدالملك بن مروان والسعي إلى تنحيته. (٢)

كمـا أن الحجـاج نظـر إلـي نصـح المهلب من منظوره المتشكك فيمن حولـه، فعده غشا من المهلب، فقد قال عندما قرأ كتابه: فعل الله به وفعل، والله مـالي نظـر، ولكـن لابـن عمه نصح. (٣) لذا قرر الحجاج مواجهة ابن الأشـعث ومـن معـه قبل دخولهم العراق، فأرسل الكتائب تلو الكتائب و لكـن لم تسـتطع إيقـاف زحـف ابـن الأشـعث فهـزمها، وتقـدم حتى دخل البصـرة بعـد أن خـرج مـنها الحجـاج فارا بنفسه ومن معه من أهل الشام، ونـزل بالـزاوية (٤)، عـند ذلـك أيقـن الحجـاج بصـدق المهلب في نصحه له

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٩/ ٣٣٨، ٣٣٩. ابن الأثير: الكامل: ٤/ ٧٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٩/ ٣٣٨.وذكر أن هناك عددا لم يوافق على خلع الخليفة، ولكن غلبوا على أمرهم.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٩/ ٣٣٩.

(٤) الزاوية لفظ يطلق على عدة أماكن، والمراد به هنا موضع قرب البصرة. (ياقوت: معجم البلدان: ٣/ ١٢٨)

فقال: لله أبوه ! أي صاحب حرب هو ! أشار علينا بالرأي فلم نقبل.[1]
وانضم إلى ابن الأشعث جموع كثيرة من أهل البصرة، والتقى ابن الأشعث بالحجاج في الزاوية وتتالت الهزائم بجيش الحجاج، إلا أنه سنحت فرصة لفرقة من فرق الحجاج حيث تمكنت من إلحاق الهزيمة بإحدى فرق ابن الأشعث، فاستغل الحجاج الفرصة وكثف الهجوم على خصمه، فاضطر ابن الأشعث إلى التراجع وسار نحو الكوفة تاركا البصرة، فبايعه أهل الكوفة ولحق به أهل البصرة، وانضم إليه أهل المسالح والثغور.[2] وبلغ عدد من معه مائة ألف ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم.[3]
وسار الحجاج بمن معه من أهل الشام إلى ابن الأشعث فنزل دير قرة، كما خرج له ابن الأشعث ونزل دير الجماجم.

فلما رأى أهل الشام وبنو أمية قوة ابن الأشعث أشاروا على عبدالملك بعزل الحجاج وقالوا: إن كان إنما يرضى أهل العراق أن تنزع عنهم الحجاج فانزعه عنهم تخلص لك طاعتهم، فإن عزله أيسر من حربهم. فبعث عبدالملك ابنه عبدالله وأخاه محمد بن مروان بجيش إلى

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٩/ ٣٤٠.
(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: حوادث ووفيات ٨١ - ١٠٠ هـ تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ص: ٩.
(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٩/ ٣٤٧.

العـراق، وأمـرهما أن يعرضـا عـلى أهـل العـراق نزع الحجاج عنهم، وأن يُجـري علـيهم العطـاء، وأن يـنزل ابـن الأشـعث أي بلـد شاء من العراق ويكـون علـيه والـيا، فـإن قـبلوا ذلك نزعا عنهم الحجاج، ويكون محمد بن مـروان مكانه على العراق، وإن أبوا فالحجاج أمير الجميع وولي القتال.[1] ولم يكـن أمـر أشـق عـلى الحجـاج ولا أغـيظ له ولا أوجـع لقلبه من هذا الأمـر، ولكـن مـن حسـن حظـه أن ابـن الأشعث حين أشار على أصحابه بقبول هذا الأمر رفضوه وأجبروه على مواصلة قتال الحجاج وجددوا خلع عـبدالملك، عـندها سـلم محمـد بـن مـروان وعـبدالله بـن عـبدالملك الأمـر لـلحجاج وقـالا: شـأنك بعسـكرك وجـندك فاعمل برأيك فإنا قد أمرنا أن نسمع ونطيع لك.[2]

وكانـت بـين الحجاج وابن الأشعث في دير الجماجم وقعات كثيرة في مائـة يـوم، وبلغـت أربعـا وثمـانين وقعـة وقـيل إحدى وثمانين كلها على الحجـاج إلا آخر وقعة كانت على ابن الأشعث[3] فلما انهزم ابن الأشعث

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٤٧. ابن الأثير: الكامل: ٤/ ٨١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٤٨.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٢، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨، ١٠. وعن تفاصيل أحداث وقعة دير الجماجم انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٧-٣٧١. ابن الأثير: الكامل: ٤/ ٨٢، ٨٤ ٨٨.

وتفرق أتباعه هرب إلى رتبيل، حيث كان قد تصالح معه على أن يسقط عنه الخراج إن ظفر، وإن هزم يأوي إليه ويحميه. [1]

وبعد هذا العرض السابق لحركة ابن الأشعث وأهم أحداثها، نقف لنتعرف على موقف العلماء من هذه الحركة.

يختلف موقف العلماء من حركة ابن الأشعث اختلافا كثيرا عن موقفهم تجاه الحركات الأخرى ضد الدولة الأموية، إذ شارك جمهور غفير من العلماء في حركة ابن الأشعث هذه، سواء بتحريض الناس على المشاركة فيها أو بمشاركتهم المباشرة في القتال مع ابن الأشعث ضد الحجاج، وقد استفاضت المصادر المتقدمة في ذكر تأييد العلماء ومشاركتهم في هذه الحركة، كما أجمعت على كثرة عدد العلماء المشاركين ولكن على اختلاف بينها في تقدير هذا العدد. فيذكر خليفة بن خياط [2] أن عددهم بلغ خمسمائة عالم، وعد منهم خمسة وعشرين عالما. في حين ذكر بعض الكتاب أن عددهم بلغ أربعة آلاف عالم. [3] وعلى الرغم من أن هذا الرقم لا يخلو من مبالغة إلا انه يؤكد كثرة عدد العلماء المشاركين في تلك الحركة،

---

(١) اختلف في نهاية ابن الأشعث، فقيل مات بالسل، فقطعت رأسه ثم أرسلت إلى الحجاج، وقيل أرسل الحجاج يهدد رتبيل إن لم يسلم ابن الأشعث فبعث به مقيدا، فلما قرب من العراق ألقى بنفسه من قصر نزلوه فمات. وذلك سنة أربع وثمانين للهجرة. (الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٨٤)

(٢) تاريخه: ٢٨٦، ٢٨٧.

(٣) الجصاص: أحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت: ١/ ٧١. طهماز: أنس بن مالك، ط: الرابعة، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ: ١٦٠.

وتشير كثير من المصادر إلى ضخامة العدد المشارك من العلماء دون تحديد له، كقول العجلي: لم ينج بالبصرة من فتنة ابن الأشعث إلا رجلان: مطرف بن عبدالله، ومحمد بن سيرين، ولم ينج منها بالكوفة إلا رجلان: خيثمة بن عبدالرحمن الجعفي، و إبراهيم النخعي. (١) ولعل من أسباب كثرة تلك الأعداد المذكورة، إدخال غير العلماء فيها من أهل العبادة والصلاح و إن لم يشتهر عنهم العلم، حيث تردد إطلاق اسم القراء على هؤلاء المشاركين، ولعله يشمل العلماء وأهل الصلاح والزهادة والمشهورين بكثرة التعبد. وبتتبع كثير من المصادر أمكن حصر العديد من أسماء العلماء المشاركين في تلك الحركة.

ومن أبرزهم العالم القدير والصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ فقد كان ممن يؤلب على الحجاج ويدعو إلى الانضمام إلى ابن الأشعث، ولكنه لم يشارك مشاركة فعالة في القتال لكبر سنه. (٢)

ومنهم أبو الشعثاء سليم بن أسود المحاربي (٣) فقد شارك مع ابن الأشعث، وقيل قتل يوم الزاوية. (٤)

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤/ ٣٤٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٢١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٨٩،٩١. طهماز: أنس بن مالك: ١٦٠، ١٦١.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٧٩.

وعبدالرحمن بن أبي ليلى [1] كان من كبار المشاركين في تلك الحركة، والمحرضين على القتال فيها، وتوفي بوقعة الجماجم حيث اقتحم به فرسه الفرات فغرق ـ رحمه الله ـ [2]

ومن العلماء المشهورين الإمام الشعبي ولكن في مشاركته شيء من الإكراه إذ لم يكن في بداية الأمر على قناعة بالمشاركة، حيث روى عنه أنه قال: فلم أزل عنده ـ أي الحجاج ـ بأحسن منزلة حتى كان شأن ابن الأشعث، فأتاني أهل الكوفة، فقالوا: يا أبا عمرو، إنك زعيم القراء، فلم يزالوا حتى خرجت معهم. [3]

وكان سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ ممن شارك مع ابن الأشعث، وكان يحضض على القتال. ونجا من القتل وتوارى عن الحجاج مدة، ولكن تمكن منه عندما قبض عليه والي مكة وأرسله إليه فقتله الحجاج سنة أربع وتسعين. [4]

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١١٣. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٥٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٦٤، ٢٦٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٤٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٦٥، ٢٦٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٢٧، ٣٣٦.

ومنهم عبدالله بن غالب الجهضمي [1] فقد شارك وكان ممن قتل في هذه الفتنة. [2]

كما كان محمد بن سعد بن أبي وقاص [3] أحد المشاركين في فتنة ابن الأشعث، وأسر يوم وقعة الجماجم، وقتله الحجاج صبرا. [4]

وممن شارك أبو الجوزاء أوس بن عبدالله الربعي [5] وقيل قتل يوم الجماجم. [6] وكان ممن يحرض على القتال. [7]

وكان أبو البحتري سعيد بن فيروز الطائي [8] من أبرز المشاركين في هذه الفتنة، وممن له أثر كبير في التحريض على القتال. [9]

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٣. خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٦.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن قتيبة: المعارف: ٢٤٤. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٢١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٤٩.

(٥) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٦) ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٣/ ١٨١.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٣. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢٢.

(٨) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٩) الطبري: تاريخ الأمم والملوك:٦/ ٣٥٧. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٥. ابن الأثير: الكامل: ٤/ ٨٥. ابن العماد: شذرات الذهب: ١/ ٩٢.

ومنهم عبدالرحمن بن عائذ الحمصي [(١)] وقد أسر يوم الجماجم، فلما أتي به إلى الحجاج أحسن في الاعتذار للحجاج فخلى سبيله. [(٢)]

وكان مسلم بن يسار [(٣)] ممن خرج مع ابن الأشعث، ولكنه لم يشترك في القتال فلم يرم فيها بسهم، ولم يضرب فيها بسيف. [(٤)] ومثله طلحة بن مصرف اليامي [(٥)] فقد قال: شهدت الجماجم فما رميت ولا ضربت... [(٦)]

وكان عون بن عبدالله [(٧)] ممن شارك كذلك ونجا من القتل، فلما انتهت الفتنة لجأ إلى محمد بن مروان واستأمنه فأمنه من الحجاج. [(٨)]

وكذلك عبدالله بن شداد الليثي [(٩)] شارك في القتال وغرق في نهر دجيل يوم الجماجم. [(١٠)]

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٨٨، ٤٨٩. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١١٦.

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٨٨. ابن أبي شيبة: المصنف: ١١/ ١٢٨، ١٢٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥١٣ ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٥١.

(٥) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ م ١٩٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٥٢.

(٧) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٨) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٠/ ٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٠٤.

(٩) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٢٦. البستي: مشاهير علماء الأنصار: ١٠٤. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٢/ ٢٥٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٥٢.

وشارك المعرور بن سويد [١] مع ابن الأشعث في هذه الفتنة. [٢]

ومنهم زبيد بن الحارث اليامي، ولكنه ندم على مشاركته فيما بعد. [٣]

ومنهم عقبة بن عبدالغافر العوذي [٤] كانت له مشاركة في القتال، وكان يحث غيره على المشاركة، وممن قتل في الجماجم. [٥]

كما كان عقبة بن وساج [٦] ممن شارك مع ابن الأشعث، وقتل في وقعة الزاوية. [٧] ومنهم عمران بن عصام الضبعي [٨] شارك مع ابن الأشعث وقتل يوم الزاوية. [٩] وكذلك شارك أبو المنهال سيار بن

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٧.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٥٢.

(٤) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٦. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٣. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٢.

(٦) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٧) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٦. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٥١. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٥٢.

(٨) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٩) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨/ ١٣٥.

سلامة[١] مع من شارك.[٢] وكذلك عطاء بن السائب [٣] ومالك بن دينار [٤] وأبو شيخ الهنائي [٥] كانوا من المشاركين في تلك الحركة. [٦]

هؤلاء هم أبرز العلماء الذين ورد ذكرهم فيمن شارك في حركة ابن الأشعث، وهذا يدل على أن حركة ابن الأشعث لقيت من الدعم والمشاركة من العلماء ما لم تلقه أي حركة قامت ضد الدولة الأموية. وقد كان لمشاركة العلماء في هذه الحركة ـ بهذا الحجم ـ أثر كبير على الحركة، فقد كانت مشاركتهم وراء انضمام كثير من الناس لتلك الحركة. ولاسيما أن بعض الفقهاء والقراء كانوا يسعون لإقناع أكبر عدد للانضمام إلى القتال خاصة من فئة العلماء: فعن سليمان الربعي قال: لما كانت حركة ابن الأشعث انطلق عقبة بن عبدالغافر وأبو الجوزاء وعبدالله بن غالب في نفر من نظرائهم فدخلوا على الحسن فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم ص.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٦. المزي: تهذيب الكمال: ٢٩/ ٣٧٥.

(٣) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٤) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٥) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٦) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٦، ٢٨٧.

الطاغية الذي سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة، وفعل و فعل ؟ وذكروا من فعل الحجاج. فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، ولكنهم لم يسمعوا كلامه فخرجوا فقتلوا جميعا. [1] كما كان للعلماء المشاركين أثر كبير في ميدان القتال، فكانت لهم كتيبة خاصة بهم تسمى كتيبة القراء [2]، وكان بعض العلماء يبعثون الحماس في اتباع ابن الأشعث بما يلقونه من خطب وما يصدرونه من نداءات أثناء القتال كان لها أثر في غرس الثقة في النفوس والثبات في مواطن اللقاء. [3] وقد لقي الحجاج وجيشه عنتا ومشقة من كتيبة القراء، فقد كان أصحابها يحملون حملة صادقة على جيش الحجاج فما يصمد لها، ويضربون الكتائب حتى يفرقونها. [4] لذا عبأ الحجاج لهذه الكتيبة ثلاث كتائب لوقف زحفها والتقليل من خطرها عليه، وعن مدى

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٣، ١٦٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٥٠، ابن الأثير: الكامل: ٤/ ٨٢.

(٣) انظر إلى خطب ونداءات كل من: عبدالرحمن بن أبي ليلى، وأبي البحتري، والشعبي، وسعيد بن جبير. الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٥٧، ٣٥٨. ابن الأثير: الكامل: ٨٤، ٨٥.)

(٤) ابن الأثير: الكامل: ٤/ ٨٥.

كما أن الدكتور عبدالشافي ـ وهو من أفضل من كتب في نظري عن الدولة الأموية ـ قال [1] معلقا على مشاركة العلماء في حركة ابن الأشعث: " كان هؤلاء الفقهاء أو القراء ـ كما كانوا يسمون ـ لا يرون من الحجاج إلا الوجه المظلم، كوال قاس طاغية مستبد، ولم يقدروا الظروف التي كان يعمل فيها والتي ألجأته إلى هذه القسوة، فالعهد كان عهد فتن وثورات وقلاقل في كل مكان، ولو وجد الحجاج في عهد استقرار وأمن لربما رأى الناس منه غير ما رأوا، فالرجل رغمّ كل شيء كان رجل تعمير وإدارة، وكان ينطوي على لمحات إنسانية ظهرت في مواقف كثيرة، ولكن الفقهاء بروحهم المسالمة ينفرون من القسوة ويتصورون أن المشاكل كلها يمكن أن تحل بالوعظ والإرشاد وهذه نظرة مثالية للأمور، من قوم لم يعانوا السياسة وضروراتها.

وليس البحث هنا لتبرئة العلماء أو تخطئتهم في مشاركتهم في تلك الحركة، كما أننا لسنا بصدد تقويم الحجاج في جميع جوانب سياسته وحياته، فهذا له موضع آخر في غير هذا البحث، ولكنا بصدد بحث الأسباب والملابسات التي دفعت العلماء إلى المشاركة في حركة ابن الأشعث ضد الدولة الأموية، مع أن العهد بهم الوقوف معها ضد

(١) في كتابه العالم الإسلامي في عصر الدولة الأموية: ٥١١، حاشية (٢)

الحركات المناوئة لها، أو على الأقل تجنب المشاركة فيها، ولبيان أن الأمر ليس بتلك البساطة التي سمح بعض الكتاب لأنفسهم من خلالها اتهام العلماء بالنظرة المثالية للأمور، وعدم إدراكهم لضرورات السياسة أو أن مجرد اتبعاهم لأهوائهم هو الذي دفع بهم لاتخاذ مثل هذا القرار الخطير.

وقد احتاج الأمر وقتا وجهدا في البحث والتحري للوصول إلى نتيجة مرضية في هذا الأمر، وقد رأيت أن الأمر يحتاج إلى بيان شيء من سيرة الحجاج التي هي محل انتقاد هؤلاء العلماء، وطبيعة علاقته بهم، وشيء من نظرته وفلسفته للإدارة والحكم. عل هذا يضع الصورة واضحة أمام القارئ ليتسنى له الوقوف على حقيقة الأمر من خلالها.

ومن خلال تتبع كثير من المصادر وجدت أن ما ينقمه العلماء على الحجاج وما كان سببا في انفصام العلاقة بينه وبينهم إلى هذا الحد الذي وصلت إليه يرجع إلى أمرين، أولهما ما يراه العلماء من تعدي الحجاج لبعض حدود الإسلام وانتهاكه لبعض لحرماته، وثانيهما سوء نظرته للعلماء وسوء معاملته لكثير منهم.

فأما عن تعديه لبعض حدود الدين وانتهاكه لحرماته، فقد كان الحجاج يملك جرأة عجيبة كانت سببا لنجاحه في عدد من المجالات العسكرية والأمنية، ولكنه تعدى بهذه الجرأة إلى غير مواضعها مما أدى إلى إحداث شرخ كبير في جانب من حياته المتعددة الجوانب، فأسهم بذلك في

تشويه صورته وصورة الحكم الأموي، وقد حرص بعض المولعين بشخصية الحجاج إخفاء هذا الجانب المشوه من حياته، والدراسة الواعية المنصفة تأبى هذا المنهج.

وما من شك في أنه ورد الكثير من المبالغات عن انتهاكات الحجاج لحرمات الدين، وكثير من هذه المبالغات لا يصح، ودخل الدس من أعداء الحجاج وبني أمية في صياغة كثير من هذه المبالغات، لذا فقد استبعدت النقل والاعتماد في هذا الأمر على الكتب التي اشتهر عن أصحابها التهاون في إيراد الروايات دون تمحيص، ولاسيما كتب الأدب، كالعقد الفريد لابن عبد ربه، والأغاني للأصفهاني، أو كتب الفرق المغالية في عداوتها لبني أمية كالشيعة، أو الخوارج. وحاولت النقل والاعتماد على كتب السنة المشهورة بحفظ الأحاديث النبوية الشريفة وما يخدمها من روايات. وكذلك على الكتب المعتبرة التي اشتهر عن أصحابها التحري والدقة كابن سعد في طبقاته والذهبي في سيره وتاريخه.

ويأتي في مقدمة تجاوزات الحجاج الشرعية إسرافه في القتل، وأمره به بأدنى شبهة، حيث كان الحجاج يرى وجوب الطاعة العمياء من الرعية له، وأن مخالفة أمره ـ في أي شأن كان صغر أم كبر ـ تبرر له القتل. فقد روى أبو داود بسند صحيح [1] عن عاصم قال: سمعت الحجاج على المنبر

(١) سنن أبي داود: ٤/ ٢١٠.

يقول: اتقوا الله ما استطعتم ليس فيها مثنوية، واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنوية لأمير المؤمنين عبدالملك، والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من أبواب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لي دماؤهم وأموالهم، والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالا... [1] وقال ابن كثير [2] معلقا على بعض تجاوزات الحجاج مما يبين سبب استهانته بالقتل: "... فإن الحجاج عثمانيا أمويا، يميل إليهم ميلا عظيما، ويرى خلافهم كفر، ويستحل بذلك الدماء، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم. وقال في موضع آخر: أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل. وبسبب هذا المعتقد الذي استقر في نفس الحجاج استهان بالقتل واشتهر إسرافه فيه لمخالفي أوامره صغرت أم كبرت، ومع ما ورد من مبالغات في الإحصاءات التي ذكرت عدد قتلى الحجاج [3] فما

---

(١)وانظر هذا الخبر عند ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢١٣. و ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٢٨.

(٢) البداية والنهاية: ٩/ ١٣١، ١٣٣.

(٣) ذكر عدد من الإحصاءات لقتلى الحجاج في ولايته على العراق، فمن أكبرها عددا ما ذكره ابن العمراني في كتابه الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، ط: الثانية، دار العلوم، ١٩٨٢ م ص:٥٠، حيث ذكر أن عددهم (ألف ألف وستمائة). وأشهر الإحصاءات ما ذكرت بأن عددهم (مائة وعشرين ألف قتيل) سنن الترمذي: ٤/ ٤٩٩. تاريخ الإسلام للذهبي: ٦/ ٣٢٣. تهذيب تاريخ مدينة دمشق: ٤/ ٨٣. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، دار الرائد، لبنان،١٤٠٣ هـ: ١٩٤.

=

كما أن الدكتور عبدالشافي ـ وهو من أفضل من كتب في نظري عن الدولة الأموية ـ قال [1] معلقا على مشاركة العلماء في حركة ابن الأشعث: " كان هؤلاء الفقهاء أو القراء ـ كما كانوا يسمون ـ لا يرون من الحجاج إلا الوجه المظلم، كوال قاس طاغية مستبد، ولم يقدروا الظروف التي كان يعمل فيها والتي ألجأته إلى هذه القسوة، فالعهد كان عهد فتن وثورات وقلاقل في كل مكان، ولو وجد الحجاج في عهد استقرار وأمن لربما رأى الناس منه غير ما رأوا، فالرجل رغم كل شيء كان رجل تعمير وإدارة، وكان ينطوي على لمحات إنسانية ظهرت في مواقف كثيرة، ولكن **الفقهاء بروحهم المسالمة ينفرون من القسوة ويتصورون أن المشاكل كلها يمكن أن تحل بالوعظ والإرشاد وهذه نظرة مثالية للأمور، من قوم لم يعانوا السياسة وضروراتها.**

وليس البحث هنا لتبرئة العلماء أو تخطئتهم في مشاركتهم في تلك الحركة، كما أننا لسنا بصدد تقويم الحجاج في جميع جوانب سياسته وحياته، فهذا له موضع آخر في غير هذا البحث، ولكنا بصدد بحث الأسباب والملابسات التي دفعت العلماء إلى المشاركة في حركة ابن الأشعث ضد الدولة الأموية، مع أن العهد بهم الوقوف معها ضد

---

(١) في كتابه العالم الإسلامي في عصر الدولة الأموية: ٥١١، حاشية (٢)

الحركات المناوئة لها، أو على الأقل تجنب المشاركة فيها، ولبيان أن الأمر ليس بتلك البساطة التي سمح بعض الكتاب لأنفسهم من خلالها اتهام العلماء بالنظرة المثالية للأمور، وعدم إدراكهم لضرورات السياسة أو أن مجرد اتبعاهم لأهوائهم هو الذي دفع بهم لاتخاذ مثل هذا القرار الخطير.

وقد احتاج الأمر وقتا وجهدا في البحث والتحري للوصول إلى نتيجة مرضية في هذا الأمر، وقد رأيت أن الأمر يحتاج إلى بيان شيء من سيرة الحجاج التي هي محل انتقاد هؤلاء العلماء، وطبيعة علاقته بهم، وشيء من نظرته وفلسفته للإدارة والحكم. عل هذا يضع الصورة واضحة أمام القارئ ليتسنى له الوقوف على حقيقة الأمر من خلالها.

ومن خلال تتبع كثير من المصادر وجدت أن ما ينقمه العلماء على الحجاج وما كان سببا في انفصام العلاقة بينه وبينهم إلى هذا الحد الذي وصلت إليه يرجع إلى أمرين، أولهما ما يراه العلماء من تعدي الحجاج لبعض حدود الإسلام وانتهاكه لبعض لحرماته، وثانيهما سوء نظرته للعلماء وسوء معاملته لكثير منهم.

فأما عن تعديه لبعض حدود الدين وانتهاكه لحرماته، فقد كان الحجاج يملك جرأة عجيبة كانت سببا لنجاحه في عدد من المجالات العسكرية والأمنية، ولكنه تعدى بهذه الجرأة إلى غير مواضعها مما أدى إلى إحداث شرخ كبير في جانب من حياته المتعددة الجوانب، فأسهم بذلك في

تشويه صورته وصورة الحكم الأموي، وقد حرص بعض المولعين بشخصية الحجاج إخفاء هذا الجانب المشوه من حياته، والدراسة الواعية المنصفة تأبى هذا المنهج.

وما من شك في أنه ورد الكثير من المبالغات عن انتهاكات الحجاج لحرمات الدين، وكثير من هذه المبالغات لا يصح، ودخل الدس من أعداء الحجاج وبني أمية في صياغة كثير من هذه المبالغات، لذا فقد استبعدت النقل والاعتماد في هذا الأمر على الكتب التي اشتهر عن أصحابها التهاون في إيراد الروايات دون تمحيص، ولاسيما كتب الأدب، كالعقد الفريد لابن عبد ربه، والأغاني للأصفهاني، أو كتب الفرق المغالية في عداوتها لبني أمية كالشيعة، أو الخوارج. وحاولت النقل والاعتماد على كتب السنة المشهورة بحفظ الأحاديث النبوية الشريفة وما يخدمها من روايات. وكذلك على الكتب المعتبرة التي اشتهر عن أصحابها التحري والدقة كابن سعد في طبقاته والذهبي في سيره وتاريخه.

ويأتي في مقدمة تجاوزات الحجاج الشرعية إسرافه في القتل، وأمره به بأدنى شبهة، حيث كان الحجاج يرى وجوب الطاعة العمياء من الرعية له، وأن مخالفة أمره ـ في أي شأن كان صغر أم كبر ـ تبرر له القتل. فقد روى أبو داود بسند صحيح [1] عن عاصم قال: سمعت الحجاج على المنبر

(١) سنن أبي داود: ٤/ ٢١٠.

يقول: اتقوا الله ما استطعتم ليس فيها مثنوية، واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنوية لأمير المؤمنين عبدالملك، والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من أبواب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لي دماؤهم وأموالهم، والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالا... [1] وقال ابن كثير [2] معلقا على بعض تجاوزات الحجاج مما يبين سبب استهانته بالقتل: "... فإن الحجاج عثمانيا أمويا، يميل إليهم ميلا عظيما، ويرى خلافهم كفر، ويستحل بذلك الدماء، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم. وقال في موضع آخر: أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل. وبسبب هذا المعتقد الذي استقر في نفس الحجاج استهان بالقتل واشتهر إسرافه فيه لمخالفي أوامره صغرت أم كبرت، ومع ما ورد من مبالغات في الإحصاءات التي ذكرت عدد قتلى الحجاج [3] فما

---

(١)وانظر هذا الخبر عند ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢١٣. و ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٢٨.

(٢) البداية والنهاية: ٩/ ١٣١، ١٣٣.

(٣) ذكر عدد من الإحصاءات لقتلى الحجاج في ولايته على العراق، فمن أكبرها عددا ما ذكره ابن العمراني في كتابه الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، ط: الثانية، دار العلوم، ١٩٨٢ م ص:٥٠، حيث ذكر أن عددهم (ألف ألف وستمائة). وأشهر الإحصاءات ما ذكرت بأن عددهم (مائة وعشرين ألف قتيل) سنن الترمذي: ٤/ ٤٩٩. تاريخ الإسلام للذهبي: ٦/ ٣٢٣. تهذيب تاريخ مدينة دمشق: ٤/ ٨٣. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، دار الرائد، لبنان،١٤٠٣ هـ: ١٩٤.

=

من شك في تعديه الحدود المشروعة في القتل، ويؤيد ذلك ما صح عن المصطفى ﷺ بروايات متعددة تصف الحجاج بأنه مبير، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت للحجاج بعد قتله لابنها عبدالله بن الزبير رضي الله عنه: أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا أخا لك إلا إياه. [(1)] وروي ذلك عن ابن عمر أيضا. [(2)] وقد أنكر العلماء على الحجاج هذا الإسراف في القتل، فروي عن الإمام عبدالرحمن بن أبي نعم أنه قال للحجاج: لا تسرف في القتل إنه كان منصورا، فقال الحجاج: أمكنني الله من دمك، وفي رواية قال: والله لقد هممت أن أروي الأرض من دمك. فقال: إن من في بطنها أكثر ممن في ظهرها. [(3)] وكان من جواب سعيد بن جبير للحجاج عندما سأله عن رأيه فيه، فقال: نعم ظهر منك جور في حد الله وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله [(4)]

ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩ هـ: ١/ ١٠٨. ولكني أرى أنه من الصعب حصر عدد معين في ذلك الوقت على مدى سنوات ولاية الحجاج.

(١) صحيح مسلم: فضائل الصحابة، ٥٨: ٤/ ١٩٧١. مستدرك الحاكم على الصحيحين: المعجم الكبير: ٢٤/ ٩٧. مسند أبي داود: ٢٢٨.

(٢) سنن الترمذي: ٤/ ٤٩٩. مسند أحمد: ٢/ ٢٦. مسند أبي يعلى: ١٠/ ١٢٥.

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٥٧٤. الأصفهاني: حلية الأولياء: ٥/ ٧٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٣.

(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٣/ ٤٥.

ومـن الـتجاوزات الـتي كـان العـلماء يـنكرونها على الحجاج تأخيره للصـلاة عن وقتها، فعن محمد بن عمرو بن الحسن قال: كان الحجاج يؤخر الصلاة.[1]

وعـن ثابـت البـناني قـال: كـنا مـع أنـس بـن مـالك، فأخر الحجاج الصـلاة، فقـام أنـس يـريد أن يكـلمه، فنهاه إخوانه شفقة عليه منه، فخرج راكـبا دابته فقال في مسيره ذلك، والله ما أعرف شيئا مما كنا عليه على عهد الـنبي ﷺ إلا شـهادة أن لا إله إلا الله[2] فقال رجل: فالصلاة يا أبا حمزة ؟ قـال: " قد جعلتم الظهر عند المغرب، أفتلك كانت صلاة رسول الله ﷺ ؟ ".[3] ومن ذلك ما رواه أبو نعيم شيخ البخاري في الصلاة من طريق أبي بكر بـن عتبة قـال: صليت إلى جنب أبي جحيفة فمسى الحجاج بالصلاة، فقام أبـو جحـيفة فصـلى. ومن طريق ابن عمر أنه كان يصلي مع الحجاج، فلما أخر الصلاة ترك أن يشهدها معه.[4]

---

(١) صحيح مسلم:: ١/ ٤٤٧، المساجد/ ٢٣٣

(٢) قال ابن حجر: والمراد أنه لا يعرف شيئا من الطاعات معمولا به على وجهه. (فتح الباري: ٢/ ١٣، ١٤)

(٣) ابن حجر: فتح الباري: ٢/ ١٣.

(٤) ابن حجر: فتح الباري: ٢/ ١٤.

والذي يظهر أن تأخير الصلاة ليس خاصا بالحجاج بل كانت عادة عند بعض خلفاء بني أمية، وسار ولاتهم على نهجهم. ولكن الذي يؤخذ على الحجاج مع تأخيره الصلاة عدم قبوله تنبيه أحد من العلماء أو إبداء النصح منهم له في ذلك. وهذا مأخذ آخر أخذه العلماء على الحجاج وهو عدم قبوله لقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه تنبيههم له على ما يصدر منه من أخطاء أو أغلاط، فمر آنفا أن إخوان أنس بن مالك ﷺ نهوه عن تكليم الحجاج لما أخر الصلاة، لما عهدوه من عدم رضا الحجاج عن ذلك، وخوفا من إيقاعه الضرر على أنس. وذلك كما حدث مع بعض العلماء الذين أنكروا ذلك على الحجاج أو بعض ولاته، ومنهم يزيد الضبي حيث أنكر على الحكم بن أيوب الثقفي ـ نائب الحجاج على البصرة ـ تأخيره للصلاة فسجنه الحكم ثم خلى سبيله، ثم عاد للإنكار مرة أخرى فأمر بالقبض عليه وكتب للحجاج في أمره، "أن رجلا من بني ضبة قام يوم الجمعة قال الصلاة وأنا أخطب، وقد شهد الشهود العدول عندي أنه مجنون." وكان بعض الناس قد اتهمه بالجنون إما لمجازفته بنفسه بالإنكار وهو يعلم ما سيلاقيه من عقوبة من الحكم أو الحجاج، أو لعل بعضهم اتهمه بذلك عند الحكم ليجنبه العقوبة ويعفى عنه. فكتب الحجاج للحكم: "إن كانت قامت الشهود العدول أنه مجنون فخل سبيله وإلا فاقطع يديه ورجليه،واسمر عينيه، واصلبه." فهذا نوع من أنواع عقاب

من أنكر على الحجاج أو أحد عماله، وخلى الحكم سبيل يزيد بناء على شهادة الشهود، ولكن حدث له معه لقاء آخر علم منه عدم جنونه فأمر بضربه، فضرب أربعمائة سوط، ثم بعث به إلى الحجاج، فسجن في "ديماس"[1] الحجاج بواسط ومكث به سجينا حتى مات الحجاج.[2]

و تبرم الحجاج ممن ينكر عليه، أو يبين له خطأ من أخطائه، أو يصلح له غلطا من أغلاطه قد تكرر كثيرا، فبعد مقتل ابن الزبير خطب الناس وكان مما قال: إن ابن الزبير حرف وغير كتاب الله، فرد عليه ابن عمر قائلا: ما يستطيع ذلك ولا أنت معه. فقال له الحجاج: اسكت فإنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، يوشك شيخ أن يؤخذ فتضرب عنقه فيجر قد انتفخت خصيتاه يطوف به صبيان أهل البقيع.[3] وأنكر الحجاج يوما ا أن يكون الحسين بن علي رضي الله عنه من ذرية رسول الله ﷺ لأنه ابن ابنته، فقال له

(١) وهو سجن بناه الحجاج بواسط، وقال جحدر اللص وقد حبس فيه مع الأسد: (ياقوت: معجم البلدان: ٢/ ٥٤٤.)

(٢) ورد هذا الخبر في مسند أبي يعلى: ٢/ ٥٣٦.وقال مراجعه الشيخ حسين أسد رجاله رجال الصيح. و ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ٢١٦، ٢١٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٨٤، ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢٠٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٣٠، وقال المحقق: إسناده صحيح. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٢١.

العالم الجليل يحيى بن يعمر [(١)]: كذبت ! فقال الحجاج: لتأتيني على ما قلت ببينة من كتاب الله أو لأضربن عنقك، فقال: قال الله ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ [(٢)] فعيسى من ذرية إبراهيم، وهو إنما ينسب إلى أمه مريم، والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ فقال الحجاج صدقت، فما حملك على تكذيبي في مجلسي، قال: ما أخذ الله على الأنبياء ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ﴾ [(٣)] فنفاه إلى خراسان. [(٤)] وكذلك كان موقف الحجاج من صراحة معاوية بن قرة حين سأله عبدالملك عن الحجاج وبحضوره فقال معاوية: إن صدقناكم قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله. [(٥)] ومع أن معاوية لم يصرح بذكر الجواب إلا أن

---

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) سورة: الأنعام. آيتا: ٨٤، ٨٥. والآيتان بتمامهما: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(٣) آل عمران: آية ١٨٧. والآية بتمامها: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢١٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٢٦. وأشار الذهبي إلى نفي يحيى: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٤٢.

(٥) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ١٠٣.

إشارته صريحة في عدم رضاه عن سياسة الحجاج وتولية عبدالملك له، وقد فهم ذلك كل من عبدالملك والحجاج، لذا قال عبدالملك للحجاج: لا تعرض له. لكن الحجاج مع ذلك نفاه إلى السند لصراحته تلك.

وكان من حول الحجاج يدركون مدى تبرم الحجاج ممن ينكر عليه أو ينصحه بما يكره. فحين قدم الإمام الفقيه نافع بن جبير [١] العراق للغزو وحضر مجلسا للحجاج ونصحه ببعض الكلام، فلما خرج من عنده قال له عنبسة بن سعيد [٢]: لا خير لك في المقام وقد كلمته بما كلمته. [٣]

ومن تجاوزات الحجاج الشرعية تطاوله على أصحاب رسول الله ﷺ وسوء تعامله مع العلماء، فلقد كان له أكثر من موقف أساء فيه الأدب مع صحابة رسول الله ﷺ، ومر آنفا قوله لابن عمر: إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، عندما اعترض على قوله بأن ابن الزبير حرف القرآن، وكذلك ما ورد أنه كتب لابن عمر بقوله: بلغني أنك طلبت الخلافة، وإن

---

(١) وانظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) هو عنبسة بن سعيد بن العاصي الأموي، وكان منقطعا إلى الحجاج. (الزبيري:نسب قريش: ١٨٠، ١٨٢)

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦/ ١٠٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٤٢.

الخلافة لا تصلح لعيي ولا بخيل ولا غيور. [(١)] ومن إساءته الأدب مع ابن عمر أنه حال دون تنفيذ وصيته، فقد كان ابن عمر أوصى ابنه سالما ـ عندما مرض بمكة ـ أن يدفنه خارج الحرم، حيث قال: فإني أكره أن أدفن فيه بعد أن خرجت منه مهاجرا، فقال له ابنه: إن قدرنا على ذلك، فقال ابن عمر: تسمعني أقول لك وتقول إن قدرنا على ذلك ؟ قال: أقول الحجاج يغلبنا فيصلي عليك، فسكت عبدالله، وحدث ما توقعه سالم فلم يقدروا على دفنه خارج الحرم حيث منعهم الحجاج، فدفن في مقبرة المهاجرين. [(٢)] وقد ورد في بعض المصادر ما يشير إلى اتهام الحجاج بتدبير مقتل ابن عمر، فهناك شبه إجماع على أن موته كان بسبب إصابته بجرح في رجله في الحج، والذي قام بجرحه أحد أفراد جيش الحجاج من أهل الشام، وقد ذكر أن حربته كانت مسمومة. وفي بعض المصادر تفردت أن ذلك كان بأمر الحجاج وتدبيره [(٣)].

---

(١) الأصفهاني: حلية الأولياء: ١/ ٢٩٣، ابن الجوزي: صفة الصفوة: ١/ ٢٣٠. الطبراني: المعجم الكبير: ١٢/ ٢٦١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢١٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٨٨.

(٣) الحاكم: المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٦٤٠، ٦٤٢. الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١/ ٣٧. وفي سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٣٠، وقال المحقق رجاله ثقات.

ومن استهانة الحجاج بحرمة الصحابة وسوء أدبه معهم ما حدث منه لعبدالله بن الزبير بعد وفاته ومع أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ فورد أنه لما رأى الناس يمرون على ابن الزبير وهو مصلوب ويثنون عليه خيرا، أمر بإنزاله من جذعه المصلوب عليه ثم ألقي في مقابر اليهود، [١] وورد في رواية أن أسماء كلمته في أمر ابنها بعد صلبه فقالت له: أما آن لهذا الراكب أن ينزل، قال: المنافق. قالت لا والله ما كان منافقا، ولقد كان صواما قواما، قال اسكتي فإنك عجوز قد خرفت. [٢] وورد أنه أرسل لها لما أنزل ابنها لتأتيه فأبت أن تأتيه فأعاد إليها الرسول ليقول لها لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك. [٣] ولا شك أن في هذا التعامل من الحجاج إساءة أدب مع ابن حواري رسول الله ﷺ وابنة الصديق رضي الله عنهم.ومن إساءته لأصحاب رسول الله ﷺ ما اشتهر عنه من تطاوله في عرض عبدالله بن مسعود وهو متوفى ﷺ، فروى أبوداود [٤] أن الحجاج قال في خطبة له على ملأ من الناس:... ويا عذيري من عبد هذيل

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٩٧١، فضائل الصحابة/ ٥٨.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير: ٢٤/ ١٠١.

(٣)صحيح مسلم: ٤/ ١٩٧١، فضائل الصحابة/ ٥٨.

(٤) سنن أبي داود: ٤/ ٢١٠. وقال الألباني: صحيح الإسناد.

يـزعم أن قـراءته مـن عـند الله، والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب ما أنـزلها الله على نبيه عليه السلام. وفي روايات أخر أنه قال: والله لو أدركت عـبد هذيـل لضـربت عـنقه،[1] وفي أخـرى أنـه قـال: ابـن مسـعود رأس المـنافقين، لـو أدركـته لأسـقيت الأرض من دمه.[2] وقد علق الذهبي على أقوال الحجاج في عبدالله بن مسعود ﷺ بقوله: "قاتل الله الحجاج ما أجرأه على الله، كيف يقول هذا في العبد الصالح عبدالله بن مسعود."[3]

ومن تطاوله على أصحاب رسول الله وسوء أدبه معهم ما حدث منه لكل من أنس بن مالك ـ خادم رسول الله ﷺ وجابر بن عبدالله وسهل بن سـعد السـاعدي ﷺ فقـد ورد أنه ختم على كل واحد منهم بختمه المشهور (عتـيق الحجـاج) أنـس وسهل في عنقيهما وجابر في يده[4]. أما فعله ذلك بـأنس فلأنـه بـايع ابـن الـزبير وتـولى له البصـرة، ولأنـه كـان يحرض على المشـاركة مـع ابـن الأشعث، لذا ناله ما ناله من أذى الحجاج، ولم ينقذه من

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٦٤١. بدران: تهذيب تاريخ دمشق: ٤/ ٧٢. الذهبي: تاريخ الإسلام: ٦/ ٣٢٠.

(٢) بدران: تهذيب تاريخ دمشق: ٤/ ٧٢. الذهبي: تاريخ الإسلام: ٦/ ٣٢٠.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام: ٦/ ٣٢٠.

(٤) المزي: تهذيب الكمال: ١٢/ ١٨٨. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٨٣.

إهانة الحجاج إلا تدخل الخليفة عبدالملك حيث كتب كتابا وبخ فيه الحجاج على فعله بأنس، وأمره بعدم التعرض له. [١] ولعل سبب ختمه على جابر أن الناس كانوا يستفتونه في بعض أفعال الحجاج فيفتيهم، فسئل كيف نصلي مع الحجاج وهو يؤخر الصلاة ؟ فقال: ما صلاها للوقت فصلوا معه، فإذا أخر فصلوها لوقتها واجعلوها معه نافلة [٢] كما ورد ما يوضح موقف جابر من الحجاج، فعن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: دخلت على الحجاج فلم أسلم عليه [٣] وهذا يدل على عدم رضاه عن الحجاج و أفعاله. وأما سهل فقد ورد أن الحجاج أرسل إليه يقول: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان ؟ قال: قد فعلت. قال كذبت ثم أمر به فختم في عنقه [٤]. وهذه عقدة عند الحجاج، حيث كان متعصبا للأمويين أكثر من تعصبهم لأنفسهم، ففي الحين الذي نجد معاوية

---

(١) عن نص كتاب شكوى أنس لعبدالملك ورد عبدالملك على ذلك انظر: الحاكم: المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٦٦٤. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢١٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣/ ٤٠٢. حمادة: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي: ٣٥٠، ٣٥.

(٢) بدران: تهذيب تاريخ دمشق: ٣/ ٣٩٤.

(٣) ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف: ١١/ ١٠٠. البخاري: الأدب المفرد: ٣٥٤. الحاكم: المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٦٥٣. بدران: تهذيب تاريخ دمشق: ٣/ ٣٩٣.

(٤) المزي: تهذيب الكمال: ١٢/ ١٨٨.

وعبدالملك توددوا لكثير من الرجال الذين وقفوا ضدهم مع علي أو مع ابن الزبير وعفوا عما سلف منهم واستلوا بذلك ضغائن نفوسهم نجد الحجاج يخالف هذا المنهج السديد فيصر على محاسبة الرجال على ما سلف منهم أيام الفتن، فأوغر صدور الكثير عليه وعلى بني أمية بهذا المسلك. وأذكر مثالين توضح فرق ما بين نظرة عبدالملك ونظرة الحجاج للرجال وطريقة التعامل معهم، فحين تم قتل عبدالله بن الزبير ﷺ على يد الحجاج خرج أخوه عروة فارا من الحجاج إلى عبدالملك ليستأمن على نفسه وماله، فلما قدم على عبدالملك أذن له بالدخول وأجلسه في مجلسه، ولم ينته مجلسهم حتى جاء كتاب الحجاج لعبد الملك: "إن عروة قد خرج والأموال عنده (. فذكر ذلك عبدالملك لعروة فقال:) ما تدعون الرجل حتى يأخذ سيفه فيموت كريما ! فلما رأى ذلك عبدالملك كتب للحجاج: أن أعرض عن ذلك. [1] ويظهر المثال الآخر فيما حدث لمحمد بن الحنفية، فقد كان محمد بن الحنفية ممن امتنع عن مبايعة عبدالملك أو ابن الزبير حتى يجتمع المسلمين على واحد منهما، فلما تم مقتل عبدالله ابن الزبير بعث الحجاج

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٥٤. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١/ ١٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٣٢، ٤٣٣.

على الفور لابن الحنفية يسأله البيعة ويقول: قد قتل عدو الله، فقال ابن الحنفية: إذا بايع الناس بايعت. قال والله لأقتلنك. ومع أن ابن الحنفية بايع لعبدالملك لما رأى اجتماع كلمة المسلمين عليه، إلا أن الحجاج استمر في مضايقة ابن الحنفية، فلما قدم على عبدالملك أكرمه عبدالملك وقضى كل حوائجه، ثم اشتكى إليه سوء معاملة الحجاج له وكان حاضرا عند عبدالملك فقال: إن هذا ـ يعني الحجاج ـ قد آذاني واستخف بحقي، ولو كانت خمسة دراهم أرسل إلي فيها. فقال عبدالملك: لا إمرة لك عليه، وطلب منه أن يستل سخيمة ابن الحنفية ويترضاه. [1]

وقد كان لتجاوزات الحجاج وسوء تعامله مع أهل العلم والفضل في مكة والمدينة أثر في عزله عن الحجاز بعدما كثرت الشكوى منه عند عبدالملك [2].

فلما تولى العراق استمر في سوء تعامله فوجد كثير من العلماء المضايقة والشدة منه، فضرب بعض العلماء في ولايته، وسجن بعضهم، ونفي بعض آخر، وقد ورد آنفا بعض الأمثلة على ذلك.

---

(١) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١١٢، ١١٣. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر:٩/ ١٤٨.

(٢) انظر ص: ٢٧٠وما بعدها ، ٢٧٤.

وقد يظن بعض الكتاب أن هذا الضرب والسجن بل والقتل للعلماء إنما حدث بعد فتنة ابن الأشعث فحسب، فيكون تعامل الحجاج هذا جاء ردة فعل على مشاركة العلماء في هذه الحركة. ولكن الأمر على غير هذا الظن، فقد حدثت بعض تلك المضايقات والمعاملة السيئة قبل حركة ابن الأشعث، فمعاملته لابن عمر وجابر ﵄ كانت قبل ذلك حيث توفيا قبل حركة ابن الأشعث. بل جاءت مشاركة بعض العلماء في تلك الحركة نتيجة لسوء معاملته لهم، فقد ورد أنه ضرب العالم الجليل عبدالرحمن بن أبي ليلى بسبب أنه كان ينافح عن علي بن أبي طالب ﵁ ويفند التهم التي يشيعها ربما الحجاج ورجاله عن علي، فكان إذا سمعهم يذكرون عليا وما يحدثون عنه قال: جالسنا عليا وصحبناه فلم نر شيئا مما يقول هؤلاء، ثم يعدد فضائله. [1] ولأن عمل ابن أبي ليلى هذا مخالف لاتجاه الحجاج كان جزاؤه أن يضرب علانية أمام الناس. بل قيل أنه أمر بلعن الكذابين فأبى، فضرب حتى اضطر إلى التحايل: حيث يقول لعن الله الكذابين، ثم يسكت ويبدأ مستأنفا علي بن أبي طالب وعبدالله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد بالرفع. قال الأعمش ـ أحد رواة هذا الخبر ـ فعلمت أنه حين ابتدأ فرفعهم لم يعنهم. [2] ومن المجمع عليه أن ابن أبي ليلى خرج مع ابن الأشعث وقتل

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١١٣.

(٢) أورد قصة ضرب الحجاج لعبدالرحمن بن أبي ليلى، ابن أبي شيبة: الكتاب المصنف: ١١/ ١١. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٦١٧، ٦١٨. من طريقين: حدثنا أبو سعيد الأشج قال حدثنا

=

معه في وقعت الجماجم بدجيل [1]. فيكون ضربه قبل مشاركته في حركة ابن الأشعث، بل إن مشاركته كانت نتيجة من نتائج سوء معاملة الحجاج له ولغيره.

ومما يؤيد أن سوء تعامل الحجاج مع العلماء لم يكن نتيجة من نتائج خروجهم مع ابن الأشعث فحسب، أن مضايقته للعلماء تعدت الذين لم يشاركوا في هذه الحركة، ومن عهد عنهم النهي عن الخروج على الولاة، ولا يرون استخدام السيف لتغيير المنكر، ومن هؤلاء الحسن البصري فقد اشتهر عنه النهي عن حمل السيف ومقاومة ظلم الولاة به. وعندما أكره على المشاركة في القتال تخلص وهرب من الصف. ومع ذلك فقد كان الحجاج يطلبه وحاول قتله مرارا ولكن الله يعصمه منه. [2] حتى اضطر

حفص وأبو بكر بن عياش عن الأعمش. والآخر عن ابن نمير حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش. (وأبو سعيد الأشج هو عبدالله بن سعيد ثقة من صغار العاشرة (تقريب التهذيب ١/ ٤١٩.) وحفص هو حفص بن غياث ثقة فقيه من الثامنة (تقريب التهذيب: ١/ ١٨٩) وأبو بكر بن عياش الأسدي ثقة عابد من السابعة (تقريب التهذيب: ٢/ ٣٩٩) والأعمش هو سليمان بن مهران ثقة حافظ من الخامسة. (تقريب التهذيب: ١/ ٣٣١) وابن نمير هو عبدالله بن نمير الهمداني ثقة صاحب سنة من كبار التاسعة. (تقريب التهذيب: ١/ ٤٥٧).

كما أوردها ابن سعد في الطبقات عن الأعمش بطرق أخرى: ٦/ ١١٢، ١١٣. و الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٦٤، ٢٦٧.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١١٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٦٧.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام: ٦/ ٣٢٢.

الحسن أن يختفي عن الحجاج في منزل بعض أصحابه وهو أبو خليفة الحجاج بن عتاب، [(١)] فكان أصحابه وطلابه يغشونه لمدارسته العلم والتلقي عنه في مكان تواريه، فعن حميد قال: قرأت القرآن كله على الحسن، وهو متوار في بيت أبي خليفة، ففسره لي على الأثبات. [(٢)] ومن الذين لم يشاركوا في فتنة ابن الأشعث كما سبق إبراهيم النخعي، ومع ذلك لم يكن تعامل الحجاج معه حسنا، فقد عاش مدة مختف عن الحجاج والحجاج يطلبه، حتى كان لا يصلي جماعة مدة اختفائه مخافة من الحجاج. [(٣)] وكذلك شأن الإمام الجليل مجاهد بن جبر فإنه كان ممن رفض المشاركة في حركة ابن الأشعث كما سبق، ومع ذلك كان ممن يطارده ا لخوف من ظلم الحجاج حتى اضطر إلى التواري عنه،كما ذكر ذلك الأزدي [(٤)] حين قال: كان مجاهد بن جبر وأبو عياض متواريين من الحجاج.

وهناك تجاوزت شرعية للحجاج تتمثل في جرأته على الله وكتابه ورسوله ﷺ ولكني آثرت عدم ذكرها لأنها وإن وردت في بعض كتب السنن والمسانيد إلا أن أسانيدها لا تخلو من ضعف. ومن ذلك ما رواه أبو

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٢٠١، التوحيد، ٣٦. الرازي: الجرح والتعديل: ٣/ ١٥٩. الأزدي: كتاب المتوارين: ضبط وتعليق، مشهور حسن سلمان، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق،١٤١٠ هـ ص:٤٥.

(٢) الأزدي: كتاب المتوارين: ٤٦.

(٣) الأزدي: كتاب المتوارين: ٥٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٢١.

(٤) كتاب المتوارين: ٥٣.

داود عن بزيع بن خالد الضبي قال: سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله ؟ فقلت في نفسي: لله علي أن لا أصلي خلفك صلاة أبدا، وإن وجدت قوما يجاهدونك لأجاهدنك معهم. فخرج بزيع مع ابن الأشعث وقتل في الجماجم. [1] وقال ابن كثير معلقا على هذه الرواية: "فإن صح هذا فظاهره كفر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول.

وبسبب تجاوزات الحجاج تلك وسوء تعامله مع العلماء أصبح محل انتقاد العلماء، ومجالا للنقاش في بعض مجالسهم، ومثارا لأسئلة الناس عنه لدى العلماء. فكان إبراهيم النخعي يسب الحجاج إذا ورد ذكر بعض تجاوزاته [2] وكان يقول: كفى به عمى أن يعمى الرجل عن أمر الحجاج، [3] ولما جاءه خبر موت الحجاج بكى من الفرح. [4] وكذلك لما بلغ الحسن

(١) سنن أبي داود: ٤/ ٢٠٩. وقال الألباني ضعيف الإسناد مقطوع. ابن كثير: البداية والنهاية: / ١٣١.

(٢) صحيح مسلم: ٢/ ٩٤٢، الحج، ٣٠٦. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٧٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٧٩.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٨٠. الأزدي: كتاب المتوارين: ٥١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٢٤.

البصري موت الحجاج سجد، وقال اللهم أنت قتلته فاقطع سنته.[1] وسبقت الإشارة إلى موقف عمر بن عبدالعزيز من شدة الحجاج وإسرافه في القتل، ورأيه في سياسة الحجاج[2] وقد وردت روايات عدة في كثير من المصادر تبين أقوال العلماء في الحجاج، وآثرت عدم ذكرها لأن المقام سيطول، كما أن كثيرا منها بحاجة إلى مزيد من التحقق في صحة ثبوتها.

ومن هذا العرض السابق يتضح مدى ما وصلت إليه تجاوزات الحجاج الشرعية، وطبيعة علاقته مع العلماء وعلاقة العلماء به، والجدير ذكره أنه لم تصل علاقة العلماء بأي وال من ولاة الدولة الأموية في سوئها كما وصلت إليه علاقتهم مع الحجاج، بل كانت علاقتهم مع ولاة الدولة حسنة في عمومها يعينونهم على الحق، ويجاهدون معهم، ويأمرونهم بالمعروف ويبدون لهم النصح فيسمع منهم في كثير من الأحيان. والذي يظهر لي في سبب دوام توتر علاقة الحجاج مع العلماء، أن الحجاج كان يؤمن ـ كما توحي تصرفاته ـ بما يسمى (حق السلطان المطلق) والذي بموجبه على كل أحد من الرعية أن يخضع للسلطان خضوعا غير مشروط بطاعة أو معصية، وعلى هذا المفهوم جميع أوامر السلطان يجب أن تنفذ دون أن يعترض عليها معترض ولو كان اعتراضه بحق، يفسر ذلك تصميم

(١) الأزدي: كتاب المتوارين:٤٦.ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٢٣١، ٢٣٢.
(٢) انظر ص: ١٦٣-١٦٣.

الحجاج وإكراهه لابن الأشعث وجيشه على تنفيذ أوامره ولو أدى ذلك لموت الجيش كله، وبهذا المفهوم فالرعية ملك للسلطان وعصيانهم لأمره مهما كان تافها يحل له القضاء على حياتهم مهما كثروا ومصادرة أملاكهم، كما يوضحه قول الحجاج السابق ذكره: (لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لي دماؤهم وأموالهم "ومع هذا المفهوم أيضا ليس لأحد أن ينتقد تصرفات الوالي أو يمحص أقواله، لأنه أكبر من أن ينتقده أحد، أو يصحح له غلطه، ففي ذلك كما يرى تنقيص من مكانته عند الناس. وكان الحجاج يرى أن أكبر عائق لتحقيقه هذا المفهوم في واقع الناس هم العلماء، وذلك لأنهم بما لهم من مكانة بين الناس سيزاحمونه قلوب الناس التي يريد أن يجبرها على أن لاتجعل لغيره مكانة فيها، كما أن العلماء وما يقومون به ـ من منطلق المسؤلية الشرعية ـ من حفظ لتعاليم الدين، ومناصحة للخاصة والعامة، سيفسدون عليه كما يظن نظرته تلك. لذا لا غرابة أن يكن الحجاج البغض للعلماء ويناصبهم العداوة، والجدير ذكره أن هذه النظرة البغيضة منه للعلماء كانت كامنة لديه منذ الصغر، فورد أن الحجاج كان مع أبيه بمصر في جامعها، فاجتاز بهما سليم بن عتر [1] فنهض إليه أبو الحجاج فسلم

(١) هو الإمام الفقيه قاضي مصر وواعظها وقاصها وعابدها، أبو سلمة التجيبي المصري وكان يدعى الناسك لشدة تألهه، توفي سنة خمس وسبعين للهجرة، وقال عنه العجلي ثقة. (الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٣١ـ ١٣٣)

عليه وقال له: إني ذاهب إلى أمير المؤمنين، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال: نعم ! تسأله أن يعزلني عن القضاء. فقال: سبحان الله !! والله لا أعلم اليوم قاضيا اليوم خير منك، فكيف أسأله عزلك ؟ ثم رجع إلى ابنه الحجاج، فقال له ابنه: يا أبة، أتقوم إلى رجل من تجيب وأنت ثقفي ؟ فقال له: يا بني والله إني لأحسب الناس يرحمون بهذا وأمثاله، فقال: والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله، فقال: ولم يا بني ؟ قال: لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثون بسيرة أبي بكر وعمر، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئا عند سيرتهما فيخلعونه ويخرجون عليه ويبغضونه ولا يرون طاعته [1] والله لو خلص لي من الأمر شيء لأضربن عنق هذا وأمثاله، فقال أبوه: يا بني والله إني لأظن أن الله عز وجل خلقك شقيا. [2] فلما كان للحجاج من الأمر شيء أراد أن ينفذ ما كان يتمناه.

ومن كل ما سبق يتضح أنه كان للحجاج الأثر الكبير في مشاركة العلماء في حركة ابن الأشعث، بل وفي قيام تلك الحركة من وجهين. الأول: أنه بأسلوب الشدة والقسوة أضرم نيران الحقد والكراهية في قلوب مختلف الفئات من الناس في العراق ـ بما فيهم العلماء ـ عليه وعلى بني

---

(١) وهذه النظرة ولا شك خاطئة

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٠/ ٢٠١، ٢٠٢.ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١١٩.

أمية، والوجه الآخر: أنه كان سببا مباشرا لإعطاء ابن الأشعث الفرصة في القيام بتلك الثورة،حيث جنده بكل ما يملك من جنود وسلاح ومال وهو يعلم ما بينهما من كره متبادل، وقد حذر من ذلك، ثم بأسلوبه المتعنت في التعامل مع ابن الأشعث وجنوده في رسائله التي تفوح بالحمق، حيث ملأها بالشتائم لابن الأشعث، ولم يراع مصلحة الجنود، كما لم يشعرهم بأهميتهم لديه، بل العكس من ذلك كأنما أراد بتصرفه معهم التخلص من حياتهم. وهذا يمثل ما وصل إليه غرور الحجاج بنفسه.

وبقي قبل نهاية الحديث عن فتنة ابن الأشعث أن نعرف هل تحقق للعلماء المشاركين في تلك الحركة ما كانوا يهدفون إليه من المشاركة، وما الآثار والنتائج التي ترتبت على فشل تلك الحركة. فمن خلاصة ما سبق ذكره عن سبب مشاركة العلماء في تلك الحركة عرفنا أن مشاركة العلماء في تلك الحركة جاءت من منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك من خلال السعي لإزالة الحجاج عن الولاية والتخلص من تجاوزاته، ولرفع الظلم الواقع بهم وبغيرهم من قبله.

وحين نتتبع نتائج تلك الحركة وآثارها نجد أنّه لم يتحقق للعلماء ما كانوا يصبون إليه من أهداف، بل حدثت نتائج عكسية لفشل تلك الحركة. وكان من أول مظاهر إخفاق العلماء في تحقيق ما يهدفون إليه يكمن في عدم تمكن العلماء من السيطرة على مسار تلك الحركة، وذلك حين تطور

الأمـر وخلـع الثائرون الخليفة عبدالملك بن مروان، فلم يتمكن العلماء من إقـناع الـناس بالحفـاظ عـلى الهـدف الـذي قامـت الثورة لأجله وهو خلع الحجـاج، بـل ربمـا جر بعض العلماء إلى القناعة بهذا المسار الجديد. وتأكد فشـل العـلماء في عـدم محافظتهم على الهدف الرئيس للحركة وذلك حينما عـرض عـبدالملك عـلى الـثائرين عزل الحجاج، ولكن الزهو والعجب بما تحقـق مـن انتصـارات أدى إلى رفـض ذلـك العرض من الخليفة ولم يتمكن العـلماء مـن إقناع الثائرين بقبوله، وبهذا الرفض يمكن القول بأن أصحاب الدوافـع الأخـرى، كالإقليميين الذين أرادوا تخليص العراق من قبضة أهل الشـام وحكمهـم، أومن لديهم ميول مذهبية شيعية تهدف إلى التخلص من بـني أمـية خصـوم الشـيعة، أو غيرهـم اسـتطاعوا أن يفسـدوا على العلماء هدفهـم وأن يسـيروا بالحـركة كمـا يـريدون هم لاكما يريده العلماء. ومن ذلـك الموقـف أصـبح العـلماء يسـيرون في طـريق غير واضح المعالم، سوى تحقـيق الانتصـار على جيوش الأمويين، ولكن ثم ماذا بعد ؟ هل بالإمكان تغـيير الخلـيفة بالانتصـار عـلى جـيوش الأمويـين في العراق، وهل ستسلم الشـام بهـذه السـهولة، أو تقر الأقطار الإسلامية ذلك ؟ إذا فرفض عرض الخلـيفة بعـزل الحجاج فوت الهدف الذي ينشده العلماء، وأدخل الثورة في طـريق شـائك معقـد أدى إلى وأدها وفشلها وانتصار جيوش الخليفة عليها.

وترتب على هذا الفشل نتائج خطيرة وسيئة، فقد زاد انتصار الحجاج في النهاية على الثوار من تسلطه وتجبره، واشتد أكثر في تضييقه على العلماء، فقتل من قتل منهم وسجن من سجن وهرب من وجهه من استطاع [(١)] وهذه النتائج المؤسفة جعلت العديد من العلماء المشاركين يندمون على مشاركتهم تلك. فهذا طلحة بن مصرف يقول: شهدت الجماجم، فما رميت، ولا طعنت، ولا ضربت، ولوددت أن هذه سقطت هنا ولم أكن شهدتها. [(٢)] وروي عن الشعبي أنه قال: أصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أشقياء. [(٣)] وعن محمد بن طلحة قال: رآني زبيد اليامي مع العلاء بن عبدالكريم ونحن نضحك فقال: "لو شهدت الجماجم ما ضحكت ولوددت أن يدي ـ أو قال يميني ـ قطعت من العضد وأني لم أكن شهدت" [(٤)]كما ندم عقبة بن عبدالغافر على مشاركته في القتال كذلك، وقد مر قول أيوب السختياني في العلماء الذين خرجوا مع ابن الأشعث

---

(١) قد ألف الحافظ عبدالغني الأزدي كتابا ضمنه أسماء العلماء الذين اختفوا من وجه الحجاج سماه: كتاب المتوارين الذين اختفوا من وجه الحجاج بن يوسف، وسبقت الإشارة إليه في بعض الحواشي.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٩٢.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة: ٤/ ٥٢٩.

(٤) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٧.

حين قال: لا أعلم أحدا منهم قتل إلا رغب له عن مصرعه، أو نجا إلا ندم على ما كان منه. وهذا الندم منهم لأنهم اجتهدوا في إنكار المنكر وإزالته بالسيف فترتب عليه فساد أعظم منه.

وأدرك الناس سلامة رأي من اعتزل تلك الفتنة ولم يشارك فيها من العلماء فعلت منزلتهم فعن ابن عون قال: كان مسلم بن يسار أرفع عند أهل البصرة من الحسن حتى خف مع ابن الأشعث وكف الحسن، فلم يزل أبو سعيد - يعني الحسن - في علو منها. (1) وقد أسهمت حركة ابن الأشعث - بنهايتها بتلك الصورة - في إقناع كثير ممن كان يرى استخدام القوة وحمل السيف لتغيير الجور والظلم الواقع من الولاة بعدم جدواها. ولذا قال ابن تيمية عقب الحديث عن ما حدث من فتن وقعت باجتهاد من بعض أهل العلم والصلاح كفتنة خروج الحسين بن علي رضي الله عنه وفتنة خروج أهل المدينة ووقعة الحرة وفتنة ابن الأشعث قال: ولهذا استقر مذهب أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم. (2)

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٥.

(2) ابن تيمية: منهاج السنة: ٤/ ٥٢٩، ٥٣٠. الدميجي: الإمامة العظمى: ٥١٢.

ولعل من الآثار التي ترتبت على فتنة ابن الأشعث ومشاركة العلماء فيها، ظهور بدعة الإرجاء [1] أو نوع منه وهو ما يسمى (إرجاء الفقهاء)

---

(١) المرجئة لغة: من الإرجاء: وهو التأخير والإمهال كما قال تعالى: { قالوا أرجه وأخاه } (سورة الشعراء: آية ٣٦) أي أمهله، ومن الرجاء: ضد اليأس وهو الأمل كما قال تعالى: { أولئك يرجون رحمت الله } (سورة البقرة: آية ٢١٨) والمرجئة اصطلاحا إحدى الفرق الإسلامية التي انحرفت عن منهج السلف في الاعتقاد، وقد مر الإرجاء بعدة مراحل تطور مفهوم الإرجاء في كل مرحلة عن مفهومه في الأخرى، ففي المرحلة الأولى وبعد الفتنة التي حدثت بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وما تلاها من نزاع بين علي ومعاوية. ظهر من يرجئ أمر الحكم في التفاضل بين عثمان و علي رضي الله عنهما وأمر المختلفين في الجمل و صفين حيث قال الحسن بن محمد بن الحنفية ـ وهو أول من قال بهذا الإرجاء (ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/٣٢٨. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٢٠.): " ونوالي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ونجاهد فيهما، لأنهما لم تقتتل عليهما الأمة ولم تشك في أمرهما، ونرجئ من بعدهما في الفتنة فنكل أمرهم إلى الله..." (ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٢٠.) ولكن هذا النوع من الإرجاء لا يعد من البدع لأنه لا يتعلق بالإيمان. فهذا النوع لم يتكلم فيه السلف بذم إلا أنهم بينوا أنه رأي مرجوح لأنه استقر عندهم تفضيل عثمان وأن الحق مع علي في خلافه مع معاوية. (ناصر العقل: القدرية والمرجئة: ٧٩، ٨١، ١٠٤) وفي المرحلة الثانية ظهر من يقول بأن الإيمان قول بلا عمل، وأنه لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان، وكان من جملتهم عدد من العلماء والفقهاء ولذا يطلق عليهم (مرجئة الفقهاء). وهؤلاء بدعهم علماء السلف، وذموهم،ولكنهم لم يخرجوهم من السنة مطلقا، ورووا عن الثقات منهم، ولم يكفروهم. وفي المرحلة الثالثة: ظهرت مرجئة الجهمية في أول القرن الثاني، الذين قالوا بأن الإيمان هو المعرفة، وأنه لا تضر مع الإيمان معصية. ويقولون من عرف الله دخل الجنة ولو لم يعمل. فهؤلاء كفرهم السلف. وفي المرحلة الرابعة ظهر صنف رابع وهم مرجئة الكرامية نسبة إلى ابن كرام ت: ٢٥٥هـ وذلك في

=

نسبة إلى بعض الفقهاء الذين يقولون بأن الإيمان قول بلا عمل، وأنه لا يزيد ولا ينقص، فالإيمان عندهم واحد يستوي فيه كل من اعتقده بقلبه وقاله بلسانه، حيث يخرجون الأعمال ـ التي يتفاضل فيها المؤمنون ـ عن الإيمان، فيستوي عندهم ـ كما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله ـ: إيمان السابقين الأولين كأبي بكر وعمر، وإيمان أفجر الناس كالحجاج و أبي مسلم الخرساني وغيرهما. [١]

والذي دعا إلى الربط بين ظهور ذلك النوع من الإرجاء وحركة ابن الأشعث ما يشير إليه كثير من الذين كتبوا عن تاريخ الفرق، حيث اشتهر عندهم قول قتادة: "إنما أحدث الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث" [٢] وذكروا أن الكوفة كانت موطن الإرجاء الأول ثم انتشر منها إلى سائر

النصف الثاني من القرن الثالث، ويقولون بان الإيمان هو قول اللسان فقط. وهؤلاء بدعهم بعض السلف وبعضهم كفرهم. (عن نشأة المرجئة وأصنافهم وموقف السلف منهم انظر ناصر العقل: القدرية والمرجئة ص ص: ٧٧ ـ ٨٤، ١٠٣، ١٠٤. وقد اعتمدت عليه بتصرف في هذا التعريف بالمرجئة وأصنافها إلا ما أشرت إلي مصادره)

(١) الفتاوى: ٧/ ١٩٥.

(٢) عبدالله بن أحمد: السنة: ٧٦. العكبري: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، تحقيق رضا بن نعسان معطي، ط، الثانية، دار الراية، الرياض، ١٤١٥ هـ: ٢/ ٨٨٩. ابن تيمية: الفتاوى: ٧/ ٣٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٧٥.

الأقطار[1]كما ذكروا أن ذر بن عبدالله المرهبي أحد الذين قالوا بالإرجاء [2] بـل ذكـر بعضـهم أنه أول من قال بالإرجاء [3] ولما كان ذر هذا ممن شارك في فتنة ابن الأشعث [4] ونسب إليه قوله وهو في معركة الجماجم: " هل هي إلا بـرد حديـدة بـيد كافـر مفـتون ؟ "[5] فإذا صح هذا عنه فإنه بعد الهزيمة أصيب بردة فعل جعلته يتحول من تكفير الحجاج وقتاله إلى اتجاه معاكس وهـو الإرجـاء الـذي يسوي فيه أصحابه بين إيمان الحجاج وإيمان غيره ولو كـان مـن أعبدالناس وأتقاهم لله. ويقول الإمام طاووس بن كيسان ـ رحمه الله ـ منـتقدا ذرا المـرهبي ومـن سلك مسلكه من الفقهاء: "عجبت لإخواننا مـن أهـل العـراق يسـمون الحجـاج مؤمـنا" قـال الذهـبي معلقا على قول

(١)ابن تيمية: الفتاوى: ٧/ ٣١١. ناصر العقل: القدرية والمرجئة: ٨٦، ١١٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٩٣. المزي: تهذيب الكمال: ٨/ ٥١١. الذهبي: الكاشف: ١/ ٣٨٦. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣/ ٢١٨.

(٣) عبدالله بن أحمد: السنة: ٨١، ٨٣. النيسابوري: مسائل الإمام أحمد تحقيق زهير الشاويش، ط، الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ: ٢/ ١٦٢.

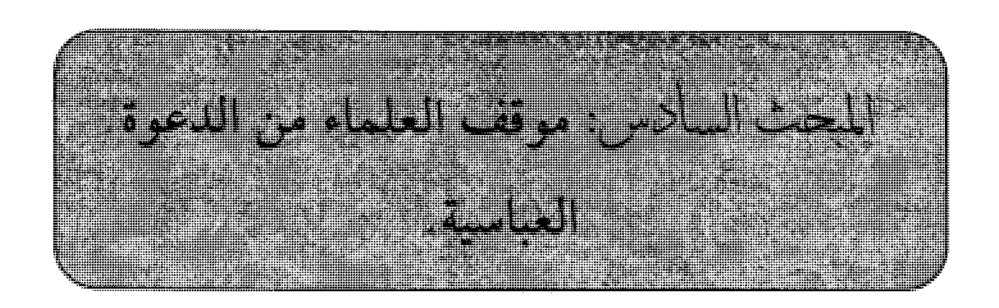
(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٣٣٦. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣/ ٢١٨.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٩٣.

طاووس [1]: " قلت يشير إلى المرجئة منهم، الذين يقولون: هو مؤمن كامل الإيمان مع عسفه وسفكه الدماء وسبه الصحابة ".

وهكذا دأب الفتن فإنها غالبا ما تفرز بعدها بعض التوجهات المنحرفة، أو المواقف المتضاربة تجاه أمر معين. حيث لا يسلم من ذلك إلا من عصمه الله بنور الإيمان ورسوخ العلم جعلنا الله منهم.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٤.



سبق قيام الدولة العباسية مرحلة مهمة مهدت لقيام هذه الدولة، وهي مرحلة الدعوة العباسية، ويكاد يجمع المؤرخون والباحثون على أن الدعوة العباسية بدأت مع مطلع القرن الثاني، ويحدد الكثير منهم تلك البداية بسنة مائة للهجرة [1] واستمرت مدة الدعوة من هذه السنة حتى قيام الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين ومائة [2]، وتقسم مدة الدعوة العباسية إلى مرحلتين: مرحلة الدعوة السرية والتي استمرت من سنة مائة إلى سنة تسع وعشرين ومائة، واتسمت الدعوة في هذه المرحلة بالسرية التامة ودقة التنظيم، والمرحلة الثانية: مرحلة الثورة المسلحة واستمرت من سنة تسع وعشرين ومائة إلى إعلان قيام الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٥٦٢ . ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٨٩ .

(٢) حسن محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي: الطبعة الخامسة، دار الفكر العربي، مصر: ١٤ .

ومائة، حيث أعلن العمل المسلح وبدأت المواجهة بين أنصار الدعوة العباسية وجيوش الدولة الأموية .[1]

وليس من المهم هنا استعراض مرحلتي الدعوة العباسية وما جرى في كل منهما من أحداث وما شهدته من تطورات، إنما المهم هو أن نتعرف على موقف العلماء من تلك الدعوة . ومن المؤسف جدا أن المعلومات التي يمكن أن توضح لنا بجلاء مواقف العلماء من تلك الدعوة قليلة إلى حد ما، ولعل السبب يرجع في ذلك إلى طبيعة الدعوة ـ لاسيما ـ في مرحلتها الأولى وهي الأطول، حيث كانت من السرية بمكان، وهذا قلل بدوره من تداول المعلومات والأخبار عن تلك الفترة .ومع ذلك فقد أمكن بالتتبع الحثيث لتراجم كثير من العلماء الحصول على بعض المعلومات التي تمكننا من التعرف ـ ولو بوجه عام ـ على بعض مواقف العلماء من الدعوة العباسية .

وأول ما يستدعي عناية الباحث في هذا المجال موضوع دعاة بني العباس، فقد كانت الدعوة العباسية على جانب كبير من التنظيم الدقيق والتخطيط المحكم، ومن ذلك اتخاذ قادتها عددا من الدعاة في المناطق التي

---

(١) عن تقسيمات الدعوة العباسية انظر: فاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية: الطبعة الأولى،دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٩هـ . ص: ١٥٣

حـددت كمـيادين لنشر الدعوة فيها، فاتخذوا لهم في العراق وخراسان دعاة يقومـون بمهـام تنظـيم الدعـوة والإشراف المباشر على سيرها، ويمثل هؤلاء الدعـاة حلقة الوصل بين الإمام ـ قائد الدعوة ـ وبقية الدعاة والمنتمين لهذه الدعـوة، وينضـوي تحـت لـواء كـل داعية اثنا عشر نقيبا، يقومون بمساعدة الدعاة في نشر الدعوة وتنفيذ أوامر الإمام، كما يتبع كل نقيب ما يقرب من سـبعين عـاملا يندسـون في أوسـاط الـناس للقيام بالدعوة [1] . والأمر هنا يتطلب الوقوف للتعرف على هؤلاء الدعاة على مختلف مسمياتهم ورتبهم، لـنرى هل كانوا ـ كلهم أو بعضهم ـ من العلماء أم لا . يقول حسن محمود [2] خـلال حديـثه عـن دعـاة بن العباس: "وأغلب الدعاة تعمقوا في العلوم الإسـلامية وبـرعوا في الحديـث أو الفقـه أو اللغـة، وتولـوا التعليم، وأخذ الـناس عنهم ." ولكن هذا الحكم والتعميم مجانب للصحة مخالف للحقائق، ومـن إلقاء الكلام على عواهنه، فلم يستند المؤلف فيه على أي مصدر إذ لم

---

(١) عن تنظيم الدعاة ومسمياتهم انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٥٦٢ . مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري: أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبدالعزيز الدوري و عبدالجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت: ٢١٣ـ ٢٢ . ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٨٩ . حسن محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي: ١٥، ٢٠، ٢١. فاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية: ١٥٩، ١٦٠ .

(٢) العالم الإسلامي في العصر العباسي: ١٥ .

يوثق كلامه هذا . كما أنه خلال ذكره لعدد من الدعاة وكلامه عنهم لم يستطع أن يصف أحدا منهم بالعلم، إلا ما كان منه عند ذكره لأبي عكرمة السراج أول دعاة خراسان فقال عنه: "...وقد هاجر عكرمة إلى خراسان بعد ابن عباس ونشر فيها علمه الكثير فكان أهل المشرق يجلون ابن عباس عن طريق تلميذه ومولاه أبي عكرمة "(١) فالمؤلف كما هو واضح اختلط عليه الأمر بين شخصيتين لم يستطع التفريق بينهما وهما: أبو عكرمة السراج داعية بني العباس و عكرمة مولى عبدالله بن عباس رضي الله عنه (٢) وهو المشهور بالعلم وهو الذي هاجر مدة من الزمن إلى خراسان قبل الدعوة العباسية بمدة ونشر بها علمه، وتوفي في المدينة سنة خمس ومائة . (٣) ويظهر خلطه واضحا حين يذكر أن الذي نشر علمه عكرمة وليس بأبي عكرمة، والاسمان مختلفان . كما أنه نعت سليمان بن كثير الخزاعي ـ أحد دعاة خراسان ـ بالعلم حين قال "وظهر فيهم زعيم جديد عالم هو سليمان بن كثير "(٤) . ولكن دون أن يوثق ذلك .

---

(١) المرجع السابق: ١٧ .

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم .

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٢٤٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢١، ٣٤ .

(٤) العالم الإسلامي في العصر العباسي:١٩ .

ولعل من الضرورة أن نستعرض هنا أشهر دعاة بني العباس وهم: ميسرة العبدي، وبكير بن ماهان، وأبو سلمة الخلال حفص بن سليمان، وهؤلاء كبار دعاة العراق، وكان على رأس دعاة خراسان: أبو عكرمة السراج ويدعى أحيانا بأبي محمد الصادق، ومحمد بن خنيس، وحيان العطار، وأما النقباء فهم: سليمان بن كثير الخزاعي، ولاهز بن قريظ التميمي، قحطبة بن شبيب الطائي، وموسى بن كعب التميمي، وخالد بن إبراهيم الذهلي، والقاسم بن مجاشع، عمران بن إسماعيل أبو النجم مولى لآل أبي معيط، ومالك بن الهيثم، وطلحة بن زريق، عمرو بن أعين مولى خزاعه، وشبل بن طهمان الهروي مولى لبني حنيفة، وعيسى بن أعين مولى خزاعة .[١]

وقد قمت بتتبع تراجم هؤلاء الدعاة وغيرهم[٢] في أغلب كتب التراجم ورجال الحديث المشهورة، فلم أجد أن أحد هؤلاء الدعاة اشتهر بالعلم وبرز فيه، بل لم أجد لأغلبهم ذكرا في تلك المصادر .[٣] وقد يستثنى

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٥٦٢، ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ١٨٩ .

(٢) ذكر صاحب كتاب أخبار الدولة العباسية عددا كبيرا من الدعاة الذين هم أقل رتبة ممن ذكر من الدعاة والنقباء . ص: ٢١٣ـ ٢٢ .

(٣) ومن هذه المصادر: التاريخ الكبير للبخاري، الطبقات الكبرى لابن سعد، طبقات خليفة بن خياط، والثقات لابن حبان، والمعرفة والتاريخ للفسوي، والجرح والتعديل للرازي،ومختصر تاريخ =

من هؤلاء القاسم بن مجاشع التميمي حيث ورد أن أبا مسلم الخراساني جعله على القضاء، وكان يصلي بأبي مسلم الصلوات، ويقص بعض القصص فيذكر محاسن بني هاشم ويذم بني أمية .[1] ولعل في هذا لإشارة إلى أن عنده علم، ولكن لم أجد له ترجمة ضمن تراجم العلماء أو رواة العلم، وكذلك الداعية سليمان بن كثير الخزاعي فقد ذكر ابن كثير[2] أن أبا مسلم أمره أن يصلي بالناس العيد سنة تسع وعشرين ومائة للهجرة، فأم الناس وخطبهم . ففي هذا دلالة على ما قد يكون عنده من العلم، ولكن لم يذكر ـ بحسب اطلاعي ـ أنه ممن برز في العلم واشتهر به .

ومن هذا يتضح أنه لم يكن من دعاة بني العباس المشهورين أحد ممن اشتهر بالعلم في ذلك العصر، بل أغلب الدعاة رجال إدارة وأهل قيادة وحرب، كأبي مسلم الخراساني وقحطبة بن شبيب، أو من أهل الشرف واليسار كبكير بن ماهان الذي أغدق على الدعوة بماله، فذكر أنه أنفق في

ابن عساكر لابن منظور، وتذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب لابن حجر، والدراسات الدينية بخراسان في العصر الأموي لحسين عطوان .، ط: الأولى، دار الجيل بيروت، ١٤١٣هـ.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠/ ٣٢ .

(٢)البداية والنهاية:

نصـرة الدعـوة أربـع لبـنات مـن فضـة ولبـنة من ذهب [(١)] وورد أنه الذي اشـترى أبا مسلم الخراساني لما رأى صلاحه لأمر الدعوة [(٢)]، وكأبي سلمة الخـلال الـذي ذكر عنه أنه رجل شهم، سائس شجاع، متمول، أنفق أموالا كـثيرة في إقامـة الدولـة [(٣)] . كما أن من بعض دعاة بني العباس من الموالي الذيـن يهمهم القضاء على بني أمية ونجاح الدعوة العباسية التي يرفع قادتها شعار المساواة وإنصاف الموالي .

وأرى أن سـبب عـدم انخـراط علماء العراق وخراسان [(٤)] في الدعوة العباسـية يـرجع إلى عـدة أمـور، مـنها أن العـلماء في العـراق يرون شرعية خلافة بني أمية وأن ما ظهر من بعض خلفائها وولاتهم من ظلم أو انحراف لا يـبرر الخـروج علـيهم والسـعي للقضـاء على دولتهم، وهذا واضح عند علماء العراق خاصة وأن بعض ولاة بني أمية كيزيد بن عمر بن هبيرة شعر

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٧/ ٢٥،٢٦ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٣٤٠.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٧ .

(٤) خصصت علماء العراق وخراسان بالذكر لأن هذين القطرين كانا مجال الدعوة العباسية وميدانها، وأما بقية أقطار البلاد الإسلامية في مفرب الدولة فلا تزال تحت سيطرة الدولة ولم يوجه بنو العباس أنظارهم لها .

بأهمية مكانة العلماء في مثل تلك الظروف فزاد في تقريبهم وتوليتهم بعض الأمور، وعني باستشارتهم، حرصا منه على كسبهم بجانب الدولة الأموية، فذكر المكي في كتابه (١) أن يزيد بن عمر بن هبيرة كان واليا بالكوفة في زمان بني أمية، فظهرت الفتنة بالعراق فجمع فقهاء العراق ببابه فولى كل واحد منهم صدرا من عمله، فقبلوا ذلك إلا ما كان من أبي حنيفة فقد رفض أن يلي له أي عمل حتى قال: لو سألني أن أعد له أبواب المسجد لم أفعل (٢) . كما ذكر أن أبا جعفر المنصور لما عرض علي يزيد بن عمر بن هبيرة كتاب الصلح ـ وهو محصور بواسط ـ مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوما حتى أقروه على ذلك ورضيه . (٣) وورد أن الإمام الفقيه أبو

---

(١) مناقب أبي حنيفة: ٢٧٥ .

(٢) وانظر: الذهبي: مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن: تحقيق محمد زاهد الكوثري و أبو الوفاء الأفغاني، الطبعة الثالثة، لجنة إحياء المعارف النعمانية، بيروت، ١٤٠٨هـ ص: ٢٤، ٢٥. محمد أبو زهرة: أبو حنيفة حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه، الطبعة الثانية، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٣٦٦هـ . ص: ٣٨.

(٣) وانظر الحافظ يوسف بن عبدالبر القرطبي: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، مالك والشافعي وأبي حنيفة: دار الكتب العلمية، بيروت ص:١٣٨ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٤/ ٣٣٨ . ابن كثير: البداية والنهاية:١٠/ ٥٤ .

سلمة الفأفاء هرب من وجه العباسيين ولازم ابن هبيرة في واسط حتى قتل مع ابن هبيرة . [1]

فيفهم من ذلك بقاء هؤلاء العلماء على ولائهم وبيعتهم للدولة الأموية إلى ذلك الوقت المتأخر .وكما يدل على ذلك أنه لما دخلت جيوش العباسيين الكوفة وتمت البيعة لأبي العباس حرص على أخذ البيعة من علماء العراق فعن داود الطائي قال: لما قدم أبو العباس الكوفة جمع العلماء وقال: إن هذا الأمر قد أفضى إلى بيت النبي ﷺ وأنتم أحق من أعان عليه ولكم الكرامة من مال الله تعالى، فبايعوا بيعة تكون لكم عند الله تعالى وعند إمامكم حجة ... إلى آخر ما قال .[2] . فهذا يوضح أن العلماء في العراق لم يبايعوا لبني العباس حتى أصبحت لهم الغلبة وسيطروا على العراق . كما يوضح ذلك حرص العباسيين على مبايعة العلماء لهم أول دخولهم العراق، لأن هذا سيعطيهم الشرعية من جهة، وسيعزز لهم النجاح ويوطد لهم الأمور من جهة أخرى .

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٤٧ . الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٧٤ . وانظر ترجمة أبي سلمه في ملحق التراجم.

(٢) المكي: مناقب أبي حنيفة: ١٢٨ . الكردي: مناقب أبي حنيفة: ٢١٤ .

وأما في خراسان فيرجع عدم انضمام العلماء إلى الدعوة العباسية إلى أن كثير من العلماء يرون أن ما حدث في أواخر الدولة الأموية ـ لاسيما في خراسان ـ من حروب أهلية هي من باب الفتن التي على المسلم اعتزالها، مثلما فعله العالم الجليل حسين بن واقد [١] . فكان يقول: كانت الفتنة عندنا بخراسان زمن الكرماني وأبي مسلم، فما سألت عنها حتى مضت . [٢] وهذا يفسر لنا عدم ورود أسماء كثير من العلماء في خراسان ـ على الرغم من كثرتهم ـ في أحداث الدعوة العباسية، إلا عندما يكون المجال مجال إصلاح فقد ورد أن نصر بن سيار [٣] والحارث بن سريج [٤] لما أرادا المناظرة وحل الخلافات بينهما احتكما إلى الإمام العالم مقاتل بن حيان .

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم .

(٢)البخاري: التاريخ الكبير: ٢/ ٣٨٩ . ابن حبان: الثقات: ٦/ ٢٠٩ .

(٣) والي مرو لبني أمية وهو آخر وال لهم في خراسان .

(٤) هو الحارث بن سريج التميمي، أحد الأبطال، سكن خراسان، امتزج فيه حب الزعامة بمحاولة الإصلاح، فقد خرج على والي خراسان سنة ١١٦هـ واستولى على بعض بلاد الترك، وكان بينه وبين نصر بن سيار خلافات ومناوشات فكان يدعو نصر للشورى والعمل بالكتاب والسنة، ويدعي أنه صاحب الرايات السود، وانتهى المر بمقتله سنة ١٢٨ هـ . (ابن كثير البداية والنهاية:١٠ ٢٦، ٢٧ . الزركلي: الأعلام: ٢/ ١٥٤ .)

[1] فحكم بينهما . [2] وكان مقاتل هذا لما رأى فتنة أبي مسلم الخراساني وما أثارته دعوته من تفريق للناس رأى لنفسه أن يبتعد عن ذلك ويوجه جهوده للدعوة إلى الإسلام، فهرب من وجه أبي مسلم إلى كابل ودعا الناس هناك فدخل على يديه خلق كثير في الإسلام . [3] على أن هناك بعض العلماء حدث بينهم وبين أبي مسلم الخراساني مواجهات انتهت بمقتل كثير منهم، والذي يظهر أن سبب تلك المواجهة ما ظهر من أبي مسلم في آخر أيام الدعوة العباسية من تصرفات، خاصة في مرحلة الثورة، حيث قوي جانبه بظهور أمر الدعوة وانتصاراته المتلاحقة ضد خصومه، ومن ذلك تخليه عن العمل بالشعارات التي كان يرفعها من أمور الإصلاح والعمل بالكتاب والسنة، وتساهله في قتل كل من يتهمه، حتى قتل بعض الدعاة كسليمان بن كثير وغيره . [4] وكانت تلك التصرفات

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم .
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠/ ٢٦، ٢٧ .
(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٧/ ٣٨٦، ٣٨٧ . البستي: مشاهير علماء الإمصار: ١٩٥، و الثقات: ٧/ ٥٠٨ . ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ١٩٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٤١، و تذكرة الحفاظ: ١/ ١٧٤ . ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٧٨ .
(٤)ابن الأثير: الكامل في التاريخ:٤/ ٣٣٦، ٣٣٩ .

محل انتقاد العلماء، ولعل بعضهم بعد أن رأوا توجه أمر أبي مسلم وظهور الدعوة العباسية، وفي المقابل تزعزع سلطان بني أمية، أرادوا أن يأخذوا من أبي مسلم ضمانات وتأكيدات على صدقه فيما يدعو إليه، ولحرصه على كسبهم أكد لهم ذلك، فلما رأوا منه خلاف ذلك بدأوا يذكرونه بما أخذ على نفسه، وهنا بدأت المواجهة بينه وبينهم، فهو لم يعتد أن يقف أحد في طريقه، أو يجبره على توجه لا يرضاه حتى من كبار الدعاة، وهؤلاء العلماء من منطلق الأمر بالمعروف والصدق مع الله ومع أنفسهم أرادوا تحقيق ما تعهد لهم به أبو مسلم . فمن هؤلاء العالم الفقيه إبراهيم بن ميمون الصائغ [(١)] فذكر ابن كثير [(٢)] أن أبا مسلم كان يعده إذا ظهر أن يقيم الحدود، فلما تمكن أبو مسلم ألح عليه ابن ميمون في القيام بما وعده به حتى أحرجه، فأمر بضرب عنقه . وقال له: لم لا كنت تنكر على نصر بن سيار ... ؟ قال: إن أولئك لم يقربوني من أنفسهم ويعدوني منها ما وعدتني أنت . وأورد الذهبي[(٣)] خبرا عن الحسن العنبري قال: سمعت

(١) انظر ترجمته في ملحق التراجم.

(٢) البداية والنهاية: ١٠/ ٦٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٥٣، ٥٤ .

يـزيد الـنحوي [١] يقـول: أتـاني إبراهـيم بن إسماعيل الصائغ فقال لي: ما تـرى ما يعمل هذا الطاغية، إن الناس معه في سعة، غيرنا أهل العلم، قلت: لو علمت أنه يصنع بي إحدى الخصلتين لفعلت، إن أمرت ونهيت يقيل أو يقـتل، ولكـني أخـاف أن يبسـط علينا العذاب، وأنا شيخ كبير، لا صبر لي عـلى السياط . فقال الصائغ: لكني لا أنتهي عنه، فذهب فدخل عليه، فأمره ونهـاه فقـتله . وهـذا الـنص يضـيف ـ غير تأكيده على ما حدث للصائغ ـ بـيان تعـامل أبي مسلم مع أهل العلم في خراسان وتضييقه عليهم . ويبدوا أن يـزيد الـنحوي لم يسـتقر عـلى رأيـه في عـدم مواجهـة أبي مسلم وأمره بالمعـروف ونهـيه عـن مـنكر أعمالـه، حيـث ورد في عـدد من المصادر التي ترجمـت له أن أبـا مسـلم قـتله سنة إحدى وثلاثين ومائة للهجرة لأمره إياه بالمعـروف . [٢] ويؤيد سوء معاملة أبي مسلم للعلماء، ما ورد أيضا أنه قتل عالمـا آخـر هـو جـبلة بـن أبـي رواد العـتكي [٣] سـنة إحـدى وثلاثـين في

---

(١) ويزيد هذا أحد العلماء، انظر ترجمته في ملحق التراجم .

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٩٥، والثقات: ٧/ ٦٢٢ . ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١١/ ٣٣٢ . وتهذيب الكمال: ٣٢/ ٢٩٠ .

(٣) انظر ترجمته في ملحق التراجم .

نيسابور[١] . ومن ذلك تضييقه على عالم مرو في زمانه الربيع بن أنس [٢] فورد أنه طلب بخراسان حين ظهرت دعوة بني العباس فتغيب [٣] وذكر الذهبي [٤] أن أبا مسلم سجنه تسع سنين . ولعل تصرفات أبي مسلم وموقفه من أهل العلم جعلت العالم مقاتل بن حيان لا يكتفي بهربه عن وجه أبي مسلم، بل يرضي بقيادة جموع أهل بلخ وترمذ وملوك طخارستان وما خلف النهر وما دونه لمواجهة جيوش أبي مسلم المتقدمة نحوهم . بقول الطبري [٥] في ذلك: فصارت كلمتهم واحدة مضريهم ويمانيهم وربعيهم ومن معهم من الأعاجم على قتال المسودة [٦]، وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيان النبطي كراهة أن يكون من الفرق الثلاثة . [٧] وعلى أن جيوش أبي مسلم انتصرت على تلك الجموع، إلا أن في قيادة مقاتل لها

---

(١) البخاري: التاريخ الكبير: ٢/ ٢٢٠ . ابن حبان: الثقات: ٦/ ١٤٧. الرازي: الجرح والتعديل: ٢/ ٥١.

(٢) انظر ترجمته في ملحق التراجم .

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٣٩٦ . ابن حجر: تهذيب الكمال: ٩/ ٦٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٧٠ .

(٥) تاريخ الأمم والملوك: ٧/ ٣٨٦ .

(٦) يطلق على جيوش بني العباس لأنهم اتخذوا السواد شعارا لهم .

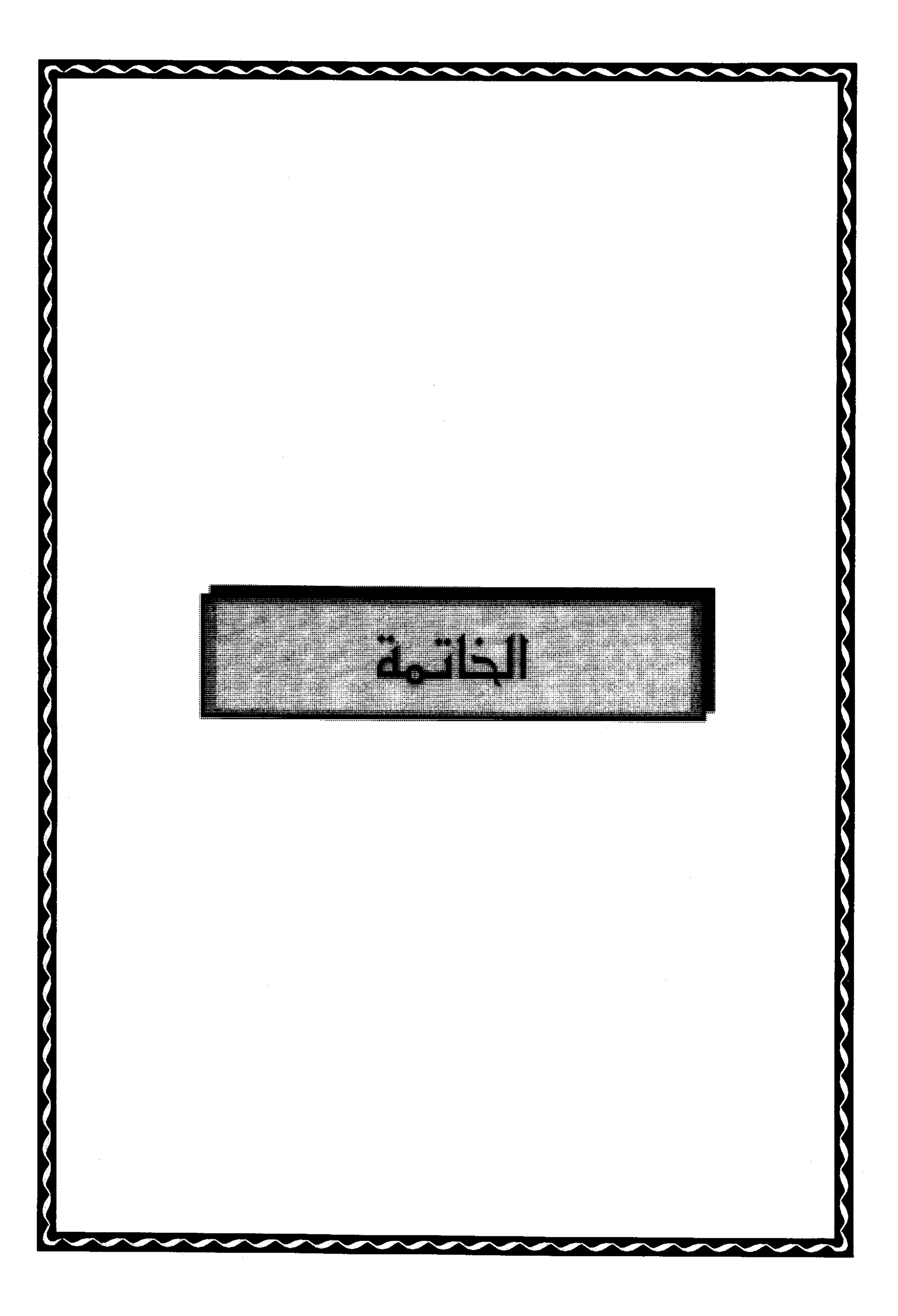
(٧) وانظر: ابن الأثير: الكامل: ٤/ ٣١٢ .

دلالـة عـلى مـا وصلت إليه المواجهة بين أبي مسلم ـ داعية بني العباس ـ و بعض العلماء في خراسان .

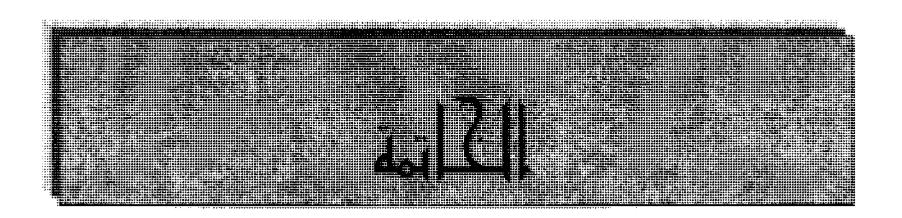
ومـن كـل مـا سـبق يتضـح أن مواقـف العـلماء من الدعوة العباسية أخـذت عـدة مظاهـر بحسـب الظروف والأحوال، وبحسب اجتهاد العلماء وتقديـرهم للأصـلح، فـالذين كـانوا في الأقالـيم الـتي تسيطر عليها الدولة الأمويـة ولـيس لهـا فـيها مـنازع، كالعـراق وأقاليم مغرب الدولة فقد بقي العـلماء عـلى ولائهـم للدولـة، وتعـاون بعضهم مع ولاتها في تولي بعض المناصـب . وفي خراسـان ـ حيـث توزعـتها الأهـواء، وقسـمتها العصـبية، وزادهـا نجـاح دعـاة بـني العـباس تزعـزعا ـ رأى الكثير من العلماء اعتزال تلـك الفتن، ورأى بعضهم الدخول مع أبي مسلم في محاورة ومناقشة لأخذ التأكـيدات مـنه عـلى قـيامه بما يعلنه من إصلاح وإقامة للحدود، مستغلين حرصـه عـلى كسب العلماء في صفه، ولكن بعدما رأى هؤلاء مخالفة فعل أبـي مسـلم لقولـه أرادوا حملـه عـلى الوفـاء بما وعد فحدثت المواجهة بينه وبيـنهم . وعلى جميع تلك الأحوال فإن العلماء لم ينضموا للدعوة العباسية ويـنخرطوا في سـلكها، بـل العكـس هـو الصـواب، وحين تمت الغلبة لبني العـباس وتقوضـت دولـة بـني أمية بايع العلماء لبني العباس وانضووا تحت لـواء دولتهم، ولكن لم يمنعهم هذا من قول الحق والأمر بالمعروف، ولا من

الـتعاون مـع خلفـاء بـني العباس وتقديم النصح لهم، شأنهم معهم في ذلك شأنهم مع بني أمية .

****



الخاتمة



وبعد أن يسر الله لي ـ بمنه وفضله ـ إتمام مشروع هذا البحث المهم بحسب الخطة المرسومة له، يجدر أن أشير في ختامه إلى خلاصة موجزة، تتضمن أهم النتائج التي تبينتها من خلال البحث والدراسة لمادة الموضوع، وأوجزها في النقاط الآتية:

أولا: أن الله قد ميز طائفة العلماء في المجتمع المسلم بميزة عظيمة، وبوأهم مكانة كبيرة دون غيرهم من فئات المجتمع، وقد نصت نصوص الكتاب والسنة وأقوال العلماء على تلك المكانة، وقد جاءت تلك المكانة للعلماء من شرف ما يحملونه، حيث هم حملة ميراث النبوة ـ الذي هو العلم بدين الله ومعرفة شرائعه ـ ومن عظم مسؤوليتهم حيث أنيطت بهم مسؤولية حفظ الدين وبيانه للناس قولا وعملا على مر العصور. وأن على المجتمع المسلم بجميع فئاته ـ ومنهم العلماء ـ إدراك تلك المكانة وتحقيقها في واقع حياتهم.

ثانيا: اتضح أن العصر الأموي يزخر بعدد كبير من العلماء في معظم الأقطار الإسلامية ـ لاسيما ـ في الحجاز والعراق والشام ومصر

وإفريقية، وجمع هذا العصر بين علماء الصحابة والتابعين وتابعيهم، وقد كان هؤلاء العلماء هم الأساس الذي ارتكزت عليه الحياة العلمية في المجتمع الإسلامي، وعن هؤلاء العلماء انتشر العلم وظهرت لهم مدارس خرجت أعدادا كبيرة من التلاميذ أسهموا في التأثير في الحياة العلمية فيما بعد، وقد قمت بالترجمة لعدد كبير من هؤلاء العلماء، وقصرت الترجمة على الذين ورد لهم أثر في الحياة السياسية بطريق مباشر أو غير مباشر.

وجاءت آثار ومواقف هؤلاء العلماء في الحياة السياسية في عدة أنواع:

فالنوع الأول: ظهر في علاقة التعاون والمشاركة من العلماء للخلفاء وولاتهم في إدارة شؤون الدولة

والنوع الثاني: ظهر في اعتزال صنف من العلماء تولي أعمال الخلفاء وولاتهم أو القرب منهم، مع إبدائهم النصح فيما هو في صالح الولاة والرعية.

والنوع الثالث: ظهر فيه الخلاف بين بعض العلماء والخلفاء أو بعض ولاتهم، وفي النقاط التالية سأوجز نتائج ما أوضحته الدراسة لكل نوع.

ثالثا: جاءت مشاركة العلماء للخلفاء والولاة في إدارة شؤون الدولة الأموية بدرجات متفاوتة وأشكال متعددة، وقد قسمت تلك المشاركة إلى قسمين هما:

أ ـ القرب من الخلفاء والمشاركة في صياغة القرار السياسي، حيث كان عدد من العلماء قريبا من الخلفاء، وأصبحوا من خاصتهم وكبار مستشاريهم، مثل قبيصة بن ذؤيب في عهد عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز في عهد كل من الوليد وسليمان بني عبد الملك، ورجاء بن حيوة في عهد سليمان بن عبد الملك، وعدد كبير من العلماء في عهد عمر بن عبد العزيز، والإمام الزهري في عهد هشام بن عبد الملك. وقد كان لقرب هؤلاء من الخلفاء أثر كبير في توجيه عدد من الأحداث السياسية في الدولة الأموية.

ب ـ تولي بعض المناصب الإدارية للخلفاء والولاة، فقد تولى بعض العلماء عددا من المناصب الإدارية ومن أهما: ولاية البلدان (إمارة البلدان) وقد كان لتولي بعض العلماء هذا المنصب أثر كبير في استقرار أحوال تلك الأقاليم، نتيجة لحسن سيرتهم، وحب الناس لهم، وأسهم هؤلاء العلماء في تعميق الثقة بين الرعية وحكامهم الذين ولوهم عليهم، وزاد ذلك في تقوية رباط المودة بينهم. وبالإضافة إلى ولاية البلدان تولى بعض العلماء عددا من المناصب الإدارية الأخرى مثل (بيت المال) و (العرافة) و (صاحب الشرطة) و(قيادة الحملات).

وجاء ت مشاركة العلماء في إدارة شؤون الدولة من منطلق التعاون على البر والتقوى، وأداء النصيحة لأئمة المسلمين، والسعي في مصلحة

رعيتهم، كما جاء تولى بعض العلماء تلك المناصب لا رغبة منه فيها وإنما نتيجة لإكراه الولاة لهم والتشديد عليهم في ولايتها، فقبلوا على كره منهم مراعاة للمصلحة، خاصة في ولاية بيت المال.

كما قدم هؤلاء العلماء أمثلة صادقة في التجرد عن الحظوظ الذاتية وتقديم المصلحة العامة خلال قيامهم بالمسؤوليات الملقاة على عاتقهم، فكانوا يبدون أراءهم أو نصائحهم للخلفاء والولاة بكل صراحة وصدق دون محاباة أو مداهنة. لذا فإن بعضهم لما رأى عدم تحقق المصلحة من قربه من الخلفاء اعتزلهم، كما كان ذلك من رجاء بن حيوة رحمه الله.

رابعا: وهناك صنف من العلماء في الدولة الأموية اعتزل المشاركة في مناصب الدولة ولم ير القرب من مجالس الخلفاء والولاة، ولكن لم يمنعهم ذلك من إبداء النصح للخلفاء والولاة بما يحقق المصلحة لهم ولرعيتهم، وذلك من منطلق القيام بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه الأمة، وقد سلك العلماء في أدائهم للنصيحة عدة أساليب أسهمت في تحقيق النتائج المرجوة منها، وساعدت على قبول الخلفاء والولاة لها. ومن هذه الأساليب الإخلاص وإرادة وجه الله والدار الآخرة بالنصيحة، والصراحة وعدم المداهنة حين تطلب منهم النصيحة، ومنها التلميح في بعض الأحيان دون التصريح، واستغلال المناسبات والأحوال لبذل النصيحة، ومنها

الخصوصية والسرية في بذل النصيحة للخلفاء والولاة وعدم المجاهرة والإعلان بها في مجامع الناس ومنتدياتهم.

ويلحظ أن تلك النصائح قد تركزت في مجالين هما:

١ - تذكير الخلفاء والولاة بتقوى الله وحثهم على الاهتمام بآخرتهم وتحذيرهم من الغفلة.

٢ - تذكير الخلفاء والولاة بمسؤولياتهم تجاه رعيتهم، وحثهم على أداء حقوقهم ورفع الظلم عنهم.

ومن الجدير ذكره هنا أن نسجل لخلفاء بني أمية ما يستحقونه من فضل فقد جاء كثير من تلك النصائح بناء على طلب كثير منهم، كما أن أكثرهم كان يقدر للعلماء إخلاصهم في بذل النصيحة، ويدرك نبل منطلقهم وسلامة مقصدهم في ذلك، لهذا فقد تقبلوا تلك النصائح بصدر رحب، وغضوا الطرف عما قد يبدو في بعضها من قسوة. بل وكثير من تلك النصائح أخذ طريقه للتنفيذ.

خامسا: أما النوع الثالث في العلاقة بين العلماء والخلفاء وولاتهم في الدولة الأموية فقد كان محكوما بنوع من التوتر والخلاف، وقد كان الشائع في كثير من الكتابات التاريخية أن هذا النوع من العلاقة هو السائد والغالب على علاقة العلماء بالحكام بشكل عام في التاريخ الإسلامي، ولكن الدراسة من خلال هذا البحث أكدت أن الأمر على العكس، حيث إن

النماذج في هذا النوع من العلاقة أقل منها بكثير في النوعين السابقين من أنواع العلاقة. وقد أوضحت أبرز الأسباب التي كانت من وراء شيوع مثل هذا الفهم المغلوط.كما أوضحت الدراسة أنه كان لبعض الولاة أثر في فرض مثل هذا النوع من التعامل على العلماء، نتيجة لعدم تقدير مكانتهم، ومغالاتهم في التزلف لإرضاء الخلفاء، وقد أسهمت تصرفات أولئك الولاة في ظهور جفوة بين العلماء والخلفاء، مما جعل بعض الخلفاء يدرك السر ويسارع في معاتبة أولئك الولاة. كما فعل عبد الملك مع واليه على المدينة هشام بن إسماعيل حين عاتبه على تصرفه مع سعيد بن المسيب رحمه الله.

وقد تجلى في هذا البحث ـ من خلال دراسة هذا النوع من العلاقة ـ الآداب التي تحلى بها العلماء في خلافهم مع الخلفاء والولاة، ومن أهم هذه الآداب: أنه مع ما حدث بين بعض العلماء والخلفاء لسبب من الأسباب فإن هذا الخلاف لم يدفع هؤلاء العلماء إلى نزع البيعة، بل ظلوا على بيعتهم للخلفاء، كما لم يحملهم هذا الخلاف على أن يمدوا أيدهم مع كل خارج على الدولة.

كما كان لهم خلال إنكارهم جور الولاة وظلمهم بعض الآداب والأساليب ومنها: رفع أمرهم إلى الخلفاء ونصحهم بعزلهم، وهجرهم وعدم قبول العمل لهم، حث الناس على الصبر على أذاهم، واللجوء إلى الله بالدعاء لإصلاح الحال، ونهيهم عن حمل السيف لتغير ظلمهم.

ويستثنى من ذلك أولئك الذين رأوا استخدام القوة في التغيير كالحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومن شارك في حركة أهل المدينة في خروجهم على يزيد بن معاوية، وقد أدت نتائج تلك الحركات وآثارها على الأمة إلى تأكيد صحة رأي من لا يرى حمل السيف لتغير الظلم والجور. وأسهمت نتائج تلك الحركات وما تلاها، إلى استقرار مذهب أهل السنة والجماعة على عدم جواز الخروج على ولاة الظلم والصبر على جورهم.

سادسا: ومن خلال الدراسة المستفيضة لمواقف العلماء من الحركات المعارضة للدولة الأموية، اتضح أن جمهور العلماء بشكل عام وفي غالب الأحوال كانوا ضد هذه الحركات، وقد تميز وقوفهم ضد حركات الخوارج بشكل أوضح لكون حركاتهم تنطلق من منطلق ديني منحرف، وقد ظهرت محاربتهم للخوارج في عدة صور أهمها: محاربة أفكارهم المنحرفة ومعتقداتهم الباطلة، بكشف فسادها للناس وتحذيرهم من مناهج الخوارج أو السير في ركابهم. والصورة الثانية ظهرت في مشاركة العلماء في قتال الخوارج في مشرق الدولة الإسلامية ومغربها.

أما الحركات الأخرى التي انطلق أصحابها من منطلق اجتهادي شخصي ـ كالحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ و أهل المدينة، في خروجهم على يزيد بن معاوية ـ فقد خالف جمهور العلماء

آنـذاك توجـه أولـئك في حركاتهم وخروجهم، وقد سعوا جهدهم في ثنيهم وصـدهم عـن الخـروج، محذريـن لهـم من الوقوع في الفتنة، وموضحين لهم مغبة اجـتهادهم ومـا سيتركه من آثار سيئة عليهم وعلى الأمة. وقد أثبتت نـتائج هـذا الـنوع من الحركات ونهاياتها الأليمة صحة رأي هؤلاء العلماء وصدق نصحهم.

ويستثنى مـن ذلـك التعمـيم ـ موقـف جمهور العلماء من الحركات المعارضـة ـ موقفهـم مـن حركة عبد الرحمن ابن الأشعث حيث شارك فيها جمـع كبير من العلماء، وتبين من خلال الدراسة أن سوء تعامل الحجاج مع عامـة رعيـته بشـكل عـام ومـع العـلماء بشـكل خـاص، وغلوه في البطش والتجـبر، كـان السـبب الرئيس الذي دفع العلماء للمشاركة في هذه الحركة بغـية الـتخلص مـن ظـلم الحجـاج، وقد جاء فشل تلك الحركة ليؤكد عدم جدوى استخدام السيف في تغيير منكر الولاة وظلمهم.

وحـين بـدأ نشـاط الدعوة العباسية في الظهور على مسرح الأحداث، بقـي العـلماء حذرين من هذه الدعوة، فلم ينجرفوا في تأييدها، وبقوا على بيعـتهم لخلفـاء بـني أمية ـ لاسيما ـ في الأقاليم التي لم تزل في قبضة الدولة فـيها قوية، أما في المناطق التي ظهر فيها نفوذ دعاة بني العباس وضعف نفوذ ولاة بـني أمـية ـ كمـا في خراسـان ـ فقـد بقـي بعـض العـلماء عـلى عـدم اسـتجابتهم لدعـاة بـني العـباس، وبعضـهم لمـا رأى أن الأمـر متجه لقيام

دولتهم أحب أن يأخذ ضمانات مؤكدة من زعيم الدعوة في خراسان ـ أبي مسلم الخراساني ـ لتطبيق أحكام الإسلام وما ينادي به من مبادئ كان خلفاء بني أمية المتأخرين قد أخلوا بها، فلما ظهر أمر أبي مسلم وأصبح قادرا على الوفاء بما وعد ألح هؤلاء عليه لتحقيقه، لكن ذلك لم يرق لأبي مسلم فانتقم من هؤلاء بقتل بعضهم، كما انتقم من أولئك الذين رفضوا الدخول في دعوته فقتل بعضهم.

و في العموم كان العلماء حريصين ـ في أجواء الفتن وأيام الخلاف ـ على اعتزال الفتن والبعد عن مواطنها، والسعي لجمع الكلمة وتوحيد الصف.

سابعا: تبين من خلال الدراسة أنه كلما قويت الصلة والترابط بين خلفاء بني أمية وولاتهم من جهة والعلماء من جهة، كلما كان لهذا أثره في قوة ترابط المجتمع وزيادة التلاحم بين الرعية وقيادتها، كما حدث ذلك في عهد عمر بن عبد العزيز الذي يمثل الذروة في تقريب العلماء واستشارتهم والأخذ بنصائحهم، وفي المقابل حين استغنى بعض الخلفاء وولاتهم عن العلماء وزهدوا في نصائحهم ولم يحرصوا على تقريبهم، نجد عوامل القوة والترابط في المجتمع تضعف، وعوامل الفرقة تقوى، كما حدث ذلك في أواخر الحكم الأموي، حيث أصبح بعض الخلفاء يعتمدون ـ بدلا من العلماء ـ على أشخاص قربوهم وجعلوهم من خاصتهم واستعانوا بهم في

إدارة دولتهم، وكان تقريبهم لهؤلاء من منطلق الهوى الشخصي أو تحت التأثير التعصب القبلي، فأوقع ذلك الدولة الأموية في حمأة الصراع القبلي، أو مفاسد الأهواء الشخصية، حيث لم يعد هم هؤلاء الأعوان والمستشارين تحقيق مصلحة الأمة أو الدولة بقدر ما يهم تحقيق مصالح عصبياتهم أو أطماعهم الذاتية، فكم رفعوا من أقوامهم أناسا وأضروا بغيرهم، وكم تظاهروا بإرضاء الخلفاء بظلم الناس وقهرهم.

وقد دفع هؤلاء الخلفاء الثمن غاليا حيث أسهم أولئك الأعوان في زرع الكراهية لبني أمية في قلوب الناس، وأدت سياساتهم القبلية إلي تمزيق المجتمع، وأثر ذلك بدوره في نجاح الدعوة العباسية التي استغلت هذا الشعور ورفعت عدة شعارات براقة مستفيدة من أخطاء خلفاء بني أمية وولاتهم.

ثامنا: أنه قد يختلف العلماء في نظرتهم تجاه بعض الأحداث والقضايا السياسية من حولهم، وهذا الاختلاف راجع إلى اختلاف وجهة نظر كل منهم في تقدير المصلحة أو تقرير الحكم الشرعي. ولكن خلافهم حيال تلك القضايا لم يتعد إلى جوانب العلاقات الأخرى بينهم، فتبقى بينهم روابط المحبة والتقدير هي سمة التعامل بينهم، فهذا سعيد بن المسيب كان على خلاف مع الإمام الزهري لقربه من بني أمية وعمله لهم، ولكن الزهري كان يزوره ويلتقيه إذا قدم المدينة، ولما مات الزهري ـ رحمه الله ـ قال سعيد: "ما ترك والده مثله"

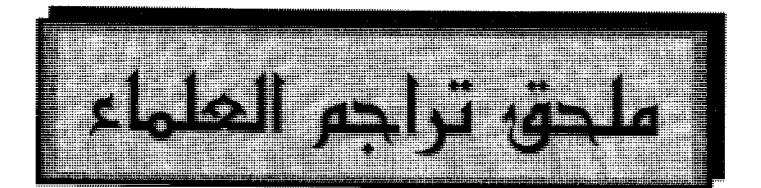
كما كان مكحول الشامي ـ رحمه الله ـ ينتقد الزهري كذلك على قربه من هشام، ولكن حين سئل من أعلم الناس قال: ابن شهاب قيل: ثم من ؟ قال: ابن شهاب. قيل: ثم من ؟ قال: ابن شهاب.

وكان الحسن البصري على خلاف مع أخيه سعيد حول الخروج على الحجاج، وتغيير المنكر بالقتال، فكان الحسن لا يرى ذلك وأخوه سعيد يرى ذلك ويحرض عليه، وكم دارت بينهما من مناقشات حادة في عدد من المجالس، ولكن كان الحسن يكن لأخيه سعيد مودة عظيمة ظهرت جليا عند موت سعيد، حيث حزن عليه الحسن حزنا شديدا وأمسك عن الكلام حتى عرف ذلك في مجلسه وحديثه.

هذا والله أسأل أن يجعل التوفيق والسداد حليفنا في الحياة، وأن يغفر لنا ويرحمنا بعد الممات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

****




ملحق تراجم العلماء



ملحق تراجم العلماء

ستقتصر الترجمة في هذا الملحق على العلماء الذين كان لهم أثر في الحياة السياسية سواء كان هذا الأثر مباشرا أو غير مباشر، أما العلماء الذين لم أقف لهم على أثر من قريب أو بعيد فلم أترجم لهم، إذ الغرض من ذكر تراجم العلماء في هذا الملحق الوقوف على قدر عدد العلماء الذين لهم أثر بحسب أقاليمهم، ولتكون هذه التراجم محلا يعزى إليه.

ثانيا: حاولت الاختصار في مادة التراجم قدر الإمكان حيث ركزت على ذكر ما يثبت أن صاحب الترجمة معدود في فئة العلماء ومن أهل العلم وحملته، وما يؤكد عيشه في عهد الدولة الأموية.

أبرز العلماء في الحجاز واليمن واليمامة في العهد الأموي

أولا: أبرز العلماء في المدينة:

أبو هريرة رضي الله عنه:

الإمام الفقيه، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أختلف في اسمه وأرجح الأقوال أنه عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، حمل عن النبي ﷺ علما كثيرا طيبا مباركا فيه، لم يلحق في كثرته، وروى عن بعض الصحابة، وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين.[1] ناب عن

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٧٨، ٥٧٩.

مـروان بـن الحكـم في ولايـة المديـنة مـدة. [1] تـوفي سـنة ثمـان وخمسـين بالمدينة. [2]

أبو سعيد الخدري رضي الله عنه:

هـو الصـحابي الجلـيل سـعد بـن مالك بن سنان الخزرجي، المدني، أحـد نجباء الصحابة وعلمائهم، حفظ عن رسول الله ﷺ سننا كثيرة وعلما جمـا [3] وهو من فقهاء الصحابة الذين انتهت إليهم الفتوى بعد رسول الله ﷺ [4] مـن المشـهورين بـراوية الحديـث والمكثرين منه وله في الصحيحين ثلاثـة وأربعـون حديـثا [5] وكان ممن يعتزل الفتن إذا وقعت، توفي سنة أربع وستين. [6]

المسور بن مخرمة رضي الله عنه:

أبـو عبد الرحمن ويقال أبو عثمان المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشـي الزهـري له صحبة، حيث ولد بمكة السنة الثانية من الهجرة، وقدم

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينو دمشق لابن عساكر: ٢٩/ ٢٠٣ . ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١١٣ ، ١١٤.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٥.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، مراجعة عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤ هـ: ١/ ٠٤٤السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٨٩ هـ: ٠٣١

(٤) الشيرازي: طبقات الفقهاء، تصحيح ومراجعة خليل الميس، دار القلم، بيروت، ص: ٠٣٣

(٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١/ ٤٤.

(٦) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١. المزي: تهذيب الكمال، مراجعة بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ: ١٠/ ٢٩٤.

بـه المدينة عـام الفتح واستوطنها، وذكره البستي في مشاهير علماء الصحابة في المدينـة [1] والشـيرازي في فقهـاء الصحابة [2] ، وقد بعثه عثمان بن عفان برسـالة إلى معاويـة بـن أبـي سفيان رضي الله عنه يستدعيه إليه لصد الذين حاصروه في المدينة، ويعد من أهل الفضل والدين، توفي سنة ٦٤هـ. [3]

وكـان المسـور ذا حكمة وحنكة، فقد خرج تاجرا إلى سوق ذي المجاز أو عكـاظ ذات مـرة فـإذا رجـل مـن الأنصار يؤم الناس أرت اللسان ـ أي ألـتغ ـ فأخـره المسـور وقـدم رجـلا غيره، فغضب الأنصاري فأتى عمر بن الخطـاب رضي الله عنه فقـال: (يـا أمـير المؤمـنين، إن المسـور أخـرني وقدم رجلا.) فغضـب عمـر واسـتدعى المسـور، فـلما قـدم عليه قال له: واعجبا لك يا مسـور. فقـال لا تعجل يا أمير المؤمنين، فوالله ما أردت إلا الخير قال: وأي خـير في هـذا ؟ فقال: إن سوق عكاظ ـ أو ذا المجاز ـ اجتمع فيها ناس كثير، عامـتهم لم يسـمع القـرآن، وكـان الـرجل أرت فخشيت أن يتفرقوا بالقرآن عـلى لسـانه. فأخـرته وقدمـت رجـلا عربـيا بيـنا. فقـال عمـر: جزاك الله خيرا. [4] .

---

(١) مشاهير علماء الأمصار: ٢١.

(٢) طبقات الفقهاء : ٣٤.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤ / ٣٠٩.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٤/ ٣٠٥-٣١٠.

مصعب بن عبد الرحمن بن عوف:

أبو زرارة مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، من عباد قريش، تـولى قضـاء مكـة مـدة، وولاه مروان بن الحكم - إبان ولايته على المدينة - القضاء، وكان حازما صارما، فلما توفي معاوية بن أبي سفيان ﷺ كان ممن خـرج عـلى يـزيد مـن أهـل المدينة، واختلف في سنة وفاته، فقيل توفي يوم الحـرة سـنة ثلاث وستين. [(١)] وقيل سنة أربع وستين وهو الأرجح لأنه كان مـع ابـن الزبير في مكة أثناء حصار الحصين بن نمير لها، وشهد جنازة المسور بن مخرمة الذي توفي سنة أربع وستين. [(٢)]

أبو شريح الخزاعي رضي الله عنه

الصـحابي الجلـيل خويلـد بـن عمرو الخزاعي رضي الله عنه من جلة الصحابة وقـرائهم. [(٣)] أسـلم قـبل فـتح مكـة، وكان معه لواء خزاعة يوم فتح مكة، روى عـن الرسـول ﷺ عدة أحاديث، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة ثمان وستين للهجرة. [(٤)]

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٦٨. الرازي: الجرح والتعديل: ٨ / ٣٠٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥ / ١٥٧.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار : ٢٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤ / ٢٩٥. ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة:٧ / ٩٨.

عبد الله بن عمر رضي الله عنه:

أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه أحد الأعلام وواحد من أهل بيعة الرضوان [(١)] ولد في مكة بعد البعثة بعامين وذلك أن عمره يوم بدر ثلاث عشرة سنة، وكانت بدر بعد البعثة بخمس عشرة سنة [(٢)] وأسلم ولم يبلغ الحلم [(٣)] وهاجر مع أبيه إلى مكة. ونشأ ابن عمر نشأة إسلامية خالصة حيث تربى على يدي والده الفاروق رضي الله عنه وتأثر بأخلاقه وصفاته حتى كان أشبه أبنائه به [(٤)]، وقد كان لابن عمر حظ وافر من العلم ذلك أنه تخرج من مدرسة الرسول، حيث كان يلازمه ويتتبع آثاره ويتعلم منه، فحفظ القرآن الكريم وجمعه في صدره وعرضه على رسول الله ﷺ [(٥)] وأضاف إلى حفظه لكتاب الله اهتمامه بحفظ أحاديث رسول الله ﷺ فكان من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ. قال النووي: (واعلم أن ابن عمر أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن النبي وهم: أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم أنس، وابن عباس، وجابر، وعائشة.) [(٦)] وجمع مع ذلك المشاركة في الجهاد في سبيل الله فقد كانت لديه رغبة جامحة منذ الصغر

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٠٤.

(٢) فتح الباري: ٨/ ٩١.

(٣) الاستيعاب ٣/ ٩٥٠.

(٤) ابن الجوزى: صفة الصفوة، ط: الثانية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٨ هـ: ١/ ٥٦٧.

(٥) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١/ ٧٤.صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن: ١٧٠. محي الدين ستو: عبد الله بن عمر: ١٣٩.

(٦) تهذيب الأسماء واللغات، المطبعة المنيرية، مصر: ١/ ٢٨٠.

للجهاد، حيث رده الرسول ﷺ من المشاركة في بدر لصغر سنه، فلما والشام. مع الرسول المشاهد كلها، وفي عهد الخلفاء الراشدين شارك في الفتوحات، فشهد اليرموك وفتح مصر وإفريقية، وشارك في الغزو في العراق والشام [1]. توفي رضي الله عنه في مكة سنة ثلاثة وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة [2].

جابر بن عبد الله رضي الله عنه:

الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي، المدني الفقيه، من أهل بيعة الرضوان.

روى علما كثيرا عن النبي ﷺ وعن عدد من الصحابة رضي الله عنهم وكان مفتي المدينة في زمانه، وفد على عبد الملك فكلمه في أهل المدينة أن يصل حقهم. [3] وكان ممن نصح الحسين بعدم الخروج على يزيد بن معاوية. [4] توفي رضي الله عنه سنة ثمان وسبعين للهجرة بعد أن عمي. [5]

---

(١) الذهبي – سير أعلام النبلاء: ٣/ ٧.

(٢) ابن حجر: الإصابة ٣/ ٣٤٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٩٠،١٨٩،١٩٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) تحقيق السلمي: ١/ ٤٤٥. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧/ ١٤٠. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ١٦٣.

(٥) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١.

عبد الله بن الحارث:

أبـو محمد عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب القرشي، وأمه هـند بنـت أبـي سـفيان، ولد على عهد الرسول ﷺ فأتت به أمه هند بنت أبـي سـفيان أخـتها أم حبيـبة زوج الرسـول ﷺ، فدخـل علـيها الرسـول. فقـال:(ما هذا يا أم حبيبة ؟ قالت: هذا ابن عمك وابن أختي، فتفل رسول الله ﷺ في فـيه ودعـا له. وسمـع من عدد من الصحابة ﷺ وروى عنهم كعمـر بـن الخطـاب، وعـثمان بـن عفـان وحريفة بن اليمان، وعبد الله بن عـباس وغيرهـم، وكان ثقة كثير الحديث، وتحول مع أبيه إلى البصرة وابتنى بهـا دارا وقـد ذكـره البسـتي في مشـاهير عـلماء الأمصـار في تابعي المدينة، وقال: توفي سنة تسع وسبعين [1] رحمه الله رحمة واسعة.

عبد الله بن جعفر:

هـو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، السيد العالم، له صحبة وروايـة، وعـداده في صـغار الصحابة، استشهد والده في معركة مؤته فكفله الـنبي ﷺ ونشأ في حجره، وكان كبير الشأن، كريما جوادا، يقال له: (قطب السخاء) لكثرة جوده، توفي سنة ثمانين للهجرة، وقيل غير ذلك. [2]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٧،٢٦،٢٥.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ: ١/ ٢٤٢. البستي: مشاهير علماء الأمصار، عنى بتصحيحه م. فلا يشهمر، دار الكتب العلمية بيروت: ٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٥٦-٤٦٢.

محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية):

السيد الإمام أبو القاسم محمد بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمه من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي خولة بنت جعفر الحنفية، ولد في العام الذي توفي فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه [(١)] وقال عنه ابن سعد:(كان كثير العلم ورعا.) [(٢)] وذكره البستي في مقدمة علماء التابعين من أهل المدينة. [(٣)] وكان رجل سلم لا يحب الفتنة ويكرهها، لذا فقد اعتزل الفتنة ولم يشارك فيها بعد وفاة يزيد بن معاوية، ولم يبايع لأحد حتى اجتمعت الأمة على عبد الملك، وتوفي سنة ثمانين للهجرة. [(٤)]

محمد بن سعد بن أبي وقاص :

هو محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي ويكنى أبو القاسم، أحد الأئمة الثقات، وروى جملة صالحة من العلم عن طائفة من الصحابة منهم أبو ه سعد بن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، وأبو الدرداء رضي الله عنهم وغيرهم. وقد روى له الشيخان، والترمذي، والنسائي، والقزويني.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١١٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٩٢.

(٣) مشاهير علماء الأمصار: ٦٢.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٢٨.

وكان ممن خرج مع ابن الأشعث، وكان مصرعه رحمه الله سنة اثنتين وثمانين.[1]

قبيصة بن ذؤيب:

الإمام الكبير والفقيه الجليل أبو سعيد، قبيصة بن ذؤيب الخزاعي المدني ثم الدمشقي، ولد عام الفتح سنة ثمان للهجرة، ومات أبو ه في آخر أيام النبي ﷺ، فأتى بقيصة بعد موت أبيه فيما قيل، فدعا له ﷺ وكان ثقة مأمونا، كثير الحديث، وروى عن عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم منهم عمر بن الخطاب، وأبو الدرداء، وبلال، وعبد الرحمن بن عوف، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت وعدة.

وكان في أول أمره معلم كتاب ونبغ في العلم حتى أصبح من فقهاء المدينة المعدودين، قال عنه مكحول: (ما رأيت أحدا أعلم من قبيصة،.) وعن الشعبي قال: (كان قبيصة أعلم الناس بقضاء زيد بن ثابت.) وقال ابن شهاب الزهري: (كان قبيصة من علماء هذه الأمة، وقال أبو الزناد: كان عبد الملك بن مروان رابع أربعة في الفقه والنسك، هو وسعيد بن المسيب، وقبيصة بن ذؤيب، وعروة بن الزبير.) توفي سنة ست وثمانين للهجرة .[2]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٦٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء:٤/ ٣٤٨، ٣٤٩. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٩/ ١٨٣ .

(٢) انظر ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٧٦، البستي: مشاهير علماء الأمصار ٦٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٨٢-٢٨٣.

عروة بن الزبير:

أبـو عبد الله عروة بن الزبير- حواري رسول الله - بن العوام الأسدي القرشـي، الإمـام عـالم المديـنة، وأحـد الفقهاء السبعة فيها، ولد سنة ثلاث وعشـرين لـلهجرة عـلى الأرجح.[1] نشأ في المدينة وتعلم العلم على يدي جلـة مـن صـحابة ر سـول الله ﷺ وفي مقدمـتهم خالته أم المؤمنين عائشة رضـي الله عـنها حيث لازمها وتفقه عليها. فقد قال: (لقد رأيتني قبل موت عائشـة بـأربع حجج وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندنا إلا وقـد وعيـته، ولقـد كـان يبلغني عن الصحابي الحديث فآتيه، فأجده قد قال، فأجلس على بابه، ثم أسأله عنه)[2].

وأصـبح له بعـد ذلـك شـأن في العـلم ومكانـة كـبيرة، شـهد له بهـا معاصـروه ومن بعدهم من أهل العلم والفضل. فقال الزهري: (سألت ابن صـعير عـن شـيء مـن الفقـه فقـال: علـيك بهذا، وأشار إلى ابن المسيب، فجالسـته سـبع سـنين لا أرى عالمـا غيره، ثم تحولت إلى عروة، ففجرت به ثـبج بحر) وقال عنه أيضا: (رأيت عروة بحرا لا تكدره الدلاء)[3]. وقال أبـو الـزناد: (فقهـاء المدينة أربعة: سعيد، وعروة، وقبيصة، وعبد الملك بن

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخه: ١٥٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٢١، ٤٢٢.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٥١، الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٤٢٤.

(٣) الفسوي: المصدر السابق نفسه: ٥٥٢ .الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٢٤.

مـروان.) وقال عمر بن عبد العزيز: (ما أجد أعلم من عروة بن الزبير، وما أعلمه يعلم شيئا أجهله) [1].

وكـان عـروة بـن الزبير معتزلا في الفتن كما قال عنه أحمد بن عبد الله العجلي:" عروة تابعي ثقة، رجل صالح، لم يدخل في شيء من الفتن، [2] لذا فإنـه عـلى الرغم من كونه كان مع أخيه عبد الله خلال ولايته على الحجاز وطلـبه الخلافة، إلا أنه كان يحرص على الإصلاح لاسيما بين أخيه وبعض العـلماء الذيـن أراد عبد الله أخذ بيعتهم بالقوة، وهذا الموقف ما جعل عبد الملك وبني أمية يحسنون علاقتهم مع عروة بعد قتل أخيه ووفوده عليهم.

وقـد اخـتلف في سـنة وفاتـه فقـيل: سـنة ثلاث وتسعين وقيل: أربع وقيل: خمس وقيل: تسع وتسعين للهجرة [3].

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث:

هـو أبـو بكـر بـن عـبد الـرحمن بـن الحـارث بـن هشـام بـن المغـيرة المخزومي، ولد في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وأسمه كنيته، أحد سادات قـريش ورجالاتهـا اجتمعـت فـيه خصـال حـميدة ومناقب جليلة. فهو أحد العـلماء الأجـلاء، حيث يعد واحدا من فقهاء المدينة السبعة، جمع بين الفقه وكـثرة الحديـث، وكـان سـخيا كـريما، كما كان عابدا زاهدا، فكان يسمى راهـب قـريش لكثرة صلاته وصيامه. قال عنه الإمام الذهبي: " كان أبو بكر

---

(١) الذهبي المصدر السابق نفسه: ٢٢٥.

(٢) ابن منظور: الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٤٣٣.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٦٤، الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٤٣٤.

بـن عـبد الـرحمن ممن جمع العلم والعمل والشرف.[1]، توفي رحمه الله سنة أربع وتسعين للهجرة.[2]

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف:

هـو أبـو سـلمة بـن عـبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث القرشـي الزهري، ويقال اسمه عبد الله، من الطبقة الثانية من تابعي المدينة، ولـد سـنة بضـع وعشـرين لـلهجرة، الحـافظ أحد الأعلام بالمدينة، وكان طلابة للعلم، فقيها، مجتهدا كبير القدر، حجة. قاله الذهبي، وقال أبو زرعة: "ثقـة إمام." وقال مالك: "كان عندنا من رجال أهل العلم،" وقال الزهري: "أربعـة مـن قـريش وجدتهم بحورا، عروة، وابن المسيب، وأبو سلمة، وعبيد الله بن عبد الله[3]

تـولى قضـاء المدينة في ولاية سعيد بن العاص سنة ثمان وأربعين[4]، وقـال عنه ابن سعد: "وكان ثقة فقيها كثير الحديث وتوفي سنة أربع وتسعين وهـو ابن اثنتين وسبعين سنة[5] وكان ممن نصح الحسين بن علي رضي الله عنه بعدم الخروج[6].

---

(١) الذهبي. سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤١٦، ٤١٧.

(٢) ابن سعد: المصدر السابق نفسه/ ٢٠٨، البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٦٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٨٧-٢٩١.

(٤) خليفة بن خياط. تاريخه: ٢٢٨ . ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٥٥.

(٥) ابن سعد: المصدر السابق نفسه: ١٥٧.

(٦) ابن كثير: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٥١.

علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه :

السيد الإمام علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه زين العابدين، ولد سنة ثمان وثلاثين، وطلب العلم على يد كبار علماء التابعين، مثل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وزيد بن أسلم، ولم يكن يأنف من أخذ العلم من أي شخص كان. [١] وقد شهد له بالعلم والفضل عدد من كبار التابعين وتابعيهم، فقال الزهري: "ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحدا كان أفقه منه، ولكنه قليل الحديث." وقال أيضا: "لم أدرك من أهل البيت أفضل من علي بن الحسين" وعن يحيى بن سعيد قال: "سمعت علي بن الحسين ـ وكان أفضل هاشمي أدركته ـ يقول: يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما يرح بنا حبكم حتى صار علينا عارا." وقال أبو حازم المدني: "ما رأيت هاشميا أفقه من علي بن الحسين" [٢].

وكان علي بن الحسين من أحسن أهل بيته طاعة لبني أمية، وأحبهم لمروان وعبد الملك بن مروان، وكان يرى خلافتهم ويصلي وراءهم. [٣]

واشتهر عن علي بن الحسين خدمته للفقراء والمساكين والسعي في حوائجهم رحمه الله، فقد كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٤٥.

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٨٦-٤٠٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥ / ٢١٥.

أيـن كـان معاشـهم، فـلما مـات علـي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتـون باللـيل، ولـما مـات رحمه الله وجدوا بظهره أثرا مما كان ينقل الجرب بالليل إلى منازل الأرامل [١] .توفي رحمه الله سنة أربع وتسعين [٢] .

سعيد بن المسيب:

هـو سـعيد بن المسيب [٣] بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي. ولـد في السنة الخامسة عشرة للهجرة [٤] ، نشأ في المدينة النبوية وتربى بها، ونهـل العـلم مـن صـحابة رسـول الله ﷺ وكان حريصا على طلب العلم وحفـظ الحديـث خاصـة حـتى كـان يقول: "كنت أرحل الأيام والليالي في طلـب الحديـث الواحـد [٥] ، وأصـبح بعـد ذلـك نابغـة في العلم يشار إليه بالبـنان، فقـال عنه الذهبي:" الإمام العلم، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في المديـنة. " وقال قتادة: " ما رأيت أعلم من سعيد بن المسيب" وبنحو هذا قال

---

(١) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٣٩٣.

(٢) سعد: المصدر السابق: ٢٢١. الذهبي: المصدر السابق: ٣٩٩.

(٣) المسيب بفتح الياء المشددة وهو المشهور، وروى عنه أنه كان يكره ذلك يقول بكسر الياء، ويقول سيب الله من سيب أبي، وأهل المدينة يكسرونها عملا بذاك. (النووي: تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، مصر:١/ ٢١٩. المكي: مرآة الجنان، ط: الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣ هـ: ١/ ١٨٦. وهبة الزحيلي: سعيد بن المسيب سيد التابعين، ط: الثالثة، دار القلم، دمشق، ١٤٠١هـ ص: ١٣) وفي أغلب المصادر ترد مشكولة بالكسر انظر: ابن قتيبة: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط: الرابعة، دار المعارف، القاهرة:٤٣٧.ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م:٢/ ٣٧٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢١٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١١٩، ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٩٩)

(٥) ابن سعد: المصدر السابق نفسه: ٥/ ١٢٠، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٨٦ .

مكحول، والزهري وغيرهم. وقال علي بن المديني: " لا أعلم أحدا أوسع علما من ابن المسيب، وهو عندي أجل التابعين "[1] .وقد كان له حلق لدروس العلم،وكان مجلسه أكبر المجالس وأعظمها، وقال مكحول لما مات سعيد بن المسيب: استوى الناس. ما كان أحد يأنف أن يأتي إلى حلقة سعيد بن المسيب، ولقد رأيت فيها مجاهدا وهو يقول: لا يزال الناس بخير ما بقي بين أظهرهم "[2] .

وقد كان يفتي الناس وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء [3] وقد جمع مع غزارة علمه بالحديث والفقه والتفسير التعبير للرؤيا، فقد كان إماما في تعبير الرؤيا [4] ، توفي رحمه الله سنة أربع وتسعين بالمدينة. [5]

طلحة بن عبد الله بن عوف:

هو أبو محمد طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ﷺ من تابعي أهل المدينة وأشهر علمائهم جمع خصالا حميدة ومناقب عديدة فقال عنه الذهبي: [6]" وكان شريفا جوادا، حجة إماما، يقال له طلحة الندى ".

---

(١) انظر هذه الأقوال في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢١٧، ٢٢٢ وللمزيد من الوقوف على شهادات العلماء بفضل سعيد وعلمه انظر: سعيد بن المسيب للزحيلي ص٩٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٢/ ٣٨١.

(٣) ابن سعد: المصدر السابق: ٢/ ٣٧٩، ٥/ ١٤١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٨٢.

(٥) ابن سعد: ٥/ ١٤٣، الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦/ ٤٩١.

(٦) سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٧٥.

وقال عنه البستي [1]: "من فقهاء أهل المدينة وعلمائهم بالشروط.، وكان ثقة كثير الحديث، سخيا جوادا، وكان سعيد بن المسيب يقول ما ولينا مثله. [2]

وأما ابن عساكر [3] فقال عنه: " المدني الفقيه، وكان من سروات قريش، وكان يقال له طلحة الندى، وكان هو وخارجة بن زيد بن ثابت في زمانها يستفتيان وينتهي الناس إلى قولهما، ويقسمان المواريث بين أهلها من الدور والنخيل والأموال، ويكتبان الوثائق للناس بغير جعل. "

وكان قد تولى قضاء المدينة زمن يزيد بن معاوية [4]، كما تولى ولاية المدينة لابن الزبير [5] وله قصص كثيرة في الجود والسخاء جعلتهم يسمونه بطلحة الندى. توفي رحمه الله سنة سبع وتسعين وله من العمر ثنتان وسبعون سنة. [6]

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الإمام الفقيه، مفتي المدينة وعالمها، وأحد الفقهاء السبعة [7] شهد له بغزارة العلم

---

(١) مشاهير علماء الأمصار: ٦٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥ / ١٦١.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق: ١١/ ١٨٩.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٧٤.

(٥) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ١٧٤.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٦١. البستي: مشاهير علماء الأمصار : ٦٧.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٧٥.

وجلالـه القـدر، فقـال عـنه محمـد بن عمر الواقدي:" كان ثقة، عالما، فقيها، كـثير الحديث والعلم بالشعر [1] .وقال أحمد بن عبد الله العجلي: "كان أحد فقهـاء المديـنة، ثقـة رجـلا صـالحا، جامعـا للعـلم، وهو معلم عمر بن عبد العزيـز. و قـال أبـو زرعة: "ثقة، مأمونا، إماما." وقال الزهري: "ما جالست أحـدا مـن العـلماء إلا وأرى أني قد أتيت على ما عنده، وقد كنت أختلف إلى عـروة بن الزبير حتى ما كنت أسمع منه إلا معادا ما خلا عبيد الله، فإنه لم آته إلا وجدت عند علما طريفا [2] .

وهـو معلم عمر بن عبد العزيز، وكان عمر يجله ويقدره خلال ولايته عـلى المديـنة ويأتـيه في منزـله فـربما أذن له وربما حجبه، توفي رحمه الله سنة ثمان وتسعين للهجرة [3] .

خارجة بن زيد الأنصاري:

أبـو زيـد خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري، الإمام بن الإمـام وأحـد الفقهـاء السبعة الأعلام، قال أبو الزناد: "كان الفقهاء السبعة الذي يسألون بالمدينة وينتهي إلى قولهم: سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الـرحمن، وعـروة، والقاسـم، وعبـيد الله بـن عـبد الله، وخارجـة بـن زيد، وسـليمان بـن يسـار." وقـال عبـيد الله بـن عمـر: "كان الفقه بعد أصحاب رسـول الله بالمديـنة في خارجـة بن زيد بن ثابت وسعيد بن المسيب و ..."

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٥٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٧٦.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٦٤.

وقال مصعب بن الزبير: "كان خارجة بن زيد، وطلحة بن عبد الله بن عوف في زمانهما يستفتيان، وينتهي الناس إلى قولهما، ويقسمان المواريث"[1] وقال البستي عنه: "من فقهاء المدينة وعقلائهم وعباد التابعين وعلمائهم."[2] مات سنة تسع وتسعين وكان عمر بن عبد العزيز يجله ويقدره، فلما توفي قال عمر: ثلم والله في الإسلام.[3]

نافع بن جبير:

أبو محمد وقيل أبو عبد الله نافع بن جبير بن مطعم بن عدي القرشي، الفقيه، الإمام، الحجة، وثقة العجلي، وأبو زرعة، وجماعة، وقال عنه ابن حبان: "كان من خيار الناس، كان يحج ماشيا وناقته تقاد معه. وكان يعد من فصحاء قريش."[4]. وقدم العراق غازيا ولقي الحجاج وكان له معه موقف نصح. توفي سنة تسع وتسعين للهجرة.[5]

محمد بن جبير:

أبو سعيد محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل[6]. إمام فقيه ثبت، أحد العلماء الأشراف، صاحب كتب وعناية بالعلم[7] وقال عنه

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: : ٤/ ٤٣٧-٤٣٩

(٢) مشاهير علماء الأمصار: ٦٤.

(٣) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٤٤٠.

(٤) الذهبي: المصدر السابق: ٤/ ٥٤١، ٥٤٢.

(٥) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦/ ١٠٥، ١٠٦.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٠٥.

(٧) الذهبي: سيد أعلام النبلاء: ٦/ ٥٤٣، ٥٤٤.

البستي: "من علماء قريش وحفاظهم لأيامها، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز "[1] كانت له مواقف حسنة في تثبيت العامة في الفتن وتسكينهم[2].

عمر بن عبد العزيز:

أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي القرشي، الإمام الحافظ، العلامة المجتهد، الزاهد العابد السيد أمير المؤمنين الخلفية الراشد، بهذه الصفات قدم الذهبي ترجمة عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ [3] ولد سنة ثلاث وستين للهجرة، [4] وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وعلى الرغم من أنه عاش في بيت نعمة وترف إلا أن والده لما لمس فيه الفطنة والذكاء وحب العلم أرسله إلى المدينة لينهل العلم من علمائها، وفي رواية أن عبد الله بن عمر هو الذي طلب من ابنة أخيه ـ أم عمر ـ أن تبقيه في المدينة عنده [5]، وقيل إن عمر هو الذي طلب ذلك من والده، فنقل الزبير بين بكار عن العتبي: أنه لما أراد والد عمر إخراجه قال لأبيه أو غير ذلك ؟ لعله أن يكون أنفع لي ولك: ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاء أهلها، وأتأدب بآدابهم، فوجهه إلى المدينة. [6] وعلى كل

---

(١) مشاهير علماء الأمصار: ٧٢.

(٢) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ١٢٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١١٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥ / ٣٣٠.

(٥) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز: ٢٥.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١١٧.

مكث عمر ي المدينة أول حياته، وتلقي العلم على يد كبار التابعين فيها حتى نبغ فيه مع حداثة سنه، وشهد له بالسبق فيه عدد من العلماء والكتاب. فقال عمرو بن ميمون: "كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة." وعن ميمون بن مهران قال:" أتينا عمر بن عبد العزيز ونحن نرى أنه يحتاج إلينا، فما كنا معها إلا تلامذة [(١)].

ولاه الوليد بن عبد الملك إمارة المدينة، فأحسن عمر السيرة في ولايته. [(٢)] وتولى الخلافة سنة تسع وتسعين. توفي رحمه الله سنة إحدى ومائة [(٣)].

يزيد بن الأصم:

الإمام الحافظ يزيد بن عمرو ويقال عبد عمرو ويقال عدس بن معاوية أبو عوف العامري، ابن أخت أم المؤمنين ميمونة وثقه العجلي وأبو زرعة والنسائي وغيرهم [(٤)] وقال عنه ابن سعد: " كان كثير الحديث " [(٥)] وذكره البستي في عداد العلماء من تابعي أهل المدينة. [(٦)] بينما عده الذهبي

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢٠.

(٢) عن سيرة عمر في ولايته قبل الخلافة انظر: ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، تصحيح وتعليق أحمد عبيد، ط: السادسة، عام الكتب، بيروت، ١٤٠٤ هـ: ٢٥. ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الفكر: ٢٥، ٢٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٤٠٨.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥١٨،٥١٧.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٧/ ٤٧٩.

(٦) مشاهير علماس الأمصار: ٧٤.

مـن جلـة تـابعي الـرقة [1]، تـوفي سـنة ثلاث ومائة للهجرة وعمره ثلاث وسـبعون [2] ولـه مواقـف نصح مع عبد الملك بن مروان والحسين بن علي رضي الله عنه [3]

عراك بن مالك:

هـو عـراك بـن مـالك الغفاري المدني: قال عنه الإمام الذهبي: (أحد العلماء العاملين) [4] وقال ابن عساكر: "كان ثقة من خيار التابعين." وقال عمـر بـن عبد العزيز: "ما رأيت أكثر صلاة من عراك بن مالك، كان يقرأ في كـل ركعـة عشـر آيـات [5] وقدم الشام على عمر بن عبد العزيز فكانت له عـنده مـنزلة عظـيمة، حيـث جعلـه من خاصته وبطانته، وكان يأخذ بآرائه وتوجـيهاته، فـلما تـوفي عمر عاد إلى بلده المدينة، فلما عاد إليها قربه واليها عـبد الواحـد النصري وجعله من مستشاريه، ولكن يزيد بن عبد الملك أمر والـيه عـلى المديـنة بأن ينفي عراك إلى جزيرة دهلك [6] لمواقفه مع عمر بن عـبد العزيـز مـن بـني أمية، ومكث هناك حتى توفي، وكان له اثر حميد على أهـل جزيـرة دهلـك في نشر العلم والخير بين أهلها، وكان عمر قد نفي إلى دهلـك الشـاعر الأحـوص فاستقدمه يزيد. فكان أهلها يقولون: "جزى الله

---

(١) الذهبي: المصادر السابق نفسه: ٥١٧.

(٢) البستي: المصدر السابق الصفحة نفسها

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٧/ ٣٢٣.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٣، ٦٤.

(٥) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٦/ ٣٣٧

(٦) دهلك: جزيرة في بحر اليمن، وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة، وكان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (ياقوت: معجم البلدان: ٢ / ٤٩٢)

عـنا يـزيد خيرا، كان عمر قد نفي إلينا رجلا علم أولادنا الباطل، وإن يزيد أخـرج إليـنا رجـلا علمنا الله على يديه الخير"[1]. وقدوم عراك على عمر بن عبد العزيز ومصاحبته له جعلت بعض المترجمين له يعده من أهل الشام، مثل البستي حيث عده من مشاهير التابعين بالشام[2].

أبان بن عثمان:

أبـو سـعيد أبـان بـن عـثمان بـن عفـان رضي الله عنه الإمـام الفقـيه، الأمـير، الأمـوي المدنـي. قـال يحيى القطـان: "فقهاء المدينة عشرة: أبان بن عثمان، وسـعيد بـن المسـيب، و.... "وذكـر سائرهم. وقال مالك: "حدثني عبد الله بـن أبـي بكـر، أن والـده أبا بكر بن حزم كان يتعلم من أبان القضاء، وعن عمـرو بـن شـعيب قـال: "ما رأيت أحدا أعلم بحديث ولا فقه، من أبان بن عـثمان"[3] وقـال ابن سعد[4]: "كان ثقة وله أحاديث." وقال البستي[5]: "كـان مـن أعـلم الـناس بالقضاء تولى إمارة المدينة سبع سنين"[6] وتوفي سنة خمـس ومائـة[7] وهـو مـن أوائـل الـتابعين الذين دونوا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه.[8]

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٦ / ٣٣٨.

(٢) مشاهير علماء الأمصار: ١١٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٥١-٣٥٣

(٤) الطبقات الكبرى: ٥/ ١٥٣.

(٥) مشاهير علماء الأمصار: ٦٧.

(٦) الذهبي المصدر السابق نفسه: ٣٥٢.

(٧) تاريخ خليفة بن خياط.

(٨) السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ط: الأولى، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٦هـ: ٢٩٦.

سالم بن عبد الله بن عمر:

أبـو عمـر سـالم بـن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإمام الزاهد، الحـافظ مفـتي المدينة، وأحد فقهائها السبعة الذين كان أهل المدينة يصدرون عـن رأيهـم، وكـان والـده عـبد الله أشبه ولد عمر به، وكان سالم أشبه ولد عـبد الله بـه. قـدم على عبد الملك بن مروان ببيعة والده عبد الله بعد مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وكانت له مواعظ وتوجيهات مهمة قدمها لعمر بن عـبد العزيـز ـ رحمـه الله ـ تـوفي سـنة سـبع ومائة للهجرة وقيل سنة ست ومائة. [(١)]

القاسم بن محمد بن أبي بكر:

أبـو محمد ويقال أبو عبد الرحمن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه التـيمي القرشـي، ولـد في خلافة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه روى عـن جمـع مـن الصحابة وتعلم منهم العلم حتى نبغ فيه، وأصبح من علماء المديـنة وأفاضلها قال عنه ابن عساكر: "كان القاسم من خيار التابعين حمل العـلم عـنه، وكـان ثقـة عالمـا فقـيها، إما ما كثير الحديث، ورعا، وكان من أفضـل زمانـه [(٢)] وقـال الذهبي عنه: 'الإمام القدوة الحافظ الحجة، عالم وقته بالمديـنة مـع سـالم وعكـرمة [(٣)] ...وشـهد له بالعـلم والفضـل عـدد من

---

(١) عن ترجمته انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٩٥، البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٦٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٥٧-٤٦٧.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢١/ ٤٥، ٤٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٥٤،٥٣.

معاصريه ومن بعدهم. فعن يحي بن سعيد قال:" ما أدركنا أحدا نفضله على القاسم." قال أيضا: " فقهاء المدينة عشرة" وعد منهم القاسم. وعن أبي الزناد قال:" ما رأيت أحدا أعلم بالسنة من القاسم بن محمد" وذكر أن سبعة نفر من أهل المدينة مشيخة نظراء إذا اختلفوا أخذوا بقول أكبرهم وأفضلهم، وذكر منهم القاسم بن محمد.وكان عمر بن العزيز يقول: " لو كان لي من الأمر شيء لوليت القاسم الخلافة [(١)] توفي رحمه الله سنة سبع ومائة وقيل اثنين ومائة للهجرة [(٢)].

سليمان بن يسار:

هو سليمان بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي ﷺ، ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه قال عنه الإمام الذهبي: " الفقيه الإمام، عالم المدينة ومفتيها " وكان من أوعية العلم حتى إن بعضهم قد فضله على سعيد بن المسيب. وقال الزهري عنه:" كان من العلماء." وقال أبو الزناد:" كان ممن أدركت من فقهاء المدينة وعلمائهم ممن يرضى وينتهي إلى قولهم..." وذكر جملة من العلماء منهم سليمان بن يسار. وكان السائل يأتي سعيد بن المسيب فيقول: اذهب إلى سليمان بن يسار فإنه أعلم من

---

(١) عن هذه الأقوال في القاسم انظر: الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/٥٤٦. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢١ / ٤٧، ٤٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٥٥.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ٣٣٨ . البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٦٣. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢١ / ٥١.

بقـي اليوم. وقال ابن سعد:" كان ثقة، عالما، رفيعا، فقيها، كثير الحديث." [١] مـات سـنة سـبع ومائة، وقيل سنة أربع ومائة للهجرة. [٢] وقد ولى سليمان بن يسار سوق المدينة لعمر بن عبد العزيز خلال ولايته على المدينة [٣] .

عكرمة مولى عبد الله بن عباس:

كـان أصـله مـن الـبربر: وسكن المدينة وسمع من عدد من الصحابة، وطلـب العـلم حـتى نـبغ فيه فكان يقول: 'طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفـتي بالـباب وابـن عـباس في الـدار. " وشهد له عدد من العلماء بنبوغه في العـلم وعلـو مكانته فيه. فقد قيل لسعيد بن جبير: تعلم أحدا أعلم منك ؟ قـال: نعـم. عكرمة. وقال الشعبي:" ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة ." وقـال قـتادة: أعـلم الـناس بـالحلال والحرام الحسن، وأعلمهم بالمناسك عطـاء، وأعـلمهم بالتفسير عكرمة [٤] .وقال ابن سعد: قالوا: " وكان عكرمة كـثير الحديـث والعـلم بحـر من البحور، وليس يحتج بحديثه، ويتكلم الناس فـيه [٥] . ولعـل السبب في تكـلم الـناس فـيه لأنـه كان يرى رأى الخوارج

---

(١) عن هذه الأقوال في الثناء على سليمان بن يسار انظر: الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٤٩. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٧٤، ١٧٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٤٤-٤٤٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥ / ١٧٥. خليفة بن خياط: تاريخه: ٣٣٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥ / ١٧٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٤٨.

(٤) عن هذه الأقوال في عكرمة انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٢- ١٨.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٩٣.

ويدعو إليه، فقد انتقل إلى مصر ثم إلى المغرب ونشر مذهب الخوارج في المغرب [١] . توفي سنة سبع ومائة للهجرة [٢] .

محمد بن كعب القرظي:

أبو حمزة وقيل أبو عبد الله محمد بن كعب بن سليم القرظي، كان والده ممن لم ينبت يوم قريظة فسبي ولم يقتل، ولد في آخر خلافة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه سنة أربعين، قال عنه الذهبي: "الإمام العلامة الصادق." وقال ابن سعد: "كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا ." وقال ابن المدني وأبو زرعة والعجلي: مدني تابعي رجل صالح عالم بالقرآن. وكان صاحب عبادة وانقطاع لله، وكانت له مواعظ ومواقف نصح لبعض الخلفاء خاصة عمر بن عبد العزيز [٣] وذكره البستي عداد علماء التابعين في المدينة وقال عنه: "من عباد أهل المدينة وعلمائهم بالقرآن مات سنة ثمان ومائة." [٤]

عبد الحميد بن عبد الرحمن العدوي:

أبو عمر عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب المدني من سادات أهل المدينة، الإمام الثقة والأمير العادل، ومن متقني قريش

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥ / ٢٩٢، ٢٩٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٢٠، ٢١.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٨٢.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٥، ٦٨.

(٤) مشاهير علماء الأمصار: ٦٥.

وصـالحيهم، ولاه عمر بن عبد العزيز على الكوفة، توفي رحمه الله سنة نيف وعشرة ومائة [1].

إبراهيم بن محمد بن طلحة:

أبـو إسـحاق إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، أحـد عـلماء الـتابعين في المديـنة [2]، وأحد رجالات الكمال، قوالا بالحق، فصيحا صارما لا تأخذه في الحق لومة لائم.

وكـان عريف بني تيم ورأسها، [3] ولي خراج العراق لابن الزبير توفي سنة عشر ومائة. [4]

الأعرج بن هرمز:

الإمـام الحـافظ، الحجـة المقرئ أبو داود عبد الرحمن بن هرمز المدني، مـولى محمـد بـن ربـيعة بـن الحـارث الهاشمي، أخذ القراءة عرضا على أبي هريـرة وابـن عـباس وغيرهمـا، وكان يكتب المصاحف، وكان أعلم الناس بأنسـاب قـريش، انـتقل آخر عمره إلى الإسكندرية للمرابطة، وتوفي مرابطا

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٣٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٩.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٦٦.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤/ ١٢٤.

(٤) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٥٦٢، ٥٦٣.

بهـا سـنة سـبع عشرة ومائة للهجرة. [١] وقال عنه ابن سعد: "كان ثقة كثير الحديث " [٢]

محمد بن إبراهيم التيمي:

محمـد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد من تيم بن مرة القرشي المدني الحـافظ، مـن علماء المدينة وقال عنه ابن سعد: "كان فقيها محدثا، وكان ثقة كـثير الحديـث " [٣] وذكره البستي [٤] في علماء التابعين في المدينة وقال عنه: "وكـان مـن المـتقين" وكـان محمـد بن إبراهيم عريف قومه، توفي سنة إحدى وعشرين ومائة. [٥]

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم:

أبـو بكـر بـن محمـد بـن عمـرو بـن حزم الأنصاري الخزرجي المدني الفقـيه، كان من المحدثين في المدينة، ومن أهل الإفتاء فيها، فعن سليمان بن عـبد الـرحمن بـن خـباب قـال: "أدركـت رجـالا من المهاجرين ورجالا من الأنصـار مـن الـتابعين يفـتون بالبلد" وعد من الأنصار أبا بكر بن محمد بن عمـرو بـن حـزم [٦] وقـال عـنه الذهبي:" أحد الأئمة الأثبات قيل كان أعلم

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٩، ٧٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٨٤.

(٣) الذهبي المصدر السابق نفسه: ٢٩٤.

(٤) مشاهير علماء الأمصار: ٧٨.

(٥) الذهبي المصدر السابق نفسه: ٢٩٥

(٦) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٨/ ١٥٩، ١٦١.

أهـل زمانـه بالقضـاء "[1] تـولى قضـاء المدينـة في إمـرة عمر بن عبد العزيز، وتولى إمارتها في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز [2] توفي رحمه الله سنة عشرين ومائة [3].

محمد بن مسلم الزهري:

أبـو بكـر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري القرشي المدني، ولد سنة إحـدى وخمسـين للهجرة، أحد بحور العلم، قال عنه الذهبي: "الإمام العلم، حـافظ زمانـه". وقـال عنه الليث بن سعد: "ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شـهاب، يحـدث في الترغيـب فتقول: لا يحسـن إلا هـذا، وإن حـدث عـن العـرب والأنساب، قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة، كـان حديـثه". وعن أ بي الزناد قال: " كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شـهاب يكتـب كـلما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم زمانه. " وقال سـفيان الـثوري: "كان الزهري أعلم أهل المدينة ." وعن قتادة قال: " ما بقي أحـد أعـلم بسـنة ماضيه من ابن شهاب، وآخر كأنه عني نفسه." وعن ابن عينـية قـال: "كـانوا يـرون يـوم مـات الزهـري أنـه ليس أحد أعلم بالسنة منه " [4]. والأقوال في غزارة علم الزهري كثيرة يطول المقام بذكرها.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣١٣، ٣١٤

(٢) تاريخ خليفة بن خياط:٣١٢، ٣١٧، ٣٢٣.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٧٦.

(٤) عن هذه الأقوال انظر: الذهبي: المصدر السابق: ٢/ ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٦.

وفـد الزهـري على عبد الملك واتصل به عن طريق تقريب قبيصة بن ذؤيـب له، وازدادت صـلة الزهري بخلفاء بني أمية أكثر في عهد هشام حتى لازم بلاطـة واتخـذه مؤدبـا لأبـنائه [1] . تـوفي رحمـه الله سنة أربع وعشرين ومائة [2] .

عبد الرحمن بن القاسم:

أبـو محمـد عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﵁ من أتباع التابعين بالمدينة قال عنه الذهبي: "الإمام الثبت الفقيه، وكان إماما، حجـة، ورعا، فقيه النفس، كبير الشأن. وروى البخاري في كتاب الحج عن ابـن عتبة قـال: حدثـنا عبد الرحمن بن القاسم وكان أفضل أهل زمانه [3] . وقـال عـنه البسـتي: "مـن سـادات أهـل المدينة ومتقنيهم، ومن عباد قريش وصـالحيهم، مـات سـنة سـت وعشـرين ومائة " [4] وقال ابن عساكر: "كان عـبد الـرحمن مـن أفضـل أهل زمانه، ولم يكن بالمدينة رجل أرضى منه " [5] وفـد عـلى هشـام بـن عـبد الملك متظلما من عامل المدينة، وكان الوليد بن يـزيد الفاسـق قـد استوفده مع بعض العلماء ليستفتيهم، ولكن عبد الرحمن توفي في الطريق رحمه الله سنة ست وعشرين ومائة للهجرة [6] .

---

(١) سياتي الحديث عن ذلك انظر ص: ١٦٦.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٦٦.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٥.

(٤) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٢٨.

(٥) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥ / ١٢.

(٦) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٥/ ١١.الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦ / ٥، .

يعقوب بن عتبة:

يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي المدني أحد علماء السيرة، وكان ذا علم وورع، وثقة يحيى بن معين وغيره [1] وكان ورعا سلما، وكان يستعمل على الصدقات، ويستعين به الولاة، قال عنه محمد بن عمر: "هؤلاء العشرة سنا واحدة، فقهاء علماء: يعقوب بن عتبة و..."ومات يعقوب سنة ثمان وعشرين ومائة [2]

عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري:

أبو طوالة عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الأنصاري، قال عنه الإمام الذهبي الإمام قاضي المدينة، وكان فقيها ثقة صواما قواما خيرا [3]. وكان يحدث حديثا حسنا، وكان رجلا صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يدخل على الوالي فيكلمه في الأمر وينصحه في المشورة، ولا يرفق له ولا يكف عنه شيئا من الحق بكلمة. [4] توفي رحمه الله بعد الثلاثين ومائة [5]

---

(١) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ١٢٤.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٨ / ٤٩، ٥٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٥١.

(٤) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦٧٤.

(٥) الذهبي: المصدر السابق الجزء والصفحة نفسها.

عبد الله بن ذكوان:

أبـو عبد الرحمن ويلقب بأبي الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي وأبو ه مـولى رملـة بنـت شـيبة زوجـة عثمان بن عفان ﷺ ولد سنة خمس وستين لـلهجرة وقـال عـنه الذهبي الإمام الحافظ المفتي، وكان من علماء الإسلام، ومـن أئمـة الاجـتهاد، وشـهد له عـدد من العلماء والأئمة بمكانته في العلم وتمكـنه في الحديـث. فقـال سـفيان الـثوري: "أبـو الـزناد أمـير المؤمـنين في الحديـث." وقـال العجلـي: "تـابعي ثقـة." وقـال علـي بـن المديني: "لم يكن بالمديـنة بعـد كـبار الـتابعين أعـلم مـن ابن شهاب، ويحيى بن سعيد، وأبي الـزناد، وبكـير بـن الأشـج." وقال البخاري: "أصح أسانيد أبي هريرة: أبو الـزناد، عـن الأعـرج، عن أبي هريرة."[1] ذكره البستي في أتباع التابعين من أهل المدينة وقال عنه من فقهاء المدينة وعبادهم.[2]

وقـد تـولى عـددا مـن الأعمـال لـبني أمـية وعمالهم. توفي سنة ثلاثين ومائة للهجرة وقيل إحدى وثلاثين.[3]

سمي المدني:

مـولى أبـي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، المدني الحافظ، حدث عن مولاه أبي بكر وسعيد بن المسيب، وأبي صالح السمان وطائفة.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٤٥-٤٥٠.

(٢) مشاهير علماء الأمصار: ١٣٥.

(٣) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٤٤٧، ٤٥٠، البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٣٥.

وثقه الإمام أحمد وغيره، وكان من علماء الحديث في المدينة، وأحد المتقنين، وأهل الفضل في الدين. قتلته الحرورية [(١)] يوم قديد [(٢)] سنة ثلاثين ومائة.[(٣)]

محمد بن المنكدر:

أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى من بني كعب بن لؤي الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام القرشي التيمي، ولد سنة بضع وثلاثين قال عنه سفيان الثوري: "كان من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون، ولم يدرك أحدا أجدر أن يقبل الناس منه إذا قال: قال رسول الله منه." وكان رحمه الله كثير العبادة قريب الصلة بالله قال عنه أبو حاتم البستي: "كان من سادات القراء، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله." وقال عن نفسه: "كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت" [(٤)] وكان يحث على مساعدة الأخوان وإدخال السرور على إخوانه المسلمين، فمن أقواله:" لذة الدنيا قضاء حوائج الإخوان، وإدخال السرور على الناس، والتنفيس عن المكروب" وقيل له أي الدنيا أحب إليك ؟ قال:

---

(١) الحرورية: أحد من الأسماء التي أطلقت على فرقة الخوارج، نسبة إلى حروراء، موضع بظاهر الكوفة كان به أول اجتماع لهم بعد خروجهم على علي بن أبي طالب ﷺ انظر: (الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ٦٣، ٧٣) .

(٢) يوم قديد بين جيش أبي حمرة الخارجي وبين أهل المدينة سنة ثلاثين ومائة في عهد مروان بن محمد الأموي، وهزم فيها أهل المدينة وقتل منهم خلق كثير. (تاريخ خليفة بن خياط: ٣٩١، ٣٩٢).

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٥٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٦٢.

(٤) عن هذه الأقوال انظر: الذهبي: المصدر السابق: ٥/ ٣٥٣ـ ٣٥٥.

الإفضال على الإخوان [(1)] وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد تعرض بسبب ذلك إلى إيذاء والي المدينة ـ عثمان بن حيان المري ـ وضربه[(2)].

داود بن الحصين:

داود بن الحصين مولى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، من أهل الحفظ والإتقان من أتباع التابعين في المدينة. توفي سنة خمس وثلاثين ومائة [(3)] وقال عنه الذهبي: "أبو سليمان الفقيه الأموي، وثقه يحيى بن معين مطلقا، وقال النسائي وغيره ليس به باس، وقال ابن عينية: كنا نتقي حديثه. وكان يرى الخروج ." [(4)]

أبو حازم سلمة بن دينار:

أبو حازم الأعرج سلمة بن دينار مولى الأسود بن سفيان المخزومي القرشي من عباد أهل المدينة وزهادهم [(5)] وقال عنه الذهبي: " الإمام القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية، وثقة ابن معين، وأحمد، وأبو حاتم، وقال ابن خزيمة:" ثقة لم يكن في زمانه مثله. " [(6)] ، وكان ـ رحمه الله ـ يرى

---

(1) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣/ ٢٦٢.

(2) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٦٦٠.

(3) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٣٥

(4) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ١٠٦.

(5) البستي: مشاهير علماء الأمصار:٧٩.

(6) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٩٦-٩٧.

اعتزال الأمراء والسلاطين ولا يرى مخالطتهم، ومع ذلك فله نصائح عديدة في وعظ الأمراء والخلفاء حين يطلب منه ذلك [١]. توفي رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومائة [٢].

زيد بن أسلم:

هو أبو أسامة زيد بن أسلم الفقيه المدني وأبوه مولى عمر بن الخطاب ﷺ وصفه الذهبي بأنه الإمام الحجة القدوة، وأنه كان من العلماء العاملين، وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ، وقال عنه أبو حازم الأعرج: "لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيها أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا" [٣]. وذكر ابن عساكر أن الوليد بن يزيد استقدمه في جماعة من فقهاء المدينة مستفتيا لهم في الطلاق قبل النكاح، وقال مالك بن أنس وغيره كان ثقة كثير الحديث [٤] واستعمل على معدن بني سليم [٥] وعده البستي في تابعي أهل المدينة وقال توفي سنة ست وثلاثين ومائة [٦].

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ ١/ ٦٧٩، ابن الجوزي: صفة الصفوة : ٢ / ٨٩،٩٠.

(٢) طبقات خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط: الثانية، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ: ٢٦٤ . البستي: مشاهير علماء الأمصار:٧٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣١٦.

(٤) ابن منظور: ٩/ ١٠٩،١٠٨.

(٥) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٣١٧.

(٦) مشاهير علماء الأمصار/ ٨٠.

عبد الله بن حسن الهاشمي:

هـو أحد أتباع التابعين، عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالـب رضي الله عنه من سادات أهل المدينة وعباد أهلها وعلماء بني هاشم.[1] قال مصـعب الـزبيري: "مـا رأيـت أحدا من علمائنا يكرمون أحدا ما يكرمونه" وقـال محمـد بـن سـعد عـن محمد بن عمر: "كان من العباد، وكان له شرف وعارضـة وهيـبة ولسان شديد" وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز - رحمـه الله - تـوفي في سـجن أبي جعفر المنصور بالكوفة سنة خمس وأربعين ومائة.[2]

محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة:

أبـو الحـارث محمـد بـن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب، من عباد أهـل المديـنة وفقهـائهم، ولـد سنة ثمانين للهجرة، وتوفي سنة تسع وخمسين ومائـة. وكـان من أقول أهل المدينة بالحق[3]، وهو نظير مالك بن أنس في الفقه.[4]

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٢٧. والثقات، مراجعة السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ١٣٩٥هـ: ٥/ ٦٥.

(٢) الرازي: الجرح والتعديل: ٥/ ٣٣. البغدادي: تاريخ بغداد: ٩/ ٤٣١ـ ٤٣٤. المزي: تهذيب الكمال: ١٤/ ٤١٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ١٨٦، ١٨٧.، وانظر الأعلام للزركلي: ٤/ ٧٨.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٤٠.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠ / ١٣١.

ثانيا ـ أبرز العلماء في مكة في العهد الأموي:

عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

أبـو الفضـل عـبد الله بـن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، وأمـه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحـارث زوج رسـول الله ﷺ. ولـد قـبل الهجـرة بثلاث سنين [1] وقد كان لقـربه مـن بيـت النـبوة أثـر في تربيته ونشأته، حيث كان يدخل ويبيت عند خالـته مـيمونة زوج رسـول الله ﷺ ويلـتقي الرسـول ويـنهل مـن خلقـه ويـتأدب بآدابـه ويحظـى بدعواته، وتوجيهاته. فقد دخل رسول الله ﷺ مرة وقـد وضـع ابـن عـباس وضـوءه فـيقول لزوجه ميمونة: من وضع هذا ؟ فـتقول: "عـبد الله. فـيقول الرسول: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" [2] وعـندما رآه جـبريل عـند الـنبي ﷺ مرة أوصاه به وقال: "إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا" [3].

وبعد وفاة الرسول ﷺ لازم كبار الصحابة يأخذ عنهم العلم بكل جد وجلـد، فجـاء مـرة إلى بـاب أحد الصحابة ليتلقى عنه فوجده قائلا فتوسد عـبد الله رداءه والريح تسفي عليه التراب، حتى خرج ذلك الصحابي فيراه

---

(١) ابن الأثير: أسد الغابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٣/ ١٩٢. البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت: ١/ ١٧٢.

(٢) صحيح البخاري:١/ ٤٥، وضوء:١٠. صحيح مسلم ٤/ ١٩٢٧، فضائل الصحابة: ١٣٨. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٢/ ٣٦٥.

(٣) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٨٨، ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٢٧٨.

فيقول له: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلي فآتيك..! فيجيبه ابن عباس: 'لا أنا أحق أن آتيك' ثم شرع يسأله عما يحتاج إليه من العلم.[1]

وقد كان لتقدير عمر بن الخطاب وتشجيعه لعبد الله بن عباس - حيث كان يستشيره في بعض المسائل ويجمعه مع كبار الصحابة رضي الله عنهم كان لذلك أثره في حفز عبد الله للاستزادة من العلم. وهذا ما جعله يقف في مصاف شيوخ الصحابة وأجلائهم في العلم على صغر سنه، وما توفي عثمان بن عفان رضي الله عنه إلا وعبد الله بن عباس على رأس الفقهاء من الصحابة بالمدينة حيث صارت الفتوى إلى خمسة هم: أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وابن عمر، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم[2]. ثم غدا ابن عباس بعد ذلك مدرسة في مختلف الفنون يفد إليها كل شغوف بالعلم فيجد عنده بغيته، فهولاء يأتونه للشعر، وأولئك للأنساب، وآخرون لأيام العرب ووقائعها، فما منهم من صنف إلا يقبل عليهم بما شاء[3]. وابن عباس غني عن التعريف بعلمه ومكانته العلمية ويطول المقام لو استطردنا في ذكر مكانته العلمية وآثاره. توفي رضي الله عنه في الطائف سنة ثمان وستين[4].

---

(١) ابن سعد: المصدر السابق نفسه: ٢٧١: الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١/ ٤١

(٢) الذهبي: طبقات القراء، تحقيق بشار معروف وآخرون، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ. ٦/ ٦٣٤ . عبد الله سلقيني: حبر الأمة ومدرسة في التفسير: ٧٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٢/ ٣٦٦. الأصفهاني: حلية الأولياء: ١/ ٢٢٠، ٢٢١ . ابن الجوزي: صفة الصفوة: ١/ ٣١٦.

(٤) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩.

مجاهد بن جبر:

أبو الحجاج مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب وقيل مولى عبد الله بن السائب وقيل غير ذلك. أحد علماء التابعين بمكة، تلقى العلم على كبار الصحابة وفقهائهم مثل أبي هريرة، وابن عباس، وعائشة وغيرهم، قال عنه الذهبي: "الإمام شيخ القراء والمفسرين." وقال سفيان الثوري: " خذوا القرآن من أربعة: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والضحاك." وقال قتادة: "أعلم من بقي بالتفسير مجاهد." وقال يحيى بن معين وطائفة: "مجاهد ثقة " [1] وقال عنه البستي: " كان من العباد والمتجردين في الزهاد مع الفقه والورع " [2] وقال ابن سعد: "كان فقيها عالما ثقة كثير الحديث. " [3]

مات بمكة وهو ساجد سنة ثنتين أو ثلاث ومائة. [4]

عطاء بن أبي رباح:

أبو محمد عطاء بن أبي رباح ـ أسلم ـ مولى آل أبي ميسرة الفهري. ولد بالجند باليمن سنة سبع وعشرين للهجرة، ونشأ بمكة، وتعلم على يدي كبار الصحابة وعلمائهم، كأبي هريرة، وابن عباس، وعائشة رضي الله عنهم وغيرهم [5]. وأصبح عطاء من كبار علماء مكة وانتهت إليه الفتوى فيها، وشهد له

---

(١) عن هذه الأقوال انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٤٩، ٤٥١.

(٢) مشاهير علماء الأمصار: ٨٢.

(٣) الطبقات الكبرى: ٥/ ٤٦٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥ / ٤٦٧ . البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٨٢.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٤٦٧، ٤٦٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٧٨، ٧٩. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٨١.

بغزارة علمه وجلالة قدره العلماء الأجلاء، فقال عنه قتادة، وأبو جعفر الباقر: "ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بالمناسك من عطاء." وقال نحو ذلك أيضا أبو حازم. وقال ابن سعد: قالوا: "وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث،." وقال الذهبي عنه: 'الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم. وكان ينادي منادي الحج من قبل بني أمية: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن نجيح" وقال الأوزاعي: "مات عطاء بن أبي رباح يوم مات، وهو أرضى أهل الأرض عند الناس." [١]، توفي رحمه الله سنة أربع عشرة ومائة بمكة [٢].

عبد الله بن محيريز:

أبو محيريز عبد الله بن محيريز بن جنادة بن وهب، القرشي، الجمحي، المكي [٣]. أحد أئمة التابعين وفضلائهم، قال عنه الذهبي:" الإمام الفقيه، القدوة، الرباني وكان من العلماء العاملين." وقال الأوزاعي:" من كان مقتديا فليقتد بمثل ابن محيريز، إن الله لم يكن ليضل أمة فيها ابن محيريز." [٤] يشبه لعبد الله بن عمر رضي الله عنه في العبادة والفضل، [٥] وقال عنه خالد بن

---

(١) للوقوف على أقوال العلماء في عطاء انظر: ابن سعد: المصدر السابق نفسه ٤٦٨، ٤٦٩. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٧٥١-٧٠٣. الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٧٩ - ٨٤.

(٢) البستي: المصدر السابق: ٨١.

(٣) هكذا عده ابن عساكر والذهبي من أهل مكة أما البستي فقد عده من أهل الشام حيث ترجمه له في عداد التابعين من أهل الشام (ابن منظور: مختصر تاريخ ابن عساكر: ١٤/ ٣٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٩٤، البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٩٤.

(٥) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٧.

دريك: "كانت في ابن محيريز خصلتان ما كانت في أحد ممن أدركت من هذه الأمـة: كان من أبعد الناس أن يسكت عن حق بعد أن يتبين له، يتكلم فيه، غضـب في الله مـن غضـب ورضي فيه من رضي، وكان من أحرص الناس أن يكـتم مـن نفسـه أحسـن مـا عـنده [1] . ولهذا لما رأى خالد بن يزيد بن معاويـة يلـبس جـبة خز قال له: أتلبس الخز ؟ قال: إنما ألبس لهؤلاء وأشار إلى الخلـيفة، فغضـب، وقـال: مـا ينـبغي أن يعدل خوفك من الله بأحد من خلقه [2] .

وكـان رحمـه الله يحـب الغـزو في سبيل الله ويجاهد لإعلاء كلمة الحق على كبر سنه وضعف جسده. [3]

عبد الله بن أبي مليكة:

عـبد الله بـن عبـيد الله بـن أبي مليكة القرشي التيمي، الإمام الحجة، الحـافظ القاضـي، كـان عالمـا مفتـيا، صـاحب حديـث وإتقـان، ولي قضاء الطـائف لابـن الـزبير، تـوفي سـنة سـبع عشـرة ومائـة للهجرة، وقيل تسع عشرة. [4]

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٤/ ٣٣.

(٢) الذهبي: المصدر السابق نفسه: ٤٩٦.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٤/ ٣٤، ٣٥.

(٤) انظر ترجمته: الشيرازي: طبقات الفقهاء: ٥٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٨٨ - ٩٠. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٠٦، ٣٠٧.

ثالثا ـ أبرز علماء اليمن في العهد الأموي.

طاووس بن كيسان:

أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الفارسي ثم اليمني، الحافظ، الفقيه القدوة، عالم اليمن. ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه و قيل قبل ذلك، وكان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، فقيل هو مولى بحير بن ريسان الحميري، وقيل بل ولاؤه لهمدان. وطلب العلم على يدي كبار الصحابة وعلمائهم، فسمع من زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عباس ولازمه مدة، وغيرهم رضي الله عنهم [١]. قال عنه قيس بن سعد: "طاووس فينا مثل ابن سيرين فيكم." وقال علي بن المديني: "كان سفيان لا يعدل من أصحاب ابن عباس بطاووس أحدا" [٢].

وكان رحمه الله معتزلا الأمراء والسلاطين إلا إذا أكره على عمل لهم، وإذا طلب منه أداء نصيحة فانه لا يجامل أحدا ويصدع بالحق. توفي رحمه الله بمكة سنة ست ومائة للهجرة [٣].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٨، ٣٩.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٧٠٨، ٧٠٩. ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٥٤١.

(٣) ابن سعد: المصدر السابق نفسه: ٥٤٢.

وهب بن منبه:

أبـو عـبد الله وهـب بـن منبه بـن كـامل بن سيج بن سحار من أبناء فـارس، كـان يـنزل ذمار [1]، وكان ممن قرأ الكتب ولزم العبادة وواظب عـلى العـلم وتجـرد للزهادة [2]. وقال عنه الإمام الذهبي: "الإمام العلامة، الإخـباري القصصـي." وقال العجلي: "تابعي ثقة، كان على قضاء صنعاء." وقـال أبـو زرعـة والنسـائي: "ثقـة [3]"،وذكـره الشـيرازي في فقهاء التابعين بالـيمن [4] وكذلـك الجعـدي [5] وكان صاحب حكمة وفطنة، وكان له أثر في محاربة الخوارج في اليمن، وتحذير الناس من آرائهم [6].

توفي رحمه الله سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام بن عبد الملك [7]. وقـيل إن يوسـف بـن عمـر والـي اليمن ضر به حتى قتله [8]. ولعل ذلك بسبب موقف وهب من جور يوسف بن عمر المشهور بعنفه وظلمه.

---

(١) ذمار: اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء، وينسب إليهانفر من أهل العلم. (ياقوت: معجم البلدان: ٣ / ٧) .

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٢٣.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٤٤، ٥٤٥.

(٤) طبقات الفقهاء:٦٦.

(٥) طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت ص : ٥٧.

(٦) المصدر السابق نفسه: ٥٤٩، ٥٥٣.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٥٤٣.

(٨) الذهبي المصدر السابق نفسه: ٥٥٦.

الضحاك بن فيروز:

هـو الضحاك بن فيروز الديلمي، من تابعي أهل اليمن، ومن الأثبات في الـروايات روى عـن أنـس بـن مالك ﷺ وغيره من الصحابة، ووثقه ابن حبان وغيره، وذكره الجعدي في طبقات فقهاء التابعين باليمن. (١)

رابعا ـ أبرز علماء اليمامة في العهد الأموي:

يحيى بن أبي كثير:

أبـو نصـر يحيى بـن أبـي كـثير صـالح وقـيل يسـار، الطائي مولاهم الـيمامي. الإمـام الحافظ، أحد الأعلام، وكان طلابة للعلم، حجة، قال عنه شعبة: "يحيى بن أبي كثير أحسن حديثا من الزهري." وقال الإمام أحمد: "هو مـن أثبـت الـناس، إنمـا يعـد مـع الزهري، ويحيى بن سعيد." وكان قد أقام بالمديـنة عشـر سـنين يطلب العلم (٢) وذكر الذهبي: (٣) أنه نالته محنه بسبب كلامـه في ولاة الجـور. وتـوفي رحمه الله سنة تسع وعشرين ومائة. وقد عده البسـتي (٤) مـن أتـباع الـتابعين بالـيمن مع أنه نسبه إلى اليمامة وقال: سكن اليمامة، فلعل ذلك وهم أو لكونه عد اليمامة من اليمن.

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار ١٢٠.و الثقات، ٤/ ٣٨. الجعدي: طبقات فقهاء اليمن: ٥٨.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧، ٢٨، ٣١.

(٣) المصدر السابق نفسه: ٢٨.

(٤) مشاهير علماء الأمصار. ١٩١.

أبرز العلماء في الشام في عهد الدولة الأموية.

فضالة بن عبيد رضي الله عنه :

فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ شهد أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وخرج إلى الشام ونزل دمشق وبنى بها دارا، تولى قضاء دمشق لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه القاضي الفقيه وأحد كبار القراء، توفي سنة ثلاث وخمسين وقيل تسع وخمسين للهجرة. (١)

أبو مسلم الخولاني:

هو عبد الله بن ثوب، قارئ أهل الشام، وأحد عبادهم وزهادهم، أسلم وهو في اليمن في عهد النبي ﷺ ولما تنبأ الأسود العنسي باليمن استدعاه وأراده على الكفر بمحمد ﷺ فأبى فألقاه في النار فلم تضره فأمره أن يرحل عنه، فقدم المدينة وقد قبض النبي ﷺ وأقام بالشام فكان دائم النصح لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، توفي في زمن معاوية. (٢)

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٠١. خليفة بن خياط: الطبقات: ٨٥. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٥٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ١١٣ـ ١١٥.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٢. البخاري: التاريخ الكبير: ٥ / ٨٥. الرازي: الجرح والتعديل: ٥ / ٢٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٢ / ٢٣٥.

ربيعة الجرشي:

ربيعة بن عمرو الجرشي اختلف في صحبته فذكره ابن سعد فيمن نزل بالشام من الصحابة [(١)] وذكر كثير من أهل العلم أنه من التابعين [(٢)] وهو أحد الفقهاء، وقال أبو المتوكل الناجي: لقيته وهو فقيه الناس في زمن معاوية. توفي رضي الله عنه بمرج راهط سنة أربع وستين للهجرة. [(٣)]

النعمان بن بشير رضي الله عنه [(٤)] :

هو الصحابي الجليل، والأمير العالم، النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري، أول مولود من الأنصار بالمدينة بعد الهجرة، سكن الكوفة مدة حيث ولاه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عليها، ثم خرج إلى الشام وسكنها، فولاه معاوية قضاء الكوفة، ثم عزله وولاه إمرة حمص، فلما مات يزيد بن معاوية ودعا ابن الزبير لنفسه دعا له النعمان في حمص،

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٣٨.

(٢) مثل خليفة بن خياط في طبقاته: ٣٠٨. والبستي في مشاهير علماء الأمصار: ١١٥.

(٣) الذهبي: تهذيب الكمال: ٩/ ١٣٧. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٢٠٢. تقريب التهذيب،، ط: الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ : ١/ ٢٠٨.

(٤) ذكره ابن سعد في عداد طبقة الصحابة من أهل الكوفة، وذكره البستي في الشاميين من الصحابة الذين سكنوا الشام، بينما أورد خليفة بن خياط ذكره في طبقاته ضمن المدنيين والكوفيين والشاميين، ولعل تصنيف البستي هو الأقرب حيث إن مكثه بالكوفة قصير، واستقر بالشام طيلة عهد معاوية وابنه يزيد وأمضي بقية حياته بالشام حتى مات بها، وهذه المدة التي عاشها في الشام وتزيد على العشرين سنة هي أثرى سنوات حياته من حيث المشاركات والمواقف.

ولكـن أهـل حمص طلبوه فهرب منهم فلحقوه وقتلوه بعد وقعة مرج راهط سنة خمس وستين للهجرة. (١)

مالك بن هبيرة السكوني:

صـحابي جلـيل روى عـن الرسـول ﷺ، وسـكن الشام وتنقل بينها وبـين مصـر، لذا حديثه عند أهل الشام ومصر، وذكره أبو القاسم الحمصي في كـتاب الصـحابة الذيـن نـزلوا حمص، ولاه معاوية بن أبي سفيان حمص، وكـان يقـول فيه:" ما أصبح عندي من العرب أوثق في نفسي نصحا لجماعة المسلمين وعامتهم من مالك بن هبيرة. "(٢) توفي رضي الله عنه بالشام أيام مروان بن الحكم. (٣)

يزيد الجرشي:

يـزيد بن الأسود الجرشي، أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقـه، ونـزل الشـام واسـتقر بهـا، وهـو مـن أشـهر عبادها وزهادها وأهل الصلاح فيها، استسقى به معاوية رضي الله عنه فسقي الناس بدعائه، واستسقى به الضـحاك بـن قـيس بعـد ذلـك، ولما أطلت الفتنة بعد وفاة يزيد بن معاوية

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٥٣. خليفة بن خياط: الطبقات: ٩٤، ١٣٦، ٣٠٤. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٥١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤١١، ٤١٢.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٤ / ٧٤، ٧٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٢٠. انظر ترجمته: البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٥٣. الثقات: ٣/ ٣٧٨. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٠ / ٢٤.

اعتزل الفتنة ولحق بالساحل.[1] وذكره ابن حبان البستي في الثقات [2] وفي مشاهير علماء الأمصار في عداد التابعين من أهل الشام.[3]

يزيد بن نمران:

يـزيد بـن نمـران ويقال بن غزوان المذحجي الذماري، أحد عباد أهل الشام وثقاتهم، ومحل تقدير واقتداء عند عامة الناس.[4]

عبد الرحمن بن عائذ الأنصاري:

أبـو عـبد الله عبد الرحمن بن عائذ الأزدي الحمصي، من كبار علماء الـتابعين، وعـباد أهل الشام، ثقة طلابة للعلم.[5] وثقه النسائي. وكان أهل حمـص يـأخذون كتبه وأحكامه بالقبول والرضى.[6] وهو ممن خرج مع ابن الأشعث، فأسر وعفى عنه الحجاج.[7]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧ / ٤٤٤. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٧ / ٣١٧-٣٢٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ١٣٦، ١٣٧.

(٢) الثقات: / ٥٣٢.

(٣) مشاهير علماء الأمصار: ١١٨.

(٤) ابن حبان: الثقات: ٥ / ٥٣٩. المزي: تهذيب الكمال: ٣٢ / ٢٥٩. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١١/ ٣٦٥.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٨٧، ٤٨٨.

(٦) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢ / ٣٨٢

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٨٨. انظر ترجمته كذلك في: البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٣.. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩ /١١٦.

أبو أمامة الباهلي:

الصدي بن عجلان الباهلي، صاحب رسول الله ﷺ روى علما كثيرا، روى عن عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وأبي عبيدة رضي الله عنهم، وروى عنه خلق من التابعين، فعن سليم بن عامر قال: كنا نجلس إلى أبي أمامة، فيحدثنا حديثا كثيرا عن رسول الله ﷺ ثم يقول اعقلوا وبلغوا عنا ما تسمعون توفي رضي الله عنه سنة ست وثمانين للهجرة. (١)

بلال بن أبي الدرداء:

أبو محمد بلال بن أبي الدرداء عويمر بن مالك الأنصاري رضي الله عنه الدمشقي، يعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وتولى قضاء دمشق في خلافة يزيد بن معاوية، وثقه ابن حبان وغيره، توفي سنة اثنتين وتسعين للهجرة وقيل ثلاث. (٢)

الضحاك بن عبد الرحمن:

أبو زرعة وقيل أبو عبد الرحمن، الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب الطبراني الأردني، روى عن طائفة من الصحابة، وأحد صالحي أهل الشام،

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤١١، ٤١٢. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٥٠ / الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٥٩ـ٣٦٣.

(٢) انظر ترجمته في: خليفة بن خياط: الطبقات: ٣٠٩. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٥. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٥ / ٢٧٣. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١/ ٥٠٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٢٨٥.

وثقه العجلي، وكان نائب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ على دمشق، وكان من خير الولاة. [1]

خالد بن معدان:

أبو عبد الله خالد بن معدان أبو كريب الكلاعي، الإمام شيخ أهل الشام، حدث عن خلق من الصحابة ﷺ وهو معدود في أئمة الفقه، وثقه ابن سعد، والعجلي، والنسائي، وغيرهم. [2] وقال بحير بن سعد: "ما رأيت أحدا أكرم للعلم من خالد بن معدان" وهو أحد المفتين بالشام، [3] وكان محبا للغزو والجهاد يسارع له إذا دعي، وكان فسطاطه أول فسطاط في الرباط. [4] وقد كتب له الوليد بن عبد الملك يسأله في مسألة، فأجابه عليها خالد، فحمل الوليد القضاة على قوله. [5] توفي رحمه الله سنة ثلاث وقيل أربع ومائة للهجرة. [6]

---

(١) انظر ترجمته: البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٦٠٣، ٦٠٤. - ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤/ ٤٤٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٥٣٦، ٥٣٧.

(٣) ابن القيم إعلام الموقعين:١/ ٢٦.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧ / ٣٩٥.الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٣٨.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ /٥٣٨.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٥٥. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٣.

خالد بن اللجلاج:

هو أبو إبراهيم خالد بن اللجلاج العامري الشامي، أحد التابعين، ومن أفضل أهل زمانه، كان ذا سن وصلاح، وكان يفتي بالشام مع مكحول، جرئ اللسان في قول الحق والصدع به عند الملوك.[1]

رجاء بن حيوة:

أبو المقدام وقيل أبو نصر، رجاء بن حيوة بن جرول الكندي الأزدي، أحد فقهاء التابعين وفضلائهم، الإمام القدوة، الوزير العادل، حدث عن طائفة من الصحابة ﷺ، قال عنه ابن سعد: كان ثقة، عالما، فاضلا، كثير العلم . "وقال الأصمعي: "سمعت ابن عوف يقول: رأيت ثلاثة ما رأيت مثلهم: محمد بن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام." وقد جمع بين الفقه والحديث والورع والنصح للخاصة والعامة، وكانت له منزلة عند بني أمية، لاسيما، سليمان بن عبد الملك الذي جعله من أخص خاصته، وعند عمر بن عبد العزيز، وقد أجرى الله بقربه هذا من الخلفاء على يديه الخير الكثير، ثم إنه أخر بعد ذلك فأقبل

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٦. المزي: تهذيب الكمال: ٨ / ١٦٠. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣/ ١١٥.

لشـأنه لمـا عـلم أن قربه من الخلفاء لم يعد يحقق مايراه من مصلحة.[1] توفي رحمه الله سنة اثنتي عشرة ومائة للهجرة.[2]

مكحول الشامي:

أبـو عـبد الله مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، كان من سبي كابل لسعيد بن العاص، فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته بمصر، ثم تحول إلى دمشـق فسـكنها، وهو من أواسط التابعين، وأحد فقهاء الشام وصالحيهم، وجماعـيهم للعـلم، فقـد طـاف الأقاليم في طلب العلم وتعلم على علمائها وأخـذ منهم حتى أصبح من كبار العلماء [3]. وشهد بتقدمه في العلم عدد كـبير مـن العـلماء. فكـان سـليمان بـن موسـى يقول: "إذا جاءنا العلم من الحجـاز عـن الزهـري قبلناه، وإذا جاءنا من الشام عن مكحول قبلناه، وإذا جاءنـا مـن الجزيـرة عن ميمون بن مهران قبلناه، وإذا جاءنا من العراق عن الحسـن قبلـناه. هـؤلاء الأربعـة علماء الناس." وعن سعيد بن عبد العزيز قال: "لم يكن في زمن مكحول أبصر بالفتيا منه." وقال شعبة: "مكحول أفقه أهـل الشـام" [4] وقـال الزهري: "العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة، وعامـر الشـعبي بالكوفـة، والحسن بن أبي الحسن بالبصرة، ومكحول بالشام."

---

(١) عن قرب رجاء من خلفاء بني أمية وأثره انظر ص: ١٦٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٥٤. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/٣٢٩. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ /٥٥٧ـ٦٦١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/٤٥٣. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٤.ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ٢٢٤، ٢٢٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ١٥٩.

وقـد رمـي مكحـول بـالقدر ولكـنه رجـع عـنه، فعن الأوزاعي قال: " لم يبلغـنا أن أحـدا مـن الـتابعين تكـلم في القـدر إلا هذيـن الـرجلين: الحسن ومكحـول، فكشـفنا عـن ذلك، فإذا هو باطل " قال الذهبي: يعني رجعا عن ذلـك.[2] تـوفي ـ رحمـه الله ـ سـنة ثـنتي عشـرة ومائـة لـلهجرة وقـيل غير ذلك.[3]

شهر بن حوشب:

أبـو سـعيد شـهر بـن حوشب الشامي، مولى الصحابية الجليلة أسماء بنـت يـزيد الأنصـارية ـ رضـي الله عنها ـ من كبار علماء التابعين، حدث عـن طائفة من الصحابة ﷺ وقرأ القرآن على ابن عباس ﷺ وثقه العجلي ويحيى بـن معـين وغيرهمـا، وطعن فيه بعض أهل الجرح والتعديل، وقال الذهـبي: " قلـت: الـرجل غـير مدفـوع مـن صـدق وعـلم، والاحـتجاج به مترجـح "[4] وذكـره الشـيرازي في فقهـاء الـتابعين بالشـام.[5] وقال عنه أبو

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٥ / ٢٢٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ١٥٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٥٤. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٤. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٥ / ٢٣٢.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٧٢.

(٥) طبقات الفقهاء: ٦٩.

جعفر الطبري: "كان فقيها قارئا عالما"[1] توفي سنة ثنتي عشرة ومائة للهجرة وقيل غير ذلك.[2]

بلال بن سعد:

أبـو عمـر بلال بن سعد بن تميم السكوني، الإمام الرباني، شيخ أهل دمشق، كان - رحمه الله - بليغ الموعظة، حسن القصص، نفاعا للعامة، وهو لأهـل الشـام كالحسـن البصـري بالعـراق، وهـو إمـام جـامع دمشـق، قال الضـحاك بـن عـثمان: "رأيـته يعـظ في المصـلى إلى جانـب المنبر حتى يخرج الخليفة، توفي رحمه الله سنة نيف وعشرة ومائة للهجرة.[3]

سالم بن وابصة:

سـالم بـن وابصة بن معبد الأسدي، روى عنه أهل الجزيرة.[4] وذكره الطـبري وغـيره في الصـحابة، ولكـن الصحيح أن والده هو الصحابي وأما هـو فتابعي، وكان سالم شاعرا متدينا عفيفا، ولي الرقة عن محمد بن مروان، وتوفي في خلافة هشام بن عبد الملك.[5]

---

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤ / ٣٧١.

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات: ٣١٠. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢ / ٩٨. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤ / ٣٧١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٦١. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٩٠-٩٢.

(٤) ابن حبان: الثقات: ٤/ ٣٠٦.

(٥) انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٣/ ٥٥، ٥٦.

ميمون بن مهران:

أبـو أيوب ميمون بن مهران الجزري الرقي، أعتقته امرأة من بني نصر بـن معاويـة بالكوفة، فنشأ بها وسكن الرقة، حدث عن طائفة من الصحابة ﷺ قـال عـنه الذهـبي: "الإمام الحجة، عالم الجزيرة وفقيهها." وقال سليمان بـن موسـى: "هـؤلاء الأربعـة عـلماء الـناس في زمـن هشام بن عبد الملك: مكحـول، والحسـن، والزهـري، ومـيمون بـن مهـران" وقال أبو المليح: "ما رأيـت رجـلا أفضل من ميمون بن مهران" وعلى غزارة علمه وجلالة قدره إلا أن ذلـك لم يشـغله عـن المشـاركة في مصـالح المسلمين العامة، فقد كان يشـارك في الغـزو، وولي قضاء وخراج الجزيرة، وكان أحد مستشاري عمر بـن عـبد العزيـز وخاصـته. تـوفي رحمـه الله سنة ستة عشرة ومائة للهجرة، وقيل غير ذلك.[1]

عبد الله بن أبي زكريا:

أبو يحيى عبد الله بن زكريا الخزاعي الدمشقي، الإمام القدوة الرباني، كان حسن الخلق، كثير الصمت لا يكاد يتكلم إلا أن يسأل، قال الواقدي: "كـان يعـدل بعمر بن عبد العزيز، وكان عمر يجله ويقدره ويجلسه معه على السـرير، وكـان صـاحب غـزو وجهـاد. تـوفي رحمـه الله سـنة سـبع عشـرة ومائة.[2]

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/٢٨٨. خليفة بن خياط: الطبقات: ١٥٧ .البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٧١ـ ٧٨.

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات: ٣١٢. الأصفهاني: حلية الأولياء: ٥/١٤٩ ـ ١٥٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/٢٨٦.

عبادة بن نسي:

أبو عمر عبادة بن نسي الكندي الأزدي، الإمام الكبير، كان سيدا شريفا وافر الجلالة ذا فضل وصلاح وعلم،وثقه يحيى بن معين وغيره، وقال مسلمة بن عبد الملك: "في كندة ثلاثة إن الله بهم ينزل المطر وينصرنا ؛ رجاء بن حيوة، وعبادة بن نسي، وعدي بن عدي "وهو سيد أهل الأردن علما وفضلا، تولى قضاء الأردن لعبد الملك بن مروان، ثم ولي الأردن نائبا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

توفي رحمه الله سنة ثمان عشرة ومائة. (١)

عدي الكندي:

هو عدي بن عدي بن عميرة الكندي، سيد أهل الجزيرة، وكان ناسكا فقيها محدثا، وكان مقربا من خلفاء بني أمية ويصحبهم، ولاه سليمان بن عبد الملك الجزيرة وأرمينة وأذربيجان، واستعمله عمر بن عبد العزيز على الموصل والجزيرة، وقال عنه مسلمة بن عبد الملك: "إن في كندة لثلاثة، إن الله تبارك وتعالى ينزل بهم الغيث.." وذكر منهم عدي بن عدي. توفي رحمه الله سنة عشرين ومائة للهجرة. (٢)

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٥٦. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٨٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٢٣، ٣٢٤.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٨. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٦/ ٣٢٦. المزي: تهذيب الكمال: ١٩ / ٥٣٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٧/ ١٦٨.

ربيعة بن يزيد الإيادي:

أبـو شـعيب وقـيل أبـو سـعيد ربيعة بن يزيد الإيادي القصير، الإمام القـدوة، مـن عـباد أهل الشام وزهادهم، قال عنه سعيد بن عبد العزيز: "لم يكـن عـندنا أحـد أحسـن سمـتا في العبادة من ربيعة ومن مكحول." وكان يشـارك في الجهـاد والغزو، وكانت وفاته في إحدى الغزوات بإفريقية حيث خـرج غازيـا في عهـد هشـام بن عبد الملك فقتله البربر في إحدى الغزوات سـنة ثـلاث وعشرين ومائة. [1]، لذا يعده مؤلفو طبقات علماء إفريقية من أهل إفريقية [2]

يزيد بن مالك الكندي:

هـو يـزيد بـن عـبد الـرحمن بـن أبـي مالك هانئ الهمداني الدمشقي، العلامة قاضي دمشق، أحد الفقهاء، ولد سنة ستين للهجرة، وثقه أبو حاتم، وقـال سـعيد بـن عـبد العزيز: "لم يكن عندنا أعلم بالقضاء من يزيد بن أبي مـالك، ل مكحـول ولا غـيره." وكان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ قد ندبه ليفقه بني نمير ويقرئهم، توفي رحمه الله سنة ثلاثين ومائة للهجرة. [3]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧ / ٤٦٥ . البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٢٣٩. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣/ ٢٦٤.

(٢) المالكي: رياض النفوس:١/ ١٣١. الدباغ: معالم الإيمان:١/ ٢٠٦.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٣٧.

يزيد بن يزيد الأزدي:

وهـو يـزيد بـن يزيد الأزدي الدمشقي، كان من كبار الأئمة الأعلام، وثقـه أبـو داود ويحـيى بـن معـين والنسـائي، قـال عنه ابن عيينة: " لا أعلم مكحـولا خلـف مـثل يـزيد بـن يـزيد بالشـام إلا مـا ذكـره ابن جريج من سـليمان بـن موسـى أحـد تلاميذ مكحول" وذكر مرة للقضاء فإذا هو أكبر مـن القضـاء، وكـان يزيد ممن أعان على قتل الوليد بن يزيد. توفي رحمه الله سنة أربع وثلاثين ومائة للهجرة. (١)

برد بن سنان:

أبـو العـلاء بـرد بـن سـنان الشـامي الدمشـقي، الفقـيه، وأحـد كبار العـلماء، وثقـه النسـائي وغـيره، وقـال يزيد بن زريع: " ما قدم علينا شامي خـير مـن بـرد " (٢) وقـد عده البستي من أتباع التابعين بالبصرة لأنه سكنها آخـر عمـره ومـات بهـا سـنة خمـس وثلاثـين ومائة. (٣) ولكنه معدود عند الذهـبي وغـيره مـن أهـل الشـام. (٤) وقـيل إنـه هرب إلى البصرة من وجه مروان بن محمد. (٥)

---

(١) انظر: خليفة بن خياط: الطبقات: ٣١٢، ٣١٥. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٨٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦ / ١٥٨.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٥١.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٥٦.

(٤) الرازي: الجرح والتعديل: ٢/ ٤٢٢.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٥٦.

عمرو بن قيس:

أبو ثور عمرو بن قيس بن ثور بن مازن السكوني، شيخ أهل حمص، ولد سنة أربعين للهجرة. أدرك سبعين من الصحابة ﷺ، ووفد مع أبيه على معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وكان متفرغا للعلم والفقه، فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى والي حمص: انظر إلى الذين نصبوا أنسهم للفقه،وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار، فكان عمرو بن قيس فيمن أخذها. وتولى إمرة الغزو لعمر بن عبد العزيز. توفي رحمه الله سنة أربعين ومائة للهجرة. (١)

عمرو بن ميمون:

أبو عبد الله عمرو بن ميمون بن مهران الجزري، الإمام الفقيه، الحافظ، كان طلابة للعلم حيث يقول: "لو علمت أنه بقي علي حرف واحد من السنة باليمن لأتيتها." وثقه يحيى بن معين وغيره، ولاه عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - البريد، وكانت له مكانة عند أبي جعفر المنصور، توفي رحمه الله سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة. (٢)

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٣٢٩. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨/ ٩١. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٢٢،٣٢٣.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٩ / ٣١٣ الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦ / ٣٤٦ .ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨ / ١٠٨.

الأوزاعي:

هـو الإمام الجليل عبد الرحمن بن عمر بن محمد الأوزاعي أبو عمرو، ولـد سـنة ثمان وثمانين للهجرة، وشهد له بالعلم والفضل والإمامة جمهور العـلماء في زمانه ومن جاء بعدهم، فعن إسماعيل بن عياش قال: "سمعت الـناس في سنة أربعين ومائة يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة ،" وقال عنه مـالك: "الأوزاعـي إمـام يقـتدى بـه" وقـال الخريبي: "كان الأوزاعي أفضل زمانـه" وقـال الشـافعي: "مـا رأيـت رجلا أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعي" وقـال الذهـبي: "شـيخ الإسـلام، وعالم أهل الشام". [1] وعاصر الأوزاعي عـددا مـن خلفـاء بني أمية والخلفاء الأوائل من بني العباس، وكان مستشارا مـن خلفـاء الدولـتين، وكانـت بينه وبينهم مودة. [2] وكان يرابط في الثغور ونفع الله بعلمه أهلها، وتوفي مرابطا سنة سبع وخمسين ومائة. [3]

إسماعيل بن عياش:

هو إسماعيل بن عياش بن سلم العنسي أبو عتبة الحمصي، الحافظ، الإمام محدث الشام وبقية الأعلام، كان بحرا من بحور العلم، صادق اللهجة، متين

---

(١) عن هذه الأقوال في الأوزاعي انظر: الذهبي: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٨٨ . البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٨٠. الرزي: الجرح والتعديل: ٥ / ٢٦٦. سير أعلام النبلاء: ٧ / ١٠٧، ١١١، ١١٢. الشعار: مروان بن محمد: الأوزاعي إمام السلف، ط: الأولى، دار النفائس، بيروت ص: ٥٧ ومابعدها.

(٢) الشعار: الأوزاعي: ١٢٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٨٨. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٨٠.

الديانة، صاحب سنة واتباع، وجلالة ووقار. [١] وهو كثير الحفظ للحديث، فقال يعقوب الفسوي: كنت أسمع أصحابنا يقولون: علم الشام عند إسماعيل، والوليد. فسمعت أبا اليمان يقول: كان أصحابنا لهم رغبة في العلم، وطلب شديد بالشام والمدينة ومكة، وكانوا يقولون: نجهدفي الطلب، ونتعب أبداننا، ونغيب، فإذا جئنا، وجدنا كل ما كتبنا عند إسماعيل. [٢] ولد سنة اثنتين ومائة وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة للهجرة. [٣]

أبرز العلماء في العراق والمشرق الإسلامي.

أولا ـ أبرز العلماء في الكوفة:

جرير بن عبد الله البجلي:

هو الصحابي الشهير رضي الله عنه قدم على النبي ﷺ وبعثه لهدم "ذي الخلصة" وكان يعبد في خثعم ويسمى كعبة اليمانية، فسار إليها جرير بنفر معه وكسره وأحرقه. [٤] وكان يقال لجرير يوسف هذه الأمة لجماله، وبعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بجيلة إلى فتوح العراق، وسكن الكوفة، فلما قامت الفتنة بين على ومعاوية اعتزل الفريقين، وخرج إلى قرقيسياء وتوفي

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٨/ ٣١٢ـ٣١٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٨/ ٣١٦. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١/ ٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب:١/ ٣٢٥.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٩٢٥، فضائل الصحابة:١٣٦.

بهـا سنة إحدى وقيل أربع وخمسين للهجرة. [1] وهو معدود من المفتين من الصحابة رضي الله عنهم. [2]

مسروق بن الأجدع:

الإمـام القدوة العلم أبو عائشة ويقال أبو أمية مسروق بن ـ الأجدع ـ عـبد الـرحمن بـن مـالك بن أمية الهمداني، وقد غير عمر بن الخطاب رضي الله عنه اسـم أبـيه لأن الأجـدع اسـم للشـيطان فسماه عبد الرحمن، أسلم في عهد الـنبي ﷺ ولم يـره، وحدث عن جمع من الصحابة الكرام رضي الله عنهم منهم عمر بن الخطـاب، وأبـي بـن كعب،وعائشـة وغيرهم [3]، وهو أحد أصحاب ابن مسعود الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة ويفتونهم، قال الشعبي: "كان مسـروق أعلم بالفتوى من شريح، وكان شريح أعلم بالقضاء من مسروق، وكان شريح يستشير مسروقا، وكان مسروق لا يستشير شريحا." وقال أيضا: "أحدثـك عـن القـوم كـأنك شـهدتهم: كان شريح أعلمهم بالقضاء، وكان عبـيدة يـوازي شـريحا في علم القضاء، وأما علقمة فانتهى إليه علم عبد الله

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٤٤. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة: ١ / ٢٤٢،٢٤٣.

(٢) ابن القيم: إعلام الموقعين: ١ / ١٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦ / ٧٦. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤ / ٢٤٣، ٢٤٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٦٣، ٦٤.

بـن مسـعود لم يجاوزه، وأما مسروق فأخذ عن كل."[1]، توفي رحمه الله سنة ثلاث وستين للهجرة. [2]

زيد بن أرقم الخزرجي:

أبـو سـعد وقـيل أبـا أنـيس وقـيل غـير ذلـك، أحـد بـني الحارث بن الخـزرج، أول مشـاهده مـع رسـول الله ﷺ غـزوة المريسـيع، وممـن نـزل الكوفـة.[3] وأنكـر على عبيد الله بن زياد مقتل الحسين، كما أنكر على أهل الكوفـة سـكوتهم عـلى الـذل.[4] تـوفي رضي الله عنه سنة ثمان وستين وقيل خمس وستين للهجرة. [5]

شريح القاضي:

أبـو أمـية شريح بن الحارث بن قيس الكندي، أسلم في حياة الرسول ﷺ، وانـتقل إلى الـيمن في زمـن الصـديق رضي الله عنه، روى عن بعض الصحابة، ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء الكوفة فنبغ فيه، وولاه من جاء بعد عمر

---

(١) عن علم مسروق ومكانته انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٨٠، ٨٢ . الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/٥٥٧. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٤ / ٢٤٥، ٢٤٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٦٥، ٦٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٨٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٨. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٤٧.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية:٨/ ١٩٠.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/١٨. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٤٧.

حتى قيل إنه استمر في القضاء ستين سنة. [1] وكان رحمه الله يكره الفتن، لذا اعتزل فتنة ابن الزبير وبني مروان. [2] توفي رحمه الله سنة ثمان وسبعين. [3]

أبو الأحوص عوف بن مالك:

هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي من هوازن، له صحبة وروى عن عدد من الصحابة ﷺ، من جلة الكوفيين ومتقنيهم، قتلته الخوارج في زمن الحجاج، وكان قد خرج لقتالهم. [4] وهو ممن نقل عنه الفتوى من الصحابة ﷺ. [5]

زر بن حبيش:

الإمام القدوة أبو مريم زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي، أحد المخضرمين، أدرك الجاهلية وأدرك النبي ﷺ ولم يره فليست له صحبة، لقي عددا من أصحاب النبي ﷺ وروى عنهم، وقرأ على ابن مسعود وعلي بن أبي طالب ﷺ، وتصدر للإقراء في الكوفة، وكان من أعرب

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٠٠، ١٠١. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩ / ٢٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦ /١٤١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ١٠٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦ / ١٤٥ . البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٩. الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١ / ٥٩.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٨١،١٨٢، البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٨٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨ / ١٦٩.

(٥) ابن القيم: إعلام الموقعين: ١٣.

الناس، فكان ابن مسعود يسأله عن العربية، [1] توفي سنة ثنتين وثمانين وله من العمر عشرون ومائة. [2] وكان يكتب إلى عبد الملك بن مروان ينصحه ويعظه. [3]

عبد الله بن شداد:

أبـو الولـيد عبد الله بن شداد بن اللهاد الليثي المدني ثم الكوفي. عده خلـيفة بـن خـياط في تـابعي أهـل الكوفة. [4] كما ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى مـن أهـل الكوفـة. [5] روى عن عدد من الصحابة ﷺ وهو معدود في الفقهـاء، فوصـفه الذهبي بالفقيه [6] وقال ابن سعد: "كان ثقة فقيها كثير الحديـث، متشـيعا" [7] شـارك في فتـنة ابـن الأشـعث وقتل يوم دجيل سنة ثنتين وثمانين. [8]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٦٦، ١٦٧. تذكرة الحفاظ: ١/ ٥٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٠٥. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٧٠.

(٤) طبقات خليفة: ١٥٣.

(٥) الطبقات الكبرى: ٦/ ١٢٦.

(٦) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٨٨.

(٧) الطبقات الكبرى: ٦/ ١٢٦.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٢٦. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٨٩.

أبو البختري الطائي:

سعيد بن فيروز وقيل سعيد بن جبير الطائي مولاهم، الكوفي الفقيه، أحد العباد، حدث عن بعض الصحابة ﷺ، وثقه رجال الجرح والتعديل، وقال حبيب بن أبي ثابت: " اجتمعت أنا وسعيد بن جبير وأبو البختري، فكان أبو البختري أعلمنا وأفقهنا. " وكان من كبار القراء الذين قاموا على الحجاج مع ابن الأشعث، وقتل ـ رحمه الله ـ في وقعة الجماجم.(١)

شقيق بن سلمة:

أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي، أدرك الجاهلية وأدرك النبي ﷺ ولم يره، روى عن جمع من الصحابة ﷺ وأخذ عنهم العلم منهم عمر وعثمان وعلي وعائشة وغيرهم، ونبغ في العلم حتى عد من أئمة الدين، وهو من أعلم أهل الكوفة بحديث ابن مسعود ﷺ وثقه أهل الجرح والتعديل، فعن ابن معين قال "" أبو وائل ثقة لا يسأل عن مثله" وقال ابن سعد" ثقة كثير الحديث" ووصفه الذهبي بقوله" الإمام الكبير شيخ الكوفة وعالمها، رأسا في العلم والعمل"(٢) . توفي سنة ثلاث وثمانين للهجرة. (٣)

---

(١) انظر ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٩٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٢٧٩، ٢٨٠.ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤/ ٧٢.

(٢) عن علم شقيق ومكانته انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٩٩، ١٠٢ . الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٦١ ـ ١٦٥. تذكرة الحفاظ: ١ / ٦٠. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤/ ٣٦٢.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٩.

عبد الرحمن بن أبي ليلى:

أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار بن بلال الأنصاري من الأوس. لقي عددا من الصحابة ﷺ وروى عن جمع منهم، ولاه الحجاج القضاء ثم عزله، وكان له بيت فيه مصاحف يجتمع عنده فيه القراء، وقلما تفرقوا إلا عن طعام، و كان أصحابه يقدرونه حق التقدير فقال محمد بن سيرين: جلست إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى وأصحابه يعظمونه كأنه أمير، ووصفه الذهبي بقوله: "الإمام العلامة، الحافظ، الفقيه" وكان ـ رحمه الله ـ يدافع عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته أمام تعدى الحجاج وإساءته لهم، لذا امتحنه الحجاج وضربه وحاول إجباره على سب علي، وكان ممن شارك في الثورة على الحجاج مع ابن الأشعث، وقتل في أحد أيامها سنة ثلاث وثمانين للهجرة. [(١)]

خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي:

هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي المذحجي، لقي عددا من الصحابة وروى عن جمع منهم، فروى عن أبيه، وعائشة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس وطائفة، وهو أحد العباد، وإمام ثقة. [(٢)] وكان يكره الفتن، فهو من القلة الذين لم يشتركوا في فتنة ابن الأشعث. [(٣)]

---

(١) انظر عن هذه الترجمة لابن أبي ليلى في: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٠٩، ١١٣. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٢٦٢، ٢٦٧. تذكرة الحفاظ: ١ / ٥٨.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٢١،٣٢٠.الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، مراجعة محمد عوامه، دار القبلة، جدة، ١٤١٣هـ: ١/ ٣٧٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٢١. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣/ ١٧٩.

عمرو بن حريث:

أبـو سـعيد عمـرو بـن حريـث بـن عمـرو المخـزومي القرشي، أحد الصـحابة الأجـلاء ﷺ الذيـن رووا عـن رسول الله ﷺ، وذكره البستي في مشـاهير عـلماء الصـحابة الذيـن نـزلوا الكوفـة. (١) تـوفي ﷺ سـنة خمس وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان. (٢)

المعرور بن سويد:

أبـو أمية الأسدي الكوفي. الإمام المعمر، حدث عن ابن مسعود وأبي ذر وجماعـة مـن الصـحابة. بلغ من العمر مائة وعشرين سنة، شارك في فتنة ابن الأشعث.توفي سنة بضع وثمانين للهجرة. (٣)

سعيد بن وهب:

هـو سعيد بن وهب الهمداني الكوفي، أسلم في حياة النبي ﷺ، وسمع مـن معـاذ بن جبل في اليمن، وروى عن عدد من الصحابة ﷺ منهم علي، و ابـن مسـعود، وابـن عمـر، وخـباب، وسـلمان الفارسي وغيرهم. وكان ملازمـا لعلـي بـن أبـي طالب حتى كان يقال له" القراد "للزومه إياه، وقد كـان عـريفا عـلى قومه. (٤) اختلف في سنة وفاته، فذكر ابن سعد أنه توفي

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٤٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١١٨. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ١٧٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩ / ٥٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٧٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٨٠.

سنة ست وثمانين.[1] وذكر الذهبي أنه توفي سنة ست وسبعين.[2] بينما ذكر البستي أنه توفي في سنة ست وتسعين.[3]

عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي:

أبو الحكم عبد الرحمن بن أبي نعم البجلي، الإمام الحجة، القدوة الرباني، كان كثير العبادة، حتى قال بكير بن عامر: "كان لو قيل له قد توجه إليك ملك الموت ما كان عنده زيادة عمل." حدث عن بعض الصحابة ﷺ.[4] وقال ابن سعد عنه "ثقة"[5] وكان ممن ينكر على الحجاج إسرافه في القتل.[6] توفي في آخر خلافة عبد الملك بن مروان، وقيل بعد المائة للهجرة.[7]

عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث، الفقيه المعمر، صاحب رسول الله ﷺ ومن أهل بيعة الرضوان، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة ﷺ توفي بعد ما عمي سنة ست وثمانين وقيل ثمان وثمانين.[8]

---

(١) الطبقات الكبرى: ٦/ ١٧٠.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٨٠.

(٣) مشاهير علماء الأمصار: ١٠٣.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٦٢.

(٥) الطبقات الكبرى: ٦ / ٢٩٨.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٦٣.

(٧) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٦٣.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ٣٠١، ٣٠٢. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٤٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٢٨،٤٣٠.

سعيد بن جبير:

أبو محمد ويقال أبو عبد الله الأسدي الوالبي مولاهم، أحد الأعلام البارزين في الإسلام، شهد له بالفضل والتقدم في العلم طائفة من العلماء. فكان ابن عباس رضي الله عنه إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء ؟ يعني سعيد بن جبير. وعن عمرو بن ميمون عن أبيه قال حين مات سعيد: "لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه" وعن أشعث بن إسحاق قال: "كان يقال لسعيد بن جبير جهبذ العلماء" وقال خصيف: "كان أعلمهم بالقرآن مجاهد، وأعلمهم بالحج عطاء، وأعلمهم بالحلال والحرام طاووس، وأعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب، وأجمعهم لهذه العلوم سعيد بن جبير" ووصفه الذهبي بالإمام الحافظ المقرئ المفسر، أحد الأعلام من كبار العلماء. [1] وكان سعيد رحمه الله ممن شارك في فتنة ابن الأشعث، واختفى بعد الهزيمة من وجه الحجاج ما يقرب من اثنتي عشرة سنة حيث كانت نهاية فتنة ابن الأشعث سنة ثلاث وثمانين وتم القبض عليه سنة خمس وتسعين وقتل فيها ـ رحمه الله ـ [2]

---

(١) عن علم سعيد والأقوال في مكانته انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦ / ٢٥٦ـ٢٥٨، ٢٦٦. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٧١٢، ٧١٣. الأصفهاني: حلية الأولياء: ٤/ ٢٧٣. الشيرازي: طبقات الفقهاء: ٨٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٢١،٣٢٥.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٣٧.

إبراهيم النخعي:

الإمام الحافظ فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني، كان مفتي الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلا صالحا، وفقيها متوقيا، قليل التكلف. [(١)] شهد له بالفضل والتقدم في العلم أهل العلم والفضل. فعن الأعمش قال: "كان إبراهيم صيرفي الحديث" وقال طلحة بن مصرف: "ما بالكوفة أعجب إلي من إبراهيم وخيثمة." وقال إسماعيل بن خالد "كان الشعبي وإبراهيم وأبو الضحى يجتمعون في المسجد يتذاكرون الحديث، فإذا جاءهم شيء ليس فيه عندهم رواية رموا إبراهيم بأبصارهم" وقال الشعبي بعد وفاة إبراهيم: "أما إنه ما ترك أحدا أعلم منه، أو أفقه منه." وقال سعيد بن جبير: "أتستفتوني وفيكم إبراهيم." [(٢)] وكان إبراهيم - رحمه الله - يكره أهل البدع والأهواء شديدا على المرجئة، كما كان يكره ظلم الحجاج ويعيب سيرته، وكان ممن اختفى من وجه الحجاج خوفا من ظلمه، فلما مات الحجاج فرح بذلك إبراهيم، ومع ذلك لم يكن يرى الخروج على الحجاج ولم يخرج مع من خرج عليه في فتنة ابن الأشعث. [(٣)] توفي رحمه الله سنة ست وتسعين للهجرة. [(٤)]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٢٠، ٥٢١.

(٢) عن ثناء العلماء على إبراهيم انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦ / ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٤. الأصفهاني: حلية الأولياء: ٤ / ٢٢١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٢٣، ٥٢٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٧٣،٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٨٤. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠١.

القاسم بن مخيمرة:

أبو عروة القاسم بن مخيمرة الهمداني، ولد بالكوفة وتعلم وعلم بها ثم انتقل إلى دمشق، وقد ذكره ابن سعد في طبقات الكوفيين. [1] كما نسبه ابن عساكر إلى الكوفة. [2] وكذلك الذهبي. [3] و ذكره البستي في التابعين بالشام، وفي موضع آخر في أتباع التابعين بالشام. [4] ولكن ذكره في عداد الكوفيين أولى، لأن انتقاله إلى الشام كان للمرابطة، كما أن سكناه للشام كان في آخر حياته. وهو معدود في العلماء العاملين، فقال عنه الذهبي: " الإمام القدوة، الحافظ. " وقال أبو حاتم: " ثقة صدوق كوفي،كان معلما بالكوفة ثم سكن الشام." [5] وكان ـ رحمه الله ـ يغزو ويرابط في سبيل الله، كما كان شديد الحرص على طاعة الوالي أو القائد المتولي أمر الرباط، فعن الأوزاعي قال: " كان القاسم بن مخيمرة يقدم علينا ههنا متطوعا، فإذا أراد أن يرجع استأذن الوالي، فقيل له: أريت إن لم يؤذن لك، قال: إذا أقيم، ثم قرأ ﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [6]

---

(١) الطبقات الكبرى:٦ / ٣١٣.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢١/ ٥٢.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٠١.

(٤) مشاهير علماء الأمصار: ١١٦، ١٨٢.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٠١، ٢٠٢.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٠٢. والآية في سورة النور رقم: ٦٢. والآية بتمامها ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

توفي سنة مائة وقيل إحدى ومائة للهجرة.[1]

أبو بردة الأشعري:

هـو عامـر بـن أبـي موسـى عبد الله بن قيس الأشعري، ويقال اسمه كنيـته. روى عـن عدد من الصحابة ﷺ وقال عنه الذهبي: "الإمام، الفقيه، الثبـت"[2] تـولى قضاء الكوفة للحجاج بعد شريح، كما تولى بعض أعمال يـزيد بـن المهلـب ـ والـي خراسـان ـ فكـان هو وأبو وائل على بيت المال، وتوفي بالكوفة سنة ثلاث ومائة وقيل أربع ومائة.[3]

عامر الشعبي:

أبـو عمـر عامـر بـن شـراحيل بن عبد الهمداني الشعبي، ولد في إمرة عمـر بـن الخطاب ﷺ، ولقي عددا كبيرا من الصحابة ﷺ وروى عنهم، ونـبغ في العـلم حـتى سـاد به وشهد له بذلك جمع كبير ممن عاصره أو جاء بعده.

فعـن مكحـول قـال: "مـا رأيـت أحـدا أعـلم مـن الشعبي" وعن أبي حصـين قال: "ما رأيت أحدا قط كان أفقه من الشعبي." وقال مثل ذلك أبو مجلـز، وقـال ابـن سيرين لأبي بكر الهذلي: "الزم الشعبي فلقد رأيته يستفتى وأصـحاب رسول الله ﷺ متوافرون، وقال ابن عيينة: "علماء الناس ثلاثة:

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢١/ ٥٥.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٤٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٦٨، ٢٦٩. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٤٤، ٣٤٥.

ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه." وقال عاصم بن سليمان: "ما رأيت أحدا أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي." [1] وقد كانت له صلة بخلفاء بني أمية و بعض ولاتهم، وعلى الرغم من عمله للحجاج إلا أنه كان يكره ظلمه، فخرج مع من خرج عليه مع ابن الأشعث، واختفى من وجه الحجاج مدة بعد هزيمة ابن الأشعث ثم قدم على الحجاج وتلطف في الاعتذار منه فعفى عنه. [2] توفي رحمه الله سنة أربع ومائة للهجرة وقيل خمس ومائة. [3]

موسى بن طلحة:

أبو عيسى موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي القرشي، الإمام القدوة، روى عن جملة من الصحابة ﷺ منهم أبو طلحة، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبو ذر، وأبو أيوب، وعائشة وغيرهم، [4] وكان واليا لابن هبيرة على الكوفة، توفي سنة أربع ومائة. [5]

(١) عن ثناء العلماء على الشعبي وبيان مكانته انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦ / ٢٥٤. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٦٠٣، ٦٠٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٠٠ ـ ٣٠٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦ / ٢٤٩، ٢٥٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٠٤، ٣٠٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦ / ٢٥٥. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٢.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٦٤.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢١١.

طلحة بن مصرف:

أبو محمد طلحة بن مصرف بن عمرو اليامي الهمداني، الإمام الحافظ، المقرئ المجود، شيخ الإسلام. قال عنه عبد الملك بن أبجر: "ما رأيت طلحة بن مصرف في ملأ إلا رأيت له الفضل عليهم." وقال أبو معشر بعد وفاة طلحة: "ما خلف مثله." [(١)] وقال عنه ابن سعد: "كان قارئي الكوفة يقرؤون عليه القرآن، فلما رأى كثرتهم عليه كأنه كره ذلك لنفسه، فمشى إلى الأعمش فقرأ عليه، فمال الناس إلى الأعمش." [(٢)] وكان ممن خرج مع ابن الأشعث وشهد الجماجم. وتوفي سنة اثنتي عشرة ومائة.[(٣)]

عون بن عبد الله الهلالي:

أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، الإمام القدوة العابد، حدث عن أبيه وطائفة من الصحابة ﷺ وقال الأصمعي: "كان عون من آدب أهل المدينة، وأفقههم." وكان مرجئا ثم ترك الإرجاء. وكان ممن شارك في فتنة ابن الأشعث، ولكنه تمكن من الفرار من وجه الحجاج إلى محمد بن مروان فأمنه، وعاش حتى خلافة عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ولازمه وكانت له عنده مكانة. توفي سنة بضع عشرة ومائة.[(٤)]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٩١، ١٩٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٠٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٠٩ . البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٩٢، ١٩٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٥٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣١٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٠٤، ١٠٥.

محارب بن دثار:

أبـو مطـرف محـارب بـن دثـار بن كردوس السدوسي، الفقيه الحجة، تـولى قضـاء الكوفـة لخالد بن عبد الله القسري. [1] وقال البستي ولي اليمن الحكـم بهـا. [2] وكـان مـن المرجئة الأولى الذين يرجئون أمر علي وعثمان ولا يشـهدون بإيمـان ولا كفـر. [3] تـوفي سـنة ثمان ومائة وقيل ست عشرة ومائة. [4]

جامع المحاربي:

أبـو صـخرة جـامع بن شداد المحاربي، الإمام الحجة، أحد كبار علماء الكوفـة. [5] وثقـه رجـال الجـرح والـتعديل، كـابن معـين، وأبـو حـاتم، والنسـائي، والعجلي، وغيرهم. [6] وكان له بعض مواقف النصح الصريحة مـع الحجـاج. [7] تـوفي رحمـه الله سنة ثمان عشرة ومائة للهجرة وقيل سبع وعشرين ومائة. [8]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢١٧، ٢١٨.

(٢) مشاهير علماء الأمصار: ١١٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٠٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢١٨.

(٤) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢١٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٢٠٥.

(٦) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢/ ٥٦، ٥٧.

(٧) ابن قتيبة: عيون الأخبار: ٢ / ٢٣١. حمادة: الوثائق السياسية والإدارية: ٣٢٠.

(٨) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٠٦. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢/ ٥٧.

سلمة بن كهيل:

الإمـام الثبت الحافظ، أبو يحيى سلملة بن كهيل بن حصين الحضرمي الكـوفي، أحـد ثقات الكوفيين ومن جلة مشايخها، وفيه تشيع قليل، قال عنه عـبد الـرحمن بـن مهـدي: "لم يكـن بالكوفـة أثبت من أربعة: منصور، وأبي حصـين، وسـلمة بـن كهـيل، وعمـرو بـن مـرة" توفي سنة إحدى وعشرين ومائة. [(١)]

زبيد بن الحارث اليامي:

أبـو عـبد الرحمن زبيد بن الحارث اليامي، الحافظ، أحد الأعلام، جمع بـين الفقه في الدين والزهادة وكثرة العبادة. فعن سعيد بن جبير: "لو خيرت مـن ألقـى الله تعـالى في مسلاخه، لاخترت زبيد اليامي." [(٢)] وقال عنه ابن حبان: "وكان من العباد مع الفقه في الدين ولزوم الورع الشديد." [(٣)] وكان متواضـعا يخـدم الأرامـل ويقوم في حاجتهن، فإذا كانت الليلة المطيرة طاف عـلى عجائـز الحـي ويقول: "ألكم في السوق حاجة" [(٤)] وكان ممن دعي إلى

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١٠، الرازي: الجرح والتعديل: ٤/ ١٧٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٩٨ ـ ٣٠٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٠٩.الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٢٩٦، ٢٩٧.

(٣) الثقات: ٦/ ٣٤١.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٩٧.

الانضمام إلى حركة زيد بن علي بن الحسين في عهد هشام فامتنع.[1] توفي رحمه الله سنة اثنتين وعشرين ومائة.[2]

أبو حصين الأسدي:

أبو حصين عثمان بن عاصم الأسدي، الإمام الحافظ، أجمع أهل الحديث على أنه ثقة حافظ. فقال العجلي: "كان أبو حصين شيخا عاليا، وكان صاحب سنة." وقال عبد الرحمن بن مهدي: "أربعة بالكوفة لا يختلف في حديثهم، فمن اختلف عليهم فهو مخطئ، منهم أبو حصين الأسدي." وقال ابن معين وجماعة: "أبو حصين ثقة" وقال أحمد: "كان صحيح الحديث"[3] توفي رحمه الله سنة سبع وعشرين ومائة.[4] وورد أنه كان يختفي من بني أمية، وأنه قال: "إن هؤلاء يريدونني عن دين الله والله لا أعطيهم إياه أبد."[5] ولكن لم يذكر سبب اختفائه هذا، وما ذا يريد منه بنو أمية. ولعل ذلك قد يكون بسبب طلبهم منه أن يلي القضاء وامتناعه عن ذلك، وقد يكون بسبب موقف من المواقف.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٩٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣١٠. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٦٦.

(٣) عن أقوال العلماء ورجال الحديث في أبي حصين انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤١٢ ـ٤١٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٧/ ١٢٦، ١٢٧.

(٤) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٦٦.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤١٥.

أبو إسحاق السبيعي:

هـو عمـرو بن عبد الله بن ذي يحمد الهمداني، الحافظ، شيخ الكوفة وعالمهـا ومحدثهـا، أحد العلماء العاملين، طلابة للعلم كبير القدر. [1] روى عـن ثمانـية وثلاثـين مـن أصـحاب النبي ﷺ[2] كان كثير الغزو والجهاد في زمـن معاويـة بـن أبـي سفيان رضي الله عنه [3] توفي رحمه الله سنة تسع وعشرين ومائة، وقيل سبع وعشرين ومائة. [4]

عطاء بن السائب:

هـو عطـاء بـن السـائب بـن يزيد، الإمام الحافظ محدث الكوفة، أحد الأئمة الأعلام، روى عن أنس رضي الله عنه وغيره، توفي سنة ثلاثين ومائة. [5]

الزبير بن عدي:

أبو عدي الزبير بن عدي الهمداني، العلامة الثقة، قاضي الري، وكان فاضـلا صـاحب سـنة، وقـال العجلـي عنه: "ثقة ثبت" [6] وكان من العباد المتقـنين الـزهاد. [7] وعـندما خرج قتيبة بن مسلم الباهلي على سليمان بن

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٣٩٢، ٣٩٣.

(٢) العجلي: معرفة الثقات: ٢/ ١٧٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٣٩٥.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣١٥. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١١.

(٥) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها: ١/ ٣٦٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦ / ١١٠ ـ١١٣. ابن حجر: لسان الميزان: ٧/ ٣٠٥.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٥٧.

(٧) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٢٦.

عـبد الملـك كـان الزبير معه، فقال له إبراهيم النخعي ناصحا: " اتق الله ولا تقتل مع قتيبة " [1] ولم يذكر الذهبي - راوي الخبر - إن كان الزبير أصر على موقفـه أم اسـتجاب لنصح إبراهيم، ولعل سرعة نهاية فتنة قتيبة بمقتله على يـد بعـض جـنوده هو الذي جعل أمر مشاركة الزبير لا تتضح حيث لم تدم طويـلا. وتـوفي الـزبير بـن عـدي - رحمـه الله - سـنة إحدى وثلاثين ومائة للهجرة. [2]

أبو سلمة الفأفاء:

هـو أبو سلمة خالد بن سلمة بن العاص المخزومي، حدث عن سعيد بـن المسـيب، وأبـي بـردة، والشـعبي، وموسى بن طلحة، وعروة بن الزبير، وقـال عـنه الذهـبي: " الإمـام الفقـيه " وذكر أنه متهم بالإرجاء. [3] وكان قد هرب من بني العباس إلى واسط ولازم ابن هبيرة - والي واسط - وقتل معه على يد العباسيين أواخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة. [4]

منصور بن المعتمر:

أبـو عـتاب منصـور بـن المعـتمر السـلمي، قـال عـنه الذهـبي: " أحـد الأعـلام، الحـافظ، الثبـت القـدوة، مـن أوعـية العلم، صاحب إتقان وتأله

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٧٥.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٢٦. الثقات: ٤ / ٢٦٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٥٧.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٧٣، ٣٧٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٤٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٧٤.

وخـير."[1] وقـال ابن سعد: "كان ثقة مأمونا كثير الحديث، رفيعا عاليا"[2] وقال البستي: "من عباد أهل الكوفة وقرائهم، وزهاد مشايخها وفقهائها"[3] وقـال ابـن مهدي: "لم يكن بالكوفة أحد أحفظ منه." وقد أكره على القضاء فامتـنع، وكـان فـيه تشيع قليل.[4] توفي رحمه الله سنة إحدى وثلاثين ومائة وقيل اثنتين وثلاثين ومائة.[5]

عبد الله بن شبرمة:

هـو العـالم الفاضـل عبد الله بن شبرمة بن الطفيل الضبي، أحد فقهاء الكوفـة وجلـة مشـايخها.[6] وتـولى قضـاءها، كـان سـفيان الثوري يقول: "فقهاؤنـا ابن شبرمة، وابن أبي ليلى"[7] كان مع فقهه ثقة في الحديث كريما، حازمـا، ورعـا، يقـرض الشعر، وكان مجدا في تدارس العلم مع أقرانه حتى كـانوا يجلسـون يـتذاكرون الفقـه حـتى الفجـر. تـوفي سـنة أربـع وأربعـين ومائة.[8]

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٠٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٦ / ٣٣٧.

(٣) مشاهير علماء الأمصار: ١٦٦.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٤٠٤،٤٠٥.

(٥) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٦٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٠٧.

(٦) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٦٨.

(٧) الرازي: الجرح والتعديل: ٥ / ٨٢. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٢٥٠.

(٨) خليفة بن خياط: الطبقات: ١٦٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٤٧ ـ٣٤٩. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٢٥٠، ٢٥١..

محمد بن أبي ليلى:

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، العلامة الإمام مفتي الكوفة وقاضيها، أبو عبد الرحمن الأنصاري، كان نظيرا للإمام أبي حنيفة في الفقه، وقال العجلي: "كان فقيها، صاحب سنة، صدوقا، جائز الحديث، وكان قارئا للقرآن عالما به..." تولى قضاء الكوفة لبني أمية وللعباسيين من بعدهم، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة. [1]

سليمان الأعمش:

أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي مولى بني كاهل، ولد سنة إحدى وستين في إحدى قرى طبرستان ثم قدموا به طفلا إلى الكوفة. [2] وطلب العلم حتى نبغ فيه.

وشهد له جمع من العلماء والأثبات بعلو منزلته في العلم والمقام العالي في الفضل. فقال عنه يحيى القطان: "هو علامة الإسلام." وقال عبد الله الخريبي: "ما خلف الأعمش أعبد منه." وكان مجاهد يقول: "لو كانت بي قوة لاختلفت إلى هذا" يعني الأعمش. وقال هشيم: "ما رأيت بالكوفة أحدا أقرأ لكتاب الله ولا أجود حديثا من الأعمش." وقال العجلي: "الأعمش ثقة ثبت، كان محدث الكوفة في زمانه، وكان يقرئ القرآن وهو

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣١٠-٣١٥. وانظر ترجمته أيضا في: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٥٨. العجلي: معرفة الثقات، مراجعة عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ: ٢/ ٢٣٤ الشيرازي: طبقات الفقهاء: ٨٥. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٩/ ٣٠١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٢٦.

رأس فيه ." وأطلق عليه الذهبي عددا من الألقاب فقال عنه: الإمام شيخ الإسلام، وشيخ المقرئين والمحدثين الحافظ. [1] وقال ابن سعد: "كان الأعمش صاحب قرآن وفرائض وعلم بالحديث." [2] وقد كان يكره إثارة الفتن والخروج على السلطان، لذا عندما دعي للخروج مع زيد بن علي في عهد هشام رفض ذلك. [3] توفي رحمه الله سنة ثمان وأربعين ومائة. [4]

الحجاج بن أرطاة:

أبو أرطاة الحجاج بن أرطاة النخعي الكوفي، قاضي البصرة و أحد علمائها، شهد له بالعلم والفقه غير واحد من أهل العلم.

فقال عنه الذهبي: "حجاج بن أرطاة الإمام مفتي العراق أبو أرطاة أحد الأعلام" وقال أيضا "وكان من أوعية العلم" [5] وقال: له فقه... وكان أحد مفتي أهل الكوفة" [6] وقال العجلي: "كان فقيها وكان أحد مفتي الكوفة" [7] وذكر أنه أفتى وهو ابن ستة عشر سنة، وتوفي سنة تسع وأربعين ومائة للهجرة، وأخذ عليه التيه والعجب. [8]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٢٦ـ ٢٢٩،٢٣٢، ٢٣٤. تذكرة الحفاظ: ١/ ١٥٤.

(٢) الطبقات الكبرى:٦/ ٣٤٢.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٣٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦ / ٣٤٣. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١١١.

(٥) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٨١.

(٦) معرفة الثقات: ١/ ٢٨٤.

(٧) المزي: تهذيب الكمال: / ٥/ ٤٢٠.

(٨) المزي: تهذيب الكمال: / ٥/ ٤٢٠. تذكرة الحفاظ: ١/ ١٨١. معرفة الثقات: ١/ ٢٨٤.

أبو حنيفة النعمان:

هـو العـالم الجلـيل والفقـيه المشـهور أبـو حنـيفة النعمان بن ثابت بن زوطـي التـيمي الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، ولد سنة ثمانين للهجرة في حـياة صغار الصحابة ﷺ [1] وهو مخضرم عاش في الدولة الأموية أكثر مـن خمسـين سـنة، وعـاش في الدولـة العباسية قريبا من عشرين سنة حيث تـوفي سـنة مائـة وخمسـين لـلهجرة. [2] وقد شهد له بالفقه والنبوغ فيه كبار العـلماء والأئمة. فروى عن الشافعي قوله: " الناس عيال على أبي حنيفة في الفقـه " [3] واشـتهر عـنه القـياس وإعمال الرأي حتى وصف به. فقال ابن سـعد عنه: " صاحب الرأي " [4] وفي الحديث قال الذهبي: اختلفوا في حديثه عـلى قولـين، فمنهم من قبله ورآه حجة. [5] ومنهم من لينه لكثرة غلطه في الحديـث لـيس إلا. [6] ولم يكـن على علاقة حسنة مع بني أمية أو ولاتهم، فلم يرض أن يلي لهم القضاء أو عملا من أعمالهم. [7]

---

(١) ذ ٦ / ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) ابن عبد البر: الإنتقاء: ١٢٢.

(٣) عن أقوال العلماء في فقه أبي حنيفة انظر: الذهبي: مناقب الإمام أبي هنيفة وصاحبيه، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ص: ٢٩ ـ ٣٢.

(٤) الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٦٨. وانظر ابن عدي: الكامل في الضعفاء: ٧/ ٥.

(٥) ومنهم ابن معين. انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٠ / ٤٥٠.

(٦) ومنهم ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٦٨. وانظر الرازي: الجرح والتعديل: ٨/ ٤٤٩. والضعفاء للعقيلي: ٤/ ٢٦٨. وابن عدي: الكامل في الضعفاء: ٧ / ٥. وابن حبان: المجروحين من المحدثين: ٣ / ٦١.

(٧) الموفق بن أحمد المكي: مناقب أبي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ: ٢٧٤.

ثانيا- أبرز العلماء في البصرة والمشرق:

الحكم بن عمرو الغفاري:

هو الصحابي الجليل الحكم بن عمرو بن مجدع الغفاري ﵁، له صحبة ورواية، وفضل وصلاح، ورأي وإقدام، عده البستي في مشاهير علماء الصحابة في خراسان. [1] ولي إمرة خراسان لزياد بن أبيه في عهد معاوية بن أبي سفيان ﵁، وكان لا يخاف في الله لومة لائم ولا يقدم طاعة أحد على طاعة الله. وكانت وفاته سنة خمسين للهجرة. [2]

الربيع بن زياد:

أبو عبد الرحمن الربيع بن زياد بن أنس الحارثي البصري، روى عن أبي بن كعب وغيره من الصحابة ﵃، وذكره البستي في مشاهير علماء التابعين بخراسان. [3] وكان - رحمه الله - متواضعا خيرا، تولى خراسان لزياد بن أبيه وفتح عامتها. [4] توفي سنة إحدى وخمسين للهجرة. [5]

---

(١) مشاهير علماء الأمصار: ٦٠.

(٢) انظر ترجمته هذه في: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٨، الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٣/ ٢٥ . البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٦٠. ابن الأثير: أسد الغابة: ٢/ ٤٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء:

(٣) مشاهير علماء الأمصار: ١٢٥.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ١٥٩.

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣/ ٢٤٣.

أبو برزة الأسلمي:

أحـد صـحابة رسول الله ﷺ الأجلاء، ومعدود من العلماء فيهم.[1]

واخـتلف في اسمـه واسم أبيه، فقيل اسمه عبد الله وقيل نضلة وقيل خالد، وقيل اسم أبيه عبيد الله وقيل عبد الله وقيل عائذ وقيل عمرو.[2]

بعـد وفـاة النبي ﷺ تحول إلى البصرة وبنى بها دارا، وكان ينطلق منها مـع المسلمين للجهاد في سبيل الله. وكان مع معاوية أيام خلافه مع علي بن أبـي طالـب ﷺ ولـما كانـت الفتنة بين ابن الزبير وبني أمية اعتزلها وغضب عـلى زعمائها في الشام والحجاز والعراق. توفي غازيا بسجستان بعد موقعة الحرة.[3]

سمرة بن جندب:

الفـزاري، أحـد الصـحابة الكـرام ﷺ كـان شابا في عهد الرسول ﷺ، ونـزل البصرة وسكنها، وكان زياد يستخلفه عليها وعلى الكوفة وقال ابـن سـيرين: "في رسـالة سمـرة إلى بنيه علم كثير" توفي سنة تسع وخمسين.[4] وممن نقل عنه الفتوى من الصحابة.[5]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ٢٩٨. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦ / ١٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ٢٩٩، ٣٠٠. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٣٨. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٦/ ١٥١، ١٥٤.

(٤) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٣٨. ابن حجر: الإصابة: ٣ / ١٣٠.

(٥) ابن القيم: إعلام الموقعين: ١٣.

معقل بن يسار:

أبـو علي معقل بن يسار المزني البصري، من أصحاب رسول الله ﷺ ومـن أهـل بـيعة الرضـوان، وقـد عـده البسـتي في مشاهير علماء الصحابة بالبصـرة.[1] له بعض مواقف النصح مع زياد بن أبيه، توفي بالبصرة في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.[2]

عبد الله بن مغفل المزني:

الصـحابي الجلـيل أبو سعيد عبد الله بن مغفل بن عبد نهم بن عفيف المـزني رضي الله عنه مـن أهـل بـيعة الرضـوان، وأحد البكائين، روى عن النبي ﷺ وعـن أبـي بكـر وعـثمان وغيرهـم من الصحابة رضي الله عنهم وروى عنه عدد من الـتابعين مـنهم الحسـن البصـري وسعيد بن جبير، وهو أحد العشرة الذين بعـثهم عمـر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى البصرة يفقهون الناس، وكان من نقباء الصحابة، توفي بالبصرة في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه.[1]

---

(١) مشاهير علماء الأمصار: ٣٨.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٣١٠ . الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٧٦.

عائذ بن عمرو:

من خيار أصحاب رسول الله ، وأحد الذين بايعوا تحت الشجرة، وله موقف نصح مع زياد بن أبيه والي العراق.[1] توفي بالبصرة في إمرة عبيد الله بن زياد، وأوصى أبا برزة الأسلمي أن يصلي عليه.[2]

عبد الله بن غالب:

أبو فراس عبد الله بن غالب الحداني، من عباد أهل البصرة وقرائهم، شارك مع ابن الأشعث في فتنته، وقاتل معه حتى قتل في وقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين للهجرة، وقيل كان يخرج من قبره ريح المسك.[3]

عقبة الأزدي:

أبو نهار عقبة بن عبد الغافر الأزدي، أحد علماء التابعين بالبصرة، من المكثرين في العبادة، حتى قال ثابت: "ما كان أحد من الناس أحب إلي أن ألقى الله في مسلاخه إلا عقبة بن عبد الغافر." وكان ممن شارك في فتنة بن الأشعث، وقتل في وقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين للهجرة.[4]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٣١. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٤١. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها:١ / ٢٧٠. ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٨٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٣١. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٤١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٢٥. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٠. الثقات: ٥/ ٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٢٥. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٢. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٧ / ٢٤٦.

عقبة بن وساج:

هـو عقبـة بـن وساج بن حصن البرساني الأزدي البصري، روى عن بعـض الصحابة رضي الله عنهم ووثقه عدد من رجال الجرح والتعديل كأبي حاتم وأبي داود وغيرهـم.[1] وكـان ـ رحمـه الله ـ من الغزائين برا وبحرا.[2] وهو ممن شارك في فتنة ابن الأشعث، وقتل في الجماجم.[3]

أبو الجوزاء:

هـو أوس بـن عبد الله الربعي البصري، من كبار العلماء، حدث عن بعـض الصحابة رضي الله عنهم كعائشة وابن عباس وغيرهما.[4] وقال: "جاورت ابن عـباس اثـنتي عشـرة سـنة مـا في القرآن آية إلا سألته عنها.[5] وكان شديدا عـلى نفسـه في العـبادة يواصـل الأيـام الكـثيرة علـيها.[6] وقـتل في وقعـة الجماجم مع ابن الأشعث سنة ثلاث وثمانين.[7]

---

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٧/ ٢٥١،٢٥٢.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٢.

(٣) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٨٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٥١.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٧١،٣٧٢.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٢٤.

(٦) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٢.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٢٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩ / ٥١.

عمران الضبعي:

هـو أبـو عمـارة عمـران بن عصام الضبعي، كان على قضاء البصرة، وكان مع ابن الأشعث في حربه للحجاج، فضرب الحجاج عنقه يوم الزاوية سنة ثلاث وثمانين للهجرة. [١]

مطرف بن عبد الله الشخير:

هـو الإمام القدوة، الحجة أبو عبد الله الحرشي العامري البصري. [٢] أحـد عـلماء الـتابعين وعـبادهم، وهـو ممـن يكره الفتن والسعي في الفرقة، ويحـب الجماعـة ولـزومها، فـإذا هاجـت الفتن هرب منها ونهى عنها، فلم يشارك في الفتن التي عاصرها، كفتنة ابن الأشعث، ولم يستجب لمن دعاه إلى الخروج على سلطانه. [٣] توفي سنة ست وثمانين للهجرة. [٤]

يحيى بن يعمر:

أبـو سـليمان يحيى بن يعمر العدواني البصري، الفقيه العلامة المقرئ، أحد أوعية العلم وحملة الحجة. [٥] روى عن جملة من الصحابة ﷺ، وجمع بـين عـلم العربـية والشـريعة، فكان أحد الفصحاء الفقهاء. [٦] نفاه الحجاج

---

(١) الرازي: الجرح والتعديل: ٦/ ٣٠٠. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٨٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٤٢، ١٤٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٩١، ١٩٢.

(٤) خليفة بن خياط: تاريخه: ٢٩٢.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٤١.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٤٢ تذكرة الحفاظ: ١/ ٧٥.

عن العراق فقدم على قتيبة بن مسلم بخراسان فقربه وولاه قضاءها.[1]
وكانت وفاته قبل سنة تسعين للهجرة.[2]

عبد الله بن رباح:

أبو خالد المدني الأنصاري، سكن البصرة، أحد التابعين الثقات والمشتهرين بالفقه من الأنصار.[3] وكان له بلاء حسن في قتال الخوارج وحربهم في العراق، توفي رحمه الله في حدود سنة تسعين للهجرة.[4]

أنس بن مالك:

الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، الإمام المفتي، والمقرئ المحدث، راوية الإسلام، وخادم رسول الله ﷺ، روى عنه وعن عدد من الصحابة رضي الله عنه علما جما، وروي عنه ذلك جملة من التابعين وتابعيهم.[5] عاصر أنس بن مالك رضي الله عنه الدولة الأموية من قيامها حتى وفاته سنة ثلاث وتسعين للهجرة.[6] وكان قد انتقل من المدينة إلى البصرة بعد أن بنيت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[7]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٣٦٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٤٢.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ٣٠٢، ٣٠٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢١٢. ابن حبان: الثقات: ٥/ ٢٧.

(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥ / ٢٠٦، ٢٠٧.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٦) وقيل توفي سنة إحدى وتسعين وقيل اثنتين وتسعين. (الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١/ ٤٤.

(٧) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٣٧.

أبو العالية الرياحي:

رفيع بن مهران مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع ثم من تميم، اعتقته وجعلته سائبة لوجه الله، أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسمع من عدد من الصحابة، وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتعلم العلم حتى نبغ فيه، فوصفه الذهبي بقوله: "الإمام الحافظ المفسر أحد الأعلام "[1] وكان شديد الكره للخوارج دائم التحذير منهم.[2] توفي رحمه الله سنة ثلاث وتسعين للهجرة وقيل غير ذلك.[3]

طلق بن حبيب:

هو طلق بن حبيب العنزي، من العلماء العاملين، وأحد الزاهدين الكبار، اشتهر بكثرة العبادة حتى قيل" كان المتمني بالبصرة يقول: عبادة طلق بن حبيب، وحلم مسلم بن يسار،" وقال عنه أيوب السختياني: " ما رأيت أعبد من طلق بن حبيب" وكان يكره الفتن ويتجنبها، فلما وقعت فتنة ابن الأشعث كان يقول اتقوها بالتقوى.[4] ومع أنه قد اتهم بالإرجاء فقد وثقه أهل الجرح والتعديل.[5]

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٠٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١١٤.الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢١٢.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢١٣.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٦٠١ ـ٦٠٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٢٧. ابن حبان: الثقات: ٤/ ٣٩٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٦٠٢، ٦٠٣. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٥/ ٣١، ٣٢.

أبو عثمان النهدي:

الإمـام الحجـة، عـبد الرحمن بن مل وقيل بن ملي بن عمرو بن عدي البصـري، مخضـرم أدرك الجاهلـية والإسـلام، وليست له صحبة إذ لم يسلم إلا في عهد عمر بن الخطاب ﷺ وكان من سادة العلماء العاملين، وكان كثير العبادة والتبتل، وكان عريف قومه، توفي سنة مائة للهجرة.(١)

مسلم بن يسار:

أبـو عبد الله مسلم بن يسار مولى بني أمية، وقيل مولى بني تيم، القدوة الفقيه الزاهد، أحد كبار التابعين في العلم والورع،روى عن بعض الصحابة ﷺ وقـال عـنه ابـن عـون: "كـان لايفضـل علـيه أحد في زمانه." وقال ابن سـعد: "كـان ثقـة، فاضـلا، عابدا، ورعا " وقال قتادة: "كان مسلم بن يسار خـامس خمسـة مـن فقهـاء البصـرة" وكـان إذا صـلى كأنـه ثـوب ملقى من خشـوعه." وكـان ممـن شـارك في فتـنة ابـن الأشـعث، وتـوفي سـنة مائـة للهجرة.(٢)

أبو الشعثاء:

هـو العالم الكبير جابر بن زيد الأزدي من عمان، سكن البصرة، ونبغ في العـلم حـتى عـد مـن كـبار عـلماء البصـرة، وقد شهد له بالعلم الأئمة

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٩٧، ٩٨. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٧٥ ـ ١٧٨. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٦/ ٢٧٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٨٦. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٨٥. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٨٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٦١٠ ـ ٦١٤.

الكبار، فقال فيه عبد الله بن عباس رضي الله عنه لأهل البصرة: "تسألوني وفيكم جابر بن زيد." وقال عمرو بن دينار: "ما رأيت أحدا أعلم بالفتيا من أبي الشعثاء." وعن ابن عباس أيضا قال: "لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر لوسعهم." وقال إياس بن معاوية: "أدركت البصرة ومالهم من مفت يفتي لهم غير جابر بن زيد." وكان أيوب السختياني يتعجب من فقه جابر ويثني عليه. ولما توفي قال قتادة: "اليوم دفن علم البصرة" أو قال عالم العراق. [(١)] وكان ملازما للجماعة فلم يشارك في الفتن التي عاصرها، وهذا ما رفع من شأنه لدى العامة. [(٢)] توفي سنة ثلاث ومائة للهجرة. [(٣)]

أبو قلابة الجرمي:

هوالإمام عبد الله بن زيد بن عامر الجرمي البصري، أحد الأعلام وشيخ الإسلام في عصره. [(٤)] من عباد التابعين وزهادهم، شهد له بالفضل والعلم عدد من الأئمة، فقال أيوب السختياني: "كان أبو قلابة من الفقهاء

---

(١) عن ثناء العلماء على حابر وعلمه انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٧٩،١٨٠. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ١٢، ١٣. الأصفهاني: حلية الأولياء: ٣ / ٨٥، ٨٦. الشيرازي: طبقات الفقهاء: ٩٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٨٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ٩، ٩٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٨٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧: ١٨٢.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٦٨.

ذوي الألـباب." وقال عمر بن عبد العزيز: "لن تزالوا بخير ما دام فيكم هذا ومثل هذا" [(١)].

وكـان من أعلم الناس بالقضاء إلا أنه تهرب من توليه، فحين طلب له هرب إلى الشام، كما كان شديدا على أهل الأهواء يكره الخوارج. [(٢)] توفي رحمه الله سنة أربع ومائة. [(٣)]

أبو شيخ الهنائي:

هو حيوان وقيل خيوان بن خالد أبو شيخ الهنائي الهمداني البصري، قـرأ القـرآن على أبي موسى الأشعري ﷺ وروى عن عبد الله بن عمر بن الخطـاب ﷺ وهـو معـدود في الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة، وثقه ابن حبان وابن سعد والعجلي وغيرهم. [(٤)]

سعيد بن أبي الحسن:

هـو سـعيد بـن أبـي الحسن البصري، أخو الحسن البصري وهو أصغر مـنه، أحـد عـباد التابعين، ومن قراء أهل البصرة، وثقة ابن حبان والعجلي

---

(١) عن الأقوال فيعبادة أبي قلابة وعلمه انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٨٣ ـ١٨٥. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٨٩. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٢/ ٢١٤ـ٢١٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٦٨ ـ٤٧٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٨٣، ١٨٥.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٨٩.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٥٥. خليفة بن خياط: الطبقات: ٢٠٦. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٢/ ١٢٩.

وغيرهما. [1] وكان ممن يرى الإنكار على الحجاج وعدم السكوت على ظلمه ولو أدى ذلك إلى الخروج عليه بالسف، وكان هذا خلاف رأي أخيه الحسن، ووقع بينهما حوار ونقاش في ذلك في أكثر من موقف. [2] و كان ممن خرج على الحجاج مع ابن الأشعث، وتوفي قبل أخيه الحسن فحزن عليه حزنا شديدا عرف في وجهه. [3]

الحسن البصري:

أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار، وكان أبوه يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ وأمه خيرة مولاة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وكانت أم سلمة تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي الحسن وهو طفل فتسكته أم سلمة بثديها، وروي أن ثديها در عليه ورضعه غير مرة. وكانت تخرجه إلى الصحابة أحيانا، فأخرجته إلى عمر بن الخطاب ﷺ فدعا له قال: "اللهم فقه في الدين وحببه إلى الناس." [4] ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ولقي مائة وعشرين من الصحابة ﷺ وروى عن طائفة منهم. [5] وتلقى العلم حتى أصبح من سادة التابعين

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٠. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤/ ١٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٤، ١٦٦.

(٣) المصدر السابق نفسه: ٧/ ١٧٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٨٨.

(٤) الأصفهاني: حلية الأولياء: ٢/ ١٤٧. وكيع: أخبار القضاة:٢/ ٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٦٣ _ ٥٦٥.

(٥) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٨٨.

وكبارهم علما وفقها، فقد قال عنه معتمر بن سليمان: كان أبي يقول: الحسن شيخ أهل البصرة" وقال قتادة: "ما جالست فقيها قط إلا رأيت فضل الحسن." وقال أيضا: "ما كان أحد أكمل مروءة من الحسن" وقال عوف: "ما رأيت رجلا أعلم بطريق الجنة من الحسن."[1] وكان رحمه الله من رؤوس العلماء بعلمه في الفتن والدماء والفروج، وله مواقف وآراء في الفتن والأحداث السياسية تحتذى ويقتدى بها، سيمر ذكرها في مواضعها. توفي رحمه الله سنة عشر ومائة للهجرة.[2]

أبو نضرة العبدي:

هو المنذر بن مالك بن قطعة أبو نضرة العبدي البصري، الإمام المحدث الثقة، حدث عن طائفة من الصحابة ﷺ منهم علي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وعمران بن حصين، وابن عباس وابن عمر وغيرهم، وكان عريف قومه.[3] توفي رحمه الله سنة ثمان أو تسع ومائة للهجرة.[4]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٥٧، ١٦٣. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٥٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٧٥-٦٧٢.

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه: ٣٤٠. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٨٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٨٧.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء :٤/ ٥٢٩- ٥٣١.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٠٨. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٦.

محمد بن سيرين:

أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري، كان والده سيرين مولى أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ. ولد محمد بن سيرين لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ولقي ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ وروى عن طائفة منهم، ونبغ في العلم حتى أصبح من كبار علماء التابعين وشهد له بغزارة العلم وجلال القدر والزهد والورع عدد جم من معاصريه وممن بعدهم. فقال عمرو بن دينار يوما: ما رأيت مثل طاووس، فقال أيوب السختياني وكان جالسا: والله لو رأى محمد بن سيرين لم يقله. وقال ابن عون: "ما رأيت مثل محمد بن سيرين." وقال عثمان البتي: "لم يكن بالبصرة أحد أعلم بالقضاء من ابن سيرين. وقال عوف الأعرابي: "كان ابن سيرين حسن العلم بالفرائض والقضاء والحساب." وقال عنه أبو قلابة: "اصرفوه كيف شئتم، فلتجدنه أشدكم ورعا، وأملككم لنفسه."[(١)]

وكان ابن سيرين - رحمه الله - ممن اعتزل الأمراء والسلاطين، ولكن يقوم بالنصح لهم إذا لزم الأمر، توفي رحمه الله سنة عشر ومائة للهجرة بعد وفاة الحسن البصري.[(٢)]

---

(١) عن الأقوال والشهادات في ابن سيرين انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٩٥، ١٩٦. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٥٦. ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٣/ ١٨١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٦٠٨، ٦٠٩.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٨٨ ، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٦٢١.

أبو المليح الهذلي:

هـو عامـر بـن أسـامة بـن عمـير الهذلـي الكـوفي ثـم البصـري، أحد الأثـبات، حدث عن بعض الصحابة كعائشة، وعوف بن مالك، وابن عمر، ابـن عـباس وغيرهـم ﭫ. [١] ذكره البستي في مشاهير التابعين بالبصرة. [٢] وكـان والـيا على الأبلـة [٣] للحجاج، توفي سنة ثنتي عشرة ومائة وقيل غير ذلك. [٤]

معاوية بن قرة المزني:

هـو معاويـة بن قرة المزني، الإمام الثبت، وأحد فقهاء التابعين وزهاد البصـرة، لقـي عـددا مـن الصـحابة ﭫ وروى عنهم، وهو والد القاضي المشـهور إيـاس بـن معاويـة. [٥] وكـان له بعـض مواقف النصح مع بعض الخلفاء والولاة. [٦] توفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة ومائة. [٧]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٩٤.

(٢) مشاهير علماء الأمصار: ٩٤.

(٣) الأبلة: مدينة بالعراق، بينها وبين العراق أربعة فراسخ، وكانت قبل البصرة، وكانوا يقولون: " جنات الدنيا ثلاث: غوطة دمشق، ونهر بلخ، ونهر الأبلة." انظر: ياقوت: معجم البلدان ١/ ٧٧. البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية،، ط: الأولى، دار مكة، مكة، ١٤٠٢هـ : ١٦٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٢٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٩٤

(٥) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤ /١٥٣، ١٥٤.

(٦) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٥ / ١٠٣.

(٧) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٥٥.

بلال بن أبي بردة:

هـو بـلال بـن أبـي بـردة عامـر بـن أبي موسى الأشعري، كان على القضـاء بالبصـرة، ولاه إياه خالد القسري من سنة تسع ومائة إلى سنة خمس وعشرين ومائة، توفي سنة نيف وعشرين ومائة. (١)

مالك بن دينار:

أبـو يحـيى مـولى بـني ناجـية بـن سـامة بن لؤي بن غالـب. (٢) قال عنه الذهـبي: "عـلم العلماء الأبرار، ومعدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصـاحف" (٣) واشتهر بالزهد والورع، توفي رحمه الله سنة ثلاث وعشرين ومائـة. (٤) وقيل سنة ثلاثين ومائة. (٥) وذكر ابن كثير أنه ممن شارك مع ابن الأشعث في فتنته. (٦)

محمد بن واسع:

أبوبكـر محمد بن واسع بن جابر الأزدي، أحد الأعلام الإمام الرباني القـدوة. (٧) اشتهر بالزهد والانقطاع للعبادة، ولم يكن يدخل على السلطان

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٥٣. الثقات: ٦/ ٩١. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٤٣. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٦٢.

(٤) (٤) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩١.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٤٣. خليفة بن خياط: الطبقات: ٢١٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٦٤.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٥١.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١١٩.

أو يقبل له عملا أو عطاء. وكان يشارك في الجهاد والغزو، فكان يغزو مع قتيبة بن مسلم في فتح بلاد ما وراء النهر. توفي رحمه الله سنة سبع وعشرين ومائة. [1]

أبو المنهال:

هو سيار بن سلامة الرياحي البصري، وثقه ابن معين والنسائي والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، كما ذكره البستي في مشاهير علماء التابعين في البصرة، توفي سنة تسع وعشرين ومائة. [2]

أيوب السختياني:

أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان العنزي مولاهم، من كبار العلماء في زمانه، شهد له بالفضل والتقدم في العلم عدد من العلماء وأهل الفضل، فقال البستي في ترجمته لأيوب: "من سادات أهل بالبصرة، وعباد التابعين وفقهائهم، ممن اشتهر بالفضل والعلم والنسك والصلابة في السنة والقمع لأهل البدع" [3] وقال الحسن البصري عنه "سيد الفتيان" وقال هشام بن عروة: "ما رأيت بالبصرة مثل أيوب السختياني" وقال شعبة عنه: "سيد

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٥١. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٣ / ٢٨٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٢١، ١٢٣.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٩٧. الرازي: الجرح والتعديل: ٤/ ٢٥٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤/ ٢٩٠.

(٣) مشاهير علماء الأمصار: ١٥٠.

الفقهاء" وقال الذهبي: "الإمام الحافظ، سيد العلماء" [1] وقال ابن سعد: "كان أيوب ثقة ثبتا في الحديث، جامعا كثير العلم حجة" [2] وكان رحمه الله ناصحا للعامة، ومتمسكا بالسنة شديدا على أهل الأهواء الخوارج منهم بخاصة. [3] توفي رحمه الله سنة إحدى وثلاثين ومائة للهجرة. [4]

إبراهيم الصائغ:

أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون الصائغ، من أهل مرو، ومن الآمرين بالمعروف والمواظبين على الورع، الموصوف مع الفقه بالدين والعبادة الدائمة. قتله أبو مسلم الخراساني سنة إحدى وثلاثين ومائة. [5]

مقاتل بن حيان:

أبو بسطام مقاتل بن حيان النبطي البلخي، قال عنه الذهبي: "الإمام العالم المحدث، الثقة، وكان من العلماء العاملين." [6] وقال أيضا: "كان إماما صادقا ناسكا خيرا، كبير القدر، صاحب سنة واتباع." [7] وقال عنه

(١) انظر هذه الأقوال في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٥-١٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٤٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦، ٢٠، ٢١.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٥١. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٥٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٤.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٣٧٠. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٩٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٥٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١/ ١٧٢، ١٧٣.

(٦) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٧) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٧٥.

البستي: "كان ممن عني بحفظ القرآن، وواظب على الورع في السر والإعلان [1] وكان داعية إلى الله دخل على يديه خلق كثير في الإسلام في بلاد كابل، وكان قد هرب إليها من أبي مسلم الخراساني." [2]

جبلة العتكي:

أبو مروان جبلة بن أبي رواد، مولى عتيك، من أهل مرو، وذكره البستي في مشاهير خراسان، وقال: قتله أبو مسلم الخراساني بنيسابور سنة إحدى وثلاثين ومائة. [3] وقد وثقه علماء الجرح والتعديل. [4]

يزيد النحوي:

أبو الحسن يزيد بن أبي سعيد النحوي القرشي مولاهم، عالم جليل من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وقد وثقه علماء الجرح والتعديل كأبي زرعة وأبي داود، وابن معين، والنسائي وغيرهم، فقال عنه ابن حبان: "كان متقنا من العباد، تقيا من الرفعاء، تاليا لكتاب الله تعالى عالما بما فيه جهده " وقال الدارقطني: "حسبك به ثقة ونبلا" قتله أبو مسلم الخراساني سنة إحدى وثلاثين ومائة لأمره إياه بالمعروف. [5]

---

(١) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٩٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٧/ ٣٨٦، ٣٨٧. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٩٥. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٥/ ١٩٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٤١.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٩٥. وانظر: الرازي: الجرح والتعديل: ٢/ ٥١٠.

(٤) ابن حبان الثقات: ٦/ ١٤٧. البخاري: التاريخ الكبير، مراجعة السيد هاشم الندوي، دار الفكر، ١٩٨٦م : ٢/ ٢٢٠.

(٥) ابن حبان: الثقات: ٧/ ٦٢٢. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١١/ ٣٣٢.

الربيع بن أنس:

هـو الربيع بن أنس بن زياد البكري، روى عن جملة من الصحابة ﷺ وسكن البصـرة، ولكـنه هـرب من الحجاج إلى مرو فأصبح عالمها في زمنه، وعـندما قامـت دعـوة بني العباس امتحنه أبو مسلم الخراساني وسجنه تسع سنوات، وتوفي بها سنة تسع وثلاثين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور. [1]

خالد بن مهران:

أبـو المـنازل وقـيل المـبارك، مـولى لقـريش، قـال عنه الذهبي: "الإمام الحـافظ الـثقة، أحـد الأعـلام" [2] وقـال البستي: "كان من المتقنين المواظبين عـلى العـبادة والعـلم." [3] وقـال ابن سعد: "كان ثقة رجلا مهيبا لا يجترئ علـيه أحـد، وكـان كـثير الحديـث" [4] اسـتعمل عـلى القـبة ودار العشـور بالبصرة، وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائة للهجرة. [5]

خالد بن صفوان بن الأهتم:

العلامة البليغ، وأحد الفصحاء المشهورين، وممن اشتهر بوعظ الخلفاء ونصـحهم، فوعـظ عمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك، وكان هشام

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٦٩،١٧٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٩٠.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٥٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٥٩.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٦٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٩٢.

معجبا بـه فقـال له يومـا: "يـا ابـن صفوان لقد أوتيت لسانا وعلما وبيانا" حفظ له كثير من الحكم والنصائح. [1]

حسين بن واقد:

هو مولى عبد الله بن عامر بن كريز القرشي، كنيته أبو علي، كان على قضاء مرو. توف سنة تسع وخمسين ومائة. [2]

يزيد الضبي:

أبـو مـودود يـزيد بـن نعامـة، بصـري تـابعي، وقد وهـم من عده من الصـحابة، روى عــن أنــس مــن الصــحابة،من ثقــات رجــال الحديــث صدوق.وله مواقف جريئة مع الحكم بن أيوب والي الحجاج على الكوفة. [3]

حجر بن عدي

هـو حجـر بـن عـدي بـن جـبلة الكـندي رضي الله عنه معـدود عند عدد من الكـتاب في الصـحابة، فقـال ابن عبد البر: كان حجر من فضلاء الصحابة، وصـغر سنه عن كبارهم. [4] وقال ابن الأثير عنه: من فضلاء الصحابة. [5] وقـال الذهـبي: لـه صـحبة ووفـاده. [6] وعـده عدد آخر في التابعين.ومنهم

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٧ / ٣٥٣ ـ٣٦٥. الأصفهاني: حلية الأولياء: ٨ / ١٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦ / ٢٢٦.

(٢) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٩٥. الثقات: ٦/ ٢٠٩. البخاري: التاريخ الكبير: ٢/ ٣٨٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٦٥. البخاري: التاريخ الكبير:٨ / ٣٦٣. الرازي: الجرح والتعديل:٩ / ٢٩٢.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب:

(٥) أسد الغابة:١/ ٣٨٥.

(٦) سير أعلام النبلاء:٣/ ٤٦٣.

البخاري وابن أبي حاتم وخليفة بن خياط وابن حبان.[1] وقال عنه ابن سعد ثقة معروفا.[2] وعده البستي من مشاهير علماء التابعين بالبصرة فقال عنه: من عباد التابعين.[3] كان أمارا بالمعروف مقدما على الإنكار، ذا صلاح وتعبد. قتل في مرج عذرا بأمر معاوية سنة إحدى وخمسين.[4]

أبرز العلماء في مصر والمغرب في عهد الدولة الأموية.

عقبة بن عامر الجهني:

هو أبو عيسى عقبة بن عامر الجهني، الإمام المقرئ، المصري، صاحب رسول الله ﷺ، كان عالما مقرئا، فصيحا، فقيها، فرضيا، شاعرا كبير الشأن، وكان البريد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح دمشق، وشهد فتح مصر واختط بها دارا، وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، ولاه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إمرة مصر ثم عزله بعد ثلاث سنين وأغزاه البحر. توفي رضي الله عنه سنة ثمان وخمسين للهجرة.[5]

---

(١) ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة: ١/ ٣٢٩.

(٢) الطبقات الكبرى:٦/ ٢٢٠.

(٣) مشاهير علماء الأمصار: ٩١.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء:٣/ ٤٦٣، ٤٦٧.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ٣٤٣، ٣٤٤ . خليفة بن خياط: الطبقات: ١٢١، ٢٩٢. ابن الأثير: أسد الغابة: ٤/ ٥٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٦٧ ـ٤٦٩.

عبد الله بن عمرو بن العاص:

الإمـام الحـبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، له مناقب وفضـائل ومقـام راسـخ في العـلم والعمـل، حمـل عـن النبي ﷺ علما جما، وكتب الكثير عنه بإذنه، لذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: "لم يكن أحد من أصحاب رسـول الله ﷺ أكثر حديثا مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتـب ولا أكتـب" وكـان يسـمي صـحيفته الـتي كتـبها عن رسول الله ﷺ الصـادقة، وكـان صـاحب عـبادة وقـراءة للقـرآن رضي الله عنه تـوفي سـنة ثلاث وستين.[1]

عبد الرحمن الكندي:

أبـو معاويـة عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الكندي، القاضي، تولى قضـاء مصـر وشـرطتها في عهـد عـبد العزيـز بن مروان، وكان يلي خلافة السـلطان في غيابه، فلما توفي عبد العزيز وتولى أخوه عبد الله بن عبد الملك ولى عبد الرحمن مرابطة الإسكندرية، توفى سنة خمس وتسعين للهجرة.[2]

عبد الله المعافري:

أبـو عـبد الـرحمن عـبد الله بـن يزيد الحبلي المعافري الأفريقي، تابعي روى عـن جماعـة مـن الصـحابة، وشهد فتح الأندلس مع موسى بن نصير،

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ١/ ٢٥١. البستي: مشاهير علماء الأمصار: ٥٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٧٩-٩٤.

(٢) تهذيب الكمال: ١٧/ ٤١٢. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٦/ ٢٧١، ٢٧٢.

وكـان ممـن بعـثه عمـر بـن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ من العلماء إلى إفريقية لتفقيه الناس، فبث فيها علما كثير، وتوفي بالقيروان سنة مائة للهجرة. [1]

حنش الصنعاني:

أبـو رشـدين حـنش بـن عـبد الله السبائي الصنعاني، نسبة إلى صنعاء دمشـق لا صـنعاء الـيمن [2] مـن أهل الفضل والدين، روى عن جماعة من الصـحابة ﷺ، نـزل إفريقية، وشهد غزو الأندلس مع موسى بن نصير، وله مشـاركات كـبيرة في الغـزو بإفريقـية، وسـكن القـيروان واخـتط بهـا دارا ومسـجدا، وكـان كـثير الصـلاة وقـراءة القرآن، توفي رحمه الله بإفريقية سنة مائة للهجرة. [3]

محمد بن أوس الأنصاري:

أبـو عبد الله محمد بن أوس الأنصاري، كان من أهل الفضل والدين، عالمـا فاضـلا، خـيرا صـالحا، معـروفا بالفقـه والدين، والرواية مع الدراية، دخـل إفريقـية سـنة ثـلاث وتسعين، وغزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير، وكان على غزو بحر تونس، توفي رحمه الله سنة اثنتين ومائة. [4]

---

(١) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية والمغرب: ٨٦،٨٧. المالكي: رياض النفوس: ١/ ٩٩ ـ ١٠. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ١٨٠ ـ ١٨٤.

(٢) وقد ذكره بعض المصنفين في عداد علماء اليمن بسبب نسبته إلى صنعاء. انظر مثلا: الشيرازي: طبقات الفقهاء: ٦٦. الجعدي: طبقات فقهاء اليمن

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٥٣٠. أبو العرب: طبقات علماء إفريقية والمغرب: ٨٠،٨١ . المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٢١. الدباغ: معالم الإيمان:١/ ١٨٧، ١٨٨.

(٤) ابن عبد الحكم: الفتوح: ٢١٥. أبو العرب: طبقات علماء أفريقية والمغرب: ٨٠. الدباغ: معالم الإيمان:١/ ١٨٩. الأبار: الحلة السيراء: ٢/ ٣٢٨.

إسماعيل بن عبيد الأنصاري:

هو إسماعيل بن عبيد مولى الأنصار، ويلقب بـ" تاجر الله" وهو أحد العلماء العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية لتفقيه الناس، صحب جماعة من الصحابة ﷺ وروى عنهم، سكن القيروان وبنى بها المسجد الكبير الذي يعرف الآن بمسجد الزيتونة، كما ينسب إليه السوق الذي بجوار هذا المسجد فيسمى بـ" سوق إسماعيل" وكان يلقب بـ" تاجر الله" لأنه جعل ثلث كسبه لله ينفقه في وجوه الخير، وله قصص عجيبة في الصدقات والإحسان إلى الفقراء والمساكين. توفي رحمه الله في غزو البحر حيث غرق في المركب وهو متقلد المصحف.(١)

المغيرة بن أبي بردة:

أبو عبد الله المغيرة بن أبي بردة الكناني، حليف بني عبد الدار، معدود في التابعين، روى عن أبي هريرة وغيره من الصحابة ﷺ وأحد وجهاء إفريقية، له مشاركات في الجهاد والغزو، فغزا مع موسى بن نصير المغرب والأندلس. وغزا مع أهل إفريقية القسطنطينية، ولما قتل يزيد بن أبي مسلم ـ عامل يزيد بن عبد الملك على إفريقية ـ اجتمع أهل الدين

---

(١) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية والمغرب: ٨٤، ٨٥. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٠٦ ـ ١٠٩. الدباغ: معالم الإيمان:١/ ١٩١ ـ١٩٥.

والفضل واتفق رأيهم على تولية المغيرة بن أبي بردة لما علموا من دينه وحزمة، لكنه أبى ذلك وهرب وولده.[1]

علي بن رباح اللخمي:

أبو موسى علي بن رباح بن قصير اللخمي المصري، الإمام الثقة، كان فاضلا جليلا، روى عن جماعة من الصحابة ﷺ ويعد من كبار علماء التابعين، فكان فقيها صالحا، وكانت له منزلة عند عبد العزيز بن مروان ـ والي مصر ـ فولاه إفريقية، فقدمها مجاهدا في سبيل الله، وسكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا، فلما قدم موسى بن نصير القيروان جعله من خاصته ونفعه الله بمواعظه، وكان مولده سنة خمس عشرة ووفاته بإفريقية سنة أربع عشرة ومائة.[2]

عبد الرحمن التنوخي:

أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي، من فضلاء التابعين، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وجماعة من الصحابة ﷺ، وعده البستي من ثقات علماء التابعين بمصر، سكن القيروان وهو أول من استقضي بها ولاه موسى بن نصير قضاءها، وهو أحد العلماء العشرة الذين بعثهم عمر

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/ ٢٤٠. أبو العرب: طبقات علماء أفريقية والمغرب:٨٨. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٢٤. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ١٩٦.

(٢) انظر ترجمته في ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣١٣. المالكي: رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي للطباعة: ١/ ١١٩. الدباغ: معالم الإيمان، تعليق إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨م:١/ ١٩٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ١٠١،١٠٢.

بـن عـبد العزيـز إلى إفريقـية لتفقـيه الناس، توفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة ومائة للهجرة. [(١)]

موهب المعافري:

هو موهب حي المعافري، أحد فضلاء التابعين، روى عن عبد الله بن عـباس وغيره من الصحابة ﷺ وهو أحد العلماء العشرة الذين بعثهم عمر بـن عـبد العزيز إلى إفريقية، وسكن القيروان وبث فيها علما كثيرا، وتوفي ـ رحمه الله ـ بها. [(٢)]

طلق بن جابان:

طلـق بـن جابـان وقيل بن جعبان الفارسي، أحد التابعين، كان فقيها عالمـا، وهو أحد العلماء العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية لتفقيه الناس. ولم أقف على سنة وفاته. [(٣)]

سعد التجيبي:

أبـو مسـعود سـعد وقيل سعيد بن مسعود التجيبي الكندي المصري، صـحب جماعـة مـن صـحابة رسـول الله ﷺ وروى عـنهم، اشـتهر بالدين

(١) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية والمغرب: ٨٦، البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٢١. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١١٠. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ١٩٨.

(٢) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية والمغرب:٨٤. المالكي: رياض النفوس:١/ ١١٠. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ٢١٣.

(٣) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية والمغرب:٨٦. المالكي: رياض النفوس:١/ ١١٧. الدباغ: معالم الإيمان:١/ ٢١٥. الرازي: الجرح والتعديل: ٤/ ٤٩١.

والعقل، وكان قليل الهيبة للملوك في حق، لا تأخذه في الله لومة لائم، وهو أحد العلماء العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية، فكان له أثر في تفقيه الناس، ومحاربة الخوارج وأفكارهم المنحرفة، توفي بالقيروان ودفن بها. (١)

عمارة التجيبي:

من فضلاء المسلمين، تابعي جليل روى عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعن عدد من التابعين، وروى عنه زياد بن أنعم، وذكره ابن حبان في الثقات. (٢)، وسكن القيروان وذكره سحنون في مؤلفاته. (٣) وكان كثير الغزو للعدو حتى أخذ ذلك جل وقته وشغله عن الحج. (٤)

حبان بن أبي جبلة:

هو حبان بن أبي جبلة القرشي، مولى بني عبد الدار، وكان من أهل الفضل والدين، روى عن ابن عباس وعمرو بن العاص وولده، وهو أحد العلماء العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية، وسكن

---

(١) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية والمغرب:٨٧. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٠٢. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ١٨٤.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٧/ ٤٢٢.

(٣) الدباغ: معالم الإيمان:١/ ١٢٨.

(٤) المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٢٨. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ٢١٧.

القـيروان وانـتفع بـه أهـلها. تـوفي رحمـه الله بالقيروان سنة خمس وعشرين ومائة للهجرة. [1]

جعثل بن هاعان:

أبـو سـعيد جعـثل بـن هاعـان بـن عمير وقيل عمرو الرعيني القتاني المصـري، أحـد الـتابعين الفقهـاء القـراء، كـان فقيها صالحا، وأحد الفقهاء العشـرة الذيـن بعـثهم عمـر بـن عبد العزيز إلى إفريقية، ولاه هشام بن عبد الملـك قضـاء جـند إفريقـية، تـوفي رحمـه الله قريـبا من سنة خمس وعشرين ومائة. [2]

خالد بن أبي عمران التجيبي:

قـال عـنه الذهـبي: " الإمام القدوة، قاضي إفريقية، وكان فقيه المغرب، ثقـة ثبـتا، صـالحا ربانـيا " [3] وكـان من العلماء الراسخين في العلم، والعباد المجـتهدين، اشتهرت إمامته بالمشرق والمغرب، وكان مشهورا بإجابة الدعوة، ولـه في حـرب الخـوارج مقامات كثيرة، وكان مبعوث أهل إفريقية إلى يزيد بـن عـبد الملـك، فـلما وصل إليه أدنى مجلسه واستشاره فيمن يولي إفريقية

---

(١) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية والمغرب:٨٤. المالكي: رياض النفوس:١/ ١١ ، الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ٢٠٩. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢/ ١٧١.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٦/ ٥٠. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١١٤. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ٢٠٢. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٢/ ٧٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٣٧٨.

بعـد مقـتل عاملـه علـيها يزيد بن أبي مسلم فأشار عليه وقبل قوله، توفي ـ رحمه الله ـ سنة خمس وقيل سبع وعشرين للهجرة.[1]

بكر بن سوادة:

أبـو ثمامـة بكـر بن سوادة الجذامي، المصري الفقيه، تابعي روى عن عـبد الله بن عمرو، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن يسار والزهري وغيرهم، وثقه النسائي واستشهد به البخاري.

كـان فقـيها مفتيا، وهو أحد العلماء العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيـز إلى إفريقـية، سـكن القيروان، وغزا في بحار الأندلس، توفي رحمه الله سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة.[2]

حيي المعافري:

أبـو قبيل حيي بن هانئ المعافري، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من تـابعي مصـر، وذكـر أن اسمه حي بياء واحدة[3] من أهل الدين والفضل، ومـن جلـة أهل مصر وصالحيهم، روى عن جماعة من الصاحبة منهم عبادة بـن الصـامت، وعـبد الله بـن عمـرو بـن العـاص، وعقـبة بن عامر الجهني وغيرهـم، وكـان له أثـر في الغـزو في إفريقـية حيـث دخـلها مع حسان بن

---

(١) المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٦٢، ١٦٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٥١٤. أبو العرب: طبقات علماء إفريقية والمغرب:٨٦. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١١٢. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ٢١١. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١/ ٤٨٣،٤٨٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى:٧/ ٥١٢.

النعمان، وشهد معه مغازيه، وكانت له في الغزو مقامات، وكان لا يدع أن يصوم الاثنين والخميس، توفي رحمه الله سنة ثمان وعشرين ومائة. (1)

إسماعيل بن أبي المهاجر:

أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله أبي المهاجر القرشي المخزومي، مولى لهم، روى عن بعض الصحابة وجلة من التابعين، كان فقيها صالحا، وفاضلا عابدا، أحد الأئمة الكبار، وهو أحد العلماء العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية، وولاه إفريقية، فسكن القيروان، وسار في الناس بالحق والعدل، وعلمهم السنن، كما كان حريصا على دعوة البربر إلى الإسلام، فأسلم في ولايته خلق كثير منهم لحسن سيرته، كما كان مجاهدا يقود الغزوات، ومتواضعا زاهدا، إذا قفل من الصائفة من الغزو افترش ذراعه فنام عليها، وفي زهده قال معن التنوخي: "ما رأيت زاهدا في هذه الأمة غير اثنين: عمر بن عبد العزيز، وإسماعيل بن عبيد الله المخزومي" توفي رحمه الله سنة إحدى وثلاثين ومائة وقيل غير ذلك. (2)

---

(1) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٢٠. الفسوي: المعرفة والتاريخ: ٢/ ٥٠٧. المالكي: رياض النفوس:١/ ١٤٣.

(2) عده البستي من تابعي أهل الشام، ونسبه الذهبي إلى دمشق، وعده مؤرخو إفريقية والمغرب من علماء إفريقية لسكناه القيروان، وتوليه إمرة إفريقية، وجهاده فيها، ومكثه بها حتى توفي بها .

البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٧٩. أبو العرب: طبقات علماء إفريقية والمغرب:٨٤. المالكي: رياض النفوس:١/ ١١٥. الدباغ: معالم الإيمان:١/ ٢٠٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢١٣.

زهرة بن معبد التيمي:

الإمام أبو عقيل زهرة بن معبد بن عبد الله بن هشام التيمي، من فضلاء المؤمنين، أصله من المدينة ثم سكن مصر وأوطنها، دخل إفريقية وغزا برها وبحرها، توفي رحمه الله بالإسكندرية سنة خمس وثلاثين ومائة. (١)

أبو كريب المعافري:

هو أبو كريب جميل وقيل عبد الرحمن بن كريب المعافري، من أهل الفضل والعلم، تولى قضاء القيروان على كره منه، لعبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع ـ والي إفريقية ـ وكان أبو كريب عدلا فاضلا، حسن السيرة كثير التواضع، وكان له في عدله في القضاء قصص مشهورة، منها ما وقع بين أحد الخصوم والأمير عبد الرحمن بن حبيب وحكم أبو كريب بالحق على الأمير في المسجد أمام الناس، وكان له أثر في قتال الخوارج من البربر في إفريقية حيث قاد حمله ضدهم واستشهد فيها سنة تسع وثلاثين ومائة للهجرة رحمه الله. (٢)

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/ ٥١٥. خليفة بن خياط: الطبقات: ٢٩٤. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٤٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٤٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٣/ ٣٤١.

(٢) أبو العرب: طبقات علماء أفريقية والمغرب: ٢١٧. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٦٨. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ٢٢٤

عمرو بن الحارث الأنصاري:

أبـو أمـية عمـرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري السعدي مولاهم، المدنـي الأصـل المصـري، عـالم الديـار المصـرية، ومفتـيها، بهذه الأوصاف والألقـاب قـدم الذهـبي لترجمـة عمـر بن الحارث. وذكر عددا من شهادات العـلماء والحفاظ له بالعلم والفضل، فمن ذلك: قال يعقوب بن شيبة: "كان يحيى بـن معـين يوثقـه جـدا" وعن أبن وهب قال: "سمعت من ثلاث مائة شـيخ وسـبعين شـيخا فما رأيت أحدا أحفظ من عمرو بن الحارث، وذلك أنـه كـان قـد جعـل عـلى نفسـه أن يحفظ كل يوم ثلاثة أحاديث" وقال أبو حاتم الرازي: "عمرو أحفظ أهل زمانه" وقال سعيد بن عفير: "أخطب أهل زمانـه، وأبلغهـم، وأرواهـم للشـعر" وقـال الحـافظ أبو بكر الخطيب: "كان عمـرو قارئـا فقـيها، مفتـيا ثقة "[1] وذكر ابن عساكر أن عمرو بن الحارث قـدم عـلى يـزيد بن الوليد بن عبد الملك ببيعة أهل مصر في نفر وجهائهم، كمـا ذكـر أنـه شارك في غزو الصائفة مع صالح بن علي الهاشمي.[2] توفي رحمه الله سنة ثمان و أربعين ومائة للهجرة.[3]

---

(١) عن هذه الأقوال والشهادات وغيرها التي توضح مكانة عمرو بن الحارث انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٩/ ١٩٣.

(٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار: ١٨٧. ابن منظور: مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٩ / ١٩٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦ / ٣٥٢.

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم:

أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري الشعباني، أحد فضلاء التابعين، وأول مولود يولد بإفريقية بعد فتحها، قال عنه الذهبي: "الإمام القدوة، شيخ الإسلام، قاضي إفريقية وعالمها، ومحدثها على سوء حفظه" وكان سفيان الثوري - رحمه الله - يعظمه ويعرف حقه، وكان قد أسره الروم في إحدى الغزوات ثم أطلق سراحه، وكان من العلماء المخضرمين بين الدولتين الأموية والعباسية، وكان قولا بالحق يصدع به لا يخشى في ذلك أحدا إلا الله، وكان على رأس وفد العلماء الذين قدموا على أبي جعفر يستنجدونه عندما ثارت الخوارج بالقيروان على أثر سقوط الدولة الأموية، وأفسدوا وقتلوا خلقا كثيرا. توفي رحمه الله سنة إحدى وقيل ست وخمسين ومائة للهجرة. (١)

---

(١) أبو العرب: طبقات علماء أفريقية والمغرب:٩٥. المالكي: رياض النفوس: ١/ ١٥٢. الدباغ: معالم الإيمان: ١/ ٢٣٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٤١١.


الفهارس العامة



فهرس تراجم العلماء



المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الـــــكــــريــم .

الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين (٣٦٠هـ) .

٢- أخلاق العلماء، مراجعة وتعليق إسماعيل بن محمد الأنصاري، نشر رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ سابقا ـ بالمملكة العربية السعودية، طبع مطابع النصر، الرياض، ١٣٩٨هـ.

٣- أخبار عمر بن عبد العزيز وسيرته، تحقيق عبد الله عبد الرحمن عسيلان، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٣٩٩ هـ.

٤- الشريعة، تحقيق عبد الله بن عمر الدميجي، ط: الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ.

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (٢٣٥ هـ) .

٥- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق عامر الأعظمي، الدار السلفية، بومباي، الهند.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، (٦٣٠هـ).

٦- أسد الغابة، دار إحياء الثراث االعربي، بيروت.

٧- الكامل في التاريخ،ط: الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

الأزدي، الحافظ عبد الغني بن سعيد (٤٠٩هـ).

٨- كتاب المتوارين الذين اختفوا خوفا من الحجاج بن يوسف، ضبط وتعليق، مشهور حسن محمود سلمان، الطبعة الأولى،دار القلم، دمشق،١٤١٠ هـ.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. ت (٣٧٠ هـ).

٩- تهذيب اللغة، الجزء الثاني، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (٣٣٠هـ).

١٠- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١ هـ.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ٤٣٠ هـ.

١١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢- فضيلة العادلين من الولاة، ضبط وتعليق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (٣٥٦ هـ).

١٣- الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٦ هـ.

مقاتل الطالبيين،تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٥هـ.

ابن أعثم، أحمد بن أعثم، (٣١٤هـ).

١٤- الفتوح، ط: الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٣٩٥ هـ.

الألباني، محمد ناصر الدين.

١٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الرابع، ط: الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

١٦- صحيح سنن أبي داود، ط: الأولى، مكتبة المعارف، ١٤١٩ هـ.

١٧- ضعيف سنن أبي داود، ط: الأولى، مكتبة المعارف، ١٤١٩ هـ.

١٨- ضعيف الجامع الصغير، ط، الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٠هـ.

الألوسي،محمود (١٢٧٠هـ).

١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مكتبة دار التراث،القاهرة.

أنيس، إبراهيم وآخرون.

٢٠- المعجم الوسيط، ط: الثانية، دار المعارف، القاهرة.

بحشل، أسلم بن سهل الواسطي، (٢٩٢هـ).

٢١- تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، ط الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (٢٥٦هـ).

٢٢- الأدب المفرد، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٢٣- التاريخ الصغير،

٢٤- التاريخ الكبير، مراجعة السيد هاشم الندوي، دار الفكر، ١٩٨٦م.

٢٥- صحيح البخاري: المكتبة الإسلامية، استانبول، ١٩٧٩م.

بدران، عبد القادر.

٢٦- تهذيب تارخ دمشق الكبيرلابن عساكر، ط: الثانية، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

البدري، عبد العزيز.

٢٧- الإسلام بين العلماء والحكام، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٦٦م.

بطاينة، محمد ضيف الله.

٢٨- دراسات وبحوث في جوانب من التاريخ الإسلامي، ط: الأولى، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٦ هـ.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (٤٦٣هـ).

٢٩- تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، (٤٢٩ هـ).

٣٠- الفرق بين الفرق، ط، الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧.

البلادي، عاتق بن غيث.

٣١- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط: الأولى، دار مكة، مكة، ١٤٠٢هـ.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩ هـ).

٣٢- فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت،١٣٩٨هـ.

٣٣- أنساب الأشراف: الجزء الثالث، تحقيق المحمودي.

٣٤- أنساب الأشراف، القسم الرابع الجزء الأول، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٤٠٠هـ.

٣٥- أنساب الأشراف، القسم الخامس، يطلب من مكتبة المثنى، بغداد.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ).

٣٦- السنن الكبرى، مراجعة محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى، (٢٧٩هـ).

٣٧- سنن الترمذي، مراجعة أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت.

ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨ هـ).

٣٨- منهاج السنة، تحقيق محمد رشاد سالم، ط: الأولى، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ.

٣٩- الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم. الأجزاء، ٧، ١٩، ٢٨.

الجرجاني، أبو أحمد عبد الله بن عدي، (٣٦٥ هـ).

٤٠- الكامل في ضعفاء الرجال، مراجعة يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

الجريد، سعد بن عبد الرحمن.

٤١- دوافع الإستجابة للدعوة في الكتاب والسنة، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ غير منشورة.

الجصاص، أحمد بن علي، (٣٧٠هـ).

٤٢- أحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٣٥هـ.

الجعدي، عمر بن علي الجعدي (٥٨٦هـ).

٤٣- طبقات فقهاء اليمن: تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ).

٤٤- سيرة عمر بن عبد العزيز، دار الفكر.

٤٥- تلبيس إبليس، ط: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٦٨هـ.

٤٦- المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم: مخطوط.

٤٧- صفة الصفوة، ط: الثانية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٨ هـ.

٤٨- آداب الحسن البصري، تحقيق سليمان مسلم الحرش، ط: الأولى، دار المعراج، الرياض، ١٤١٤هـ

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (٤٠٥ هـ).

٤٩- المستدرك على الصحيحين، مراجعة مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.

ابن حبان، محمد بن حبان البستي، (٣٥٤ هـ).

٥٠- الثقات، مراجعة السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ١٣٩٥هـ.

٥١- صحيح ابن حبان، مراجعة شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٢- المجروحين من المحدثين والضعفاء المتروكين، مراجعة محمود زايد، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦ هـ.

٥٣- مشاهير علماء الأمصار، عنى بتصحيحه م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية بيروت.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت (٨٥٢ هـ).

٥٤- الإصابة في تمييز الصحابة، إعداد أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيرو ٥/ ٥٩.

٥٥- تقريب التهذيب، ط: الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٥٦- تهذيب التهذيب، ط: الأولى، دار المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٢٧ هـ

٥٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قرأ أصله تصحيحا وتعليقا الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٥٨- لسان الميزان، مراجعة دائرة المعارف النظامية بالهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ.

ابن حزم، محمد بن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ).

٥٩- جوامع السيرة: تحقيق إحسان عباس و ناصر الدين الأسد نشر حديث أكاديمي، فيصل آباد، باكستان، ١٤٠١هـ.

حمادة، محمد ماهر حمادة.

٦٠- الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، ط: الثانية، دار النفائس بيروت، ١٤٠٣هـ.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (٦٢٦هـ).

٦٢- معجم البلدان،دار صادر، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير، (٢١٩هـ).

٦٣- مسند الحميدي، مراجعة حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨١هـ.

ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد، (٢٤١ هـ).

٦٤- مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، مصور عن الطبعة الميمنية.

٦٥- فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط: الأولى، دار العلم، جدة، ١٤٠٣ هـ.

الخراشي، عبد الله بن عثمان.

٦٦- عبد الله بن الزبير والأمويون، بحث مكمل لمتطلبات رسالة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب،جامعة الملك سعود، ١٤٠٨هـ، غير منشور)

الخرعان، عبد الله بن عبد الرحمن.

٦٧- إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية. رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٩هـ (بحث غير منشور).

الخطيب، محمد عجاج.

٦٨- السنة ومكانتها قبل التدوين، مكتبة وهبة، مصر.

٦٩- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ).**

٧٠- تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر، مؤسسة جمال، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٧١- **ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، (٦٨١ هـ).**

٧٢- وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م.

ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري، (٢٤٠هـ).

٧٣- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط: الثانية، دار طيبة، ١٤٠٥ هـ.

٧٤- الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط: الثانية، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (٢٥٥هـ).

٧٥- سنن الدارمي، مراجعة فواز أحمد و خالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي، (٢٧٥هـ).

٧٦- سنن أبي داود، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (٦٩٦هـ).

٧٧- معالم الإيمان، تعليق إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨م.

الدميجي، عبد الله بن عمر.

٧٨- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، ط: الأولى، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٧هـ.

الدوري، عبدالعزيز.

٧٩- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م.

الدينوري، أحمد بن داود (٢٨٢ هـ).

٨٠- الأخبار الطوال، مراجعة حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ).

٨١- الأمصار ذوات الآثار، تحقيق قاسم علي سعد، ط: الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٦ هـ.

٨٢- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مكتبة القدسي، مصر.

٨٣- تجريد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت.

٨٤- تذكرة الحفاظ، مراجعة عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤ هـ.

٨٥- سير أعلام النبلاء، الجزء السابع، تحقيق علي أبو زيد، ط: السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ.

٨٦- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، مراجعة محمد عوامة، دار القبلة، جدة، ١٤١٣هـ.

٨٧- طبقات القراء أو " معرفة القراء الكبار "، تحقيق بشار معروف وآخرون، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (٣٢٧هـ).

٨٨- الجرح والتعديل، ط: الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (٧٩٥هـ).

٨٩- جامع العلوم والحكم، توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد " سابقا، الرياض،

الرحيلي، سليمان.

٩٠- ولاة المدينة في العصر الأموي " دراسة سياسية " مجلة دارة الملك عبد العزيز، الرياض، العدد الرابع، السنة التاسعة عشر،١٤١٤هـ.

رياض عيسى.

٩١- النزاع بين أفراد البيت الأموي، ط: الأولى، دار حسان، ١٤٠هـ.

ريحاوي، عبد القادر.

٩٢- لمحة عن حضارة الجزيرة والفرات في العهد العربي الإسلامي، مقال في مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد التاسع عشر، الجزءان: الأول والثاني، ١٩٦٩م.

الزبيدي، محمد مرتضى (١٢٠٥هـ).

٩٣- تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان.

الزبيري،أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (٢٣٦ هـ).

٩٤- نسب قريش، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، ط: الثالثة، دار المعارف، القاهرة.

الزحيلي، وهبة الزحيلي.

٩٥- سعيد بن المسيب سيد التابعين، ط: الثالثة، دار القلم، دمشق، ١٤٠١هـ

أبوزرعة، عبد الرحمن بن عمر النصري الدمشقي (٢٨١هـ).

٩٦- تاريخ أبي زرعة الدمشقي، دراسة وتحقيق شكر الله القوجاني، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق.

الزركلي، خير الدين.

٩٧- الأعلام، ط: السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

أبو زهرة، محمد أبو زهرة.

٩٨- الإمام أبوحنيفة حياته وعصره - آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي.

٩٩- الإمام زيد بن علي حياته وعصره، وآراؤه وفقهه، دار الفكر العربي.

١٠٠- الإمام الصادق، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي.

سالم، عبد الرحمن سالم.

١٠١- التاريخ السياسي للمعتزلة، دار الثقافة، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

السامرائي، فاروق عبد المجيد.

١٠٢- مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار الوفاء، جدة.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، (٢٣٠ هـ).

١٠٣- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

١٠٤- الطبقة الخامسة من الصحابة؛ تحقيق محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ.

١٠٥- القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، دراسة وتحقيق زياد منصور، ط: الثانية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٨ هـ.

سعد الدين، محمد منير.

١٠٦- العلماء عند المسلين، ط الأولى، دار المناهل، بيروت، ١٤١٢هـ.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر .

١٠٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق محمد زهري النجار، المؤسسة السعدية، الرياض.

سلقيني، عبد الله محمد.

١٠٨- حبر الأمة عبد الله بن عباس ومدرسته في التفسير بمكة المكرمة: ط. الأولى، دار السلام، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

السلمي، محمد بن صامل السلمي.

١٠٩- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ط: الأولى، دار طيبة، الرياض، ٤٠٦هـ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (٩٩١هـ).

١١٠- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ٣٧١هـ.

١١١- الإتقان في علوم القرآن، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

١١٢- إسعاف المبطأ برجال الموطأ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٨٩ هـ.

الشاطبي.

١١٣- الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

شراب، محمد حسن.

١١٤- الإمام الزهري عالم الحجاز والشام، ط الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ

١١٥- المدينة في العصر الأموي، ط: الأولى، مؤسسة علوم القرآن، دمشق،١٤٠٤هـ.

الشريف، أحمد إبراهيم.

١١٦- دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني، دار الفكر العربي.

الشعار، مروان محمد.

١١٧- الأوزاعي إمام السلف، ط: الأولى، دار النفائس، بيروت.

الشمري، هزاع الشمري.

١١٨- يزيد بن معاوية، ط: الأولى، دار أجا، الرياض، ١٤١٣هـ.

١١٩- الحجاج بن يوسف الثقفي وجه حضاري في تاريخ الإسلام، الطبعة الثانية، دار أجا، الرياض١٤١٤ هـ.

الشنقيطي، سيد محمد ساداتي.

١٢٠- العلاقة بين العلماء والناس،الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، طبعته وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، (٥٤٨ هـ).

١٢١- الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز الوكيل، دار الفكر، لبنان.

الشوكاني، محمد بن علي، (١٢٥٠هـ).

١٢٢- فتح القدير، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ، دار الفكر، بيروت.

الشيباني، أبو بكر أحمد بن عمرو، (٢٨٧ هـ).

١٢٣- الآحاد والمثاني؛ مراجعة: باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ.

الشيباني، محمد بن عبد الهادي.

١٢٤- مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ط: الأولى المكتبة المكية، ١٤١٧ هـ.

الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي، (٤٧٦ هـ) .

١٢٥- طبقات الفقهاء، تصحيح ومراجعة خليل الميس، دار القلم، بيروت.

الصالح، صبحي.

١٢٦- علوم الحديث ومصطلحه: ط. السادسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

الضبي، سيف بن عمر، (٢٠٠هـ).

١٢٧- الفتنة ووقعة الجمل رواية سيف بن عمر.، جمع راتب عرموش، الطبعة الثالثة، دار النفائس، بيروت،١٤٠٠هـ.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، (٣٦٠ هـ).

١٢٨- المعجم الكبير، مراجعة حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ.المعجم الصغير، مراجعة محمدشكور، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ).

١٢٩- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.

الطحاوي، أبو جعفر حمد بن محمد بن سلامة (٣٢١هـ).

١٣٠- شرح معاني الآثار: مراجعة محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩ه

الطرطوشي، أبو بكر المالكي (٥٢٠ هـ).

١٣١- سراج الملوك، المطبعة المحمودية، مصر، ١٣٥٤ هـ.

طهماز،عبد الحميد.

١٣٢- أنس بن مالك، ط:الرابعة، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر، (٤٦٣ هـ).

١٣٣- الإنتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، مالك والشافعي وأبي حنيفة، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٤- جامع بيان العلم وفضله، قدم له عبد الكريم الخطيب، دار زمزم، الرياض.

١٣٥- مختصر جامع بيان العلم وفضله، اختصره وخرج آثاره وعلق عليه أبو عبدالرحمن محمود. ط: الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ.

ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله (٢١٤ هـ).

١٣٦- سيرة عمر بن عبد العزيز، تصحيح وتعليق أحمد عبيد، ط: السادسة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

عبد الشافي محمد عبد اللطيف.

١٣٧- العالم الإسلامي في الدولة الأموية،ط: الأولى دار الوفاء، مصر، ١٤٠٤هـ.

عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل. (٢٩٠هـ).

١٣٨- السنة،ط، الثانية، الدار العلمية، دلهي، ١٤٠٤ هـ.

ابن عبد الهادي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الصالحي (٧٤٤هـ).

١٣٩- طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

العبدالكريم، عبد السلام برجس.

١٤٠- معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، ط، الخامسة، ١٤١٧هـ.

ابن العبري، غريغوريوس الملطي، (٦٨٥هـ ١٢٨٦م).

١٤١- تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة الأب أنطون صالحاني، دار الرائد، الحازمية، لبنان، ١٤٠٣ هـ.

العجلي، أحمد بن عبد الله، (٢٦١هـ).

١٤٢- معرفة الثقات، مراجعة عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ.

أبو العرب، محمد أحمد التميمي، (٣٣٣هـ).

١٤٣- طبقات علماء أفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨ م.

١٤٤- المحن، تحقيق ودراسة عمر العقيلي، ط: الأولى، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٤ هـ.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (٥٤٣هـ).

١٤٥- العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، ط: الثالثة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

ابن عساكر، علي بن الحسن، (٥٧١هـ).

١٤٦- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق

١٤٧- تاريخ مدينة دمشق، من عبد الله بن عمران ـ عبد الله بن قيس (مخطوط)، مصور من دار الكتب الظاهرية، دمشق .

١٤٨- تاريخ مدينة دمشق، (عبادة بن أوفى ـ عبد الله بن ثوب) تحقيق شكري فيصل وآخرون، دار الفكر، دمشق.

العش، يوسف العش.

١٤٩- الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ.

عطوان، حسين عطوان.

١٥٠- الدراسات الدينية بخراسان في العصر الأموي، ط: الأولى، دار الجيل بيروت، ١٤١٣هـ

١٥١- الفرق الإسلامية في العصر الأموي، ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦م.

١٥٢- الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، ط: الأولى، دار الجيل، ١٤١١هـ.

العقل، ناصر بن عبد الكريم.

١٥٣- الخوارج، ط: الثانية، دار القاسم، الرياض، ١٤١٧هـ.

١٥٤- العلماء هم الدعاة، الطبعة الأولى، دار الراية، الرياض.

١٥٥- القدرية والمرجئة، ط: الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨ هـ.

العقيلي، عمرسليمان.

١٥٦- خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٥٧- يزيد بن معاوية، الرياض، ١٤٠٨ هـ.

العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو، (٣٢٢هـ).

١٥٨- ضعفاء العقيلي، مراجعة، عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

العكبري، عبد الله بن محمد بن بطة، (٣٨٧ هـ).

١٥٩- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق رضا بن نعسان معطي، ط، الثانية، دار الراية، الرياض، ١٤١٥ هـ.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الحنبلي، ت (١٠٨٩هـ).

١٦٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

عمر، فاروق عمر .

١٦١- طبيعة الدعوة العباسية: الطبعة الأولى،دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٩هـ.

عواجي، غالب بن علي.

١٦٢- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، ط: الأولى، دمنهور، ١٤١٨ هـ.

العودة، سليمان بن حمد.

١٦٣- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ط: الأولى، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥ هـ.

الغزالي، أبو حامد محمد، (٥٠٥هـ).

١٦٤- إحياء علوم الدين، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ ز

١٦٥- مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء، تحقيق محمد جاسم الحديثي، ط: الأولى، الرياض.

الغضبان، منير محمد.

١٦٦- معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ.

الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (٢٧٧هـ).

١٦٧- المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ

فلهاوزن.

١٦٨- الدولة العربية وسقوطها، ترجمة يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٦هـ.

فودة، حلمي و عبد الرحمن الصالح.

١٦٩- المرشد في كتابة الأبحاث، ط: الرابعة، دار الشروق، ١٤١١هـ.

الفوزان، صالح بن فوزان.

١٧٠- ما يجب في التعامل مع العلماء: موضوع محاضرة جمعه وطبعه بإذن المؤلف عادل الفريدان، دار النجاح، الرياض.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧ هـ).

١٧١- القاموس المحيط، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٠هـ.

القاسمي، جمال الدين بن محمد الدمشقي.

١٧٢- تاريخ الجهمية والمعتزلة، ط: الأولى، دار المنار،القاهرة، ١٣٣١هـ.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ).

١٧٣- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط: الرابعة، دار المعارف، القاهرة.

١٧٤- عيون الأخبار، شرح وتعليق يوسف الطويل، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ هـ.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، (٦٧١هـ).

١٧٥- الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة (٤٥٤هـ).

١٧٦- مسند الشهاب، مراجعة حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (٧٥١ هـ).

١٧٧- أعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة وتعليق طه عبد الرؤوف سعد،دار الجيل بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو (٧٧٤هـ).

١٧٨- تفسير القرآن العظيم، المجلد الثاني، تحقيق عبد العزيز غنيم وآخرون.

١٧٩- البداية والنهاية، ط: الثانية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧م.

الكردي، حافظ الدين بن محمد (٨٢٧هـ).

١٨٠- مناقب أبي حنيفة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ.

الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، (٣٥٠ هـ).

١٨١- كتاب الولاة وكتاب القضاة، هذبه رفن كست، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

اللويحق، عبد الرحمن بن معلا.

١٨٢- قواعد في التعامل مع العلماء، الطبعة الأولى، دار الوراق، الرياض.

ماجد، عبد المنعم.

١٨٣- التاريخ السياسي للدولة العربية الجزء الثاني ـ عصر الخلفاء الأمويين ـ ط، السادسة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢ م.

ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، (٢٧٥هـ).

١٨٤- سنن ابن ماجة، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، (٤٥٣ هـ).

١٨٥- رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي للطباعة.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ).

١٨٦- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٨٧- درر السلوك في سياسة الملوك: تحقيق ودراسة، فؤاد عبد المنعم أحمد، ط: الأولى، دار الوطن، الرياض.

مجموعة من المستشرقين بمشاركة محمد فؤاد عبد الباقي.

١٨٨- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٢م.

مجهول من القرن الثالث الهجري.

١٨٩- أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبدالجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت.

محمود، حسن محمود.

١٩٠- العالم الإسلامي في العصر العباسي: الطبعة الخامسة، دار الفكر العربي، مصر.

المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي، (٧٤٢ هـ).

١٩١- تهذيب الكمال، مراجعة بشار عواد، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٠هـ.

مستو، محيي الدين.

١٩٢- عبد الله بن عمر، ط: الرابعة، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ).

١٩٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبد الحميد، ط: الرابعة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٤هـ.

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ).

١٩٤- صيح مسلم، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ .

المكي، الموفق بن أحمد (٥٦٨هـ).

١٩٥- مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

المكي، عبد الله بن أسعد اليافعي، (٧٦٨ هـ)

١٩٦- مرآة الجنان، ط: الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣ هـ.

الملطي أبو الحسين محمد الشافعي، (٣٧٧هـ).

١٩٧- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع،تحقيق يمان بن سعد الدين المياديني، ط: الأولى، رمادي للنشر، الدمام، ١٤١٤هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (٧١١ هـ).

١٩٨- لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

١٩٩- مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٩ هـ.

الموصلي، محمد بن محمد بن عبد الكريم، ت (٧٧٤هـ).

٢٠٠- حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، دراسة وتحقيق، فؤاد عبد المنعم أحمد، ط: الأولى، دار الوطن، الريلض، ١٤١٦ هـ.

المولى، محمد أحمد وآخرون.

٢٠١- قصص العرب، ط: الرابعة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٢ هـ.

الميداني، عبد الرحمن.

٢٠٢- ضوابط المعرفة: دار القلم، بيروت، ١٤٠١هـ.

ناجي حسن.

٢٠٣- ثورة زيد بن علي، ط: الأولى، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٦ هـ.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (٣٠٣هـ).

٢٠٤- السنن الكبرى، مراجعة عبد الغفار البنداري، وسيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (٦٧٦هـ).

٢٠٥- رياض الصالحين، تعليق مصطفى محمد عمارة، مكتبة الغزالي، دمشق، بيروت

٢٠٦- تهذيب الاسماء واللغات، المطبعة المنيرية، مصر.

النيسابوري، إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، (٢٧٥هـ).

٢٠٧- مسائل الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق زهير الشاويش، ط، الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ.

ابن هشام، محمد بن إسحاق، (٢١٨هـ).

٢٠٨- السيرة النبوية، شرح وتعليق:محمد محيي الدين عبد الحميد، توزيع دار الإفتاء بالرياض.

الهلابي، عبد العزيز.

٢٠٩- الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي (القسم الأول): مقال في مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة التاسعة عشرة، ١٤١٤هـ، دارة الملك عبد العزيز الرياض.

٢١٠- الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي: (القسم الثاني) مقال في مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة التاسعة عشرة، عام، ١٤١٤ هـ.

الهيثمي، علي بن أبي بكر، (٨٠٧ هـ).

٢١١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط، الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢ هـ.

الواقدي محمد بن عمر، (٢٠٧هـ).

٢١٢- كتاب المغازي،تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت.

الوردي، علي الوردي.

٢١٣- وعاظ السلاطين: ٢٢٨. دار كوفان لندن، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

وكيع، محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦هـ).

٢١٤- أخبار القضاة، مكتبة المدائن، الرياض.

اليحيى، يحيى بن إبراهيم.

٢١٥- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري:، ط: الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ.

يحيى إسماعيل .

٢١٦- منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ط: الأولى، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٦هـ

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (٢٨٢ هـ).

٢١٧- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، (٣٠٧هـ).

٢١٨- مسند أبي يعلى، مراجعة حسين سليم، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ.



فهرس المحتويات

تصويب

عند إعادة طباعة وترتيب جزء من الرسالة وقع الطابع في أخطاء نستدركها في هذه الصفحة

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب	صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٧٦	١١	يسر	يسير	٢٧٧	٩	ثم رأسه	ثم رفع رأسه
١٤١	٤	منطبق	منطلق	٢٨٢	٢	طلبهم إلى	طلبهم من
١٤٣	٨	مكانه	مكانته	٢٩٠	الأخير	سقط للأبيات التالية	
١٥٧	٧	وقوله العمل	وعدم قبوله	إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ووافيت بعد الموت من قد تـزودا			
١٦٢	حاشية/٣	ص "١٩٦"	ص "٢٢٤"	ندمت على أن لا تكون شركه وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا			
٢١٧	٣	هشان	هشام	٢٩٢	٥	فليس يرضي	فليس يرضى
٢٤٨	٦	امضي	امض	٢٩٣	٤	وإن كان قد	وإلا كان قد
٢٤٩	٨	وتوليتهم	وتولّيهم	٢٩٦	٣	سقط كلمة	نجدها تدور
٢٥٩	٩	فتنفع به	فتنتفع به	٢٩٦	٦	طل	كل
٢٥٩	١٣	أن خير	إن خير	٢٩٦	٩	لعبده	لعباده
٢٦١	٣	لم حدث	لما حدث	٢٩٩	الأخير	أن أحدا	إن أحدا
٢٦١	٨	إذ لم	إذ لما	٣٠٠	١٥	أنا الخلفاء	أمّا الخلفاء
٢٧٠	الأخير	يرجل	برجل	٣٠٨	١	لا تجيب	لا تُجبى
٢٧١	٥	ذكرنا	ذكّرتنا	٣٠٩	١١	من نصيحة	بالنصيحة
٢٧٣	١	نا بين	ما بين	٣٠٩	الأخير	استمروا غي	استمروا في
٢٧٣	١٠	وأعملته	وأعلمته	٣١٠	٢	برزوا	بروزا
٢٧٤	١	قي	في	٣١٢	١٢	وقد خلفاء	وقد كان خلفاء
٢٧٥	١٠	لذلك التوجيه	بذلك التوجيه	٣١٣	٢	بعبدالملك	لعبدالملك
٢٧٦	حاشية	صفوة الصفوة	صفة الصفوة	٣١٣	١٣	ولعلهم	ولعله

لإبداء أي ملحوظة أو للمراسلة فعلى : ص . ب . ٣٤٢٧١ الرياض ١١٤٦٨ .